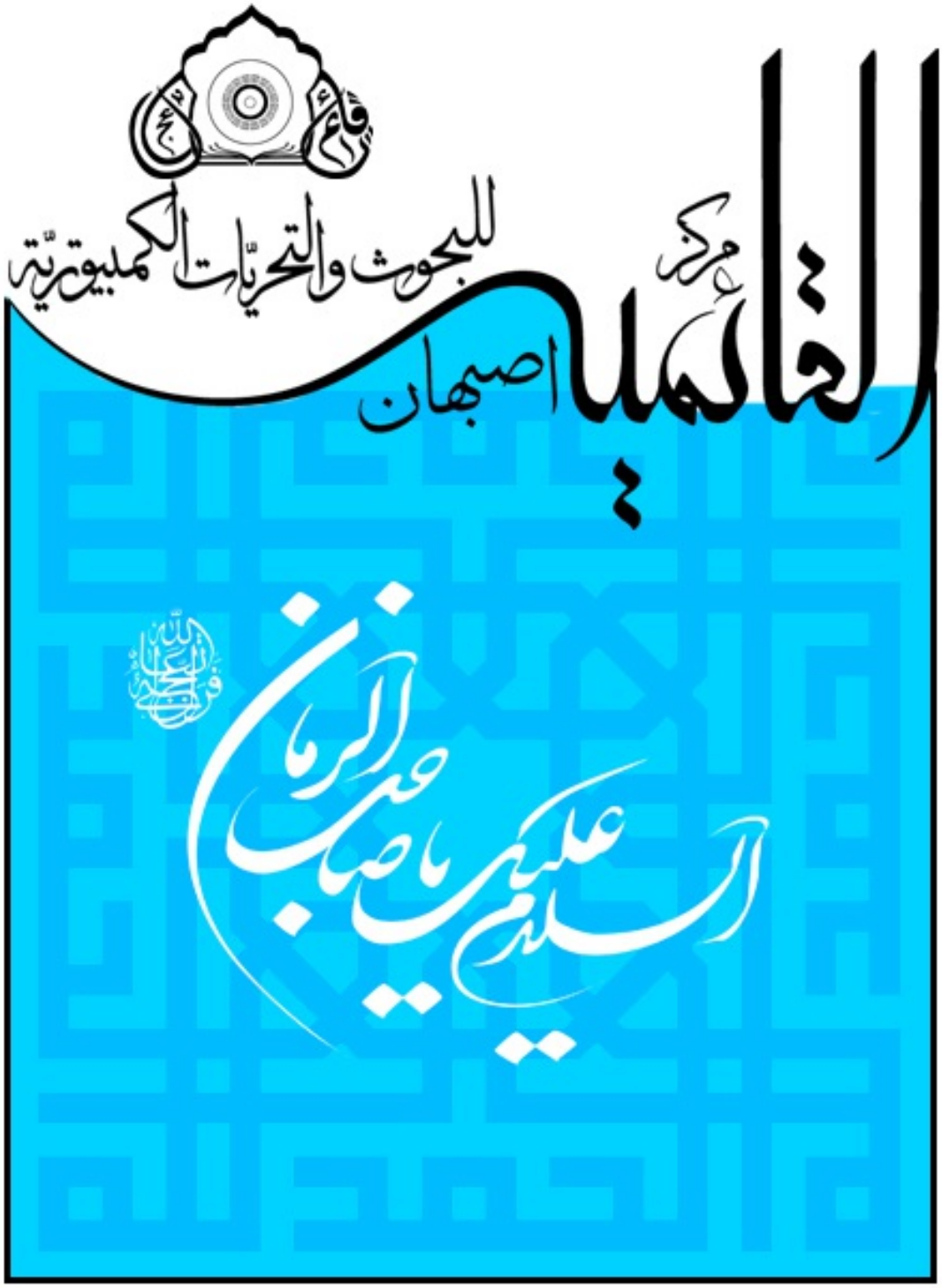

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

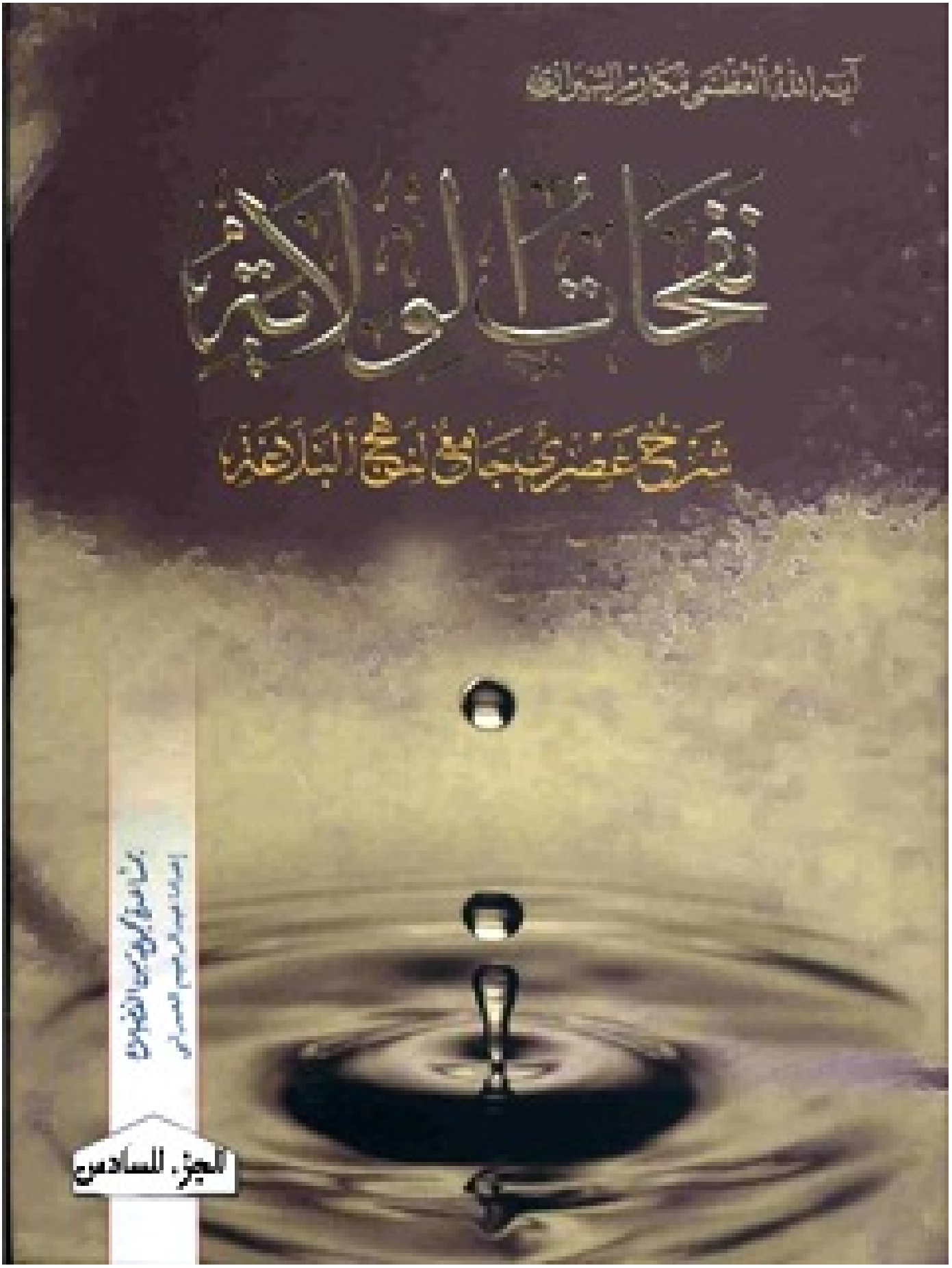

آية الله العظمى مكارم الشيرازي
نفحات الولاية
شرح عصري جامع لنهج البلاغة
الجزء السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحات الولايه: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه

كاتب:

ناصرمكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابى طالب (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفحات الولایة المجلد ۶ ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
الخطبة ۱۵۱ ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
نظرة إلی الخطبة ----- ۲۰
القسم الأوّل ----- ۲۱
الشرح والتفسیر: الشمس التی أشرقت فی الظلام ----- ۲۱
القسم الثانی ----- ۲۲
الشرح والتفسیر: الحذر من الفتنة ----- ۲۳
تأمّل: مميزات الحكام اتباع الهوى ----- ۲۴
القسم الثالث ----- ۲۴
الشرح والتفسیر: خصائص هذه الفتنه الکبری ----- ۲۵
القسم الرابع ----- ۲۷
الشرح والتفسیر: التکلیف حین الفتنة ----- ۲۷
الخطبة ۱۵۲ ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
نظرة إلی الخطبة ----- ۲۸
القسم الأول ----- ۲۸
الشرح والتفسیر: شمة من صفات اللّه الجمالیة والجلالیة ----- ۲۹
القسم الثانی ----- ۳۲
الشرح والتفسیر: إنتظار الفرج ----- ۳۲
الخطبة ۱۵۳ ----- ۳۵

اشارة ----- ۳۵
نظرة إلى الخطبة[۴۵] ----- ۳۵
القسم الأول ----- ۳۶
الشرح والتفسير ----- ۳۶
القسم الثانی ----- ۳۶
الشرح والتفسير: الموعظة البالغة ----- ۳۷
القسم الثالث ----- ۳۸
الشرح والتفسير: الحذر الحذر ----- ۳۸
القسم الرابع ----- ۳۹
الشرح والتفسير: الموبقات الخمس ----- ۴۰
الخطبة ۱۵۴ ----- ۴۱
اشارة ----- ۴۱
نظرة إلى الخطبة ----- ۴۲
القسم الأول ----- ۴۲
الشرح والتفسير: أبواب علم النبی ----- ۴۲
تأملان ----- ۴۳
۱. الفارق بين العُجب والتعريف بالذات ----- ۴۳
۲. الفضل ما شهدت به الاعداء ----- ۴۴
القسم الثانی ----- ۴۴
الشرح والتفسير: خصائص دعاة الحق ----- ۴۵
القسم الثالث ----- ۴۶
الشرح والتفسير: معرفة المحسن والمسیء ----- ۴۶
الخطبة ۱۵۵ ----- ۴۸
اشارة ----- ۴۸

نظرة إلى الخطبة ----- ۴۸
القسم الأول ----- ۴۸
الشرح والتفسير: درس فی معرفة اللّه ----- ۴۸
القسم الثانی ----- ۴۹
الشرح والتفسير: الطائر العجيب ----- ۵۰
القسم الثالث ----- ۵۱
الشرح والتفسير: عجائب الخفاش ----- ۵۱
تأمّل ----- ۵۲
خلقة الخفاش العجيبة ----- ۵۲
الخطبة ۱۵۶ ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۵۳
القسم الأول ----- ۵۴
الشرح والتفسير: ظهور الاحقاد بذرائع واهية ----- ۵۴
القسم الثانی ----- ۵۶
الشرح والتفسير: السبيل إلى النجاة ----- ۵۶
القسم الثالث ----- ۵۷
الشرح والتفسير: عوامل النجاة فی القيامة ----- ۵۷
القسم الرابع ----- ۶۰
الشرح والتفسير: الفتنة الكبرى ----- ۶۰
تأمّلان ----- ۶۰
۱. الرد على بعض الأسئلة ----- ۶۰
۲. الشهادة مفخرة لا مصيبة ----- ۶۱
القسم الخامس ----- ۶۱

الشرح والتفسير: الحيل الشرعية فى استحلال المحرمات ----- ۶۲
تأمّل: الحرام لا يحلل بالزيف ----- ۶۲
الخطبة ۱۵۷ ----- ۶۳
اشارة ----- ۶۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۶۳
القسم الأول ----- ۶۴
الشرح والتفسير: انعطافة على المبدأ والمعاد ----- ۶۴
تأمّل: كيف يعيد التاريخ نفسه ----- ۶۵
القسم الثانى ----- ۶۶
الشرح والتفسير: تقلب الدنيا ----- ۶۶
القسم الثالث ----- ۶۸
الشرح والتفسير: حضور المحكمة الإلهيّة ----- ۶۸
تأمّلان ----- ۷۱
۱. الشهود على الأعمال ----- ۷۱
۲. ثلاث عبارات عميقة المعنى ----- ۷۲
الخطبة ۱۵۸ ----- ۷۲
اشارة ----- ۷۲
نظرة إلى الخطبة ----- ۷۲
القسم الأول ----- ۷۲
الشرح والتفسير: الكتاب الذى استوعب كل شىء ----- ۷۳
القسم الثانى ----- ۷۴
الشرح والتفسير: حكومة الظلم ودولة الطغيان ----- ۷۴
تأمّلان ----- ۷۵
۱. وظيفة الحاكم والرعية ----- ۷۶

۲. فاجعة نهاية دولة بنى امية ---- ۷۶
الخطبة ۱۵۹ ---- ۷۶
اشارة ---- ۷۷
نظرة إلى الخطبة ---- ۷۷
الشرح والتفسير ---- ۷۷
الدعم المطلق ---- ۷۷
الخطبة ۱۶۰ ---- ۷۸
نظرة إلى الخطبة[۲۱۸] ---- ۷۸
القسم الأول ---- ۷۹
الشرح والتفسير: عجز العقول امام عظمة اللّه ---- ۷۹
القسم الثانى ---- ۸۱
الشرح والتفسير ---- ۸۲
عبيد الدنيا ---- ۸۲
تأمّل ---- ۸۳
الخوف والرجاء ---- ۸۳
القسم الثالث ---- ۸۴
الشرح والتفسير: التأسى بالنبى صلى الله عليه و آله ---- ۸۴
القسم الرابع ---- ۸۵
الشرح والتفسير: زهد الأنبياء ---- ۸۶
تأمّلات ---- ۸۷
۱. مزامير داود ---- ۸۷
۲. الصوت الداودى ---- ۸۸
۳. زهد الأنبياء ---- ۸۸
القسم الخامس ---- ۸۸

الشرح والتفسير: سيرة النبى صلى الله عليه و آله إزاء عبدة الدنيا ---- ۸۹
القسم السادس ---- ۹۰
الشرح والتفسير ---- ۹۰
زهد النبى صلى الله عليه و آله ---- ۹۰
القسم السابع ---- ۹۱
الشرح والتفسير: لم التأسى بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله ---- ۹۲
تأمّل ---- ۹۳
الخطبة ۱۶۱ ---- ۹۴
اشارة ---- ۹۴
نظرة إلى الخطبة ---- ۹۴
القسم الأول ---- ۹۵
الشرح والتفسير: صفات النبى صلى الله عليه و آله ---- ۹۵
تأمّل ---- ۹۶
من قال أم ما قال؟ ---- ۹۶
القسم الثانى ---- ۹۷
الشرح والتفسير: الاعتبار بالامم السابقة ---- ۹۷
الخطبة ۱۶۲ ---- ۹۹
اشارة ---- ۹۹
نظرة إلى الخطبة ---- ۹۹
القسم الأول ---- ۱۰۰
الشرح والتفسير: علة غصب الخلافة العلوية ---- ۱۰۰
القسم الثانى ---- ۱۰۲
الشرح والتفسير ---- ۱۰۲
تأمّلات ---- ۱۰۳

۱. حق السؤال ۱۰۳
۲. الهدف الاصلی من السؤال والجواب فی الخطبة ۱۰۴
۳. بنی امیة ومؤامرة القضاء علی الإسلام ۱۰۵
الخطبة ۱۶۳ ۱۰۶
نظرة إلی الخطبة[۳۴۱] ۱۰۶
القسم الأول ۱۰۶
الشرح والتفسیر: حادثة مهمّة ۱۰۷
تأمّل: اللّه حقیقة مطلقة ۱۱۰
القسم الثانی ۱۱۱
الشرح والتفسیر: العلم الإلهی المطلق ۱۱۱
تأمّل: دور الإیمان بعلم اللّه علی العمل ۱۱۲
القسم الثالث ۱۱۲
الشرح والتفسیر: الأرفع من الخیال والوهم ۱۱۲
تأمّل ۱۱۴
الدورة الجینیة المذهلة ۱۱۴
الخطبة ۱۶۴ ۱۱۵
اشارة ۱۱۵
نظرة إلی الخطبة ۱۱۵
القسم الأول ۱۱۵
الشرح والتفسیر: إتمام الحجة علی عثمان ۱۱۵
تأمّل ۱۱۷
سبُل نفوذ الکلام فی الآخرین ۱۱۷
القسم الثانی ۱۱۷
الشرح والتفسیر: خصائص الحاکم العادل والظالم ۱۱۸

أضواء على حادثة قتل عثمان ---- ۱۲۰
الخطبة ۱۶۵ ---- ۱۲۱
اشارة ---- ۱۲۱
نظرة إلى الخطبة ---- ۱۲۱
القسم الأول ---- ۱۲۱
الشرح والتفسير: خلق الطيور ---- ۱۲۲
تأمّل: عجائب عالم الطيور ---- ۱۲۳
القسم الثانى ---- ۱۲۵
الشرح والتفسير: أعجب طير فى العالم ---- ۱۲۵
القسم الثالث ---- ۱۲۶
الشرح والتفسير: صورة رائعة لجناح الطاووس ---- ۱۲۷
القسم الرابع ---- ۱۲۸
الشرح والتفسير: صورة دقيقة عن جمال الطاووس ---- ۱۲۸
القسم الخامس ---- ۱۲۹
الشرح والتفسير: حيرة العقول فى الوصف ---- ۱۲۹
تأمّل ---- ۱۳۰
غرائب الطاووس ---- ۱۳۰
القسم السادس ---- ۱۳۰
الشرح والتفسير: الديدان والفيلة والحيتان ---- ۱۳۱
تأمّل: غيض من عجائب الحيتان والفيلة ---- ۱۳۱
الحيتان ---- ۱۳۱
الفيلة ---- ۱۳۲
القسم السابع ---- ۱۳۲
الشرح والتفسير: نعم الجنّة ومفاتنها ---- ۱۳۲

تأمّل: أيّها أجمل؟ ----- ۱۳۴
الخطبة ۱۶۶ ----- ۱۳۵
نظرة إلى الخطبة[۵۴۱] ----- ۱۳۵
القسم الأول ----- ۱۳۵
الشرح والتفسير: ثلاث وصايا أخلاقية ----- ۱۳۵
القسم الثانى ----- ۱۳۶
الشرح والتفسير: المصير الأسود لبنى أمية ----- ۱۳۶
تأمّل: ثورات دامية ضد بنى أمية ----- ۱۳۷
القسم الثالث ----- ۱۳۸
الشرح والتفسير: عامل التخلف ----- ۱۳۸
تأمّل: بنو اسرائيل ----- ۱۳۹
الخطبة ۱۵۶ ----- ۱۳۹
اشارة ----- ۱۳۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۳۹
القسم الأول ----- ۱۴۰
الشرح والتفسير: معرفة سبيل الحق ----- ۱۴۰
القسم الثانى ----- ۱۴۱
الشرح والتفسير: المسؤولية الشاملة ----- ۱۴۱
تأمّل: سلامة البيئة وحماية الحيوانات فى الإسلام ----- ۱۴۳
الخطبة ۱۶۸ ----- ۱۴۳
اشارة ----- ۱۴۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۴۴
القسم الأول ----- ۱۴۴
الشرح والتفسير: أسباب تأخير عقوبة قتلة عثمان ----- ۱۴۴

تأمّلان ----- ۱۴۵
۱. معوقات العدالة ----- ۱۴۶
۲. إشكال الثوار ----- ۱۴۶
الخطبة ۱۶۹ ----- ۱۴۶
اشارة ----- ۱۴۶
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۴۶
القسم الأول ----- ۱۴۷
الشرح والتفسير: القيام أو زوال الحكومة الإسلامية ----- ۱۴۷
القسم الثانى ----- ۱۴۸
الشرح والتفسير: الصبر على الفتنة ----- ۱۴۸
الخطبة ۱۷۰ ----- ۱۴۹
اشارة ----- ۱۴۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۴۹
القسم الأول ----- ۱۴۹
الشرح والتفسير: لماذا لاتبايع ----- ۱۴۹
تأمّل: عمق تأثير كلام الإمام عليه السلام ----- ۱۵۰
الخطبة ۱۷۱ ----- ۱۵۱
اشارة ----- ۱۵۱
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۵۱
القسم الأول ----- ۱۵۱
الشرح والتفسير: الجنّة أمامكم ----- ۱۵۲
تأمّل ----- ۱۵۳
الخطبة ۱۷۲ ----- ۱۵۴
نظرة إلى الخطبة[۶۴۰] ----- ۱۵۴

القسم الأول ----- ۱۵۴
الشرح والتفسير: قريش والخلافة ----- ۱۵۴
تأمّلان ----- ۱۵۶
۱. العيون المعصوبة ازاء الحقائق ----- ۱۵۶
۲. هل ينبغى التنازل عن بعض الحق ----- ۱۵۷
القسم الثانى ----- ۱۵۷
الشرح والتفسير ----- ۱۵۷
فضيحة أصحاب الجمل ----- ۱۵۷
سؤال آخر: ----- ۱۵۹
الخطبة ۱۷۳ ----- ۱۵۹
اشارة ----- ۱۵۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۵۹
القسم الأول ----- ۱۶۰
الشرح والتفسير: أجدر الأفراد بزعامة الأُمّة ----- ۱۶۰
سؤال: ----- ۱۶۰
الجواب: ----- ۱۶۱
سؤال: ----- ۱۶۱
الجواب: ----- ۱۶۲
القسم الثانى ----- ۱۶۲
الشرح والتفسير ----- ۱۶۲
تعليمات عسكرية ----- ۱۶۲
تأمّل: حوار مع عمار بن ياسر فى صفين ----- ۱۶۳
القسم الثالث ----- ۱۶۴
الشرح والتفسير: الدنيا ليست داركم ----- ۱۶۴

الخطبة ۱۷۴ ---- ۱۶۶
اشارة ---- ۱۶۶
نظرة إلى الخطبة ---- ۱۶۶
القسم الأول ---- ۱۶۶
الشرح والتفسير: تناقض طلحة دليل فضيحة ---- ۱۶۶
الخطبة ۱۷۵ ---- ۱۶۸
اشارة ---- ۱۶۸
نظرة إلى الخطبة ---- ۱۶۸
القسم الأول ---- ۱۶۸
الشرح والتفسير: الغفلة التامة ---- ۱۶۸
القسم الثانى ---- ۱۶۹
الشرح والتفسير: علّمنى رسول اللّه صلى الله عليه و آله كل شىء ---- ۱۶۹
الخطبة ۱۷۶ ---- ۱۷۰
اشارة ---- ۱۷۰
نظرة إلى الخطبة ---- ۱۷۰
القسم الأول ---- ۱۷۱
الشرح والتفسير: حفت الجنّة بالمكاره والنار بالشهوات ---- ۱۷۱
تأمّل: عشق الطاعة ---- ۱۷۲
القسم الثانى ---- ۱۷۲
الشرح والتفسير: نقد الذات ---- ۱۷۳
وصايا ضرورية ---- ۱۷۳
القسم الثالث ---- ۱۷۴
الشرح والتفسير: القرآن دواء لكل داء ---- ۱۷۴
تأمّل ---- ۱۷۵

القرآن والشفاء ----- ۱۷۵
القسم الرابع ----- ۱۷۵
الشرح والتفسير: القرآن شفيع القيامة ----- ۱۷۵
القسم الخامس ----- ۱۷۶
الشرح والتفسير: الدفاع المشروط ----- ۱۷۶
القسم السادس ----- ۱۷۷
الشرح والتفسير ----- ۱۷۷
تأمّل: الإستقامة في مسار الولاية ----- ۱۷۸
القسم السابع ----- ۱۷۹
الشرح والتفسير: فرق المؤمن عن المنافق في إصلاح اللسان ----- ۱۷۹
تأمّلان ----- ۱۸۱
۱. اللسان اعجب اعضاء البدن ----- ۱۸۱
۲. رصيد الإنسان ----- ۱۸۲
القسم الثامن ----- ۱۸۲
الشرح والتفسير: أخطار البدع ----- ۱۸۳
تأمّل ----- ۱۸۴
البدعة ----- ۱۸۴
القسم التاسع ----- ۱۸۵
الشرح والتفسير: القرآن ربيع القلوب وينابيع العلوم ----- ۱۸۵
القسم العاشر ----- ۱۸۶
الشرح والتفسير: إصلاح النفس ----- ۱۸۷
تأمّل: العيش بصورة جماعية أم الإنزواء ----- ۱۸۸
الخطبة ۱۷۷ ----- ۱۹۰
اشارة ----- ۱۹۰

نظرة إلى الخطبة ----- ۱۹۰
القسم الأول ----- ۱۹۰
الشرح والتفسير: بطلان الحكم بانحراف الحكمين ----- ۱۹۰
تأمّل: تولّى الحكمين عن القرآن ----- ۱۹۱
الخطبة ۱۷۸ ----- ۱۹۲
اشارة ----- ۱۹۲
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۹۲
القسم الأول ----- ۱۹۲
الشرح والتفسير: عظمة اللّه وكرامة نبيّه صلى الله عليه و آله ----- ۱۹۳
تأملان ----- ۱۹۴
۱. مشكلة الصفات ----- ۱۹۴
۲. أهداف بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ----- ۱۹۵
القسم الثانى ----- ۱۹۵
الشرح والتفسير: صدق النيّة مع اللّه ----- ۱۹۵
الخطبة ۱۷۹ ----- ۱۹۷
اشارة ----- ۱۹۷
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۹۷
القسم الأول ----- ۱۹۷
الشرح والتفسير: هل رأيت اللّه؟ ----- ۱۹۷
الخطبة ۱۸۰ ----- ۲۰۰
اشارة ----- ۲۰۰
نظرة إلى الخطبة وسبب الورود ----- ۲۰۰
القسم الأول ----- ۲۰۰
الشرح والتفسير: الجهاد أو الموت والعار ----- ۲۰۰

القسم الثانی ---- ۲۰۱
الشرح والتفسير ---- ۲۰۱
تأمّلان ---- ۲۰۳
۱. الفرق بين المعونة والعطاء ---- ۲۰۳
۲. الخدمات الثقافية الأربع للإمام عليه السلام ---- ۲۰۳
تعريف مركز ---- ۲۳۸

نفحات الولایة المجلد ۶

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : نفحات الولایه: شرح عصری جامع لنهج‌البلاغه/ ناصرمکارم شیرازی، بمساعده مجموعه من‌الفضلاء؛ اعداد عبدالرحیم الحمدانی.

مشخصات نشر : قم : مدرسه‌الامام علی‌ابن‌ابی‌طالب (ع) ، ۱۴۲۶ق.-= ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ج.

شابک : ۳۰۰۰۰ ریال : دوره ۹۶۴-۸۱۳-۹۵۸-X: ؛ ج. ۱ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۷-۵ : ؛ ج. ۲ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۸-۳ : ؛ ج. ۳ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۷-۲ : ؛ ج. ۴ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۸-۰ : ؛ ج.۵ : ۹۶۴-۸۱۳-۹۴۱-۵ ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۶۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۰-۵ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۷۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۱-۲ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۸۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۲-۹ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۹۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۳-۶ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۱۰۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۴-۳ :

یادداشت : عربی.

یادداشت : ج ۱- ۵ (چاپ دوم: ۱۳۸۴).

یادداشت : ج. ۶- ۱۰ (چاپ اول: ۱۴۳۲ ق.= ۱۳۹۰).

یادداشت : کتابنامه.

مندرجات : .- ج. ۶. من خطبة ۱۵۱ الی ۱۸۰.- ج. ۷. من خطبة ۱۸۱ الی ۲۰۰.- ج. ۸. من خطبة ۲۰۱ الی ۲۴۱.- ج. ۹. من رسالة ۱ الی ۳۱.- ج. ۱۰. من رسالة ۳۲ الی ۵۳

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده : حمرانی، عبدالرحیم

شناسه افزوده : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسة الامام علی بن ابی طالب (ع)

رده بندی کنگره : BP۳۸/۰۲ /م۷ ۱۳۸۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۴-۴۰۳۴۷

الخطبة ۱۵۱

اشارة

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ علیه السلام یُحذِّرُ مِنَ الفِتَنِ ۱]

نظرة إلی الخطبة

تتكوّن هذه الخطبة من أقسام ثلاثة:

أمّا القسم الأول: فهو حمد اللَّه والثناء عليه، ومن ثم الشهادة بالرسالة للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله وبعض صفاته الخاصة. حيث أشار الإمام عليه السلام فى هذا القسم إلى الأوضاع المربكة التى كانت سائدة إبان الجاهلية ليقف المسلمون من خلال المقارنة على عظمة النعم التى أفاضها اللَّه عليهم ببركة الإسلام.

أمّا القسم الثانى من الخطبة: فقد أخبر فيه الإمام عليه السلام عن ظهور الفتن فى المستقبل والعودة القهقرى إلى الجاهلية بأفكارها وممارساتها، كالفتن التى يقودها

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۶

الظلمة والتى تفعل فعلها فى الوسط الإسلامى.

وأخيراً يختتم الخطبة بوصية الناس بالحذر من الظلمة وعدم الإنخداع بفتنهم والاستجابة لتحقيق مآربهم، إلى جانب عدم اتّباع خطوات الشيطان والسقوط فى شراكه، والإبتعاد عن تناول الحرام وتقوى اللَّه على كل حال.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۷

القسم الأوّل

وَأَحْمَدُ اللَّهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ وَالاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفِيُّهُ. لَايُؤَازَى فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ. أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ؛ وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ؛ يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ!

الشرح والتفسير: الشمس التى أشرقت فى الظلام

إنّ هذه الخطبة من خطب الملاحم التى تتعرض إلى جانب من الأحداث الخطيرة التى تقع فى المستقبل وتحذّر الناس من ضرورة التحلى باليقظة ومراقبة الذات بغية عدم التلوث بالظلم والفتن والفساد. فقد استهل الإمام عليه السلام خطبته بحمد اللَّه والثناء عليه والاستعاذة بذاته المقدّسة من شر الشياطين فقال:

«وَأَحْمَدُ اللَّهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ[۲] الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ ۳] وَالاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ ۴]»

، فالإمام عليه السلام يسأل اللَّه تعالى فى هاتين العبارتين التوفيق للطاعة والعبادة والاعتصام من الذنب والمعصية، فليس هنالك من وسيلة لابعاد

«مداحر»

الشيطان و

«مزاجره»

سوى طاعة اللَّه وامتثال أوامره، وليست

«حبائل»

الشيطان و

«مخاتله»

سوى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۸

الذنوب والمعاصى.

ولا تبدو طاعة اللَّه والاحتراز من الذنب والمعصية ممكنة دون تسديد اللَّه وتوفيقه، وذلك لأنّ طريق الطاعة واجتناب المعصية صعب مليئ‌بالمطبّات والعوائق، ثم يقر للَّه‌بالوحدانية وللنبى الأكرم صلى الله عليه و آله بالرسالة فيقول:

«وَأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ»

. وذهب أغلب شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ

«نجيبه» و «صفوته»

بمعنى واحد هو الانتخاب والاصطفاء وكل منهما يؤكّد الآخر، والصحيح أنّ هنالك فارقاً بين المفردتين. بالنظر إلى أنّ النجيب يعنى النفيس، والمفردة الأُولى فى الواقع ممهدة للمفردة الثانية؛ لأنّ الشىء يصطفى حين يكون نفيساً قيّما، ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالإشارة إلى صفتين من صفات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال:

«لَا يُؤَازَى فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ»

حقّاً يتعذر تعويض الشىء الذى لا نظير له حين يفقد، كما أشار فى آخر صفة إلى آثار النبى صلى الله عليه و آله الوجودية فى تلك الظروف التى شهدها عصر الجاهلية حيث أشرقت بنور وجوده البلاد التى كانت غارقة فى لجج الضلالة والظلمة وقد استحوذ الجهل على أفكار أهلها فقست قلوبهم وطفحت بالجمود:

«أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ[۵]»

. وذلك حين كان الناس يستحلون الحرمات ويحتقرون العلماء فى ظل الفترة وغياب أولياء اللَّه وهم يموتون على الكفر ومجانبة الدين

«وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ؛ يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كُفْرَةٍ!»

. فهذه الصفات السبع التى أوردها الإمام عليه السلام بعبارات مجملة بشأن عهد الجاهلية إنّما تجسد صورة رائعة عن ذلك الزمان الذى اتسم بالضلال، والجهل، والقسوة، واستحلال الحرمات، والإستخفاف بالعلماء، وانعدام وجود القائد والمرشد، والموت على الكفر.

وقد بلغ ضلال القوم مرتبة من الفضاعة إلى الحد الذى جعلهم يفخرون بجناياتهم

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۹

ويرون سفك الدماء ووأد البنات دليلًا على الغيرة، والسلب والنهب شجاعة، كما تأصلت لديهم معانى الجهل والخرافة حتى جعلهم يصنعون آلهتهم بأيدهم تارة من الخشب وأخرى من الحجر وأخيراً من التمر، فإن جاعوا التهموها. وأمّا قساوة قلوبهم فقد تجذّرت فى أعماقهم حتى توارثوا الحقد جيلًا عن جيل، فكانوا لايأبهون بسفك الدماء وممارسة سائر المفاسد والانحرافات. وفى ظل هذه الظروف العصيبة يمكن إدراك عظمة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومعطياته فى تلك الأجواء المتلفِّعة بالظلمة، حتى استطاع خلال تلك الفترة القصيرة من النهوض بذلك المجتمع الخرافى الجاهل والمتخلف ليضعه فى مصاف المجتمعات المتمدنة والمتحضرة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۱

القسم الثانى

«ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ، فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ، وَتَثَبَّتُوا فِى قَتَامِ الْعِشْوَةِ، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا. تَبْدَأُ فِى مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ. شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ،

وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ، يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ! أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ؛ يَتَنَافَسُونَ فِی دُنْيًا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَی جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ. وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ».

الشرح والتفسير: الحذر من الفتنة

أخبر الإمام عليه السلام الناس فی هذا المقطع من الخطبة بالفتن التی تنتظرهم إلی جانب تحذيرهم وإلفات نظرهم إلی خطورتها ليتحصنوا قدر المستطاع من ضربات تلك الفتن ويحدّوا من الخسائر، حيث أشار الإمام عليه السلام بعبارات لطيفة إلی مصادر هذه الفتنة وكيفية تبلورها ومرورها بمختلف المراحل فقال:

«ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ، فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ ۶] النِّقْمَةِ»

. فقد ركّز الإمام عليه السلام فی هذه العبارة علی عنصرين يقفان وراء الفتن؛ أحدهما سكرات النعمة، والآخر عقوبة الأعمال.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۲

وبيَّن نتيجة تلك الفتن التی يعصف بلاؤها بالناس. ثم أوصی الناس بالتحلی باليقظة والحذر بغية التقليل من الخسائر حين تهب رياح الحوادث المعتمة وتستفحل الفتن عند ظهور اجنتها وانتصاب محورها وحركة رحاها

«وَتَبْتُوا فِی قَتَامِ ۷] الْعِشْوَةِ[۸]، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا»

. فالأمام عليه السلام يشبّه الفتنة فی هذه العبارة بالجنين الذی يترعرع بصورة خفية ويولد فجأة تارة، وتارة أخری يعدّها كالرحی التی يقام محورها بادئ الأمر ثم تدور حوله، وتشير الشواهد التاريخية إلی أنّ الفتن كذلك حقّاً، فهی مراحل تتبلور أثر بعض العوامل الاجتماعية المختلفة لتنفجر فجأة ويطفو علی السطح مايعتصر فی باطن المجتمع، ثم يتطرق الإمام عليه السلام مواصلًا كلامه إلی الملامح الأخری لتبلور الفتن علی أنّها تبدأ من مراحل خفية لتظهر فی خاتمة المطاف بوجهها الخطير، وهی تنمو وتنتشر بسرعة علی غرار نمو الشباب وتسدّد ضرباتها الموجعة إلی جسد المجتمع

«تَبْدَأُ فِی مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَی فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ. شِبَابُهَا كَشِبَابِ ۹] الْغُلَامِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ ۱۰]».

هنالك خلاف بين شرّاح نهج البلاغة فی الفتنة التی أشار إليها الإمام عليه السلام فی هذه العبارة وحذّر منها؛ ويبدو أنّ المراد بها فتنة بنی أمية التی بدأت منذ عهد عثمان وبرزت بقتله ثم بلغت ذروتها إثر خلافة معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان ومن سار فی فلكهم، وقد اتّضحت هذه الفتنة وتجلّت فضيحتها بشتم أمير المؤمنين علی عليه السلام من علی منابر المسلمين وتلك الضربات التی وجهت إلی الإسلام بحيث لو وضعت علی جبل لتصدّع.

.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۳

ثم واصل حديثه بالإشارة إلی سائر خصائص هذه الفتنة

«يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ! أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ»

. أجل فقادة الفتن علی هذه الشاكلة يتوارثون فيما بينهم أسباب الفتنة ويسيرون جميعاً فی خط واحد وباتّجاه مشترك، ومن شأن هذا الانسجام والاتفاق والوراثة أن يضاعف أخطار الفتنة ويشعب آثارها السلبية، آنذاك أشار الإمام عليه السلام إلی الدافع الأصلی لقادة الفتن والظلمة فی أنّهم يتسابقون من أجل الظفر بهذه الدنيا الدنية ويتكالبون علی حطامها كتهافت الكلاب علی المزابل النتنة، فالواقع هم متحدون فی الظاهر وينطلقون معا فی مسار واحد، غير أنّهم يعيشون باطنيا حالة من الصراع والنزاع ويسعی كل فرد منهم لأن يكون رأس الفتنة ويقتفی آثاره الآخرون

«يَتَنَافَسُونَ فى دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ[۱۱]».

ثم أشار عليه السلام بعبارة قصيرة وبليغة إلى عاقبتهم المريرة فقال:

«وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَرَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِندَ اللِّقَاءِ»

. لعل هذه العبارة إشارة إلى أصحاب الفتن من بنى العباس.

رغم أنّهم اقتفوا آثار بنى أمية فى سلوك هذا النفاق والتكالب على الدنيا وتوجيه الضربات إلى أهل البيت عليهم السلام زعماء الأُمّة الإسلامية وأئمّتها، إلّاأنّ الظاهر أنّهم كانوا يلعنونهم ويتبرأون من أفعالهم، وكان شعارهم الذى أرادوا به خداع الناس «الرضا لآل محمد»، ففتكوا بفلول بنى أمية وسفكوا دماءَهم حتى سالت أنهار من الدماء وقضوا على تراثهم ونهبوا أموالهم، وذهب البعض من شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد من العبارة

«وَيَتَلَاعَنُونَ عِندَ اللِّقَاءِ»

، لقاء اللّه ويوم القيامة، كما ورد فى القرآن الكريم: «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ»[۱۲] كما ورد فى القرآن الكريم بشأن براءة المشركين من أئمّتهم: «وَيَوْمَ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۴

نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ* ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»[۱۳]. وعبارة

«وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ»

تشبه هذه الفئة الطاغية المتهافتة على الدنيا بالكلاب التى تهجم على الميتة العفنة وينهش كل منها ما فى يد الآخر وفمه، وياله من تشبيه بليغ رائع!

تأمّل: مميزات الحكام اتباع الهوى

يستفاد من العبارات المذكورة فى خطبة الإمام عليه السلام أنّ الحكام الظلمة يتسمون ببعض المميزات التى يشهد بها التاريخ البشرى، ومنها:

۱. إثارة الفتن والبلابل بغية تحقيق الأهداف؛ الأمر الذى نشهده فى استغلال بنى أمية لقضية المطالبة بدم عثمان.

۲. الاتحاد والتنسيق فى الانطلاقة والتواطىء فى الخطط الهدامة وإثارة الفتن.

۳. اشتداد المنافسة حين الغلبة بحيث تبدو المجموعة وكأنّها حفنة من الكلاب التى تتكالب على جيفة ليحوز كل حصته من الآخر.

۴. لعن كل طرف للآخر فى خاتمة المطاف وتحميله المسؤولية ولعل التاريخ بماضيه وحاضره شاهد حى على كلام الإمام عليه السلام.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۵

القسم الثالث

«ثُمَّ يَأْتِى بَعْدَ ذلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ؛ وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا. مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ؛ يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِى الْعَانَةِ! قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِىَ وَجْهُ الْأَمْرِ. تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا يَضِيعُ فِى غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِى طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ؛ تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ. يَهْرُبُ مِنْهَا

الْأَكْيَاسُ، وَيُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ. مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ! تُقْطَعُ فِيهَا الأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الإِسْلَامُ! بَرِيُّهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ!».

الشرح والتفسير: خصائص هذه الفتنه الكبرى

أشار الإمام عليه السلام- فى هذا المقطع من الخطبة- إلى فتنة مهمّة أخرى تنتظر المسلمين، فتنة مرعبة وكاسرة وردت تفاصيلها فى عبارات الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة، على أمل أن يتعرف عليها المسلمون فينأوا بأنفسهم بعيداً عنها ولإجتناب من فداحة أضرارها، فقال عليه السلام:

«ثُمَّ يَأْتِى بَعْدَ ذلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ ۱۴]،

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۶

وَالْقَاصِمَةِ[۱۵] الزَّحُوفِ ۱۶]، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ؛

وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا[۱۷]».

ذهب أغلب شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بهذه الفتنة هنا فتنة المغول والتاتار، ولم يذكروا حسب اطّلاعنا احتمالًا آخر؛ إلّاأنّ هذا الاحتمال يبدو بعيداً؛ لأنّ أهداف المغول لم تكن سوى نهب الأموال وخراب البلدان والسيطرة على الممالك الإسلامية؛ فى حين أخبر الإمام عليه السلام بعبارات فى هذه الخطبة عن فتنة تستهدف أفكار الناس ومعتقداتهم وتلقى بهم فى غياهب الغى والضلال والاختلافات الفكرية والدينية، وعليه يمكن أن يكون المراد بها فتنة بنى العباس التى أعقبت فتنة بنى أمية والتى أشارت إليها العبارات السابقة، والواقع هو أنّ بنى العباس وبنى أمية وإن كانوا وجهين لعملة واحدة وسياسة شيطانية واحدة، إلّاأنّ بنى أمية وكما صرّح زعيمهم معاوية كانوا لا يكترثون للصوم والصلاة وطقوس الناس الدينية، سوى- فى المواقع- التى تصطدم بحكومتهم الغاشمة؛ بينما اخترق بنو العباس عقائد الأُمّة حتى ظهرت على عهدهم أغلب المدارس المنحرفة والمذاهب الفاسدة، كما اشتدت الاختلافات فى بعض المسائل من قبيل «حدوث القرآن وقدمه» و «الجبر والتفويض» إلى جانب الخلافات بين «الأشاعرة والمعتزلة»، وممّا لا شك فيه أنّ ذلك كان يجرى وفق خطة مرسومة حتى أنّهم كانوا يشجعون العلماء والمفكرين لإثارة مثل هذه المباحث بهدف الاستمرار فى السلطة، طبعاً لا نزعم أنّ بنى أمية تخلوا مطلقاً عن هذه الأمور، لكننا نقول ليس لمثل هذه المباحث من ظهور آنذاك كالذى أصبح عليه بنو العباس، كما يبدو، مستبعداً أيضاً، الاحتمال الآخر الذى ذكره بعض شرّاح نهج البلاغة من أنّ هذا الكلام إشارة إلى فتنة «الدجال» فى آخر الزمان

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۷

الذى يضل فئة من الناس.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى شدّة تلك الفتنة قائلًا:

«مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ؛ يَتَكَادَمُونَ ۱۸] فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ[۱۹] فِى الْعَانَةِ!»

وهذه العبارة تأكيد لما ذكر فى الكلام السابق بشأن الفتنة الأولى من أنّ رؤوس الفتنة متحدون بادىء الأمر، أنّهم سرعان ما يسعون لطرد كل منهم الآخر عند الغلبة، ثم تطرق إلى أوضاع الناس الدينية والأخلاقية آنذاك فقال:

«قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِىَ وَجْهُ الْأَمْرِ. تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا[۲۰]،

وَتَرُضُّهُمْ ۲۱] بِكَلْكَلِهَا[۲۲]»

. نعم، حين يغيب العلماء عن مسرح الأحداث تؤول الأمور إلى الظلمة ليقولوا ما يريدون ويحملوا الآخرين على فعل ما يشاؤون، آنذاك تعم الفتنة لتشمل البلاد بأسرها وتأتى على القرى الصغيرة والنائية.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بشأن فضاعة أخطار هذه الفتنة (حيث يصبح الوضع بالشكل الذى) يضيع فى غبارها المشاة من

الأفراد وتهلك فيها الفرسان:

«يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ»

. إشارة إلى أنّ الفتنة على درجة من القوّة بحيث يكفى غبارها لقمع المعارضين المتفردين، كما تعصف بالجمع الكثير منهم إن اعترضوا سبيلها، بالتالى ليس لأحد القدرة على مواجهتها والصمود بوجهها.

قال بعض شرّاح نهج البلاغة فى تفسيرهم لهذه العبارة، إنّ المراد ب

«الوحدان»

، العلماء والفضلاء الذين يبتلون بغبار الشبهات ويضيعون الحق، والركبان كناية عن الفئات المقتدرة التى لا تقوى أيضاً على مقاومة رؤوس الفتنة وتهلك فى مواجهتها؛

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۸

إلّا أنّ التفسير الأول أقرب، لأن

«الوحدان»

إشارة إلى الأفراد الوحيدين أو المشاة، و

«الركبان»

إلى الأفراد الأشداء أو الفرسان.

ثم قال عليه السلام:

«تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ[۲۳] الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ. يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ»

، أجل حين ينحّى الأكياس والحكماء ويتسلم الأراذل والأرجاس زمام الأمور تتصدع عرى الإيمان وتتفسخ عقد اليقين وتتعرض أرواح الناس وأعراضهم وأموالهم إلى الخطر.

ويختتم الإمام عليه السلام بيانه لخصائص هذه الفتنة العظيمة بالقول:

«مِرْعَادٌ[۲۴] مِبْرَاقٌ،

كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ! تُقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ! بَرِيُّهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ!»

. و «مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ»، صفات كنائية لشدّة هول هذه الفتنة، لأن هذه العبارات عادة ما تستعمل بهذا المعنى، رغم أنّ بعض الشراح عدوا ذلك إشارة إلى أصوات ضربات السيوف وبرقها، غير أنّ المعنى الأول أنسب. وعبارة

«كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ»

كناية عن شدّة مشقتها؛ لأنّ الإنسان يشمر عن ذراعه وساقه عادة إن همّ بإتيان عمل شاق. وعبارة

«تُقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ»

إشارة إلى أنّ رؤوس الفتنة لا يرعون فى آخ وأب وأم إلًا ولا ذمة ويذبحون كل من يعترض طريقهم ولتحقق رغباتهم.

ومن الطبيعى أن تغيب التعاليم الإسلامية فى ظل هذه الظروف، وأخيراً عبارة

«بَرِيُّهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ!»

إشارة إلى أنّ الفتنة تطال حتى من يعتقد بأنّه بعيد عن مخاطر هذه الفتنة، كما يقع فيها حتى من ظن باستطاعته الهرب منها، فهى فتنة كاسرة قاصمة قلّ من ينجو منها.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۹

القسم الرابع

بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يَخْتِلُونَ بِعَقْدِ الأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ؛ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ، وَأَعْلَامَ الْبِدَعِ؛ وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ؛ وَاقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ؛ وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ؛ وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ.

الشرح والتفسير: التكليف حين الفتنة

ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى عدم إرتباط هذا الجانب من الخطبة بما سبقه من كلام، وقد اختاره السيد الرضى جرياً على عادته فى الاقتطاف ولم يذكر الكلام الذى سبقه؛ والحال هنالك ارتباط وثيق بين هذا المقطع من الخطبة وما سبقه من مقاطع، حيث تصدت المقاطع السابقة لبيان الفتن التى تنتظر الناس وأهم مميزاتها، وانتقلت هنا إلى نتائجها ووظيفة الأُمّة فى ظلها، فقد استهل الإمام عليه السلام كلامه هنا قائلًا:

«بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ ۲۵]، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ»

، ثم واصل كلامه بالقول:

«يَخْتِلُونَ ۲۶] بِعَقْدِ الأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ».

أجل فرأس الفتنة يتشبث بكل وسيلة لتحقيق مآربه الشيطانية من قبيل ممارسة

القتل والقمع والتظاهر بالإيمان إن اقتضت الضرورة واعطاء الأمان لبعض الأفراد ومن ثم ضرب كل هذه الأمور عرض الحائط، ثم أشار الإمام عليه السلام إلى وظائف الناس فى ظل هذه الفتن والإرباكات فأورد خمس تعليمات لأصحاب الحق فقال فى وصيّته الأولى:

«فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ، وَأَعْلَامَ الْبِدَعِ»

إشارة إلى اعتزال هذه المعركة الخطيرة دون التعاون مع رؤوس الفتنة وأصحاب البدعة.

والوصية الثانية:

«وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ»

والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة إشارة إلى ضرورة الالتزام بالقوانين والتعاليم الشرعية التى تضمن طاعة اللَّه وبقاء المجتمع الإسلامى ورعايتها قدر المستطاع فى ظل نشوب الفتن، ذلك لأنّه إن كان هنالك من سبيل للنجاة من الفتنة إنّما يتمثل فى الالتزام بهذه التعاليم، والكلام يشمل بالطبع التعاليم الإسلامية الواردة بهذا الخصوص من قبيل الجمعة والجماعة والحج والتكافل الاجتماعى، وهى الأمور التى تؤدى إلى النجاة من الفتنة.

وقال فى الوصية الثالثة:

«وَاقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ»

. طبعاً ليس مفهوم العبارة الاستسلام للظلم والاستجابة للظالم؛ فهذا الأمر منهى عنه فى الإسلام وهو نوع من إعانة الظالم على الظلم، لكن المراد إن خيرتم بين أمرين إمّا أن تهضم حقوقكم أو تهضموا حقوق الآخرين، فما عليكم إلّا أنّ تغضوا الطرف عن حقوقكم لكى لا تدنسوا أنفسكم بظلم الغير، ومثل هذا الأمر عادل ومرضى للَّهعلى ضوء قاعدة تقديم الأهم على المهم.

الوصية الرابعة:

«وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ»

أى لا تقتربوا من الخطوط الحمراء (الظلم والفساد)، والتعبير ب

«المدارج»

و

«المهابط»

إشارة إلى نكتة لطيفة، أى أنّ الشيطان يرفع الإنسان من سلم الطغيان، فإن بلغ القمة قذف به إلى الأسفل، وأحياناً يهوى به إلى أودية المعصية ليزل قدمه فتهوى به إلى أعماق الكبائر.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۱

والوصية الخامسة والأخيرة:

«وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ ۲۷] الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ»

. لا شك فى أنّ الأموال الحرام تزداد فى أيدى الناس فى ظل حكومة الظلمة وبروز الفتن والاستفادة من تلك الأموال تنعكس سلباً على الإنسان، فهى تسود القلب وتبعد الإنسان عن اللَّه وتسوقه لاتباع خطوات الشيطان. فالإمام عليه السلام يحذر من الحرام ويلفت نظرهم إلى عدم غلق الرحمن لأبواب الطاعة والكسب الحلال قط، فاللَّه يترك الباب مفتوحاً فى كل الظروف بوجه عباده لممارسة الطاعة والنجاة من الفتنة. قال العلّامة مغنية: «إنّ أفضل تفسير لهذه العبارة وما بعدها ما أورده الإمام عليه السلام فى الخطبة ۱۱۴ إِنَّ الَّذِى أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِى نُهِيْتُمْ عَنْهُ وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرّمَ عَلَيْكُمْ. فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۳

الخطبة ۱۵۲

اشارة

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام فِى صِفَاتِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَصِفَاتِ أَئِمَّةِ الدِّينِ ۲۸]

نظرة إلى الخطبة

تتكون هذه الخطبة بصورة رئيسية من ثلاثة أقسام. أشار الإمام عليه السلام فى القسم الأول إلى بعض النقاط المهمّة بشأن صفات اللَّه التى صرح فيها بعض شرّاح نهج البلاغة بأنّها لم ترد فى أى كتاب وهى أعظم من تلك المطالب التى ذكرها الفلاسفة والحكماء والعرفاء بشأن صفات اللَّه، بينما أشار فى القسم الثانى إلى المنزلة الرفيعة لزعماء الدين وأئمة الهدى ومقامهم عند اللَّه وموقعهم فى المجتمع البشرى، وتحدث الإمام عليه السلام فى القسم الثالث عن نعمة اللَّه الكبرى أى الإسلام والقرآن، فذكر بعض النقاط الرقيقة بشأن هذا الكتاب السماوى ليقف المسلمون على عظمة الكتاب وينهلوا من فيضه العذب.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۵

القسم الأول

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ؛ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَاشَبَهَ لَهُ. لَاتَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ،

لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ؛ الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَالْخَالِقِ لَابِمَعْنى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعِ لَابِأَدَاةٍ، وَالْبَصِيرِ لَابِتَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشَّاهِدِ لَابِمُمَاسَّةٍ، وَالْبَائِنِ لَابِتَرَاخِي مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لَابِرُؤْيَةٍ، وَالْبَاطِنِ لَابِلَطَافَةٍ. بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ. مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ: «كَيْفَ» فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: «أَيْنَ» فَقَدْ حَيَّزَهُ. عَالِمٌ إِذْ لَامَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لَامَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذْ لَامَقْدُورٌ.

الشرح والتفسير: شمة من صفات اللّه الجمالية والجلالية

كما ذكر آنفاً فإنّ الإمام عليه السلام أورد هذه الخطبة بعد أن بايعته الأمة أثر نقمتها على عثمان وبطانته وقتلها إيّاه، استهل الإمام عليه السلام الخطبة بمعرفة اللّه وبيان صفاته الجلالية والجمالية؛ كونها دعامة السعادة والفلاح والصلاح الفردى والاجتماعى. وقد ذكر ثمان صفات فى عبارات قصيرة عميقة المعنى بما يعجز الفلاسفة والمتكلّمون عن الوقوف على كنهها.

فقد قال عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ»

أجل، حين نتأمل عجائب

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۶

الخلقة إلى جانب الأسرار والنظم التى تكتنف خلق الأرض والسماء والإنسان والحيوان لا نملك سوى التسليم بأنّ هنالك إرادة حكيمة وقادرة عالمة وراء كل تلك الآثار البديعة التى لا يسعها أن تكون وليدة هذه الطبيعة الصماء، وهذا هو برهان النظم الذى أشار إليه القرآن الكريم والروايات الإسلامية بفضله أدل دليل على معرفة اللّه.

ثم قال فى بيان الصفة الثانية:

«وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ»

والعبارة فى الواقع إشارة إلى برهان الوجوب والإمكان؛ ذلك أنّ سلسلة المخلوقات التى ارتدت لباس الوجود خلف بعضها البعض لا يمكنها الاستمرار إلى مالانهاية فكل حادث مخلوق، لأنّ عدم تناهى المعلول يحتاج بالتالى إلى علّة أزلية وغنية عن الخلق والتى يصطلح عليها بواجب الوجود.

وقال فى الصفة الثالثة:

«وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَاشَبَهَ لَهُ»

والسؤال الذى يطرح نفسه: كيف يكون تشابه المخلوقات دليلًا على عدم الشبيه للّه؟ الجواب: أنّ هذا الشبه دليل على تركب هذه المخلوقات، لأنّ لها قدراً مشتركاً من قبيل الزمان والمكان وبعض الإشكال والعوارض الظاهرية، كما هنالك بعض الجهات المختلفة التى تميزها عن بعضها. وبناءً على هذا فإنّ كل مخلوق مركب ممّا به الاشتراك وما به الامتياز (الجهات المشتركة والجهات المختلفة) ومن الطبيعى أن تكون هذه المخلوقات المركبة محتاجة (محتاجة إلى أجزائها ومن يركبها) ومن هنا نفهم أن لا شبيه للّهوإلّا للزم التركيب والحاجة على ذاته المقدّسة.

وقال فى الصفة الرابعة والخامسة:

«لَا تَسْتَلِمُهُ ۲۹] الْمَشَاعِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ،

لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ»

والدليل واضح على تعذر بلوغ مشاعر الإنسان بما فيها الحواس الظاهرية والباطنية والعقل كنه ذاته المقدّسة؛ فهو وجود غير محدود ولامتناهٍ من جميع الجهات، والعقل البشرى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۷

محدود من جميع الجهات، وغير المحدود لا يسعه المحدود مطلقاً. من جانب آخر فقد ملأت آثار وجوده أركان العالم بأسره بحيث لا يسع شيء حجبها، فذاته خفية على الجميع وآثاره ظاهرة للجميع.

والعبارة

«لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ ...»

دليل على خفاء ذاته المقدّسة وظهور آثاره، لاختلاف الخالق والمخلوق والحاد والمحدود والرب والمربوب. فالمصنوع الممكن الوجود لا- يمكنه إدراك الصانع الواجب الوجود، والمخلوقات المحدودة لا يسعها درك الخالق اللامحدود والموجودات الخاضعة لربوبية الرب يتعذر عليها إدراكه كما هو. جدير بالذكر أنّ طائفة من شرّاح نهج البلاغة ذهبوا إلى أنّ هذه استدلالات على جميع الصفات المذكورة سابقاً، إلّاأنّ التفسير الأول يبدو أنسب.

وقال فى بيانه للصفة السادسة والسابعة:

«الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ ۳۰]»

فحين يقال: اللَّه واحد يتصور البعض أن مفهوم ذلك أنّه واحد وليس بثان، وهذا خطأ محض؛ لأنّ مفهوم هذا الكلام إمكانية تصور ثانٍ له ولكن لا- وجود له؛ والحال لا- يمكن تصور ثانٍ لذاته المقدّسة، وهل يمكن تصور التعدد فى الذات اللامحدودة من جميع الجهات؟! لو تصور التعدد لكان كلاهما محدودا. وعليه فتوحيد الذات الإلهية ليس بمعنى الوحدة العددية، بل بمعنى الوحدة بالنسبة للشبيه والنظير وما شاكل ذلك، لا فى الذهن ولا فى الخارج. وحين يقال: قد يقتدح إلى ذهن البعض أنّ الخالق شمّر عن ساقيه ويديه وانطلق من هنا إلى هنالك واجهد نفسه لخلق الموجودات؛ على غرار ما نقوم به حين نصنع بعض الأشياء، كلا:

«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»[۳۱].

ثم تطرق إلى الصفة الثامنة والتاسعة فقال:

«وَالسَّمِيعِ لَابِأَدَاةٍ، وَالْبَصِيرِ لَابِتَفْرِيقِ آلَةٍ»

. والتوضيح الذى أورده الإمام عليه السلام منشأه ما يتوارد إلى الأذهان حين الحديث

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۸

عن السمع والبصر وما شابه ذلك إلى سمعنا وبصرنا الذى يتمّ من خلال بعض الوسائل من قبيل الاذن والعين، والحال سمعه وبصره سبحانه ليس بأداة، بل بحضور ذاته المطلقة فى كل مكان وفى ظاهر جميع الأشياء وباطنها. العبارة

«لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ»

يمكن أن تكون إشارة إلى نقطة وهى أنّ الإنسان إذا أراد رؤية صورة كاملة- بيت مثلًا- ينبغى له أن يركز بصره على مختلف جوانب ذلك البيت، ليرى أعلاه وأسفله وشرقه وغربه، وتنتقل عدّة صور إلى الدماغ ليقوم بترتيبها للظفر بصورة صحيحة تامة عن البيت. وبناءً على هذا فوظيفة العين الأولى، التقاط الصور المستقلة، والثانية، تحويلها إلى الدماغ ليركبها مع بعضها. وهكذا بشأن مشاهدة حركة معينة- كحركة إنسان مثلًا- والعملية أشبه بالتقاط الأفلام والتصوير، حيث تلتقط العين كل لحظة صورة لشكل ذلك الإنسان وهيئته، ثم تنقلها إلى الدماغ ليركب هذه الصور واظهار الحركة.

قال فى بيانه للصفة العاشرة والحادية عشرة:

«وَالشَّاهِدِ لَابِمُماسَّةٍ، وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِى مَسَافَةٍ»

. إشارة إلى أنّ حضور اللَّه فى كل مكان لا بمعنى الحضور المكانى من خلال الاتصال بالأشياء، بل حضوره بمعنى احاطته الوجودية بكل شيء، كما أنّ مباينته عن الأشياء ليس على نحو المسافة المكانية أو الزمانية، بل بمعنى أنّ ذاته فى ذروة الكمال وما سواه فى

غايـة النقص. لعل هنالك من يتصور تناقض هـذه الصـفات مع تلك التى سـتأتى، فالبعد والقرب والعلو والدنو والظاهرية والباطنية من الصـفات التى لا يسع تفكيرنا جمعها مع بعضـها؛ والأمر كـذلك بالنسـبة لهـذه الصـفات أن اسـتعملت بشأن المخلوقات المحدودة من حيث الزمان والمكان ومختلف الجهات، غير أنّ هـذه الصـفات المتضادة يمكن جمعها فى الـذات المقدّسة اللامتناهية، فرغم حضوره المطلق فى كافـة الأمكنـة (بمعنى إحـاطته العلميـة بجميع الأشـياء) لكن ليس له حضور مكـانى فى أى مكـان، ذلك لأنّه ليس بجسـم ليحتاج إلى مكان.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۹

ثم خاض الإمام عليه السلام فى بيان الصفة الثانية والثالثة عشرة فقال:

«وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ، وَالْبَاطِنِ لَابِلَطَافَةٍ»

أجل، فهو أظهر جميع الأشـياء، فآثاره قد ملأت العالم بأسـره فاصـبح الوجود قبساً من صـفات جلاله وجماله، وهو خفى لا على شاكلة الأشياء اللطيفة الغاية فى الصغر كالهواء، بل بمعنى عجز العقول عن إدراك كنه ذاته.

والصفة الرابعة عشرة:

«بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ»

أى إن قيل إنّ اللَّه بائن عن كل شـىء، فـذلك لا يعنى أنّه بعيـد عنّا، بل هو قريب منّا بمقتضـى الأدلـة الفلسـفية القطيعة وصـريح الآية القرآنيـة: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»[۳۲]، والمعنى أنّ قـدرته قهرت كل شـىء، فأين نحن من اللَّه، وأين الثرى من الثريا؟ كما أنّ بينونة الأشياء عنه تعنى خضوع كل شىء لإرادته.

وقال فى الصفة الخامسة عشرة التى تنزه الذات عن الوصف:

«مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ: «كَيْفَ» فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: «أَيْنَ» فَقَدْ حَيَّزَهُ ۳۳]».

وتوضـيح هـذا الكلام: إننـا كمخلوقـات نعيش فى عـالم الممكنـات إنّمـا نقـارن كل شـىء بالنسـبة لنا، ونصف اللَّه فى أغلب الأحيان بأوصافنا الناقصـة والمحـدودة فنضـفى عليه بعض صـفات الممكنات وهذا هو وادى التشبيه الخطير الذى حذرتنا الآيات والروايات من السـقوط فيه. ومن هنا قال الإمام عليه السـلام من وصف اللَّه بهذه الصفات فقد حده ومن حد اللَّه فإنّه سيتصور له شبيها لا محال وعليه سيجعله فى قالب الأعداد فإن فعل ذلك أنكر عليه أزليته وأبديته، ذلك لأنّ هاتين الصـفتين تترشحان من ذاته الغنية عن الحدود، كما أنّ من يسأل عن كيفية ذاته فقد نعته بصفات المخلوقات، ومن سأل عن مكانه أو زمانه فقد افترضه جسماً يقع ضمن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۰

دائرة المكان والزمان. ولعل هنالك من يرى الوصف المذكور ليس بقوة الأوصاف السلبية الثلاث عدم الحدودية ونفى الكيفية ونفى المكان على الذات المقدّسة.

أمّا الصفات السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة، فقال فى بيانها عليه السلام:

«عَالِمٌ إِذْ لَامَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لَامَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذْ لَامَقْدُورٌ»

. إمّـا أنّه عـالم إذ لاـ معلـوم فـذلك لأـنّه عـالم بـذاته وذاته مصـدر جميع الموجودات، وعليه فـالعلم بالـذات هو فى الواقع علم بجميع الموجودات التى لبست ثوب الوجود تـدريجياً فى العالم. وإمّا أنّه ربّ قبل وجود الموجودات فـذلك لأنّ القدرة على الربوبية وربوبية الموجودات عين ذاته المقدّسة، على غرار قولنا: إنّ فلاناً مديرا ومدبرا فى الوقت الذى لم يتسلّم فيه لحدّ الآن زمام الإدارة.

وأخيراً إن قيـل هو قادر قبل وجود المقـدور فإنّما يسـتند ذلك أيضاً إلى أنّ قـدرته عين ذاته، وهكـذا كقولنا إنّ فلاناً قادر على القيام بالعمل الفلانى ولم يقم به لحدّ الآن. وزبدة الكلام فإنّ صفاته كالعلم والقدرة وجميع الصفات الثبوتيه عين ذاته تبارك وتعالى، وعليه فقد كان كل شىء قبل أن يوجد أى شىء، ولو تمعنا قليلًا فهو الآن كل شىء وكل ما سواه لا شىء.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۱

القسم الثانى

منهـا: «قَـدْ طَلَعَ طَـالِعٌ، وَلَمَعَ لَامِعٌ، وَلَاحَ لَائِـحٌ، وَاعْتَـدَلَ مَائِلٌ؛ وَاسْـتَبْدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً؛ وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْـدِبِ الْمَطَرَ. وَإِنَّمَـا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ؛ وَلَا يَـدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ. وَلَا يَـدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ، وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ.

اصْـطَفَى اللَّهُ تَعَـالَى مَنْهَجَهُ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَـاهِرِ عِلْمٍ، وَبَـاطِنِ حِكَمٍ. لَـا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِـى عَجَائِبُهُ. فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ. قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ. فِيهِ شِـفَاءُ الْمُسْتَشْـفِى، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِى».

الشرح والتفسير: إنتظار الفرج

يعتقـد البعض من شـرّاح نهـج البلاغـة- كما ذكرنا سابقاً- بأنّ هـذه الخطبة ولاسـيما هذا المقطع منها يعالج مسائل الخلافة عقب مقتل عثمان وبيعـة الأُمّة للإمام عليه السـلام بالخلافة، والشاهد على ذلك عباراتها وخاصة مايتعلق بأئمة المسـلمين. على كل حال فإنّ الإمام عليه السلام أشار هنا بادىء الأمر إلى ظهور خلافة الحق فقال:

«قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لَامِعٌ، وَلَاحَ لَائِحٌ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ»

تفيد هذه العبارات بما لا يقبل الشك أنّ عهد حكومة عثمان كان من العهود المظلمة فى التاريخ الإسـلامى، وذلك لأنّ بطانته وقرابته استاثرت بالسلطة وتسلطت على كافة المقامات المهمّة فى البلاد

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۲

وجعلت بيت المـال جزءاً من ملكيتهـا الشخصـية فتعالت صـرخات المحرومين إلى عنان السـماء، ثم أشـرقت من بعـده شـمس العـدالة واحترقت سـحب الظلم لتعود الحكومـة إلى سـابق عزّها على عهـد النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله. جـدير ذكره، هنالك خلاف بين شرّاح نهـج البلاغـة بشأن العبارات الثلاث الأولى، هل العطف فيها عطف تفسـيرى وأنّها تبيّن مطلباً واحـداً (بزوغ شـمس ولايـة الحق) بعدّة عبارات، أم أنّ كل عبارة تشـير إلى معنىً معين. ويبدو الصـحيح أنّ لكل عبارة معنىً معيّن؛ لأنّ الشمس إنّما تجتاز ثلاث مراحل حين البزوغ؛ الأولى: الخروج من الأفق، والثانيـة: نشـر شـعاعها على سـطح الأرض، والثالثـة: ارتفاع قرص الشـمس وتوسـطها للسـماء وطلوعها للجميع. وكل عبارة من العبارات الثلاث تشـير إلى مرحلة من هذه المراحل؛ أى أشـرقت شـمس الولاية وألقت بأشـعتها على الأرض وبالتالى ارتفعت لتستقر فى قلب السماء.

ثم واصل عليه السلام كلامه بالقول:

«وَاسْتَبْدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً؛ وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ»

. حيث تشـير هـذه العبارات بوضوح إلى أنّ الحوادث التى وقعت على عهـد عثمان لم تكن بعيـدة عن التوقع، فكلّ شـخص عاقل كان يتكهّن بأنّ مثل هـذه الحكومة التى تتسـلم فيها القرابة مقدّرات البلاد دون رادع أو وازع سوف لن يكتب لها النجاح وأنّها ترعرع نطفة الثورة فى رحمها، وهـذه سـنّة إلهيـة جارية طيلة التاريخ، ولعل مَن أشـكل على على عليه السـلام ما ورد فى هذه العبارة أنّه كان ينتظر مقتل عثمان، قـد غفل عمّا ذكرناه آنفاً من أنّ تلك الأحـداث كانت متوقعـة من قبل شـخص فطن، بعبارة أخرى إنّما كان ذلك نتيجة طبيعيـة لتلـك الأعمـال. أضف إلى ذلـك فانّ الإمام عليه السـلام لم يكن راضـياً بقتل عثمان- بل ينتظر التغييرات على غرار من ينتظر المطر حين الجفاف؛ وياله من تعبير رائع! فالبلاد الإسـلامية أصـبحت إثر ظلم بطانـة عثمان وكأنّها صـحراء مقفرة وقـد أمطرتها السـماء

بزوال عثمان وظهور حكومة العدل العلوى. وقد تعرض ابن أبى الحديد المعتزلى لهذه القضية من خلال

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۳

إثارته لسؤال والإجابة عنه.

فقد سأل نفسه بادىء الأمر: هل يصح حسب عقيدة المعتزلة أن ينتظر على عليه السلام قتل عثمان انتظار نزول المطر حين الجفاف؟ أو ليس هذا دليلًا على حقّانية الشيعة؟

ثم قال ابن أبى الحديد فى مقام الجواب عن هذا السؤال: إنّ علياً عليه السلام لم يقل كنّا ننتظر قتله، بل كان ينتظر بعض التغييرات كعزله عن الخلافة، لأننا نعتقد أنّه كان يرى أعماله توجب ضرورة عزله لا قتله، وهذا ينسجم مع عقيدتنا، كما تعرّض لسؤال آخر وهو: هل تعتقد المعتزلة أنّ علياً عليه السلام كان يعتبر عثمان فاسقاً يجب عزله عن الخلافة؟ فيجيب: إنّ المعتزلة لا ترى ذلك، بل تعتقد إنّ علياً عليه السلام كان يرى عثمان شخصاً ضعيفاً لا يستطيع تدبير أمور المسلمين، وذلك لأنّه قرب بطانته وسلّطهم على بيت مال المسلمين حتى قاموا عليه ۳۴].

ثم تطرّق الإمام عليه السلام مواصلًا كلامه إلى منزلة أئمة الهدى فقال:

«وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ ۳۵] عَلَى عِبَادِهِ؛ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ.

وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ»

. وهذه العبارة تفيد أنّ نصب الإمام عليه السلام من قبل اللَّه تعالى لا من قبل الناس وإن كانت هنالك من بيعة وإنتخاب فبغية تنسيق الأعمال والنهوض بمستوى الأُمّة وتطوير شؤونها، والمفردة

«قُوَّامُ»

إشارة إلى تدبير شؤون الخلق والعرفاء جمع عريف إشارة إلى أنّ هؤلاء الأئمّة بفعل معرفتهم بالآخرين وعلمهم بالظروف الزمانية والمكانية وخبرتهم بمصالح الناس ومفاسدهم إنّما يضعون كلّ فرد فى موضعه المناسب ويباشرون كلّ عمل بموعده وفى وقته.

وأمّا العبارة

«وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

...

وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ»

تأكيد لما قيل فى العبارات السابقة؛ فلو سلّمنا أنّهم نُصبوا من قبل اللَّه، فمن تبعهم وسار على نهجهم وقبلوا عمله كان من الداخلين إلى الجنّة، ومن أنكرهم فقد أنكر فى واقع الأمر أوامر اللَّه،

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۴

ومثل هذا الفرد يدخل النار. وطبعاً كلّ هذه العبارات تنسجم مع المدرسة الشيعية التى ترى نصب الإمام من قبل اللَّه بواسطة النبى أو مَن سبقه من إمام، وتراه معيار الفرقان بين الحق والباطل، وتعتقد بعدم اتّصاف من يختاره الناس بهذه المقامات ولعله يسير فيهم بالخطأ والظلم والعدوان، ومن هنا ورد فى الحديث الشريف:

«مَن ماتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إمامَ زَمانِهِ ماتَ مِيتَةَ الجاهِلِيةِ»[۳۶]

والغريب إصرار ابن أبى الحديد على أنّ هذه العبارة صادقة على جميع الخلفاء من بعد النبى صلى الله عليه و آله والحال عرض الإمام عليه السلام فى العبارات السابقة بالذم الشديد لحكومة عثمان؛ الأمر الذى يتناقض صراحة مع ما استنبطه ابن أبى الحديد. بل كيف يكون ذلك الخليفة الضعيف- الذى جعل كافة مناصب الدولة الإسلامية وبيت مال المسلمين ومقدّراتهم تحت تصرف قرابته الانتهازية الهزيلة من عبدة الأهواء حتى قامت ضدّهم جموع المسلمين وأباحوا دماءَهم وقد صمت إزاء ذلك أغلب الصحابة- مصداقاً

لقول الإمام عليه السلام: قوّام اللّه على خلقه وعرفاؤه على عباده؟ ليدخل من أذعن له الجنّة ومن أنكره النار؟! ورد فى الحديث الشريف أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال لأمير المؤمنين على عليه السلام:

«ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ أَنَّهُنَّ حَقٌّ، إِنَّكَ وَالأَوصِياءِ مِنْ بَعدِكَ عُرَفاءٌ، لايَعْرَفُ اللَّهَ إلّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِكُم، وَعُرَفاءٌ لايَدْخُلُ الجَنَّةَ إلّامَنْ عَرَفَكُم وَعَرَفْتُمُوه، وَعُرَفاءٌ لا يَدْخُلُ النَّارَ إلّا مَنْ أَنْكَرَكُم وَأَنْكَرْتُمُوهُ»[۳۷].

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى أعظم النعمة التى منّ اللّه بها على المسلمين:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ»

أجل، إنّ اللّه تعالى خصّكم بهذه النعمة العظيمة ورآكم أهلًا للذود عنه.

ثم أضاف:

«وَذلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ، وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ»

. ووضح ذلك بالقول:

«اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وَبَاطِنِ حِكَمٍ»

. لعلّ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۵

الضمير فى

«منهجه» و «حججه»

يعود إلى اللّه أو الإسلام والنتيجة واحدة لكليهما، والعبارة

«ظَاهِرِ عِلْمٍ»

إشارة إلى الأدلة العقلية التى تثبت حقانية الإسلام، كما أنّ العبارة

«بَاطِنِ حِكَمٍ»

إشارة إلى أسرار الأحكام الشرعية المبيّنة فى الأدلة النقلية.

نعم، الإسلام دين السلامة وشرعة الكرامة، ودعوته أينما كان إلى الحب والسلام والوئام والتحذير من البغض والعنف والعداوة حيث يخاطب المؤمنين: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ»[۳۸]. أضف إلى ذلك فإنّه مصدر الكرامة الإنسانية وداعية العدل والمساواة والحرية وتنمية الفكر والبيان والورع والتقوى ومكارم الاخلاق. والحق أنّ المسلمين أفضل سند ودرع للذود عن الإسلام وقد ضحّوا بالغالى والنفيس طيلة التاريخ من أجل إسلامهم وسعوا جاهدين لحفظ بيضته وكيانه، ولما كانت هذه العبارات تختزن إشارة واضحة إلى القرآن الكريم، فقد أردفها ببيان خصائص هذا الكتاب السماوى بما يربو على عشر صفات فقال:

«لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِى عَجَائِبُهُ. فِيهِ مَرَابِيعُ ۳۹] النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لَاتُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ»

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارات إلى ست صفات مهمة للقرآن الكريم كل واحدة منها أروع من الأخرى فذكر بادىء الأمر أن غرائب القرآن (صفاته البارزة الفريدة) لا تفنى أبداً ولا يعتريها غبار القدم فتتآكل، فهى غضّة طرية على الدوام، وأشار فى الصفة الثانية إلى التجدد والحيوية التى تبدو عليه كلّ يوم فقال: إنّها لا تنقضى؛ وعليه فالفارق بين

«الغرائب»

و

«العجائب» و «الفناء» و «الانقضاء»

أن الأُولى إشارةالصفات البارزة التى كان وسيظل يتحلى بها القرآن، والثانية إشارة إلى نقاط مهمّة تظهر كلّ يوم من تقادم الزمان وكثرة القراءة، وهذا ما ورد فى الحديث المروى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۶

عن الإمام الصادق عليه السلام حين سئل:

«ما بالُ القُرآنِ لايَزدَادُ عَلى النَّشرِ وَالدَّرسِ إلّا غَضَاضَةً؟ قَالَ: لأَنَّ اللَّهَ تَعالى لَمْ يَجْعَلْهُ لِزمانٍ دُونَ زَمانٍ وَلا لِناسٍ دُونَ ناسٍ فَهُو فِى كُلِّ زَمانٍ جَدِيدٍ وَعِنْدَ كُلِّ قَومٍ غَضٍّ إلى يَومِ القِيامَةِ»[۴۰].

ثم شبّهه فى الصفة الثالثة بالأرض المليئة بالنبات وتفيض بالنعم فى فصل الربيع، ونعلم جميعاً ما عليه نبات الربيع من طراوة ولطافة وطعم عذب، كما شبّهه فى الصفة الرابعة بمصابيح النور التى تخترق دهاليز الظلمة وتضىء بنورها كلّ شىء، بينما حصر فى الصفتين الخامسة والسادسة سبل نيل الخيرات بالقرآن، إشارة إلى خطأ من يبحث عن مفاتح الخير خارج القرآن ويستعين بغيره فى ضياء عتمة القلب وظلمة المجتمع.

ثم اختتم كلامه بالإشارة إلى أربع صفات أخر فى أنّ القرآن قد أوضح الحلال والحرام والمباح، فهو الشفاء لمن استشفاه والكفاية لمن استكفاه

«قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ ۴۱]، وَأَرْعَى ۴۲] مَرْعَاهُ. فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِى، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِى»

. فقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه الأوصاف إلى النظام القانونى القرآنى حيث بين الأصول الكلية للحلال والحرام بصورة تامة وعرض سبل مواجهة الأمراض الأخلاقية والمفاسد الإجتماعية على عمق هذه العبارة مالم يتعرف على القرآن. أجل إنّ علاج الأمراض الخلقية والإنحرافات الفكرية والمشاكل الإجتماعية كافّة، فى القرآن. ومن كان القرآن معه وكان مع القرآن فقد ظفر بكل شىء، كما قال الإمام عليه السلام فى خطبة أخرى

«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى»[۴۳]

. ومن هنا بلغ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۷

ذلك المجتمع شبه الوحشى فى الجاهلية تلك المنزلة المرموقة فى ظل تعاليم القرآن بعد أن كان يعيش منتهى الفقر الأخلاقى والإقتصادى والإجتماعى، وما يجدر ذكره أنّ بعض شرّاح نهج البلاغة يرى أنّ الصفات المذكورة تعود إلى الإسلام لا- القرآن والضمائر كذلك، ولكن بالنظر إلى ورود مثل هذه العبارات فى سائر خطب نهج البلاغة بشأن القرآن، يتضح أنّ المراد بتلك الأوصاف هو القرآن وإن لم ترد مفردة القرآن فى نصوص العبارة، ناهيك عن عدم اختلاف النتيجة مهما كان المراد[۴۴].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۹

الخطبة ۱۵۳

اشارة

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام

نظرة إلى الخطبة[۴۵]

هـذه الخطبـة قطوف مختارة من خطبـة طويلـة للإمام عليه السـلام. يتحـدث فى القسم الأول عن صـفات الأفراد الفاسـدين والمفسدين ليتعرّف عليهم الناس وليبتعدوا عنهم.

وأشـار فى القسم الثانى إلى مميزات الغافلين الـذين لا يفيقون إلّاحين ضـياع الفرصـة وفوات الأوان فيبتلون بشـر أعمالهم. ويعرض فى القسم الثالث بالوعظ والنصح لهم لينهضوا من سـباتهم ويصـلحوا أمر آخرتهم. وتطرق فى الفصل الرابع إلى بعض الأمور الخطيرة التى تحبط الأعمال وتحول دون النجاة. ويختتم الخطبة فى القسم الخامس بالمقارنة بين صـفات البهائم والسـباع والناس من أصحاب الدنيا والمؤمنين.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۱

القسم الأول

«وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ اللَّهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَغْدُومَعَ الْمُذْنِبِينَ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ».

الشرح والتفسير

يعتقـد بعض شـرّاح نهج البلاغة- كما ذكرنا سابقاً- أنّ الإمام عليه السـلام أورد هذه الخطبة أثناء حركته إلى البصـرة للقضاء على فتنة طلحـة والزبير وعائشة وضـمّنها جانباً من الوعظ والنصح والإرشاد. تحدّث عليه السـلام فى هذا المقطع من الخطبة عن الإنسان الضال- والـذى يتجلى نموذجه فى مشـعلى فتيل معركة الجمل- على ضوء أربع صـفات تميّزه، فقد منحه اللَّه الفرصة فى عمره ليباشـر الأعمال الصالحة من أجل الظفر بالسعادة الأبدية، ولكنه لا ينفك عن ملازمة الغافلين والمذنبين الذين يسلكون به مهاوى الردى، دون أن يسير على الحق ويقتدى بزعيم حق

«وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ اللَّهِ يَهْوِي ۴۶] مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَغْدُومَعَ الْمُذْنِبِينَ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ»

. نعم أنّ أسـباب بؤسه وشـقائه تكمن فى أربعـة أمور؛ ملازمة الغافلين والآثمين، وعدم السير على طريق الحق إلى جانب عدم الإقتداء بالإمام الصالح.

ولعلّ العبارة

«إِمَامٍ قَائِدٍ»

إشارة إلى الإمام المعصوم عليه السـلام أو كلّ عالم صالـح من أتباع المعصومين عليهم السـلام وعلى كلّ حال فإنّ الإمام عليه السـلام يفصح عن دور القائد الصالح

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۲

فى هداية الناس ونجاتهم، كما يوضح دور ملازمة أهل الغفلة والمعصية فى بؤس الإنسان وسقوطه.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۳

القسم الثانى

منها: «حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمُ اسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً، وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ.

إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ، وَنَفْسِي، هـذِهِ الْمَنْزِلَـةَ. فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَـا الْبَصِـيرُ مَنْ سَـمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَـرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَـلَكَ جَـدَداً

وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ».

الشرح والتفسير: الموعظة البالغة

لما أشار الإمام عليه السلام إلى غفلة أصحاب الدنيا أردفها بعدم ديمومتها وطرحها قريباً حين يصفعهم الموت ويخرجهم من غفلتهم، وعليه فمدى هذه الغفلة

«حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ ۴۷] غَفْلَتِهِمُ اسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً، وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا»

أجل، عمر الدنيا قصير فإن أشرف الإنسان على الموت وأُزيلت عن عينه البرزخية حجب الغفلة ورأى أعماله آنذاك عندئذٍ يتغيّر كلّ شيء ويواجه حقيقة الموقف. ومن هنا يخلص الإمام عليه السلام إلى نتيجة واضحة

«فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ ۴۸]»

. قد ظن هؤلاء بخلودهم فى الدنيا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۴

بما جنوا من تلك الأموال الطائلة والقصور الفارهة والبساتين الواسعة والخدم والحشم لكنّهم ودّعوها فى الحال وأصبحوا تحت التراب.

كأنّ العبارة الأولى تشير إلى أولئك الأفراد الذين لم ينتفعوا قط بإمكاناتهم (مثلًا شيّدوا قصراً فلم يتنعموا به حتى أتاهم الأجل). والعبارة الثانية إشارة إلى أولئك الذين تمتعوا قليلًا بإمكاناتهم ثم حال بينهم وبينها الموت من قبيل ذلك الذى بنى قصراً، وما أن حلّ فيه حتى أخرجه الموت منه.

ثم استطرد الإمام عليه السلام ليسدى بعض النصائح والمواعظ التى تقود إلى السعادة والفلاح بعد أن حذّر من الحياة العصيبة التى يعيشها أهل الغفلة

«إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ، وَنَفْسِي، هذِهِ الْمَنْزِلَةَ»

. ثم بين أثر ذلك، سبيل النجاة من هذه الغفلة القاتلة من خلال خمسة تعاليم فقال:

«فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً[۴۹] وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي ۵۰]،

وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي ۵۱]»

فالإمام عليه السلام يخاطب نفسه والآخرين بادىء الأمر ليأخذ النصح موضعه من قلوب الآخرين، وذلك لأنّ المستمع إنّما يتفاعل مع الواعظ الذى يمزج القول بالعمل ولا يترفع عن الآخرين. ثم يحذّر الجميع من أنّ اللَّه أسبغ عليهم ما لا يُحصى من النعم وأودعهم مختلف الإستعدادات والقابليات بغية استثمارها والإنتفاع بها من خلال تفعيل السمع بالأذن والنظر بالعين والإنفتاح على تجارب الآخرين وسلوك السبيل القويم الذى يجنبهم الإنحراف والضلال.

وأخيراً يحذّر الإمام عليه السلام من تمكين الغواة من النفس:

«وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ[۵۲] بِتَعَسُّفٍ ۵۳] فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ»

. إشارة إلى أنّ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۵

البعض من الأفراد الضعاف النفوس والذين يميلون إلى الدعة والراحة حين يواجهون الغواة من الأفراد يسعون إلى التغاضى عن بعض الحقائق أو المداهنة فى بيان الحق أو الخشية من الصدق والصراحة بهدف الحدّ من معارضتهم وهذا ما يؤدّى إلى تسلط أولئك الغواة وتفاقم جرأتهم بما يجعل من المتعذر الوقوف بوجوههم. وعليه لابدّ من اعتماد الصراحة المفعمة بالأدب والشفقة فى بيان الحقائق والإبتعاد عن الخشية، فالغواة عادة ما يتراجعون وينكسرون إزاء المواقف الشجاعة، وقد دلّت بعض النماذج التى حفل بها التأريخ على أنّ الأفراد الذين يحرّفون الحقائق ويكتمون الواقع إنّما أسهموا فى مضاعفة المشاكل التى جرّت عليهم وعلى مجتمعاتهم الويلات.

فقصة قرية الحوأب المعروفة فى معركة الجمل معروفة. حيث سمعت عائشة من النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال لها:

«فِيكُنَّ مَنْ تَبَحها كِلابُ الحَوأب»

. وحين انطلق أصحاب الجمل إلى البصرة وبلغوا الحوأب سمعت عائشة ذلك النباح، فسألت عن اسم الموضع فقيل لها: الحوأب. فعزمت على العودة إلى المدينة، فاعترضها محمد بن طلحة وقال لها: هذه ليست الحوأب، ثم أتى ببعض الأفراد وشهدوا لها زوراً، فواصلت مسيرها.

وما أكثر القصص من هذا القبيل فى الماضى والحاضر[۵۴].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۷

القسم الثالث

«فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مَنْ غَفْلَتِكَ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- مِمَّا لَابُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ؛ وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ؛ وَضَعْ فَخْرَكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ. فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ! وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ! «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ»».

الشرح والتفسير: الحذر الحذر

خاض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة بعد تلك التحذيرات السابقة فى إسداء الوعظ والنصح بعبارات قصيرة عميقة المعنى فخاطب مستمعه قائلًا:

«فَأَفِقْ ۵۵]

أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مَنْ غَفْلَتِكَ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ»

. إشارة إلى أنّ زخرف الدنيا والمال والمقام والشهرة تسكر الإنسان وتقذفه فى سبات الغفلة وتضطرّه للعجلة دون التروى والتريث، وتورث هذه الأمور مختلف المعاصى والذنوب والأخطاء، وهل يرتجى من السكران سوى الخطأ والزلل؟

ثم قال عليه السلام:

«وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّي ۵۶]- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۸

وَآلِهِ وَسَلَّمَ- مِمَّا لَابُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ؛ وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذلِكَ إِلَى غَيْرِهِ وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ»

فقد دعى بادىء الأمر إلى الاتباع التام للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله، فما يقوله عليه السلام هو الوحى السماوى الذى يهدف إلى سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة. ثم يوصى عليه السلام بمخالفة من يخالف ذلك مهما كثر عدد المخالفين واتباع الحق دون أدنى شك وريبة أو إكتراث للآخرين.

وواصل عليه السلام نصحه قائلا:

«وَضَعْ فَخْرَكَ، وَاحْطُطْ[۵۷] كِبْرَكَ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ»

فقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه الوصايا الثلاث إلى أساس الشر والفساد الذى يتمثل فى الفخر والكبر التى لن تجعل الإنسان يذوق طعم السعادة ما لم يطرحها جانباً، وسيكون مصيره مصير الشيطان الذى قاده نحو فخره وكبره. وتطرق عليه السلام بعد ذلك إلى القبر الذى يسوق نسيانه الإنسان إلى طول الأمل والانغماس فى الدنيا، وهو الموضع الذى يتساوى فيه الجميع وهذا ما ورد فى الكلمة القصيرة رقم ۳۹۸ من قصار الكلمات وهذا يدلّ على أنّ السيد الرضى كان يقتطف أحياناً الكلمات القصار من بعض الخطب الطويلة.

ثم أورد عليه السلام ثلاث نصائح أخرى منسجمة مع بعضها، فقال:

«وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ[۵۸] لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ».

كيف ينتظر الإنسان من اللَّه أن يعفو عن سيئاته ويجازيه بالاحسان وهو يظلم الآخرين ويقابل الاحسان بالإساءة؟ أم كيف ينتظر الورد من يزرع الشوك؟! الواقع

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۹

هو أنّ هذه النصائح مستقاة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فاللَّه: «مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» وفى الحديث:

«الدُّنيا مَزرَعَةُ الآخِرةِ»

والآية الشريفة: «وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ»[۵۹] والآية الكريمة: «وَمَا تُقَدِّمُوا لِانفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ»[۶۰]. ثم يعود الإمام عليه السلام فى ختام الخطبة الى ذات المطلب الذى ابتدأ به ليوقظ الغافلين ثانية من سباتهم ويسوقهم إلى الجد والاجتهاد فيقول:

«فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ! وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ!

«وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ»». العبارة الأخيرة المقتبسة من الآية ۱۴ من سورة فاطر إشارة إلى أنّ أى شخص لا يضاهى القائل فى بيانه لحقيقة الموت والحياة وحاضر الإنسان وغده ومصيره فى المستقبل وعاقبته فى الآخرة.

وقد قال أحد شرّاح نهج البلاغة: إنّ من يتأمل خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله وقصار كلماته يكتشف بوضوح أنّ أحداً لا يسعه التحدث بهذه الدقة والرقة عن الدنيا وماهيتها وبدايتها ونهايتها.

قال الشاعر بشأن النصائح الأخيرة فى الخطبة:

هِيَ الدُّنيا تَقُولُ بِمَل فِيهاحَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطشِى وَفَتكِى

فَلَا يَغْرَرَكُمُ حُسْنُ ابْتِسامِىفَقَولِى مُضْحِكٌ وَالفِعلُ مُبكِ ۶۱]

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۵۱

القسم الرابع

«إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِى الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِى عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، إِنَّهُ لَايَنْفَعُ عَبْداً- وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ- أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا، لَاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِىَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أَوْ يَعُرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِى دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِىَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ. اعْقِلْ ذلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ.

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا؛ وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا؛ وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا؛ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ

مُسْتَكِينُونَ.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ. إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ».

الشرح والتفسير: الموبقات الخمس

حذر الإمام عليه السلام مخاطبيه فى المقطع السابق من الخطبة من سبات الغفلة وحثهم على الجد والاجتهاد، ليشير هنا إلى خمسة من الذنوب الكبيرة الخطيرة التى لا يقبل عمل العبد دون التوبة منها، فقال:

«إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، إِنَّهُ لَايَنْفَعُ عَبْداً- وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ- أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا، لَاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هذِهِ الْخِصَال لَمْ يَتُبْ مِنْهَا»

. العبارة

«وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ»

- مع العلم، يتعذر الإخلاص فى العمل لمن اتصف بهذه الخصال

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۵۲

السيئة- تبدو إشارة إلى الإخلاص المرحلى والآنى حين ينسى فى لحظة كل هذه المساوىء من قبيل التصدق فى سبيل اللَّه ومد العون للفقير، إلّاأنّ هذا الإخلاص لايدوم حتى يحل محله الشرك والنفاق والبدعة.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى شرح هذه الخصال المتمثلة بالشرك وقتل النفس والتهمة والبدعة والنفاق حيث بين كل واحدة منها بعبارة قصيرة فقال:

«أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أَوْ يَعُرَّ[۶۲] بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ. اعْقِلْ ذلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ»

. وعلى هذا الضوء فإنّ أول كبيرة هى الشرك. فى عبودية اللَّه؛ وهى الكبيرة التى مالم يتب عنها العبد لن ينال عفو اللَّه ومغفرته «إِنَّ اللَّهَ لَايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»[۶۳].

والكبيرة الأخرى اطفاء الإنسان لغضبه بسفك دم الآخرين، حيث ورد فى القرآن: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا»[۶۴]. ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ العبارة تشمل الانتحار وقتل النفس أيضاً، إلّا أنّ المعنى الأول هو المراد من ظاهر الآية. على كل حال فإنّ البعض اعتبر الآية دليلًا على أنّ قتل النفس البريئة يؤدّى بالقاتل إلى الموت على الكفر، لأنّ الخلود فى جهنم يختص بالكافرين، أمّا بالنسبة للخصلة الثالثة، اتهام الأفراد بما لم يقارفوا من أعمال هو فى الواقع قتل لشخصية الآخرين وإراقة ماء وجوههم. الأمر الذى تعدّه بعض الروايات بمثابة إراقة الدم.

وأمّا الخصلة الرابعة أى البدعة فى الدين بهدف نيل المال والمقام فيكفى فى ذمها ما ورد عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أَهْلُ البِدَعِ شَرُّ الخَلْقِ وَالخَلِيقَةِ، أَهْلُ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۵۳

البِدَعِ كِلابُ أَهْلِ النَّارِ»[۶۵].

وأخيراً خصلة النفاق التى قال بشأنها القرآن الكريم: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ»[۶۶] وقد صرحت ما بعدها من آيات أنّ الإحباط هو نصيب عمل هؤلاء المنافقين الذين لن يهديهم اللَّه.

حقّاً أنّ المجتمع البشرى إذا طهر من دنس هذه الرذائل الخمس لعاش الأمن والسلام والوئام ولحفظت فيه الأموال والأنفس

والأعراض، ولتكاتف الجميع على الحبّ والمودة وسارعوا على مدارج السمو والكمال والإبتعاد عن البدعة والشرك، ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بالعبارة

«أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ»

معنى معيّن، وبالعبارة

«أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ»

معنى آخر؛ فالأول يشير إلى نفاقه بالنسبه لنفسه، والآخر إلى النفاق بالنسبة للآخرين. ومن هنا جعلوا الصفات المذكورة ستاً، لكن يبدو أنّ كليهما من آثار النفاق، أحدهما باللسان والآخر بالوجه، وعليه فالأفضل جمعهما فى عنوان واحد. القضية الجديرة بالاهتمام ما أورده بعض شرّاح نهج البلاغة من أنّ هذه الخطبة وإن وردت أثناء المسير إلى البصرة لمواجهة أصحاب الجمل إلى أنّها تشير إلى أنّ الصفات المذكورة موجودة فى أصحاب الجمل؛ ذلك لأنّهم حكموا أهواءهم بدلًا من اللَّه من جانب، ومن جانب آخر فإنّهم يسعون لإطفاء غضبهم على على عليه السلام بسفك دماء الأبرياء، كما نسبوا لعلى عليه السلام تهمة قتل عثمان الذى قتل على أيديهم بتحريض الآخرين، كما أنكروا إمامة على عليه السلام ونسبته من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فابتدعوا فى الدين ما ليس منه، وأخيراً منعوا الناس من التعرض لقتل عثمان من جهة، ومن جهة أخرى كانوا يتآمرون على قتله خفية. والعبارة

«اعْقِلْ ذلِكَ»

إشارة إلى هذا المعنى ۶۷]. قال الإمام عليه السلام إثر طرحه

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۵۴

لهذه الأمور

«اعْقِلْ ذلِكَ»

، وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ هذه العبارة إشارة إلى مطلب سيرد لاحقاً، إلّاأنّ هذا خلاف التعبير (ذلك).

وأخيراً أشار الإمام عليه السلام فى ختام الخطبة إلى بعض النقاط المهمّة التى لا تبدو بمعزل عن قضية معركة الجمل فقال:

«إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا؛ وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا؛ وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا؛ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ ۶۸]. إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ. إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ».

أجل فالمؤمنون الصالحون العاملون خائفون من اللَّه وخائفون من خلق اللَّه، إمّا خوفهم من اللَّه بدليل تكاليفهم ووظائفهم تجاهه، وإمّا خوفهم من خلق اللَّه حذراً من هضم حقوق فرد من الأفراد، خلافاً للسباع الذين لا يفكرون سوى فى بطونهم والعدوان على الآخرين.

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام يوجز المظاهر الدنيوية فى ثلاثة أشياء؛ الاهتمام بالبطن والنزعة السبعية والاهتمام بالزينة، فأسند أحدهما إلى البهائم والأخرى إلى السباع إشارة إلى قادة معركة الجمل الذين ساقتهم هذه العناصر إلى تأجيج نار حرب الجمل فسفكوا تلك الدماء ولم يظفروا بأهدافهم (لابدّ من الالتفات إلى أنّ الإمام عليه السلام على ضوء بعض الروايات أورد هذه الخطبة حين سار إلى قتال أصحاب الجمل.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۵۵

الخطبة ۱۵۴

اشارة

يَذْكُرُ فِيها فَضَائِلَ أَهْلِ‌الْبَيْتِ عليهم السلام ۶۹]

نظرة إلى الخطبة

تدور مطالب هذه الخطبة بصورة رئيسية حول ثلاثة محاور:

۱. فضائل أهل البيت عليهم السلام وعلومهم ومعارفهم الخارقة ووصية الناس باتبعاهم.

۲. بحث بشأن ارتباط الظاهر بالباطن وأنّ طهارة الباطن عادة ما تؤدى إلى طهارة الظاهر لأعمال الإنسان، ومن كان ملوثاً باطناً غالباً ما يكون ملوثاً ظاهرياً.

۳. لابدّ من الرجوع إلى الجذور فى ممارسة إصلاح كل شىء والانطلاق من الأساس والبنية التحتية فى الإصلاحات.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۵۷

القسم الأول

«وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ دَاعٍ دَعَا، وَرَاعٍ رَعَى فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِى، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِىَ.
قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ. وَأَرْزَ الْمُؤْمِنُونَ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ؛ وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا؛ فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّىَ سَارِقاً».

الشرح والتفسير: أبواب علم النبى

إنّ الأبحاث المتنوعة لهذه الخطبة تفيد جرى المرحوم السيد الرضى على عادته فى اقتطاف هذه المقاطع من خطبة طويلة، ولذلك يبدو هنالك نوع من التعقيد فى ترابط مقاطع هذه الخطبة. يورد الإمام عليه السلام مقدمة لبيان فضائل أهل البيت عليهم السلام فيتحدث عن صفات المهتدين والضالين فيقول:

«وَنَاظِرُ[۷۰] قَلْبِ اللَّبِيبِ ۷۱] بِهِ يُبْصِرُ
أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ ۷۲]»

إشارة إلى أنّ الإنسان العاقل لا يقنع بظواهر الأمور، بل يسعى إلى الوقوف على ملابساتها وتفاصيلها وما يمكن أن تؤول إليه عاقبتها فلا يسلك مساره جزافاً ويواجه بعض المطبات والمخاطر.

ثم قال عليه السلام:

«دَاعٍ دَعَا، وَرَاعٍ رَعَى فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِى، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِىَ»

من

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۵۸

الواضح أنّ المراد بالداعى نبى الإسلام صلى الله عليه و آله الذى أرسى دعائم الدين، والمقصود بالراعى الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام الذى تزعّم الأُمّة الإسلامية بأمر اللَّه ورسوله صلى الله عليه و آله.

فالكلام يشير إلى هذا الأمر: أنّكم إن نظرتم بحكمة لمعرفة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وخليفته بالحق، وبموجب هذه المعرفة سوف لن يكون لديكم أدنى شك وريبة فى اجابة دعوته واقتفاء آثار خليفته.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى الفئة الأخرى التى تقابل الفئة المذكورة وهى الفئة المعادية للحق التى خاضت فى بحار الفتن وابتدعت فى الدين حتى انتهى الأمر إلى اقصاء المؤمنين فخمدت أصواتهم ولم تصدح سوى اصوات الضالين المكذبين المنحرفين

«قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ. وَأَرَزَ[۷۳] الْمُؤْمِنُونَ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ».

فالعبارة إشارة إلى تلك الفئة المنحرفة التى غصبت الخلافة عقب رحيل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله حتى انتهت إلى بنى أمية بزعامة معاوية ويزيد وآل مروان. أجل لم يكن هم تلك الفئة سوى إثارة الفتن من قبيل فتنة الجمل وصفين والنهروان واستغلالها لصالحها إلى جانب ايجاد البدع فى دين اللَّه وهجران سنن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، الأمر الذى اتضح بجلاء على عهد خليفة بنى أمية الثالث، بعد ذلك خاض الإمام عليه السلام فى صفات وفضائل أهل البيت عليهم السلام فقال:

«نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ؛ وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا؛ فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً»

. إشارة إلى أننا أقرب الجميع للنبى صلى الله عليه و آله (لابدّ من الالتفات هنا إلى أنّ الشعار يعنى مايلى البدن من الثياب) وقد ورثنا علم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وكل من أراد نيل تعاليمه صلى الله عليه و آله والاقتداء بهديه عليه أن يمر من خلالنا.

والواقع هو أنّ هذه العبارات قد اقتبست من روايات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بشأن أهل

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۵۹

البيت عليهم السلام عموماً وعلى عليه السلام على وجه الخصوص. ومن ذلك حديث الثقلين الذى ألزم المسلمين بالتمسك بالقرآن وأهل البيت إلى يوم القيامة وحديث:

«أَنا مَدِينَةُ العِلمِ وَعَلِيٌّ بابُها فَمَنْ أرادَ العِلمَ فَليأتِ البَابَ»[۷۴]

. جدير بالذكر أنّ شارح نهج البلاغة ابن أبى الحديد حين بلغ هذا الموضع من الخطبة صرّح بأنّ ما أشار إليه على عليه السلام فى هذه الخطبة لا يتضمن سوى عشر الفضائل التى صرّحت بها العديد من الروايات الواردة عن النبى صلى الله عليه و آله بشأن على عليه السلام. ثم أضاف: لا اقصد الروايات التى استدلت بها الإمامية على إمامة على عليه السلام، بل مرادى الروايات التى رواها كبار محدثى العامة فى مصادرهم عن فضائل على عليه السلام وأذكر هنا بعضها، ثم يذكر أربعاً وعشرين رواية معتبرة فى فضائل على عليه السلام سنشير فى البحث القادم إلى جانب منها إن شاء اللَّه.

تأمّلان

۱. الفارق بين العُجب والتعريف بالذات

يتساءل بعض المغرضين هنا: لماذا خاض الإمام عليه السلام فى مدح ذاته والتعريف بها؟ أليس هذا الأمر دون شأن الإمام عليه السلام؟ وقد روى ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة أنّ البعض أشار على عمر بتأمير على عليه السلام على الجند. فقال: إنّ علياً عليه السلام يرى نفسه أرفع شأناً من ذلك.

ولكن يبدو أنّ مثل هذه الإشكالات إنّما يفرزها الجهل والحسد الذى لا يصمد أمام منطق العقل، وذلك أنّ أغلب الناس قد لا يقفون على عظمة شخص وعمق مكانته فلا يكادون ينفتحون على أفكاره ومشاريعه وخططه التربوية والإصلاحية، ونقول هنا: ألا ينبغى لهذا الشخص أن يعرف الآخرين بذاته وإمكاناته؟ ولعل هذا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۶۰

الأمر أشبه بذلك الطبيب الماهر والمتخصص بمختلف الأمراض والذى نصب لوحة كبيرة على باب عيادته ليبيّن عليها شهاداته وخبرته الطبية والعلمية حتى يتعرف عليها الآخرون فيقبلون على عيادته، فهل هذا العمل من العُجب ومدح الذات أم التعريف بالنفس فى مقابل الجهال؟

ناهيك عّما سبق، فإن احدى مراحل شكر النعم التحدث بها. قال اللّه تبارك وتعالى فى قرآنه الكريم بهذا الشان: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»[۷۵].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير هذه الآية الكريمة أنّه قال:

«حدث بما أعطاك اللّه وفضلك ورزقك وأحسن إليك وهداك»[۷۶]

. ومن هنا ورد فى بعض الروايات أنّ علياً عليه السلام حين سئل عن بعض فضائله، أجاب بأنّ الثناء على النفس مذموم؛ لكنّى أُجيبك عن هذه الفضائل على أساس ما ورد فى القرآن الكريم: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» ثم بيّن عدداً من فضائله ومناقبه.

۲. الفضل ما شهدت به الاعداء

كما أشرنا سابقاً فإنّ ابن أبى الحديد حين بلغ فى شرحه لنهج البلاغة هذه الخطبة، نقل أكثر من أربع وعشرين رواية روتها مصادر العامة فى فضائل على عليه السلام وصرّح بأنّ هذه الروايات غير تلك الأحاديث التى تمسكت بها الشيعة الإمامية فى مقام اثبات ولاية وإمامة على عليه السلام. ومن الضرورى بمكان أن نشير هنا إلى بعض تلك الروايات العظيمة المضمون:

۱. قال النبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«يا عَلِيُّ إنّ اللَّهَ قَدْ زَيَّنَكَ بِزِينَةٍ لَمْ يُزَيِّن العِبَادَ بِزِينَةٍ أَحَبُّ إلِيهِ مِنْها هِيَ زِينَةُ الأَبرارِ عِنْدَ اللَّهَ تَعالى الزُّهْدُ فِى الدُّنيا جَعَلَكَ لاتَرْزَءُ مِنَ الدُّنيا شَيئاً، وَلا تَرْزَءُ الدُّنيا مِنْكَ شَيئاً وَوَهَبَ لَكَ حُبَّ المَساكِينَ فَجَعَلَكَ تَرضى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۶۱

بِهِم أَتباعاً وَيَرْضُونَ بِكَ إماماً»[۷۷].

۲. قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«إنَّ اللَّهَ عَهِدَ إلىَّ فِى عَلِيٍّ عَهْدَاً، فَقُلتُ: ياربِّ بَيِّنْهُ لِى.

قَالَ: إسْمَعْ أَنَّ عَلِيّاً رَايَةُ الهُدى وَإمامُ أَولِيائِى وَنُورُ مَنْ أَطاعَنِى وَهُوَ الكَلِمَةُ الَّتِى أَلْزَمتُها المُتَّقِينَ مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِى وَمَنْ أَطاعَهُ فَقَدْ أَطاعَنِى فَبَشِّرْهُ بِذَلِكَ»[۷۸].

۳. قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحيا حَياتِى وَيَمُوتُ مَماتِى وَيَسْكُنُ جَنَّةَ عَدنٍ الَّتِى غَرَسَها رَبِّى فَلْيُوالِ عَلِيّاً مِنْ بَعْدِى وَلِيُوالِ وَلِيَّهُ وَلِيَقْتَدِ بِالأَئِمَةِ مِنْ بِعدِى فَإنَّهُم عِتْرَتِى خُلِقُوا مِنْ طِينَتِى وَرُزِقُوا فَهْماً وَعِلْماً فَوَيلٌ لِلمُكَذِّبِينَ مِنْ أُمَّتِى القاطِعِينَ فِيهِم صِلَتِى لْاأَنالَهُم اللَّهُ شَفاعَتِى»[۷۹].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۶۳

القسم الثانى

منها: «فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ. إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا. فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ.

فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ. فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ. فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ. وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ. فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ:

أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟!».

الشرح والتفسير: خصائص دعاة الحق

تعرض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة بالإشارة إلى غيض من فيض فضائل أهل‌البيت عليهم السلام بهدف إحباط الدعايات المغرضة لأجهزة بنى أمية ضد أهل‌البيت عليهم السلام والعناصر التى تآمرت عليهم من بعض العملاء الذين تجلببوا بثياب رواة الحديث، فقال:

«فِيهِمْ كَرَائِمُ ۸۰] الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ. إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا،

وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا»

. العبارة

«فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ»

يمكن أن تكون إشارة إلى المعنى المذكور أو تعنى عندهم آيات القرآن الكريم، والعبارة

«كُنُوزُ»

إشارة إلى أنّ عندهم أحكام اللَّه وتعاليم السماء؛ لأنّ الأشياء النفيسة عادة ما تحفظ فى الكنز.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۶۴

والعبارة

«إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا»

تتضمن احدى صفات أهل البيت عليهم السلام وهى الصدق فى الكلام التى تنسجم والآية الشريفة: «كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»[۸۱].

والعبارة

«وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ

نفحات الولاية ؛ ج۶ ؛ ص۶۴

يُسْبَقُوا»

إشارة واضحة إلى أنّ صمتهم عليهم السلام لا يعنى عجزهم عن الإجابة قط، بل صمتهم على ضوء الحكمة والمصلحة، وعليه فلا يسع أحد أن يسبقهم. أومعنى ذلك أنّ هيبتهم تحول دون قدرة الآخرين على الكلام حين صمتهم. على كل حال فإنّ هذه الصفات الأربع فى أهل البيت عليهم السلام تميز مقامهم عن الآخرين وتكشف عن علو منزلتهم ومكانتهم العلمية، ثم قال تأكيداً لهذا المطلب فى أنّ الهدف ليس المدح والثناء على الذات:

«فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ[۸۲] أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ،

فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ».

تعنى كلمة

«رَائِدٌ»

فى الأصل، الشخص الذى يتقدم القافلة ويبحث عن الماء والمرعى. فلو كان مثل هذا الشخص كاذباً لعرّض أهل القافلة أنفسهم إلى الخطر.

فاختيار هذه الكلمة يشير إلى لطيفة مؤداها أنّى إن شرحت لكم خصائص أهل البيت عليهم السلام فذلك لأنّى بمنزلة ذلك الشخص الذى يوفر لاتباعه ضروريات وسائل العيش. ولعل العبارة

«فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ»

تشيرمفهوم الآيـة الشـريفة: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ». أو بعبارة أخرى أنّ الآخرة تعنى هنا ماوراء الطبيعـة. نعم ذهب بعض شـرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بالعبارة أنّا خلقنا للآخرة، كما ورد ذلك فى قصار كلمات الإمام:

«أَلا فَما يَصْنَعُ بِالدُّنيا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ»[۸۳].

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالنظر إلى ما ورد قبيل ذلك بشأن أهل البيت عليهم السلام

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۶۵

ليحذر الآخرين من ضـرورة مراقبة أعمالهم وأن يلحقوا بتلك الكنوز أى الأئمّة العارفين بالقرآن ويحذوا حذوهم ويسيروا على هديهم وأن يفكروا فى بداية كل عمل بعاقبته ويعزمون عليه:

«فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ»

. والواقع هو أنّ الإمـام عليه السـلام يرى توقف النجـاح على ثلاثـة أمور تتفرع جميعهـا من العلم والمعرفـة؛ التفكير فى أصـل العمـل، والعمل على أساس البصيرة ودراسة وتأمل نتيجة ذلك العمل نافعة له أم مضرة؟

ثم خاض فى بيان دليل ذلك وقد استعان بتشبيه رائع ليوضح الفارق بين العالم والجاهل فقال:

«فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ. فَلَا يَزِيـدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِالْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ. وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَىالطَّرِيقِ الْوَاضِحِ».

يـا له من تشبيه رائع! فالعالم والجاهل كلاهما يسـعى، إلّاأنّ العالم حيث يسـير على الطريق الصـحيح فإنّه يقترب من هـدفه كل آن، أمّا الجاهـل حيث يسـير على غير هـدى وعلى غير الطريق فـإنّه يبتعـد عن هـدفه كـل آن؛ بعبـارة أخرى فإنّ سـعيه لن يؤدّى إلّاإلى النتائج المعكوسة.

روى عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تعبير رائع بهذا الشأن حيث قال:

«مَنْ عَمِلَ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَانَ ما يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمّا يُصْلِحُ»[۸۴].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«العامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لْايَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا بُعدَاً»[۸۵].

ثم يخلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة:

«فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ: أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟!»

. فالعبـارة تشـير إلى أنّ الجهـال من الأـفراد ليسوا فقـط لا يبلغون الهـدف بسـعيهم وجهـدهم، بل أحياناً يخطون بـذلك الجهـد إلى ما يخالفه.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۶۷

القسم الثالث

«وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُـلِّ ظَـاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ. وَقَـدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ- صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ-: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ».

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُـلِّ عَمَـلٍ نَبَاتاً. وَكُلُّ نَبَاتٍ لَاغِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَـةٌ؛ فَمَا طَابَ سَـقْيُهُ، طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَـقْيُهُ، خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ».

الشرح والتفسير: معرفة المحسن والمسيء

كشف الإمام عليه السلام هنا- مواصلة لما أورده سابقاً- سبيل معرفة المحسن من المسيئ فقال:

«وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ»

. فهذه قاعدة كلية من شأنها تمهيد السبيل أمام الإنسان لمعرفة الأفراد والمجتمعات البشرية ومختلف التنظيمات الاجتماعية والسياسية والعقائدية (وإن كانت لها على غرار كل قاعدة كلية شواذ) لأنّ أعمال الإنسان عادة ما تكون انعكاساً لأفكاره وأخلاقه وصفاته الباطنية، وظاهره ما يترشح عن باطنه، على غرار ما ورد فى المثل المعروف: الظرف ينضح بما فيه.

وعلى هذا الإساس فإن شككنا فى باطن شخص كان لابدّ لنا من التوقف عند أعماله لننظر من خلالها إلى باطنه. وقد أيد القرآن الكريم هذه الحقيقة فى عدّة آيات فقال بشأن المنافقين: «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۶۸

أَكْبَرُ»[۸۶]. وقال فى موضع آخر: «وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ»[۸۷]. كما قال فى آية أخرى «وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِوَالَّذِي خَبُثَ لَايَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً»[۸۸] كما ورد هذا الأمر فى الروايات الإسلامية وكلمات الفقهاء.

فقد قال أمير المؤمنين على عليه السلام:

«ما أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتاتِ لِسانِهِ وَصَفَحاتِ وَجْهِهِ»[۸۹]

. وصرّح الفقهاء فى مبحث العدالة: أنّ حسن الظاهر والعمل بالتكاليف الشرعية يفيد وجود ملكة العدالة فى الباطن. الغريب فى عصرنا الراهن أنّ العلماء توصلوا إلى صنع جهاز من شأنه التعرف على كذب المقابل من صدقه فى موضوع ما من خلال نبض قلبه وضغط دمه وما شاكل ذلك. وكما أشرنا سابقاً أنّ لهذه القاعدة كما لسائر القواعد الكلية شواذ؛ فهنالك بعض الأفراد الذين يعيشون حالة من التعقيد بحيث لا يمكن التعرف عليهم من خلال أعمالهم بسهولة، كما يمكن لبعض المرائين والمنافقين أن يخدعوا العقلاء، ومن هنا واصل الإمام عليه السلام كلامه ليقول:

«وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ-: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ»»

. فافتراق الظاهر عن الباطن والعمل عن العقيدة فى بعض الحالات يعزى إلى بعض العوامل التى تحدث وتبعد الشخص عن ذلك الأصل الكلى؛ من قبيل مجالسة الصالحين والطالحين والتواجد فى الأوساط الطاهرة والفاسدة إلى جانب التعصب والبغض والحقد والحسد والدعاية المسمومة والفقر المدقع وما شاكل ذلك من الأمور التى تقدح أحياناً بانسجام الظاهرمع الباطن. آثار المرحوم العلّامة الخوئى شارح نهج البلاغة مطلباً آخر فى شرحه لهذه العبارة، فقد قال- بعد تلك الإشارة إلى تناقض صدر هذا القسم

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۶۹

من الخطبة وذيلها- إنّه تدبر وفكر لأيّام وتوسل بجده أمير المؤمنين عليه السلام ليخلص إلى هذه النتيجة وهى أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يشير بالاستناد إلى حديث النبى صلى الله عليه و آله إلى أنّ الشخص إن رأى عدم انسجام ظاهره وباطنه عليه أن يسعى لإصلاح نفسه، يعنى، إن كان باطنه حسناً وعمله سيئاً يسعى لأنّ يصلح عمله، وإن كان عمله حسناً وباطنه سيئاً يسعى لإصلاح باطنه ۹۰]. وهذا الكلام وإن كان صحيحاً إلّاأنّ استفادة هذا المعنى من العبارة المذكورة لا يخلو من إشكال، ويبدو التفسير الأول أنسب.

ثم اختتم الخطبة فى إطار اتمام عبارته السابقة فى مجال انسجام الظاهر والباطن ولزوم تطهير الباطن بهدف تطهير الظاهر بالقول:

«وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً. وَكُلُّ نَبَاتٍ لَاغِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ؛ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ، طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ، خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ»

. فقد شبّه الإمام عليه السلام الإنسان وأعماله بالنبات وثمره، فكما أنّ النبات لا غنى به عن الماء لسقيه ونموه، فإنّ الإنسان لا يستغنى عن التعليم والتربية والإرشاد. فمن عكف على التعليم والتربية والإرشاد الصحيح ظهرت أعماله صالحة، بينما تسى وتخبث أعمال ذلك الذى لاحظّ له من الإرشاد والتربية. بعبارة أخرى فإنّ قيمة ثمرة النبات تنشأ فى الواقع من ثلاثة عوامل: البذرة الطيبة والأرض الخصبة

والماء الوفير. والحق أنّ بـذرة الإنسان على ضوءالفطرة التى أودعها إيّاه اللَّه، طيبة؛ كما أنّ عوامل البيئة الوراثية بمثابة الأرض، والتعليم والتربية بمنزلة الماء، فإن طهرت وطابت هذه الأمور، كانت ثمرة وجود الإنسان طيبة وطاهرة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۷۱

الخطبة ۱۵۵

اشارة

يَذْكُرُ فِيها بَدِيعَ خِلْقَةِ الخُفّاشِ ۹۱]

نظرة إلى الخطبة

تعتبر هذه الخطبة من خطب نهج البلاغة التوحيدية المهمّة وتتألف من قسمين.

يتعرض القسم الأول لحمد اللَّه والثناء عليه وبيان عظمته التى حيرت العقول إلى جانب قدرته فى الخلق دون الاستناد إلى فكرة مسبقة حيث يختزن كل مخلوق عجائب الاسرار. اما القسم الثانى فقد ركز على الخفاش وعجائب خلقته، فيتعرض الإمام عليه السلام إلى تفاصيل خلقه وكأنه استغرق سنوات فى دراسة هذا المخلوق العجيب حتى وقف على اسراره.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۷۳

القسم الأول

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ!

هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا. خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلَا مَشُورَةِ مُشِيرٍ، وَلَا مَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ، وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ».

الشرح والتفسير: درس فى معرفة اللَّه

ذكرنا آنفاً أنّ الإمام عليه السلام استهل هذه الخطبة بحمد الذات الإلهيّة المطلقة وبيان صفاتها الجمالية والجلالية، فأشار بادىء ذى بدء إلى معرفة كنه ذات اللَّه فقال:

«الْحَمْدُلِلَّهِ الَّذِى انْحَسَرَتِ ۹۲] الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ،

فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً[۹۳] إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ![۹۴]».

والسؤال الذى يطرح نفسه: لماذا عجزت الاوصاف عن معرفة كنه الذات

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۷۴

الإلهيّة؟ ذلك لأنّ جميع الألفاظ الموضوعة لبيان الأوصاف إنّما ترتبط بصفات المخلوقين وهى صفات محدودة ومخلوقة. وبعبارة أخرى فإنّ ذات اللَّه المطلقة واللامتناهية من جميع الجهات متعذرة الإدراك من قبل عقولنا المحدودة ولا يسع ألفاظنا وأفكارنا بيانها والوقوف عليها، وهذا ما أذهل العقول البشرية وحال دون ظفرها بالسبيل إلى معرفة تلك الذات، طبعاً هذا لا يعنى أننا نقول باستحالة معرفة البشر باللَّه، أو بعبارة أخرى أننا لانقول بتعطيل المعرفة، بل المراد أنّ حظنا من العلم بتلك الذات المطلقة من جميع الجهات هو

العلم الإجمالى الذى يسعنا الإشارة إليه من خلال آثاره وليس لدينا من علم تفصيلى بهذا الشأن. ولا تبدو هذه القضية عجيبة، فعظمة اللَّه ممّا لا نقاش فيها. بل هنالك الكثير من مخلوقات عالم الإمكان التى نؤمن بها وتبدو واضحة لنا كالشمس، غير أننا نجهل كنهها، على سبيل المثال أننا نؤمن بوجود الروح، ووجود الجاذبية والزمان والمكان، لكن ما حقيقة كنه هذه الأمور؟ إنّ هذه الأمور تعدّ من الأبحاث التى حظيت باهتمام الفلاسفة والحكماء وعلماء العلوم الطبيعية ولم يتفقوا لحد الآن على نقطة مشتركة، بل أبعد من ذلك إننا لأقرب إلى أنفسنا من كل شىء ولكن ما زلنا نجهل الكثير من أسرار وجودنا، حتى انبرى العالم الغربى «ألكسيس كارل» ليكتب كتابه «الإنسان ذلك المجهول».

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه ببيان صفة أخرى من صفات اللَّه- وهى تأكيد لما سبق- فقال

«هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا»

. نعم، فوجوده أظهر الأشياء وكنهه فى غاية الخفاء وما تاره العين قد يكون خطأ الباصرة- الذى ذكر له العلماء عدّة أنواع- ولكن العلم بوجود اللَّه لأخطأ فيه. وإننا نشعر بحضوره فى كل زمان وكل مكان وكل حال، مع ذلك نحن حيارى فى إدراك حقيقة ذاته، وكلما تقدمنا خطوة فى هذه المرحلة رجعنا خطوات إلى الوراء، كما قال الشاعر:

كُلَّما قَدَّمَ فِكرِى فِيكَ شِبْراً فَرَّ مِيلا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۷۵

ناكِصاً يَخْبِطُ فِيعَمياءَ لايَهْدِى سَبِيلا

كأنّ هذا الموضوع أشبه بذلك الإنسان الذى يبصر مصدراً شديداً للنور يخطف الأبصار فيقترب منه ببطء فإذا النور يهزه فجأة ويدفع به خائفا إلى الخلف. حقّاً يبدو أننا سنقع لا محال فى الخطأ إن حاولنا تشبيه أىٍّ من صفات وكنه الذات المقدّسة، ذلك لأننا نشبهه بمخلوقاته فنصاب بنوع من الشرك.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى خلقه سبحانه وتعالى للخلق فقال:

«خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلَا مَشُورَةِ مُشِيرٍ، وَلَا مَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ ۹۵] لِطَاعَتِهِ،

فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ، وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ»

جدير ذكره أنّ كل ابداعات الإنسان إنّما تستند إلى برامج مسبقة وخطط معدة بشأن عالم الطبيعة. فأحياناً يستفيدها بعينها وأخرى يضيف لها بعض أفكاره، إلّاأنّ أيّة فكرة ليست جديدة فى الواقع، على العكس من ذلك فإنّ نظرنا إلى عالم الوجود سنرى ملايين الأنواع من النباتات والحيوانات الصحراوية والبحرية والطيور وسائر الكائنات التى يتسم كل واحد منها ببعض الخصائص المميزة له، كلها تدين لخالقها تبارك وتعالى.

وأخيراً فإنّ الإمام عليه السلام قد أشار فى هذا المقطع من الخطبة إلى ثلاثة مواضيع مهمّة؟ عجز الإنسان عن إدراك كنه الذات الإلهيّة، وظهور وجوده تعالى، وأخيراً إبداعه الفريد فى عالم الخلق.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۷۷

القسم الثانى

«وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِى هذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِى يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَىْءٍ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَىٍّ؛ وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِى بِهِ فِى مَذَاهِبِهَا، وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا. وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِى سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا، وَأَكَنَّهَا فِى مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِى بُلَجِ ائْتِلَاقِهَا، فَهِىَ

مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا؛ فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ. فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا، أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا، وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَالنَّهَارَ سَكَناً وَقَرَاراً!».

الشرح والتفسير: الطائر العجيب

ما أن فرغ الإمام عليه السلام من بيانه العام والجامع بشأن خلق العالم حتى ركز هنا على أعجب وأظرف مخلوقات اللّه، ألا ـ وهو الخفاش الفريد فى خلقه من كل النواحى، وإن كانت جميع المخلوقات عجيبة لو أجلنا التفكير بصورة صحيحة. فقد أشار عليه السلام إلى جانبين فريدين فى خلقة هذا الحيوان؛ عينه وجناحيه، فقال:

«وَمِنْ لَطَائِفِ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۷۸

صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ».

ثم يردفها بالعبارة:

«وَكَيْفَ عَشِيَتْ ۹۶] أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ

نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا. وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ ۹۷] إِشْرَاقِهَا، وَأَكَنَّهَا[۹۸] فِي مَكَامِنِهَا[۹۹] عَنِ الذَّهَابِ

فِي بُلَجِ ۱۰۰] ائْتِلَاقِهَا[۱۰۱]»

. النقطة الجديرة بالتأمل، إنّ الإمام عليه السلام أشار إلى ثلاث نقاط مختلفة بثلاث عبارات إلى التأثير السلبى لضياء الشمس عليها، فقال: إنّ ضياء الشمس لم يدعها تتلمس طريقها وإنّ أشعة الشمس تمنعها من بلوغ مقاصدها فى هذه الطرق (كالطعمة والحجر) وأخيراً أنّها لو سلكت طريقاً وطلعت عليها الشمس فجأة لصدتها عن مواصلة السير.

وبالنتيجة، ليس لها سوى الاختباء فى الحجور المظلمة لتأمن أشعة الشمس، وعلى هذا الأساس فإنّ ضياء الشمس الذى ينير كل شىء ويساعد جميع الكائنات الحية لأن تعرف طريقها وتواصل حركتها نحو غايتها، لا يبدو كذلك بالنسبة لهذا الطائر «الخفاش» فآثاره سلبية عليه، وعلى العكس من ذلك فهو يستفيد من الظلمة التى تسوق كل ما سواه إلى السكون، ليبدأ بالنشاط والحركة.

ومن هنا واصل كلامه فقال:

«فَهِيَ مُسْدَلَةُ[۱۰۲] الْجُفُونِ ۱۰۳] بِالنَّهَارِ عَلَى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۷۹

حِدَاقِهَا[۱۰۴]، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا؛ فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا

إِسْدَافُ ۱۰۵] ظُلْمَتِهِ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ ۱۰۶] دُجُنَّتِهِ ۱۰۷]».

ثم تطرق إلى وضع الخفاش حين شروق الشمس وارسالها لأشعتها على الجبال والصحارى فقال:

«فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ ۱۰۸] نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ

إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضِّبَابِ ۱۰۹] فِي وِجَارِهَا[۱۱۰]، أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا[۱۱۱]، وَتَبَلَّغَتْ ۱۱۲]

بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا».

ياله من تشبيه لطيف! فقد شبه الشمس منتصف الليل بالمرأة التى تلفعت بخمارها وحين الشروق طرحته جانباً وقد أشرق ضياء وجه

هذه الأم الحنون على مهد أولادها. العبارة الرائعة الأخرى أنّه قال: إنّ إشراق ذلك النور والضياء بلغ جحور الضباب المعروفة بشغفها بطلوع الشمس وقد أخرج آنذاك راسه من جحره ليستقبل ضياء الشمس. وهى إشارة أيضاً إلى أنّ الخفافيش تحتفظ بما اصطادته فى الليل لنهارها.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۸۰

ثم يخلص إلى نتيجة ليقول بعبارة قصيرة:

«فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَالنَّهَارَ سَكَناً وَقَرَاراً!»

فهذا الكائن الفريد، وخلافاً للكائنات الحية كافة- ولاسيما الإنسان- التى تقتات فى النهار وتستريح وتسكن فى الليل «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً»[۱۱۳]، إنّما يستريح فى النهار ويكدّ من أجل المعاش فى الليل لتعلم الخليقة أنّ قدرة اللّه لامتناهية وكل ما يريده سبحانه يكون.

وسنتكلم فى آخر الخطبة إن شاء اللّه عن عجائب خلقة الخفاش ولاسيما خلقة عينيه.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۸۱

القسم الثالث

«وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ، كَأَنَّهَا شَظَايَا الْآذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ، إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً. لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِئٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ.

فَسُبْحَانَ الْبَارِىءِ لِكُلِّ شَيْءٍ، عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ!».

الشرح والتفسير: عجائب الخفاش

أشار الإمام عليه السلام هنا إلى أمرين من عجائب خلقة الخفاش (جناحاه وتربيته لفرخه)، فقال:

«وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ، كَأَنَّهَا شَظَايَا[۱۱۴] الْآذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ ۱۱۵] وَلَا قَصَبٍ، إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً

أَعْلَاماً. لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا»

. حقّاً إنّ هذا لمن عجائب الخلقة، فاجنحة جميع الطيور تتكون من الريش الذى يتوسطه شىء يشبه القصبة، ونظراً لخفته فإن الطيور تستطيع الطيران بواسطته بسهولة، أمّا الخفاش المعروف بطيرانه السريع فهو يختلف تماماً عن جميع الطيور، فجناحه قطعة من اللحم يتوسطها عظام نحيفة أشبه بالغضاريف. وهذه القطعة رغم نحافتها إلّاأنّها شديدة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۸۲

المقاومة، كما أنّها خفيفة وصامدة على الدوام وهى تشبه صفحة إذن الإنسان.

والغريب أننا لو نظرنا إليه إزاء ضوء الشمس أو المصباح لشاهدنا مجموعة من الأنابيب الظريفة والواسعة والمعقدة من العروق الدموية التى تغذيه والتى يشتد نشاطها حين يطير لتوصل المواد الغذائية اللازمة إلى الأجنحة بهدف السرعة فى الحركة.

ثم أشار إلى قضية عجيبة أخرى فى خلقة هذا الطائر والتى تتعلق بتربيته لولده فقال:

«تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِئٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ»

. معروف أن لهذا الحيوان دورة شهرية كسائر (الثديّات) وهو يحمل ويضع الحمل، خلافاً لسائر الطيور البيوضة وتفقيس فراخها فى بيوضها. وينفرد الخفاش بحمله لفرخه معه حين الطيران والهبوط ليعلِّمه الطيران وكيفية الحصول على الغذاء وصيد الحشرات والخروج والرجوع إلى العش والحجر، ولعل سرّ حمله لفرخه معه خلافاً لعادة جميع الطيور أنّه يمارس الطيران ليلًا فيضطر لحمله معه.

على أيّة حال فإنّ كل شىء عجيب فى هذا الطائر، وهذا بدوره أحد عجائب الخليقة التى تعرف الإنسان على تنوع المخلوقات وقدرة الخالق.

ثم اختتم الإمام عليه السلام خطبته الشريفة بالخشوع أمام عظمة اللَّه وقال:

«فَسُبْحَانَ الْبَارِىءِ لِكُلِّ شَىْءٍ، عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ!»

وكما استهل الإمام عليه السلام الخطبة بحمد اللَّه والثناء عليه فقد اختتمها بتسبيحه وتنزيه ذاته المقدّسة.

تأمّل

خلقة الخفاش العجيبة

تحدث الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة عن بديع خلقة الخفاش الذى يختلف فى كل شىء تقريباً عن سائر الطيور، حتى صرّحت بعض المصادر العلمية أنّ الخفاش

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۸۳

ليس من فصيلة الطيور، بل جزء من الثديات وذلك لما يلى:

۱. للخفاش أسنان، بينما للطيور منقار.

۲. بدن الخفاش مغطى بالشعر، بينما للطيور ريش.

۳. تتكون أجنحة الخفاش من قطعة لحمية رقيقة وليست الطيور كذلك.

۴. للخفاش يدان ورجلان ويمشى على الأرض على يديه ورجليه وليست الطيور كذلك.

۵. الخفافيش ولودة، بينما الطيور بيوضة.

۶. ترضع الخفافيش صغارها، بينما توفر الطيور الغذاء المناسب لفراخها.

۷. معاش الخفافيش ليلًا، والطيور نهاراً.

۸. تنام الخفافيش نهاراً وتطير عقب الغروب وتتعلق حين النوم بأرجلها على الأشجار والسقوف، بينما ليست الطيور كذلك.

۹. تتغذى الخفافيش على الحشرات وتفتح أفواهها حين تطير وتبتلع عشرات أو مئات الحشرات ولعل هذا سبب رائحتها الكريهة، ولعل هذا العمل من الخفافيش هو الذى يسهم فى تنقية أجواء البيئة من الحشرات، ومن هنا فقد عمد الناس إلى بناء الأبراج لتربية الخفافيش فى المناطق التى تكثر فيها الحشرات. جدير بالذكر، وخلافاً لما يتصوره البعض من ضعف بصر الخفاش حتى راح يضرب به المثل أنّ الشخص الفلانى أعمى كالخفاش، فإنّ باصرة الخفاش حادة جدّاً، إلّاأنّ عينه حساسة للضوء ولا يطيق تحمله. والخفاش يطير بسرعة ومهارة فى الليل حتى حين شدّة الظلمة، ولا يستعين الخفاش فى طيرانه الليلى بعينه فقط، بل يتمتع بجهاز صوتى يشبه الرادار. فالخفاش حين الطيران يُخرج صوتاً من أنفه وليست لدينا القدرة على سماعه، إلّاأنّ هذا الصوت يصطدم بكل شىء يعترض طريقه وينعكس إليه، ويلتقط هذا الصوت المنعكس بأذنه الكبيرة فيقف على الأشياء التى تقف فى طريقه فيغيّر مساره، ومن هنا قيل: الخفاش يرى بأذنه. عادة ما يتغذى الخفاش على

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۸۴

الحشرات، إلّاأنّ بعض الخفافيش تتناول الفاكهة، وبعضها الآخر وحشية خطيرة، ويبدو أنّ عددها قليل جدّاً. وهى تهجم على الإنسان حين النوم فتغرس أسنانها بكل هدوء فى بعض المواضع التى تفتقر إلى الأعصاب والحساسية من قبيل شحمة الأذن فتمتص الدم، كما تتأتى خطورتها من إمكانية حملها لبعض الميكروبات القاتلة من قبيل الحمى الصفراء. والخفاش يقترب من الماء حين الطيران ليرتشف الماء كالقط بلسانه. ويضع الخفاش القليل الوزن ما يقارب من أربعة فراخ يحملها معه حين الطيران، أمّا تلك الثقيلة الوزن والتى تشبه القطة أحياناً، فلا تلد أكثر من فرخ، أضف إلى ذلك فهنالك بعض الخفافيش التى لاتزن أكثر من الدرهم ۱۱۶].

وقد وردت فى كتاب التوحيد للمفضل بعض العبارات القصيرة والعميقة المعنى بشأن خلقة الخفاش حيث إنّ اللّه خلقه وسطاً بين الطيور والأنعام (الثدييّات) ذلك أنّ له أذنين طويلتين وأسناناً وهو يلد ويرضع وليده ويمشى على يديه ورجليه، وكل ذلك خلافاً للطيور، كما يطير فى الليل ويتغذى على الحشرات الطائرة فى الهواء، ويعتقد البعض أنّه لا- يتغذى سوى على الهواء، وهذا باطل، وذلك أولًا: لخروج البول والغائط منه وهذا غير ممكن دون غذاء، وثانياً: إنّ له أسناناً وليس لهذه الأسنان من معنى إن لم يتغذَّ ونعلم أنّ اللّه لم يخلق شيئاً عبثاً[۱۱۷]. على كل حال فكلما أمعنا النظر فى الخفاش أدركنا عمق الأسرار المركبة فيه، وهنا نقف على عظمة ما أورده الإمام عليه السلام فى أنّ اللّه كأنّه خلق هذا المخلوق للتعريف بعظمة قدرته بعرضه أحد بدائع خلقه الذى انطوى على العديد من العجائب والغرائب.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۸۵

الخطبة ۱۵۶

اشارة

خَاطَبَ بِهِ أَهْلَ البَصْرَةِ على جِهَةِ اقْتِصَاصِ المَلَاحِمِ ۱۱۸]

نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى مسائل مختلفة مرتبطة مع بعضها البعض رغم استقلالية كل منها، وتدور هذه الخطبة حول عدّة محاور هى:

الأول: أنّ الإمام عليه السلام حثّ الناس على طاعته وقد كشف لهم النقاب عن سبيل الجنّة الملئ بالمتاعب والمشقات.

الثانى: إشار الإمام عليه السلام إلى دوافع عائشة فى إثارة فتنة الجمل حتى لا يظن الآخرين بأنّ خروجها للمعركة يضفى شرعية على ممارسات طلحة والزبير.

الثالث: يتحدث عن القيامة والمعاد ويعدّ الناس لذلك بالتزود من التقوى والعمل الصالح وكسب الفضائل ومكارم الأخلاق.

الرابع: أشار فيه إلى كيفية بعث الموتى من القبور وحضورهم فى المحشر.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۸۶

الخامس: الحديث عن ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بما يخالف ظن البعض من المشاكل المترتبة عليها فى الحياة الدنيا والآخرة.

السادس: إشارة إلى أهميّة القرآن ودوره فى إصلاح الفرد والمجتمع.

السابع: الرد على سؤال طرحه شخص بشأن الفتنة وهل سأل الإمام عليه السلام رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن ذلك، إلى جانب

إخبارهم عن شهادته.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۸۷

القسم الأول

فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيَفْعَلْ. فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ.

وَأَمَّا فُلَانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ، لَمْ تَفْعَلْ. وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

الشرح والتفسير: ظهور الاحقاد بذرائع واهية

ذكرنا سابقاً أنّ الإمام عليه السلام أورد هذه الخطبة بعد موقعة الجمل حيث تفيد العبارات الواردة فى طليعتها إشارة الإمام عليه السلام قبل ذلك إلى الفتن التى تنتظر الناس ويحذرهم أنّ فتنة الجمل ليست الأولى والأخيرة فقال:

«فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيَفْعَلْ. فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ[۱۱۹]»

. مفهوم العبارة

«أَنْ

يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ»

- بالنظر إلى أن يعتقل من مادة عقل بمعنى المنع- اقتصار النفس على طاعة أوامر اللَّه التى تمثل أرفع درجات الطاعة والعبودية.

والعبارة

«وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ»

إشارة إلى أنّ الإنسان لا ينال الجنّة والسعادة بالهين، وعلى الفرد الذى يبغى الجنّة أن يعد لها عدتها؛ وذلك لأنّ جهاد النفس ولجم هواها شاق كمواجهة العدو.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۸۸

وقد عبر الإمام عليه السلام عن هذا المعنى فى الخطبة ۱۷۶ بما رواه عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله

: «إِنَّ الجَنَّةَ حُفَّتْ بِالمَكارِهِ وَإِنَّ النّارَ حُفَّتْ بِالشَّهواتِ».

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى الدافع الذى ساق عائشة إلى الجمل- الفتنة التى عمت العالم الإسلامى آنذاك- وقد تطرق إلى التفاصيل بخمس عبارات عميقة المعانى فقال:

«وَأَمَّا فُلَانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ ۱۲۰] الْقَيْنِ ۱۲۱]،

وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ، لَمْ تَفْعَلْ. وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

. لا شك فى أنّ المراد من فلانة فى العبارة المذكورة عائشة، وحيث إنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة بعد موقعة الجمل، يبدو أنّ الهدف هو الرد على بعض الشبهات، واحدى الشبهات، لو لم تكن هذه المعركة شرعية كيف تشترك فيها عائشة لتلعب ذلك الدور الحساس؟ وقد أشار الإمام عليه السلام فى رده على هذه الشبهة إلى دافعين يكمنان وراء مساندة عائشة لطلحة والزبير:

الأول: آراؤها الضعيفة كامرأة والتى يستطيع طلحة والزبير اختراقها وضمها إلى جانبهما، ويؤيد ذلك، الأخبار التى صرحت بندم عائشة

على فعلتها وتوبتها.

والآخر، الحقد الدفين الذى كانت تكنه لعلى عليه السلام والذى فاق الحدود بحيث لم يدعها تفكر فى عواقب فعلتها وبوجه من تقف ولحساب من، وكيف ستكون نتيجة المعركة؟ وقد أسهب شرّاح نهج البلاغة فى بيانهم للعوامل التى تقف وراء ذلك الحقد والبغض؛ إلّاأنّ الشرح الوافى ما ذكره ابن أبى الحديد عن استاذه أبى يعقوب، ونشير إلى جانب من ذلك:

١. على عليه السلام زوج الزهراء عليها السلام والزهراء بنت خديجة وقد شحنت التواريخ المعروفة بالأخبار التى تتحدث عن حساسية عائشة من خديجة حتى بعد وفاتها.

٢. منزلة فاطمة الزهراء عليها السلام لدى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والتى تكشف عن شخصيتها عليها السلام

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۸۹

وأنّه كان يوليها منتهى الحب والاحترام حتى صرحت بعض الروايات المعتبرة أنّه اطلق عليها «سيدة نساء العالمين» وقال:

«فَاطِمَةُ بِضعَةٌ مِنِّى مَنْ آذاها فَقَدْ آذانِى وَمَنْ أَغَضبَها فَقَدْ أَغْضَبَنِى»[۱۲۲]

. وهذا ما أثار حفيظة عائشة حيث كانت ترى أنّها تستحق هذه الألقاب لا غيرها، ولذلك حملت الحقد على على عليه السلام.

٣. منزلة على عليه السلام لدى النبى صلى الله عليه و آله ومدى حبّ النبى صلى الله عليه و آله له وحديثه عن فضائله ومناقبه، وكانت ترى أحقية أبيها أبى بكر بتلك الفضائل.

۴. كون نسل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من فاطمة عليها السلام وعلى، وحبه للحسن والحسين عليهما السلام بينما لم تكن عائشة ولودة.

۵. إغلاق النبى صلى الله عليه و آله كافّة أبواب الصحابة فى المسجد حتى باب بيت أبى بكر سوى باب دار على عليه السلام. أضف إلى ذلك فهنالك عدّة عوامل أخرى لا يسع المجال ذكرها[۱۲۳].

جدير بالذكر أنّ ابن أبى الحديد روى عن استاذه أبى يعقوب قال: «ثم بايع على‌أباها-/ عائشة-/ فسّرت بذلك، وأظهرت من الاستبشار بتمام البَيعة واستقرار الخلافة وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا واستمرّت الأمور على هذا مدّة خلاف أبيها وخلافة عمر وعثمان، والقلوب تغلى، والأحقاد تذيب الحجارة، وكلّما طال الزمان على علىٍّ تضاعفت همومه وغمومه، وباح بما فى نفسه إلى أن قتل عثمان، وقد كانت عائشة فيها أشدّ الناس عليه تأليباً وتحريضاً، فقالت:

أبعده اللَّه! لمَّا سمعت قتله، وأمّلت أن تكون الخلافة فى طلحة، فتعود الإمْرة تيمية، كما كانت أوّلًا، فعدل الناس عنه إلى علىّ بن أبى طالب، فلمّا سمعت ذلك صرخت:

واعثماناه! قتل عثمان ظلوماً، وثار ما فى الأنفس، حتى تولّد من ذلك يوم الجمل وما بعده»[۱۲۴].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۹۰

والغريب فى الأمر أنّ بعض العلماء رغم اعترافهم بخطأ عائشة وارتكابها المعصية فى معركة الجمل، يزعمون أنّها تابت وقد عفا اللَّه عنها. والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: هل سفك دماء سبعة عشر ألفاً وفى رواية عشرين ألف مسلم فى الجمل بالإضافة إلى تلك المصائب التى طالت العالم الإسلامى بسبب تلك المعركة وما زالت آثارها عالقة، يُغفر بمجرّد قول: «استغفر اللَّه»؟ وهل يتجاوز اللَّه عن هذا الحق بهذه السهولة؟ ذكر ابن عبد ربه فى عقده الفريد أنّ امرأة تدعى أم أوفى دخلت على عائشة بعد الجمل وسألتها: يا أم المؤمنين ما تقولين فى من قتل ولده الصغير؟ قالت عائشة: وجبت له نار جهنم؟ ثم سألتها: فما تقولين فيمن قتلت عشرين ألفاً من ولدها؟ أدركت عائشة أنها المعنية بهذا السؤال لما فعلته فى الجمل فردت: عليكم بعدوة اللَّه هذه ۱۲۵].

وأما عبارة الإمام عليه السلام: (ولو دعيت لتنال من غيرى ما أتت إلىّ، لم تفعل) إشارة إلى أنّ هذه المرأة لم تكن لتطالب بدم عثمان، بل هدفها تأليب الناس علىّ. وأمّا عبارته (ولها بعد حرمتها الاولى) ذلك انها كانت زوج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقد غض

النظر عن عقابها فى الدنيا حرمة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولذلك أردفها بالعبارة (والحساب على اللَّه تعالى فى أنّ اللَّه سوف لن يعفو عن هذه المعصية. وقد أشار القرآن إلى هذا الأمر فى الآية الكريمة ۳۰ من سورة الأحزاب: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۹۱

القسم الثانى

منها: سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ، أَنْوَرُ السِّرَاجِ، فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ، وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ، وَتُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ. وَإِنَّ الْخَلْقَ لَامَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى

الشرح والتفسير: السبيل إلى النجاة

تحدث الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة عن الإيمان ثم آثاره- العمل الصالح والعلم والمعرفة وخوف العقاب والاستعداد للسفر الشاق وبالتالى نيل الجنّة- فقال:

«سَبِيلٌ أَبْلَجُ ۱۲۶] الْمِنْهَاجِ، أَنْوَرُ السِّرَاجِ»

. شبه الإمام عليه السلام الإيمان بالسبيل الواضح الخالى من العقبات نهاراً والملئ بالمصابيح ليلًا، كما يحتمل أن يكون المراد من السراج، العلامات والألواح التى تنصب على جوانب الطرق بغية إرشاد المسافر إلى الهدف، أى أنّ الإيمان طريقه واضح وعلاماته جلية.

ثم قال عليه السلام:

«فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ»[۱۲۷]

. قطعاً أنّ معنى الإيمان فى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۹۲

العبارتين هو الاعتقاد الباطنى؛ و (يستدل) فى العبارة الأولى، يعطى معنى العِلّية وفى العبارة الثانية، الكاشفية، أى أنّ الإيمان سبب العمل الصالح، والعمل الصالح كاشف عن الإيمان، مع ذلك ربّما تكون العلية هى المرادة من (يستدل) فى المعنيين، أى كما أنّ الإيمان سبب العمل الصالح فإنّ العمل الصالح سبب قوة الإيمان. وقوله عليه السلام (وبالإيمان يعمر العلم) إشارة إلى أمرين:

الأول: إنّ الإنسان إن آمن بالخالق العالم والحكيم وانفتح على الهدف الذى ينطوى عليه الخلق سيوقن بان ليس هنالك شىء خُلق عبثاً فى هذا العالم فيسعى أثر ذلك للوقوف على علل الأشياء وأسرار الظواهر. حيث صرح أحد علماء العلوم الطبيعية بأنّ العنصر الذى دفع بكبار العلماء للسعى من أجل كشف أسرار الطبيعة ولسنين مديدة إيمانهم بالهدفية التى تحكم عالم الخليقة وأن ليس هنالك من سبيل للعبث فى خلق أى شىء.

الثانى: إنّ أحد موانع العلم والمعرفة هو التعصب الأعمى والغرور، لكن إن حل الإيمان زالت كل هذه الموانع وتمهد السبيل أمام بلوغ منابع العلوم والمعارف. أضف إلى ذلك فإنّ العلم دون عمل هو علم هدام يستبطن الجهل، والعنصر الذى يقرن العلم بالعمل هو الإيمان، كما ورد ذلك فى الحديث المروى عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، أنّه قال:

«إِنَّ العِلْمَ يَهْتِفُ بِالعَمَلِ فَإِنْ أَجابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ»[۱۲۸]

. وقوله عليه السلام: إنّ الإنسان بسبب العلم يرهب الموت فى أنّه لا يرى الموت نهاية الحياة، بل يراه بداية حياة جديدة يعيشها على

ضوء ما أسلف من أعمال.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بذكره للعلة والمعلول واللازم والملزوم فقال:

«وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ، وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ، وَتُبَرَّزُ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۹۳

الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ. وَإِنَّ الْخَلْقَ لَامَقْصَرَ[۱۲۹] لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ ۱۳۰] فِي مِضْمَارِهَا إِلَى

الْغَايَةِ الْقُصْوَى

. نعم، الموت نهاية الحياة الدنيوية وانطلاقة الحياة الأبدية، وصحيفة الأعمال تطوى بالموت؛ ذلك أنّ مزرعة الآخرة هى الدنيا، وليس فى القيامة سوى الجنّة والسعادة الأبدية أو النار والعذاب الأبدى، وكل إنسان دون استثناء آيل إلى أحدهما. لا يستبعد أن يكون ذكره لهذه العبارة بعيد موقعة الجمل أنّ أولئك النفر الضال لو كان إيمانهم قوى لما انساقوا إلى تلك الفتنة والمعركة القاتلة. فالإيمان يدعو العلم والمعرفة وترجيح الدار الباقية على تلك الفانية: ولكن من المؤسف أنّ حجاب الهوى يحول دون إدراك العقل لهذه الحقائق رغم أنّ الطريق واضح والمعالم جلية.

أمّا العبارة

«وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ، وَتُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ»

مقتبسة من سورة الشعراء، الآية ۹۱- ۹۰: «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ* وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۹۵

القسم الثالث

منها: قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ.

لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لَايَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا.

وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ وَإِنَّهُمَا لَايُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ. وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، «فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ»، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّيُّ النَّاقِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ. لَايَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، «وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ»، وَوُلُوجُ السَّمْعِ. «مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ».

الشرح والتفسير: عوامل النجاة فى القيامة

خاض الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة عقب العبارات السابقة- التى تحدث فيها عن الموت والجنّة والنار- فى مسألة الحشر والنشر يوم القيامة ثم تطرق إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأهميّة القرآن الكريم، كونها تشكل العناصر المحورية فى النجاة يوم القيامة فقال:

«قَدْ شَخَصُوا[۱۳۱] مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ ۱۳۲]،

وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ. لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لَايَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا»

. فأشار بادىء الأمر إلى أنّ الجميع ينهضون من القبر كما ورد ذلك كراراً فى القرآن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۹۶

الكريم: «يَومَ يَخرُجُونَ مِنَ الأجداثِ سراعاً»[۱۳۳] ويستفاد من العبارة أنّ ذرات البدن التى تحولت إلى تراب تعود إلى القبر أينما كانت لتحيا ثانية وتنفض عنها التراب.

وهنا يرد هذا السؤال: إنّ آيات القرآن صريحة فى أنّ الدنيا ستنتهى بزلزلة عظيمة تحطم كل شىء فكيف ستبقى القبور ويخرج الموتى منها إلى الحساب؟ أوردنا الاجابة عن هذا السؤال فى الجزء الثالث من الأنوار العلوية.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى عدم استبدال دور الجنّة والنار وسيقيم كل شخص على ضوء أعماله فى الجنّة أو النار؛ والمراد أنّ الثواب والعقاب فى الآخرة للمؤمن والكافر أبديان، لا يمكن استبداله ولا نقله. والحق أنّ تلك الدار على قدر من النظام والدقة الذى ينسجم مع العقيدة والعمل وكان كل مكان يبحث عن شخص لا العكس. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على أنّ معركة الجمل كانت من النماذج البارزة لهذا المفهوم، فقال:

«وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ وَإِنَّهُمَا لَايُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ»

. على غرار ما جاء فى القرآن الكريم: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ». ويرى بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ التعبير (بالخُلُق) عن اللَّه هو تعبير مجازى (مجاز فى الكلمة أو مجاز فى النسبة)، لأنّ الخُلُق ملكة نفسانية تنبعث من الأعمال الصالحة والسيئة، واللَّه منزّه عن هذه العوارض والحالات، إمّا أن اعتبرنا الخُلُق بمعنى الوصف فليست هنالك من مشكلة سواء أُريد به الحالة النفسانية أو الوصف عين الذات الذى يطلق على اللَّه. على كل حال فإنّ الوظائف التى عينها الإسلام للناس تكون أحياناً متعلقة بالإنسان مثل العبادات وأغلب المحرمات، لكن هنالك أمور واسعة جدّاً تصدق حتى على اللَّه، كالعدالة وترك الظلم وإرشاد الجاهل وتنبيه الغافل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، بل إنّ أساس نزول الكتب السماوية وبعث الأنبياء على ضوء

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۹۷

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو إرشاد الجاهل، وبناءً على هذا، كفى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أهميّة أنّه محور انطلاقة جميع الأنشطة للأنبياء والرسل. وما قاله الإمام عليه السلام من أنّهما لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق، إشارة إلى أنّ أغلب الناس من ذوى النظرة الضيقة والآفاق المحدودة يعتقدون بأنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يؤدّى إلى الاشتباك مع أهل المعاصى، وهذا ما يؤدّى بدوره إلى القتل تارة وأخرى انفراج الناس عن هذا الإنسان وبالتالى قلة رزقه.

ولكن إن جرى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفق الأسلوب الصحيح والمعقول وجانب الافراط والتفريط فإنّ اللَّه يحفظ الإنسان الذى يمارس هذه الوظيفة ولا يبخل عليه فى رزقه. وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، شرائط، منها: احتمال التأثير وعدم الضرر، كما أنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر نوعان؛ عام، وهو وظيفة كافّة الناس (عن طريق القلب واللسان، وخاص، وهو وظيفة الحكومة الاسسلامية (من خلال الإجراءات العملية). فلو راعى الإنسان هذه الأمور فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى جانب الأدب والاحترام فسوف يحظى بحب الآخرين واحترامهم لا انفراجهم عنه ونفرتهم، فإن عرضت له بعض المكاره يفرجها اللَّه تعالى.

وزبدة الكلام إنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو أساس ودعامة نظام المجتمع وقدسيته ونهضته وتطوره، والعكس بالعكس، فإنّ المجتمع الذى يموت فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يستفحل فيه التنصل عن المسؤوليه وترتكب فيه الذنوب والمعاصى ويجهر فيه بالفسوق حتى يغط المجتمع فى وحل الانحراف والفساد.

ولما كان سبيل نيل السعادة وحل المشاكل الفردية والاجتماعية يتمثل بالعودة إلى القرآن فإنّ الإمام عليه السلام يتطرق هنا إلى أهميّة القرآن ليوضحها بعبارات حية عميقة المعانى وتشبيهات لطيفة ضمن احدى عشرة جملة- تشير كل جملة منها إلى ميزة من مزايا القرآن- قال

«وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۹۸

كأنّ البشرية قبل التعليم والتربية مستغرقة فى وحل الطبيعة ولابدّ لها من التمسك بحبل بغية النجاة. وينبغى أن يكون هذا الحبل متيناً

كى لا يتركها منتصف الطريق.

ومن هنا يعبر عن القرآن بالحبل المتين، الوسيلة الفضلى فى النجاة، وبالنظر إلى أنّ سلوك الطريق فى الظلمات يؤدّى إلى الضلال والسقوط فى المستنقعات فقد شبه القرآن بالنور المبين الذى يحف الإنسان حتى يبلغ الهدف.

وقال فى صفته الثالثة والرابعة بالنسبة للقرآن:

وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّىُ ۱۳۴] النَّاقِعُ ۱۳۵]»

، فالصفات الذميمة والرذائل الأخلاقية سواء تلك التى يتسم بها الفرد أو الجماعة كالأمراض المعضلة وربّما القاتلة وقد ورد علاجها فى ظلال القرآن الكريم، وطالما كان أهم عوامل الحياة وديمومتها هو الماء فإنّ القرآن الكريم يلعب دور الماء فى حياة الإنسان المعنوية، ومن هنا عدّه الإمام عليه السلام وسيلة رى عطاشى الحق.

ثم قال فى الميزة الخامسة والسادسة:

«وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ»

فالإنسان عادة ما يتعرض فى مسيرته نحو الصلاح والسعادة إلى بعض المطبات ولابدّ له من التمسك بما يعونه من الوقوع فى تلك المطلبات. وقال فى الميزة السابعة والثامنة

«لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ ۱۳۶]»

. قطعاً أنّ كلام اللَّه الذى يستند إلى علمه المطلق ليس من سبيل للخلاف والخطأ والانحراف إليه، ذلك لأنّ الخطأ إنّما يقارفه من كان علمه محدوداً وقدرته بسيطة، لا تلك الذات المطلقة العلم والقدرة، ونعلم جميعاً أنّ احدى ملامح اعجاز القرآن، عدم وجود التضاد والاختلاف فى آياته:

«وَلَو كَانَ مِن عِنْدِ غَيرِ اللَّهِ لَوجَدُوا فِيهِ اختِلافاً كَثِيراً»[۱۳۷]

كما

ورد فى سورة الكهف: «الحَمْدَ للَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً»[۱۳۸].

ثم قال فى الصفة التاسعة:

«وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ، وَوُلُوجُ السَّمْعِ»

. أجل فطراوة القرآن وحلاوته ودوره التربوى يسمو على القراءة والتكرار، ذلك لأنّ القرآن كلام اللَّه وكلامه كذاته غير متناهٍ وكلما تدبر الإنسان فيه اكتشف حقيقة جديدة وكلما تطور العلم البشرى كلما تكشفت أبعاد جديدة منه كما قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله

: «لا تُحصَى عَجائِبُهُ وَلا تُبلَى غَرائِبُهُ»[۱۳۹]

أو كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام حين سأله شخص عن تسامى القرآن على التلاوة والتكرار فقال عليه السلام:

«لأنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعالى لَم يَجْعَلْهُ لِزمانٍ دُونَ زَمانَ وَلا لِناسٍ دُونَ ناسٍ فَهُو فِى كُلِّ زَمانٍ جَديدٍ وَعِندَ كُلِّ قَوم غَضٌّ إلى يَوم القَيامَةِ»[۱۴۰].

وأخيراً قال فى الميزة العاشرة والحادية عشرة:

«مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ».

إشارة إلى أنّ القرآن معيار الحق والباطل والنصر والهزيمة، ومن تحدث على ضوء القرآن كان كلامه عين الحقيقة ومن التزم بالقرآن عملًا نال السعادة، ولاغرو فليس من سبيل للخطأ إلى القرآن وهذا ما يجعل الملتزم به قريباً من الحق فى منطقه وسلوكه.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۰۱

القسم الرابع

وقام إليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين، أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عنها؟ فقال عليه السلام:

إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، قَوْلَهُ: «الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَايُفْتَنُونَ» عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَاتَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا؟ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي»، فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتَ لِي: «أَبْشِرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ؟» فَقَالَ لِي: «إِنَّ ذَلِكَ لَكَذلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرى وَالشُّكْرِ.

الشرح والتفسير: الفتنة الكبرى

جاء فى متابعة الخطبة:

«وقام إليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين، أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عنها؟»

فالعبارة تشير إلى أنّ أذهان الناس كانت تساورها وقوع الفتنة، وأراد السائل أن يعرف هل ورد عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله شيء بشأن هذه الفتنة الخطيرة. فأجابه الإمام عليه السلام:

«إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، قَوْلَهُ:

«الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَايُفْتَنُونَ»[۱۴۱]

عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَاتَنْزِلُ بِنَا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۰۲

وَرَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا؟ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِيزَتْ ۱۴۲] عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتَ لِي: «أَبْشِرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ

وَرَائِكَ؟[۱۴۳]» فَقَالَ لِي: «إِنَّ ذَلِكَ لَكَذلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرى وَالشُّكْرِ».

تأمّلان

۱. الرد على بعض الأسئلة

تفيد العبارة الواردة فى الخطبة أنّ الآية: «الم* أَحَسِبَ النَّاسُ ...» أنّها نزلت فى المدينة بعد موقعة أحد، فى حين يتفق المفسرون على أنّ سورة العنكبوت مكية، حيث لم يكن آنذاك شيء عن الجهاد.

قيل فى الجواب عن هذا السؤال: إنّ مكية سورة معينة يعنى نزول السورة بجميع آياتها فى مكة، بل لا يمنع أن تكون أغلب آياتها نزلت فى مكة كما نزلت آية أو أكثر، منها فى المدينة، وقد أمر النبى صلى الله عليه و آله بوضع هذه الآية فى السورة، على غرار

إجماع المفسرين على مكية سورة النحل مع العلم اليقين بنزول ثلاث آيات منها بعد موقعة أحد.

السؤال الثانى: من أين علم على عليه السلام بعد نزول الآية المذكورة أنّ الفتنة لا تقع على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بينما لم تشر الآية إلى هذا الأمر من قريب أو بعيد؟

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۰۳

والجواب واضح فى أنّ المراد من الفتنة خطر الانحراف عن أصول الدين وفروعه والذى يهدد كيان الأُمّة الإسلامية وليس لمثل هذا الانحراف أن يقع طالما كان النبى صلى الله عليه و آله بين ظهرانيهم، ولكن ما أن تغيب شمس النبى صلى الله عليه و آله حتى يستغل المنافقون الفرصة وتبرز الخلافات.

السؤال الثالث: ما تلك الفتنة التى أشار النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى هذه الخطبة إلى وقوعها بعده؟ فقد ورد فى رواية عن النبى صلى الله عليه و آله تعرض للتفاصيل أكثر من رواية نهج‌البلاغة، أنّه قال:

«إنّ أمتى ستفتن من بعدى فتتأول القرآن وتعمل بالرأى وتستحل الخمر بالنبيذ[۱۴۴] والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال فكن جليس بيتك حتى تقلدها، فإذا قلدتها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الأمور»[۱۴۵]. فهذا الحديث الذى ذكره ابن أبى الحديد فى شرحه لهذه الخطبة يبيّن تلك الفتنة الكبرى ۱۴۶].

السؤال الرابع والأخير:

لماذا سأل على عليه السلام بشأن شهادته؟ فهل أشار النبى صلى الله عليه و آله إلى شهادته حين تحدث عن تلك الفتنة؟ والحال لم يرد فى الخطبة ما يشير إلى هذا الأمر؟ والجواب كما أسلفنا أنّ المرحوم السيد الرضى (ره) قد أوجز الخطبة. وقد ورد فى الروايات المفصلة أنّ علياً عليه السلام لما سمع من النبى صلى الله عليه و آله وقوع هذه الفتنة قال: يارسول اللَّه لقد وعدتنى بالشهادة فاسأل اللَّه أن يعجل لى بين يديك. قال صلى الله عليه و آله: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟ أمّا أنى وعدتك الشهادة وستستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه ۱۴۷].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۰۴

۲. الشهادة مفخرة لا مصيبة

القضية الجديرة بالذكر فى هذا المقطع من الخطبة ما ورد من حوار بين النبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام، حيث تطرق النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى مفهوم الصبر الذى يكشف عن ذروة الإيمان وقمة الإيثار والتضحية فى سبيل اللَّه والقيم الإسلامية التى لم تنقل عن شخص آخر على غرار ما هى عليه بالنسبة لعلى عليه السلام، ولعلنا نلمس امتدادات ذلك فى صرخته التى اطلقها عليه السلام حين ضرب فى محراب عبادته وخضب بدمه،

«فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۰۵

القسم الخامس

وَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: «بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ».

الشرح والتفسير: الحيل الشرعية فى استحلال المحرمات

قال الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة الذى يمثل آخرها ومواصلة لنقل كلام النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بخصوص الفتنة التى تقع من بعده:

«وَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ ۱۴۸] بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ».

فقد ركز رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على تفاصيل هذه الفتنة الكبرى وأشار إلى خمس صفات من صفات الفئة التى تعيش ذلك الاختبار. فصرح قبل كل شىء بافتتانهم بأموالهم فى إشارة إلى أنّ المال من المحاور الرئيسية فى الاختبار والامتحان، كما نرى أنّ الأمر كذلك فى كل عصر ومصر، والآخر، أنّهم يعيشون حالة من الغرور

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۰۶

الزائف، ذلك أنّهم يتطاولون على الناس بإسلامهم وكأنّهم يمنّون على اللَّه، ويظنون رغم كل آثامهم بنيل رحمة اللَّه والأمان من عذابه، وهذه هى الحالة التى تستحوذ عادة على جميع الاثمين المغرورين الراضين عن أنفسهم.

قال القرآن الكريم بشأن بعض الأعراب الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً واتسموا بتلك الصفات: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»[۱۴۹].

الميزة الأخرى لهؤلاء أنّهم يحاولون التغطية على أعمالهم السيئة بغية خداع الآخرين وربّما خداع أنفسهم. فهم على سبيل المثال يتناولون الخمور وحين يشكل عليهم بأنّها من المحرمات، قالوا: بل هذا النبيذ الذى كان يشربه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأصحابه، فى حين لم يكن ذلك النبيذ مسكراً ولا حراماً، وقضية ذلك النبيذ أنّ أصحابه بعد أن قدموا إلى المدينة وشكوا من طبيعة الماء، أشار عليهم بقذف عدّة تميرات فى ظرف كبير من الماء. ولم يكن ذلك الماء مضافاً، كما لم تكن التميرات بالحد الذى يؤدّى إلى السكر، فكانوا يشربون من ذلك الماء ويتوضأون به، إلّاأنّ بعض المغرضين استغل هذه القضية وقذف المزيد من التمر وعرضها للحرارة حتى تخمرت وتحولت إلى مسكر، فكانوا يتعاطونه باسم النبيذ[۱۵۰]. على غرار الكثير من الأشخاص ضعاف الإيمان فى الماضى والحاضر الذين يصطلحون على الرشوة بالهدية، كما يمارسون الربا فى معاملاتهم باسم البيع. طبعاً يسعى الآثمون فى الأوساط الدينية التى لا يخفى فيها الإثم ويؤدّى إلى بعض المشاكل بالنسبة لمن يقارفه إلى ممارسة الحرمات من خلال بعض المظاهر الزائفة، وهذا ما تناولته الأخبار الواردة بشأن الفتنة.

ثم اختتم الإمام عليه السلام خطبته فى حديثه مع الرسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۰۷

فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ[۱۵۱]، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: «بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ»

. يبدو أنّ هؤلاء الأفراد يقرون بالتوحيد والنبوّة وكان انحرافهم فى القضايا العملية، ولم يكونوا منكرين حتى لضروريات الدين وكانوا يسعون لتمويه ما يقترفون من محرمات بغطاء الحلال، وعليه لا يجرى عليهم حكم الارتداد، ولم يعاملهم الإمام عليه السلام كمرتدين.

تأمّل: الحرام لا يحلل بالزيف

ما أورده النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بشأن الفتنة لا يقتصر على عهد على عليه السلام بل يمتد ليشمل كل العصور بما فيها عصرنا الراهن. فهنالك العديد من الأفراد الذى يظنون أنّهم فى ركب المؤمنين حين يجرى الكلام عن الأموال والثروة غير المشروعة وكأنّهم

يمنون على اللّه بإسلامهم ويطمعون بعفوه ورحمته. والأسوأ من ذلك ارتكاب الكبائر فى إطار بعض العناوين المباحة والمزيفة، بعبارة أخرى يرتكبون هذه المخالفات من خلال التحايل على القانون واستغلال بعض فقراته المرنة. ولعلنا نشاهد اليوم أغلب المرابين الذين يتشبثون بمختلف الحيل، تارة باسم تبديل العملات النقدية بأخرى وتارة أخرى عن طريق «ضم الضميمة» أى أنّهم يضمون إلى المعاملة شيئاً زهيد القيمة فيبيعونه بقيمة فادحة، وأحياناً باسم تقاضى الأجور وأخرى ببيع الشروط الكاذبة أو حق العمل وذريعة التضخم وسائر العناوين الكاذبة والزائفة لإضفاء الحلية على الربا، حتى عدنا نلمس بوضوح ما قاله النبى صلى الله عليه و آله بهذا الخصوص

«يَأتِي عَلَى النَّاسَ زَمانٌ لايَبقَى أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرِّبا فَإنْ لَمْ يَأكُلْهُ أَصابَهُ مِنْ غُبارِهِ»[۱۵۲]

. حقّاً أنّ هذا النوع من المخالفة للقوانين الشرعية هو أسوأ وأخطر من

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۰۸

المخالفة الصريحة؛ لأنّها قد تستشرى سريعاً فى أوساط المجتمع دون أن تصطدم ببعض الموانع، والحال ليست المعاصى الصريحة بهذا الشكل والتى تصطدم بالكثير من العقبات فى المجتمعات الدينية. أضف إلى ذلك فإنّ هذا الهروب من القانون يعد جريمة مضاعفة؛ فهو ينطوى على معصية الربا إلى جانب الرياء والتلاعب بأحكام الدين. بعبارة أخرى، لا يبقى من القانون والحكم الشرعى فى الهروب سوى صورته الظاهرية مع اسقاط مضمونه وفلسفته؛ فتحريم الربا مثلًا يستند إلى مفاسدة العديدة على النظام الاقتصادى للمجتمع وإثارة السلبية فى خلق الطبقية البغيضة وبروز الطبقة المعدمة إلى جانب تلك المرفهة، ومن هنا عدّته بعض الروايات أسوأ من الزنا بالمحارم وأنّه بمثابة محاربة اللّه، وذكرت سبعاً من مفاسده أوضحناها فى بحث الربا[۱۵۳]. ولنا أن نتساءل: هل تزول هذه المفاسد بممارسة بعض الأمور الظاهرية من قبيل إضافة علبة كبريت أو مقدار من النبات إلى تلك المعاملة الثقيلة؟ كلا. وهل يكمن جوهر المشكلة فى كلمة السحت والربا كما قال المرحوم وحيد البهبهانى وأنّ جميع مساوىء الربا إنّما تعود إلى هذه الألفاظ، أم أنّ هنالك حكمة فى هذا الحكم لا ينبغى الغفلة عنها؟!

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۰۹

الخطبة ۱۵۷

اشارة

يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى التَّقْوى ۱۵۴]

نظرة إلى الخطبة

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة كسائر خطب نهج البلاغة بحمد اللّه والثناء عليه، ثم خاض فى بعض الأمور الحساسة. تطرق فى القسم الأول إلى الاعتبار بالماضين- الذين نشترك معهم فى المصير- ليأخذ بأيدينا إلى أعماق التاريخ لننظر بوضوح لمصيرنا فنظفر بالسعادة.

وأشار فى القسم الثانى إلى أهميّة الورع والتقوى والتزود من الدنيا للآخرة، وحذر من أنّ نهاية الحياة الدنيا ليست معلومة لأىفرد فلا ينبغى الغفلة. وتحدث فى القسم الثالث عن المراصد التى تتابع أعمال الإنسان بما فيها الملائكة والحفظة وحتى جوارح الإنسان وأعضائه.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۱۰

وخاض فى القسم الأخير فى نهاية الحياة وعالم القبر والوحشة هنالك وفناء الدنيا والقيامة من خلال عبارات قصيرة تهز الإنسان وتحثه على اغتنام الفرصة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۱۱

القسم الأول

الْحَمْدُلِلَّهِ الَّذِى جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِى بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ؛ لَايَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ.

آخِرُ فَعَالِهِ، كَأَوَّلِهِ. مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ. فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَالزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ: فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِى الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِى الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِى طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ. فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ.

الشرح والتفسير: انعطافة على المبدأ والمعاد

استهل الإمام عليه السلام الخطبة بحمد اللَّه بعبارات جديدة فقال:

«الْحَمْدُ[۱۵۵] لِلَّهِ الَّذِى جَعَلَ

الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ»

. أمّا بشأن الذكر الوارد فى العبارة، فقد قيل: المراد به القرآن الكريم حسب بعض الآيات التى عبرت عنه بالذكر، وذلك لأن سورة الحمد بداية القرآن (بناءً على أنّ سورة الحمد أول سورة نزلت على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأنّ القرآن جمع بهذا الشكل على عهد

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۱۲

النبى صلى الله عليه و آله بأمره وقد صدر بسورة الحمد[۱۵۶]. أو أنّها إشارة إلى بعض السور القرآنية التى تصدرت بالحمد كسورة الحمد والأنعام والكهف وسبأ وفاطر. أو أنّ الذكر مطلق ذكر اللَّه كما ورد فى الأحاديث عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«كل كلام لا يبدأ فيه بحمد اللَّه فهو أجذم»[۱۵۷]

. ومن هنا نشاهد أغلب خطب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والمعصومين عليهم السلام تستهل بحمد اللَّه والثناء عليه. والعبارة (سبباً للمزيد من فضله) إشارة للآية الكريمة:

«لَئن شَكَرتُم لأزِيدَنَّكُم»[۱۵۸]

وهنا لابدّ من الإلتفات إلى أنّ الحمد ورد فى أغلب الآيات القرآنية بمعنى الشكر. والعبارة (دليلًا على عظمته وآلائه) إشارة إلى أننا حين نحمد اللَّه ونشكره فإننا نكون قد توجهنا إلى نعمه وآلائه إلى جانب التفاتنا لمقام عظمته.

ثم خاطب الإمام عليه السلام عباد اللَّه ليحذّرهم من تقلب الدنيا ويوصيهم بالاعتبار بمن سبقهم من الماضين فقال:

«عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الدَّهْرَ[۱۵۹] يَجْرِى بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ»

. والعبارة تشير إلى موضوع معروف فى أنّ التاريخ يعيد نفسه وأنّ حوادث اليوم هى حوادث الأمس بتغيير طفيف. ويقول موضحاً ذلك

«لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ، آخِرُ فَعَالِهِ، كَأَوَّلِهِ. مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ».

أجل، لو تمعنا قليلًا لعرفنا أنّ سلسلة من الأصول تحكم تاريخ البشرية وأنّها تبرز كل يوم بصيغة جديدة، ومن هنا يستطيع كل فرد

الوقوف على مستقبله من خلال دراسة تاريخ الماضين، ذلك أنّ تاريخ الأمس مرآة عاكسة لأحداث اليوم. فهنالك على الدوام فئة تمسك بزمام الأمور وتسيطر على كل شيء ولا تمضى عليها مدّة حتى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۱۳

يدب فيها الضعف والعجز وتتخلى عن تلك السلطة مختارة أو مرغمة إلى الآخرين «فَإِذا جَاءَ أَجَلُهُم لايَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ»، كما جرت العادة على أنّ يولد الفرد طفلًا ثم يصبح شاباً يافعاً وبالتالى يسير إلى الشيخوخة والهرم لينتظر أجله فيلتحق بقافلة الموتى ويتوسد التراب.

وما أن يفرغ الإمام عليه السلام من هذا الأمر حتى يسدى نصائحه ومواعظه

«فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ ۱۶۰] حَدْوَالزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ»

. وبالنظر إلى أنّ الزاجر تطلق على من يسوق الجمال بسرعة، والشوال جمع شائلة التى تطلق على الجمال الخفيفة، أى التى مضت مدّة على وضعها لحملها وقد جفّ ثدياها وبالطبع لا يلتفت إليها الراعى، نستنتج أنّ الدهر يسوق الناس سراعاً إلى الفناء. فما أسرع الليالى والأيّام والسنوات والأشهر، إلى جانب الحوادث المفاجئة والأمراض وسائر الأمور التى تستهدف حياة الإنسان.

ثم يلفت عليه السلام الانتباه بعد ذلك التحذير إلى هذه الحقيقة:

«فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِى الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ ۱۶۱] فِى الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِى طُغْيَانِهِ،

وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّيءَ أَعْمَالِهِ»

. فكل إنسان ينطوى على بعض المناقص والمثالب ونقاط الضعف وليس له من سبيل سوى إصلاحها ليتدرج فى المسيرة نحو الإنسان الكامل فيستحق قرب اللّه وخلافته، أمّا من صوب نظره خارج ذاته وانهمك بسائر قضايا الناس كالمال والثروة والجاه فلا مناص أنّه سيعيش الحيرة والارباك، والأسوأ من ذلك أنّ الشياطين تتخطف هذا الإنسان الغافل فتسوقه إلى الطغيان وتزين له سوء أعماله حتى يراها من مواطن قوته فيفخر بها، ومن الطبيعى أنّ مثل هذا الإنسان لا سبيل لديه إلى النجاة. صرح القرآن بشأن مثل هذا الفرد: «كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[۱۶۲].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۱۴

وأشار عليه السلام فى ختام هذا القسم من الخطبة إلى مصير هذا العمل فقال:

«فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ»

والمراد طبعاً من السابقين، السابقين فى ميدان طاعة اللّه وهدفهم الجنّة، على غرار ماورد فى القرآن الكريم: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا»[۱۶۳] العبارة (والنار غاية المفرطين) إشارة إلى الأفراد الذين تؤول أمورهم إلى النار بفعل تقصيرهم وعدم استغلالهم الفرص؛ حيث يقول القرآن الكريم بشأن مثل هؤلاء الأفراد: «قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا»[۱۶۴].

تأمّل: كيف يعيد التاريخ نفسه

تاريخ البشرية سلسلة من الأحداث الجمة المتنوعة والمختلفة، ولكن ما أن نتأملها بدقة حتى نستطيع التوصل إلى خصائص تلك الأحداث المختلفة وتقولبها فى فئات معينة وعناوين خاصة، وبعض تلك الخصائص كما يلى:

۱. الزوال السريع للنعم والسلطات: نعم، فالنعمة والسلطة تأتى بسرعة وتزول كذلك وتنتقل من طرف لآخر.

۲. التقلب: التقلب هو احد مميزات حوادث هذا العالم فما أن يتعلق الإنسان بشيء حتى يفقده، وما أن يذوب فى شخص حتى يفجع به.

۳. غدر الدنيا: وقد ضرب المثل بهذا الشأن حتى قيل (لمن صفت الدنيا لتصفو لنا).

۴. النصر والهزيمة: ما زالت ذاكرة التاريخ حافلة بالكثير من الأفراد والطوائف

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۱۵

الذين عاشوا الانتصار وغروره ولكنهم ما لبثوا أن تجرعوا غصص الذل والهوان ومرغت انوفهم بوحل الهزيمة.

۵. استبدال الود بالعداء والعكس: فأقرب مقربى الإنسان اليوم قد يصبح عدوه فى الغد كما أنّ أعداء الأمس قد يصبحون أصدقاء اليوم، الأمر الذى نلاحظه بجلاء فى حياة الساسة والحكام.

۶. الترحم واللعن: الذى يبقى فعلا ويدعو إلى الذكر الحسن لدى الناس هو أعمال الخير والبر والمروءة والاخلاص، والعكس صحيح، فليس للظلم والطغيان سوى اللعن.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۱۷

القسم الثانى

اعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ. أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى

عِبَادَ اللَّهِ، اللَّهَ اللَّهَ فِى أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُم، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ. فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ! فَتَزَوَّدُوا فِى أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ. قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ؛ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ، لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ. أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ!

عِبَادَاللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ.

عِبَادَاللَّهِ، احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ.

الشرح والتفسير: تقلب الدنيا

قال الإمام عليه السلام هنا- بعد أن خاض فى تقلب أحوال الدنيا واعد المخاطبين لاستماع المواعظ والإرشادات:

«اعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لَايَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ»

. إشارة إلى أنّ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۱۸

التقوى ملكة باطنية قوية تحول دون مقارفة الإنسان للذنب وهذا ما يؤدّى بدوره إلى الاحتراز من انعكاسات الذنب الخطيرة فى الدنيا والآخرة، بعكس الأفراد المجانبين للورع والتقوى والذين يصبحون عرضة لنفوذ الشياطين وأهواء النفس وبالتالى السقوط فى مستنقع الذنب والفضيحة فى الدنيا وسوء العذاب فى الآخرة.

ثم تطرق عليه السلام إلى آثار التقوى فقال:

«أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ[۱۶۵] الْخَطَايَا،

وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى

فالإمام عليه السلام يشبه سطوة الذنوب بالحشرات السامة كالحية والعقرب. نعم، فالتقوى هى التى تمنح الإنسان الحياة، ولما كانت التقوى واليقين لازماً وملزوماً لبعضهما البعض فقد صرح الإمام عليه السلام بأنّ من ينطق باليقين يبلغ الهدف، والتقوى تزيل عقبات الطريق ولا يفرز عدم التقوى سوى ضعف اليقين.

فهل يسع من يوقن بهذه الآية:

«إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً»[۱۶۶]

أن يأكل مال اليتيم؟ وهل يسعك أن تجد شخصاً يتناول قطعة من النار ويضعها فى فمه؟! ثم قال فى اطار حثّ الآخرين على التزود من الدنيا للآخرة:

«عِبادَ اللَّهِ، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ»

. قطعاً المراد من (أعز الأنفس) فى هذه العبارة نفس الإنسان، ذلك لأنّ حب الذات مسألة طبيعية لدى الإنسان وإن تعلق بشخص أو شيء ففى ظل غريزة حب الذات (بغض النظر عن أولئك الذين تجاوزوا ذواتهم ولم يعودوا يروا سوى اللَّه وذاته المطلقة ولا يرومون سواه. على كل حال، فالمراد: إن لم ترحموا أحدا فعلى الأقل ارحموا أنفسكم وإن غفلتم عن مصالح الآخرين فلا تغفلوا عن مصالحكم، فهذا الأمر مودع فى فطرتكم.

ثم حذر قائلًا:

«فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ. فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ!»

. وخاض أخيراً فى بيان أسباب نيل السعادة الدائمة واجتناب

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۱۹

الشقوة الدائمة فقال:

«فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ. قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ ۱۶۷]، وَحُثِثْتُمْ ۱۶۸] عَلَى الْمَسِيرِ»

. جدير ذكره أنّ المراد من الزاد: التقوى والعمل الصالح الذى أشار إليه القرآن: «وتَزودَوا فإنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوى [۱۶۹]. والعبارة (أمرتم بالظعن ...) يمكن أن تكون إشارة إلى أمر تشريعى ورد فى الآيات المرتبطة بفناء الدنيا وأنّ كل شخص سيذوق فى خاتمة المطاف طعم الموت على ضوء الدلالة الالتزامية، كما يمكن أن يكون إشارة إلى أمر تكوينى؛ لأنّ اللَّه خلق أسباب الحركة بحيث يسرع الطفل نحو الشباب والشباب إلى الكهولة وحث الخطى نحو دار البقاء، وقد أصدر أمره بحث الحركة نحو أسباب العفو والمغفرة: «وَسارِعوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ»[۱۷۰]. كما ورد فى الخطبة ۳۱ من نهج البلاغة فى وصية الإمام عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام

: «يابنى من كانت مطيته الليل والنهار، فإنّه يسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً».

ثم واصل كلامه بتشبيه بليغ فقال:

«فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ ۱۷۱] وُقُوفٍ، لَايَدْرُونَ مَتَى

يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ»

. لعل هنالك من يتساءل كيف التوفيق بين عبارة الإمام عليه السلام وقوله (أمرتم بالظعن) التى اردفها بالعبارة (لا يدرون متى يؤمرون بالسير)؟ وإنّ أدنى تأمل يفيد أنّ العبارة الأولى إشارة إلى الحركة فى الدنيا نحو الكمال والمسارعة فى أعداد عناصر العفو والمغفرة، أمّا العبارة الثانية فهى تشيرالحركة من الدنيا إلى الآخرة.

على كل حال فقد ورد هذا التشبيه فى سائر مواضع نهج البلاغة ومنها الكلمات القصار حيث قال عليه السلام:

«أَهلُ الدُّنيا كَرَكْبٍ يُسارُ بِهِم وَهُم نِيامٌ»[۱۷۲]

وهذا النوم هو الغفلة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۲۰

التى يعيشها أغلب الناس. ثم قال فى توضيح هذه الحقيقة:

«أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ ۱۷۳]

وَحِسَابُهُ!»

. إن كانت دارنا الأصلية هى دار الآخرة والدار الدنيا ليست سوى ممر فما معنى تعلقنا بهذه الدنيا؟ وما معنى كل هذا السعى والجهد من أجل جنى الأموال ولو عن طريق مزج الحلال بالحرام وهى ليست سوى وديعة لدينا وإنّ يوماً سنفارقها ونحاسب عليها؟

ثم استعان الإمام عليه السلام فى اطار حثه الآخرين على الخير والإحسان واجتناب الشر والسوء بمنطقين مؤثرين؛ الأول الذى قال فيه:

«عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ»

. إشارة إلى أنّ من أمر ونهى ووعد بالثواب وتوعد بالعقاب ليس فرداً عادياً يمكن الريبة فى كلامه.

والثانى الذى قال فيه:

«عِبَادَ اللَّهِ، احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ وَتَشِيبُ ۱۷۴] فِيهِ الْأَطْفَالُ»

. ففى ذلك اليوم ستخضع جميع الأعمال مهما كانت صغيرة لدراسة دقيقة، كما قال القرآن الكريم: «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ»[۱۷۵]، والمراد من كثرة الزلازل فى ذلك اليوم زلزلة الافكار وارتعاد القلوب من هول المحشر وخوف نتيجة الأعمال. صحيح أنّ نهاية العالم ستشهد زلزلة بمعناها الحقيقى والتى تقلب كل شىء رأساً على عقب، وما ورد فى العبارة إشارة إلى الزلزلة الفكرية والاضطراب الذى يعانيه الإنسان فى ساحة الحشر. والعبارة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۲۱

«تشيب فيه الأطفال»

كناية عن عمق وشدة ذلك المشهد وهو التعبير السائد لدينا فى المكالمات اليومية حين نقول: إنّ تلك الحادثة مثلًا تشيب الإنسان، كما ورد فى القرآن الكريم: «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً»[۱۷۶] نعم، ذهب البعض إلى أنّ شيب الأطفال هنالك بالمعنى الحقيقى لا الكنائى، إلّاأنّ هذا الاحتمال بعيد، فليس هنالك مايشير إلى أنّ الطفل الذى يتلقى العذاب يشيب بفعل هول العذاب.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۲۳

القسم الثالث

اعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لَاتَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُورِتَاجٍ وَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقاً بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ. فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ! وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَايِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.

الشرح والتفسير: حضور المحكمة الإلهيّة

أشار الإمام عليه السلام اتماماً لمواعظه السابقة إلى ثلاثة أمور مهمة؛ الأول، بشأن حفظة الأعمال، والثانى، الموت والقبر، والثالث، الحساب يوم القيامة والتى من شأنها تنبيه الغافل ويقظته من سبات الغفلة، فقال فى الأمر الأول:

«اعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ».

ثم وضح طبيعة هؤلاء المراقبين فقال:

«لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ۱۷۷]، وَلَا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۲۴

يُكِنُّكُمْ ۱۷۸] مِنْهُمْ بَابٌ ذُورِتَاجٍ ۱۷۹]»

. العبارة

«أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُم»

إشارة إلى شهادة أعضاء بدن الإنسان وجوارحه وجلده يوم القيامة، كما عبّر عن ذلك القرآن الكريم: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[۱۸۰] ثم قال:

«شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ»[۱۸۱]. بالنظر أنّ معنى «الرصد» الرقيب، و «عيون» بمعنى الاطلاع فإنّ المفردتين من قبيل الإجمال والتفصيل؛ أى أنّ مراقبى أعمال الإنسان فى الدرجة الأولى أعضاؤه وجوارحه التى تنطق يوم القيامة وتشهد على جميع أعماله. أمّا ما ذهب إليه بعض شرّاح نهج البلاغة من أنّ «الرصد» يعنى وجدان الإنسان الذى يلومه على الأعمال السيئة، فليس بصحيح؛ لأنّ الوجدان قاضى الباطن لا المراقب والشاهد الكامن فى مفهوم الرصد. وهل هذه الشهادة بلسان القال والنطق المتعارف أم بلسان الحال وشهادة الآثار؟ الاحتمالان واردان؛ لأنّ أى عمل يقوم به الإنسان تنعكس آثاره على جميع أعضائه وستظهر هذه الآثار يوم القيامة لتفصح عن جميع أعماله التى أتى بها طيلة عمره، كما يمكن تبديلها إلى أمواج صوتية يسمعها الجميع. والعبارة

«وَحُفَّاظَ صِدْقٍ»

إشارة إلى الملائكة الموكلة بضبط أعمال الإنسان، كما ورد فى القرآن الكريم: «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ* كِرَاماً كَاتِبِينَ* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ»[۱۸۲] وهنا يرد هذا السؤال المعروف: ما حاجة اللَّه إلى هؤلاء الملائكة رغم علمه الذى أحاط بكل شىء وأنّه أقرب إلينا من حبل الوريد؟ وتتضح الاجابة عن هذا السؤال من خلال الالتفات إلى هذه النقطة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۲۵

وهى أنّ الإنسان كائن مادى وليس له من معرفة عميقة بعالم ماوراء المادة ولا يشعر بقرب اللَّه منه؛ إلّاأنّه يدرك هذا المطلب تماماً حين يقال له إنّ أعضاء بدنك ستشهد عليك يوم القيامة، كما يعير هذا الموضوع أهميّة كبرى إن قيل له: عليك ملكان يكتبان كل أعمالك، وهذا بدوره يمثل عنصراً مهمّاً فى ردعه عن ارتكاب الذنوب والمعاصى. فاللَّه سبحانه وتعالى أراد بكل وسيلة أن يصد عباده عن الذنوب، وشهادة الأعضاء والملائكة واحدة من هذه الوسائل.

الغريب فى الأمر أنّ هؤلاء الحفظة يحصون على الإنسان حتى عدد أنفاسه ولا يحتاجون فى كتابتهم لأعمالنا لأدنى سراج ومصباح، فهم يكتبون حتى فى عتمة الظلمة المطلقة، ولكن ما كيفية هذه الكتابة؟ قطعاً ليس ذلك من قبيل كتابتنا وإن لم نحط علما بتفاصيل ذلك.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه عن الموت والقبر الذى يهزّ الغافل بعنف فقال:

«وَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ. يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقاً بِهِ»

. المراد من

«الغد»

قرب نهاية العمر والموت الذى إن غفل عنه الإنسان يهوى فى مستنقع الغفلة فإن رآه قريباً راقب أعماله وقام بوظيفته وتاب من ذنوبه. حقاً أنّ نهاية العمر ليست بعيدة مهما عمّر الإنسان، ذلك أنّ الأشهر والسنين تمرّ بسرعة إلى جانب الحوادث غير المتوقعة والأمراض التى تهجم على الإنسان فجأة وتقضى عليه. وذهب بعض الشرّاح لنهج البلاغة إلى أنّ المراد ب

«الغد»

فى العبارة المذكورة غد القيامة، وهذا المعنى وإن كان قريباً إلّاأنّ المعنى الأول وبالاستناد إلى العبارات القادمة التى تحدثت عن القبر أنسب.

ثم ذكّر الجميع بوحشة القبر فقال:

«فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ[۱۸۳] حُفْرَتِهِ. فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ!».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۲۶

أجل، فالإنسان الذى لا يتحمل الوحدة لساعة ويعيش دائماً بين صحبه وقرابته وأهله، لا يكاد يغمض عينيه عن هذه الدنيا حتى يفارق الجميع وإلى الأبد فينزل حفرة مظلمة ومرعبة فى وحدة وغربة مطلقة، فيالها من غربة أليمة صعبة، اللّهم إلّا أن يظفر بأصحاب جدد من أعماله الصالحة فتجعل الملائكة قبره روضة من رياض الجنّة، لا حفرة من حفر النار.

قال الإمام الصادق عليه السلام

نفحات الولاية ؛ ج۶ ؛ ص۱۲۶

«إِنَّ لِلقَبْرِ كَلاماً فِى كُلِّ يَومٍ يَقُولُ: أَنا بَيْتُ الغُرْبَةِ، أَنْا بَيْتُ الوَحشَةِ، أَنا بَيْتُ الدُّودَ، أَنا القَبْرِ، أَنا رَوضَةٌ مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ أَو حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ»[۱۸۴].

وأخيراً ما أن يفرغ الإمام عليه السلام من بيان الموت والقبر حتى يتجه صوب القيامة ومحكمة العدل الإلهى ليحذر الجميع قائلًا:

«وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَايِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا»

. «وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ»

، فى العبارة، إشارة إلى صيحة القيامة التى توقظ جميع الموتى وتنشرهم من قبورهم وتدفعهم إلى الحساب. يستفاد من الآيات والروايات أنّ العالم ينتهى بصيحة عظيمة يقال لها نفخة الصور الأُولى ثم تتبعها صيحة عظيمة أخرى تدعى نفخة الصور الثانية، وما ورد فى الخطبة بقرينة ما بعدها من عبارات، إشارة إلى النفخة الثانية. والتعبير بالساعة، إشارة إلى القيامة، لأنّ الساعة تعنى فى الأصل، برهة من الزمان أو لحظة عابرة، ولما كان قيام الساعة سريعاً والحساب أيضاً سريعاً لاستناده للّه سريع الحساب فقد عبّر عن القيامة بالساعة.

«لِفَصْلِ الْقَضَاءِ»

، القضاء الذى يفصل الحق من الباطل وزوال الأباطيل واضمحلال العلل، إشارة إلى خلو القيامة من الكذب والاعذار الواهية والحجج الجوفاء وكل ما هنالك هو الحق والحقيقة. والعبارة

«وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۲۷

مَصَادِرَهَا»،

إشارة إلى أنّ كل شخص يرى نتيجة عمله وكل يحل فى مكانه الأصلى هنالك. والإمام عليه السلام يرى القيامة قريبة إلى الحد الذى جعله يقول بأنّ كل شىء كأنّه قد وقع ونفخ فى الصور وقامت القيامة وخرج الموتى للحشر من قبورهم ونصبت موازين العدل وحصلت نتيجة الأعمال، وكل ذلك يشير إلى مدى قصر عمر الدنيا بالنسبة للآخرة.

وقد عبّر القرآن الكريم عن القيامة فقال:

«يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ»[۱۸۵]

كما عبّر عنها بيوم الفصل الذى يفصل الحق عن الباطل وعبّر عنها بسرعة الحساب، وقال فى موضع أخر:

«وَلا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ»[۱۸۶]

و

«يَوْمَ هُمْ

بارِزُونَ»[۱۸۷]

و

«يَوْمُ تُبلَى السَّرائِرُ»[۱۸۸].

واختتمها بالقول:

«فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ»

. و

«عبر»

جمع عبرة، إشارة إلى الحوادث الجديرة بالاعتبار والتى عادة ما يحفل بها تاريخ الإنسان وسيشهدها فى حياته، و

«غِيَر»

جمع غيرة بمعنى التغيير، إشارة تغيير النعم ونزول البلاء وتقلب الدهر، و

«نذر»

جمع نذير، والتى تشمل الأنبياء والأوصياء والآيات والروايات وحوادث الدهر.

تأمّلان

۱. الشهود على الأعمال

رغم أنّ اللّه شاهد وناظر لأعمالنا فى كل حال وزمان ومكان وعلمه الذى أحاط بكل شىء الكافى فى عدم شرود أدنى صغيرة وكبيرة، إلّاأنّه وللمبالغة فى الحجة ولفت أنظار المحسنين والمسيئين إلى مراقبة أعمالهم، فقد وكل بنا إضافة لذلك،

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۲۸

العديد من الشهود ومنها:

۱. أعضاء البدن وجوارحه حتى الجلود على ضوء ما ورد فى الآيات. والغريب فى الأمر اتضاح هذه الحقيقة بعد طرح قضية الإنسان الشبه من أنّ كل ذرة من ذرات بدن الإنسان استبطنت إنساناً كاملًا، والأغرب، الاستفادة من جلد الإنسان فى هذا الموضوع.

۲.

«الحَفظة»

و

«الكتّاب»

أى الملائكة الموكلة بثبت الأعمال.

۳. الأرض التى نعيش عليها هى الشاهد الآخر، جاء فى القرآن: «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا»[۱۸۹].

۴. الزمان الذى نعيش فيه من الشهود علينا يوم القيامة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَا مِنْ يَوْمٍ يَمُرُّ عَلى ابْنِ آدَمَ إِلَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ اليَوْمُ: يابْنَ آدَمَ أَنا يَوْمٌ جَدِيدٌ وَأَنا عَلَيكَ شَهِيدٌ فَقُلْ فِيَّ خَيراً وَاعْمَلْ فِيَّ خَيْرَاً أَشْهَدُ لَكَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ»[۱۹۰].

۵. شهادة الأنبياء أعظم من كل ذلك، لنص القرآن الكريم فى شهادة كل نبيٍّ على أعمال أمّته يوم القيامة وشهادة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله على الجميع: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً»[۱۹۱] هكذا يخضع الإنسان طيلة عمره لهؤلاء الشهود ومن الجهات الست، وحق لمن آمن بحقيقة هؤلاء الشهود أن يراقب أعماله ويتحفظ عن الأخطاء.

۲. ثلاث عبارات عميقة المعنى

العبارة

«فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ»

، تنطوى على ثلاثة مفاهيم تكفى لايقاظ الإنسان من نوم الغفلة حيث تشير كل واحدة إلى حقيقة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۲۹

مستقلة. فالعبارة الأُولى ترى كفاية العبر فى الموعظة، وتشمل هذه المفردة كافة الحوادث الخطيرة فى الماضى والحاضر، بل حتى الحوادث الطبيعية. من قبيل الذهاب والإياب والليل والنهار يمكنها أن تكون عبرة لمن اعتبر: «يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ»[۱۹۲]. والعبارة الثانية تشير إلى الوعظ فى التغييرات التى تطال حياة الإنسان والعالم. فأعزّة الأمس أذلّة اليوم، وأذلّة الأمس أعزّة اليوم، ما أسرع ما يحكم الحاكم ويعتلى المحكوم سدة الحكم، والشباب آيل الكهولة والعجز، والطفل الضعيف سرعان ما يشب ويهرم، ما كان غضاً بالأمس أصبح اليوم تحت التراب فى المقابر المهجورة، وهذا الضجيج المرتفع اليوم سيخمد بعد سنوات، يالها من دروس وعبر؟! العبارة الثالثة أنّ السن الأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء والآيات كلها مشرعة بالتحذير وهى تنادى الحذر الحذر والعمل العمل.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۳۱

الخطبة ۱۵۸

اشارة

يُنَبِّهُ فِيها على فَضْلِ الرَّسُولِ الأَعْظَمِ صلى الله عليه و آله وَفَضْلِ القُرْآنِ، ثُمّ حَالِ دَوْلَةِ بَنى أُمَيَّةَ[۱۹۳]

نظرة إلى الخطبة

تتكون هذه الخطبة من قسمين: يؤكد الإمام عليه السلام فى القسم الأول على رسم صورة عن عصر البعثة وأهميّة القرآن وعظمته وأنّه الدواء لكل داء والعلم المتعلق بالماضى والحاضر والمستقبل. أمّا فى القسم الثانى فيشير إلى فتنة بنى أميّة ومدى ظلمهم وطغيانهم وسعة حجمه، إلّاأنّه يواصل كلامه بأنّ هذه الحكومة لن تدوم طويلًا وستولّى إلى غير رجعة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۳۳

القسم الأول

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ؛ فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ. ذلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِى، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِى، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.

الشرح والتفسير: الكتاب الذى استوعب كل شىء

أشار الإمام عليه السلام فى مطلع الخطبة إلى الوضع على عهد الجاهلية والذى تزامن مع بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال:

«أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ[۱۹۴] مِنَ

الْأُمَمِ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ ۱۹۵]»

. ومضمون هذه العبارات من قبيل العلة والمعلول.

فالفترة التى توسطت عصر ظهور الأنبياء السابقين وخاتمهم كان سبب نوم الغفلة الذى غطت فيه الأُمم وهذه الغفلة أدّت إلى ذلك الانتقاض المبرم، بمعنى تقطع وشائج الحقائق ونظام الحياة البشرية التى وقعت فى وحل المعصية والظلمة. ثم تطرق عليه السلام إلى بعثة النبى الخاتم والكتاب الذى جاء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية:

«فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ»

. فقد قام النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بمهمتين؛ إنّه بيّن للناس المعارف والأحكام التى تنسجم مع الأصول الكلية لمعارف وأحكام من مضى من الأنبياء، والأخرى حمله لمشعل الهداية الذى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۳۴

أضاء ظلمات الجهل والضلال. ثم خاض عليه السلام فى بيان هذا النور المتمثل بالقرآن:

«ذلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ»

. لقد شبهت أغلب الآيات القرآن بالنور، ومنها ما ورد فى سورة المائدة: «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ»[۱۹۶]، وسورة الاعراف: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»[۱۹۷]، وكما يضيئ النور أجواء الحياة ويحول دون تعثر الإنسان فى الظلمة والضلال وينمى النباتات ويرعى جميع الكائنات الحية، فللقرآن مثل هذه المهام فى حياة الإنسان المادية والمعنوية.

المراد من

«بِتَصْدِيقِ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ»

وبالنظر إلى أن بين يديه تعنى هنا ما قبل ليس تصديق التوراة والانجيل الذين طالهما التحريف، بل هى إشارة إلى تلك الكتب السماوية التى نزلت على موسى وعيسى عليهما السلام كما لا يعنى هذا التصديق أنّ الإسلام يتفق مع هاتين الديانتين فى جميع التفاصيل، بل المراد الأصول الكلية التى تشكل المحور المشترك لكافة الأديان السماوية، وإن طبقها الإسلام على مستوى أرفع وأوسع.

والعبارة

«وَلَنْ يَنْطِقَ»

لا تعنى أنّ القرآن لا ينفتح على أى شخص (سوى الأئمّة المعصومين عليهم السلام)، وذلك لأنّ القرآن نزل بلسان عربى مبين ومنطق واضح جلى وقد أمر الجميع بالتدبر فيه والاصغاء إلى مواعظه ليعيشوا الرجاء من خلال آيات البشارة والخوف من خلال آيات الوعيد والانذار. وعليه فالمراد من

«وَلَنْ يَنْطِقَ»

فيما يتعلق ببطون القرآن والأسرار الكامنة فيها، فهذه البطون من اختصاص النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والائمّة المعصومين عليهم السلام.

ومن هنا قال:

«أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِى، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِى، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ»

. فالعبارة

«عِلْمَ مَا يَأْتِى»

كما أوردها بعض شرّاح نهج البلاغة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۳۵

إشارة إلى المسائل المرتبطة بالآخرة من قبيل الحساب والكتاب والصراط والجنّة والنار، ولكن يبدو أنّها إشارة إلى الحوادث المستقبلية لهذا العالم والكامنة فى بطون هذا القرآن والتى يعلم بها المعصومين عليهم السلام بقرينة العبارة القادمة

«وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِى»

، التى تشير إلى الأمم السابقة وشرح سيرتها، كما قيل: هى إشارة إلى بداية الخليقة والعصور الأولى لخلق هذا العالم. والعبارة

«وَدَوَاءَ دَائِكُمْ»

إشارة إلى التعاليم والمفاهيم التى تعالج كافة أنواع الأمراض الأخلاقية والاجتماعية «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»[۱۹۸].

والعبارة الأخيرة:

«وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ»

، إشارة إلى جميع القوانين التى تنظم شؤون المجتمع البشرى وتزيل العوائق وتنشر الأمن والاستقرار وبسط العدل والقسط فى ربوع البلاد.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۳۷

القسم الثانى

ومنها: فَعِنْدَ ذلِكَ لَايَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً. فَيَوْمَئِذٍ لَايَبْقَى لَهُمْ فِى السَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلَا فِى الْأَرْضِ نَاصِرٌ. أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ، مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ. وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ الْآثَامِ. فَأُقْسِمُ، ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِى كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ، ثُمَّ لَاتَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ!

الشرح والتفسير: حكومة الظلم ودولة الطغيان

أشار الإمام عليه السلام هنا إلى فتنة بنى أمية الشاملة والتى تلقى بظلامها على جميع المسلمين دون أن تغادر مسلماً إلّاوجرعته غصص ظلمها وطغيانها، إلى جانب تعذر الفرار من تلك الفتنة، وهى ليست سوى نتيجة طبيعية لأعمال الناس، فقال:

«فَعِنْدَ ذلِكَ لَايَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ[۱۹۹] وَلَا وَبَرٍ[۲۰۰] إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً[۲۰۱]، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً»

يمكن أن يرد الهم والغم بيتاً دون أن يرده الظلم، أمّا ظلم بنى أمية فقد بلغ درجة بحيث عمّ الهم والغم كل مكان، إلى جانب البلاء

والمصائب، وذلك لأنّ ولاة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۳۸

بنى‌أمية كانوا جميعاً من بطانتهم الذين سادتهم روح الظلم والانتقام بغية الاحتفاظ بسلطتهم لأقصى مدّة ممكنة.

ثم قال عليه السلام:

«فَيَوْمَئِذٍ لَايَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ.

أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ»

ونفهم من هذه العبارة أنّها تخاطب أولئك الذين صمتوا إزاء الظلم والطغيان بعد أن قصروا فى أداء مسؤولياتهم، والدليل على ذلك العبارة

«أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ»

؟ وجاء مثل هذا المعنى فى الخطبة ۱۹۲ التى قال فيها:

«وَإِنَّكُم إِنْ لَجَأْتُمْ إِلى غَيرِهِ حارَبَكُم أَهْلُ الكُفْرِ ثُمَّ لَاجِبرَائِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا مُهاجِرُونَ وَلَا أَنصارٌ يَنْصُرُونَكُم»

وليس من الصواب ما ذهب إليه بعض شرّاح نهج البلاغة من أنّ المخاطب بالعبارة المذكورة هم الحكام الظلمة والذى يتابع فيه كل صغيرة وكبيرة من أعمالهم السيئة:

«وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ، مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ ۲۰۲]، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ[۲۰۳] وَالْمَقِرِ[۲۰۴]، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ.

وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا[۲۰۵] الْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ ۲۰۶] الْآثَامِ»

. إشارة إلى أنّ اللَّه سيجرعهم كل بلاء يصبوه على الناس وسيذيقهم مرارة الذلة إزاء كل لذة حصلوا عليها من مناصبهم، وقد شهروا سيوفهم على رقاب الناس، وسيسلط اللَّه عليهم من يضع السيف فى أعناقهم. وقد ثبت وقوع كل هذه الأحداث كما أخبر عنها الإمام عليه السلام وقد انتقم اللَّه من بنى أمية شر انتقام بحيث دبّ الرعب والهلع فى صفوف من تبقى منهم حتى فروا إلى المناطق النائية ولم يخلفوا لأنفسهم سوى الفضيحة والعار واللعنة الأبدية.

والعبارة:

وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ»

تشبيه لطيف ورائع. فقد شبههم بالحيوانات

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۳۹

حيث باءوا بخطايا الناس إثر جهلهم وافتقارهم للعقل والشعور، على غرار ما وصف به القرآن الكريم تلك الطائفة من الكفار:

«وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ»[۲۰۷].

ثم اختتم الخطبة بنبوءة حاسمة أخرى بشأن مصير بنى أمية فقال:

«فَأُقْسِمُ، ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنْخَمَنَّهَا[۲۰۸] أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ، ثُمَّ لَاتَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا

أَبَداً مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ!»

. فقد أورد الإمام عليه السلام عبارة عجيبة بشأن دولة بنى أمية على أنّهم شابوا الحكومة الإسلامية بالارجاس والأدناس والقذارة والظلم والفساد فأصبحت كالمواد المخاطية التى يدفعها الصدر والرأس، بحيث سينتهى الأمر إلى ما لا يطيقونه أنفسهم على غرار ذلك الذى يهم بطرح تلك المواد، فسيفقدون تلك السلطة ولا يظفرون سوى بلعنات الناس.

تأمّلان

۱. وظيفة الحاكم والرعية

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى مسألتين مهمتين تتعلقان بحوادث التاريخ المريرة؛ الأُولى وظيفة ومسؤولية الحاكم، والأخرى مسؤولية الرعية.

فالإمام عليه السلام لا يقتصر بإلقاء المسؤولية على الحاكم فى ممارساته الظالمة، بل يحمل الأُمّة المستسلمة والراضية بهذا الظلم جزءاً من تلك المسؤولية. فالحكّام ومرتزقتهم إنّما يمثلون فئة معينة، ولو مارست الأُمّة وظيفتها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعدم الرضا والسكوت إزاء الظلم لما سهل على مثل هؤلاء الأفراد الأخذ بزمام الأمور ليعيشوا فى الأرض الفساد ويهلكوا البلاد والعباد.

فالإمام عليه السلام يحمل الأُمّة وأعمالها ماصب عليها من البلاء على أيدى حكومة بنى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۴۰

أمية الظالمة، فأنتم الذين أسهمتم فى توطيد دعائم هذه الحكومة، وأنتم الذين سلمتم مقاليد الدولة لغير أصحابها، وأنتم الذين تصمتون اليوم إزاء هذه الجرائم، ولعل هذا من الألطاف الإلهية بغية العودة إلى أنفسكم وسلوك طريق الحق «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»[۲۰۹]. طبعاً تحميل الأُمّة مسؤولية تجاوز الحكّام الظلمة لا يعنى سلب تلك المسؤولية عن أولئك الحكّام، ومن هنا تطرق الإمام عليه السلام العذاب الشديد الذى ينتظرهم، فبيّن بعبارات قصيرة عميقة المعنى مصيرهم الأسود ونهايتهم الأليمة.

۲. فاجعة نهاية دولة بنى امية

نعلم أنّ دولة بنى أمية استغرقت أكثر من ثمانين سنة لتحكم من قبل ۱۴ حاكماً من حكّام بنى أمية وقد حكم البعض منهم لأقل من شهرين، إلّاأنّ التاريخ لم يشهد مثيلًا لظلمهم الذى طال الناس عامة ولا سيّما أهل بيت النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وبنى هاشم. وبالطبع فإنّ بنى أمية لم يشهدوا الأمان والراحة طيلة مدّة حكمهم حيث كانت تتوالى عليهم الثورات والنهضات، فكانوا يقمعونها بقوّة الحديد والنار وسفك المزيد من الدماء، حتى قامت عليهم الأُمّة بأسرها دفاعاً عن آل محمد إثر الشعار الذى رفع آنذاك «الرضا لآل محمد»[۲۱۰]

والذى لم تكن نتيجته سوى مجى بنى العباس. أصدر الخليفة العباسى أوامره بقتل جميع بنى أمية فوقع فيهم القتل بما لا يحصى، حتى نبشوا القبور وأحرقوا من كان فيها منهم (من أراد المزيد فليراجع آخر الخطبة ۱۰۶ الجزء الرابع والخطبة ۹۳ الجزء الأول والجزء الثالث). وذكر المرحوم العلّامة التسترى فى الجزء السادس من شرحه لنهج البلاغة أنّه حين قتل مروان

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۴۱

آخر خلفاء بنى أمية مروان، هجم عامر بن إسماعيل على داره وكان فيها ونسائه.

فغلقوا الأبواب وتعالت الصرخات. فأمسك عامر برجلٍ وسأله عن عائلة مروان.

قال أمرنى مروان إن قتلت فاقتل جميع بناتى (حتى لا يقعن فى أيدى الآخرين) لكنى لم أفعل. وهنا احضروا له اثنتين من بناته، فأمر بوضع رأس مروان فى حجر بنته البكر وقال لها: معذرة، هذا ما فعلتموه برأس يحيى بن زيد حين وضعتم رأسه فى حجر أمّه، وكنتم أول من فعل ذلك والبادىء أظلم، ثم أمر بقتلهم جميعاً[۲۱۱].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۴۳

الخطبة ۱۵۹

اشارة

يُبَيِّنُ فِيها حُسْنَ مُعَامَلَتِه لِرَعِيَّتِه ۲۱۲]

نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى قضية لطيفة فى أنّه عاملهم قدر المستطاع بالرفق والاحسان على ما بدر منهم من حسن التصرف والسلوك رغم قلته وكثرة إساءة التصرف فعفى عن كثير ظلمهم وما يكنون من العداء والبغضاء.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۴۵

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِى مِنْ وَرَائِكُمْ. وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ، وَحَلَقِ الضَّيْمِ، شُكْراً مِنِّى لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ وَإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ، وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ، مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ.

الشرح والتفسير

الدعم المطلق

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة القصيرة إلى أياديه الكريمة وخدماته للمسلمين والتابعين لحكومته وأوجزها فى أربع عبارات فقال:

«وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ»

المراد من حسن الجوار أن يعتمد الإنسان حالة التعايش السلمى المقرون بالأدب والاحترام وحسن التصرف تجاه الوسط الآخر من الأصدقاء وتحمل مساوئهم بحيث بشعرون بالارتياح لتواجده بينهم. وسيرة الإمام عليه السلام لاسيّما إبان عهد حكومته تفيد أنّه كان يعامل الآخرين بالعطف والمحبة، حتى كان يتفقد اليتامى والأرامل ليلًا ويحمل لهم الطعام ويلبى حاجاتهم، كما كان يداعب الأطفال ويسهر على راحتهم، ويواسى المهمومين ويدارى المخالفين ويسعى جهده للترويح عن الموالين والمحبين. على العكس تماماً من عهد حكومة عثمان الذى بالغ وولاته فى ايذاء الناس، ولم يسلم منهم حتى كبار الصحابة كأبى ذر وعمار بن ياسر وعبد اللَّه بن مسعود، فكان أن نفى الصحابى الجليل أبا ذر إلى تلك الأرض القاحلة الجرداء حتى مات فيها، كما اندفعت بطانته لتنال من عمار بذلك الأسلوب الهمجى البشع لمجرّد اعتراضه على بعض الممارسات، فكسرت أسنانه وأشبعوه ركلًا ورفساً، كما شددوا على عبد اللَّه بن مسعود حتى قيل إنّه فارق الحياة إثر التعذيب. وإن ساوى على عليه السلام

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۴۶

بين عقيل وسائر المسلمين فى العطاء من بيت المال، فإنّ قرابة عثمان تهافتت على بيت المال حتى عدت العراق بستان قريش وبنى أمية[۲۱۳].

ثم قال:

«وَأَحَطْتُ بِجُهْدِى مِنْ وَرَائِكُمْ»

. أى أنّى حفظتكم من وساوس شياطين الجن والانس فى مسيرة طاعة اللَّه وعبوديته، ودفعت عنكم شر الأعداء. وأشار إلى دوره فى عتقهم من قيود الذل والظلم والأسر فقال:

«وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ ۲۱۴] الذُّلِّ،

وَحَلَقِ ۲۱۵] الضَّيْمِ ۲۱۶]»

. وذلك لأنّ عهد عثمان وحكومة بنى أمية وبنى مروان وسيطرتهم على مقدرات المسلمين شهدت اتساع رقعة الظلم والجور الذى وصل إلى كل مكان، ولم يكن هنالك من اعتبار سوى لأولئك الأفراد المتعاونين مع السلطة والمستبدين؛ وقد أنقذهم أمير المؤمنين على عليه السلام من هذه الحكومة القبلية وحررهم من أيدى شرار بنى أمية وبنى مروان.

ثم اختتم خطبته بالإشارة إلى دوافعه من تلك الأعمال الحسنة تجاههم والتى لا تنبعث من اقرارهم بحقه وفضله بل:

«شُكْراً مِنِّى لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ وَإِطْرَاقاً[۲۱۷] عَمَّا أَدْرَكَهُ

الْبَصَرُ، وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ، مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ»

. فالواقع مراد الإمام عليه السلام أنّكم لم تسدوا إلىَّ معروفا لأكافئكم عليه، بل ما أكثر الخطوب والمحن التى خلفتموها علىَّ، فإن أسديت لكم معروفاً ففى سبيل اللّه وأداء الوظيفة الشرعية. وعلى ضوء هذا التفسير فإنّ

«الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ»

فى هذه العبارة إشارة إلى تمرد الناس وغدرهم بالإمام عليه السلام، بينما فسّرها البعض من الشرّاح بالمنكرات بهذا الحجم على عهد الإمام عليه السلام ولم ينهاهم ويردعهم عنها؟ فأجابوا: لم يكن بوسع الإمام عليه السلام الحيلولة دون بعض

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۴۷

المنكرات المتجذرة، أو لو أراد منعها لآل الأمر إلى مفسدة أعظم. لكن كما ذكرنا فإنّ المراد من المنكر ليس ما ذهب إليه أولئك الشرّاح ليرد ذلك الإشكال وضرورة دفعة. والمراد المساوىء التى مارسوها بحق الإمام عليه السلام والدليل على ذلك العبارة السابقة: «لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ».

هذا، وقد ورد مثل هذا المعنى فى سائر خطب نهج البلاغة كالخطبة ۹۷ التى قال فيها:

«وَلَقَدْ أَصْبَحَتْ الأُمَمُ تَخافُ ظُلْمَ رَعاتِها وَأَصْبَحْتُ أَخافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِى».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۴۹

الخطبة ۱۶۰

نظرة إلى الخطبة[۲۱۸]

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى مطالب متعددة تشكل بعض التعاليم القيمة بشأن تهذيب النفس ومعرفة اللّه حيث يمكن خصرها فى خمسة أقسام:

القسم الأول: تحدث فيه عن عظمة اللّه وحمده والثناء عليه بذكر أسمائه وصفاته.

القسم الثانى: جرى الكلام فيه عن حقيقة الرجاء بصفته أحد أركان السعادة الإنسانية.

القسم الثالث: تطرق فيه الإمام عليه السلام إلى جانب من صفات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأفعاله وأقواله التى ينبغى التأسى بها من قبل الجميع إلى جانب سائر صفات الأنبياء كموسى وداود وعيس عليه السلام.

القسم الرابع: عودة إلى صفات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وهى الصفات التى ينبغى أن يتحلى بها الجميع.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۵۰

القسم الخامس: أشار فيه الإمام عليه السلام إلى تواضعه واختتمه بالمثل الرائع

«فَعِنْدَ الصَّباحِ يُحْمَدُ القَومُ السُّرى .

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۵۱

القسم الأول

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى ما تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي؛ حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ. حَمْداً يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ. حَمْداً لَايُحْجَبُ عَنْكَ، وَلَا يُقْصَرُ دُونَكَ.

حَمْداً لَايَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ «حَيٌّ قَيُّومٌ، لَاتَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ». لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ.

أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمَالَ، وَأَخَذْتَ «بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ». وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ. فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ وَالِهاً، وَفِكْرُهُ حَائِراً.

الشرح والتفسير: عجز العقول امام عظمة اللّه

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى أربعة مواضيع فقال:

«أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ»

أى يستند أمره إلى الحكمة رغم قاطعيته على العكس من المستبدين والمقتدرين الذين يصدرون الأوامر الصارمة دون أدنى حكمه.

ولمفردة (أمره) فى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۵۲

العبارة معنى واسع يشمل الأوامر التكوينية: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»[۲۱۹] والأوامر التشريعية: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى [۲۲۰].

والحكمة واضحة فى كلا الأمرين تتضمن مصالح العباد والبلاد.

ثم قال:

«وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ»

يمكن أن يرضى الناس عن فرد ويأمنوه، إلّاأنّ أمانهم مشوب بالخوف والرهبة، بينما لا ينطوى أمان اللّه سوى على الرحمة، كما تحدث فى العبارة التالية عن قضاء اللّه، فقال:

«يَقْضِي بِعِلْمٍ»

خلافاً لقضاء الإنسان الذى يمتزج عادة الجهل وعدم العلم.

ثم قال فى المقطع الرابع:

«وَيَعْفُو بِحِلْمٍ»

. نعم، عفوه بحلم ومن يعفو عنه لا يؤاخذه ولا يعاقبه، بخلاف البعض الذين يسعون لعقاب الآخرين حين يعفون عنهم لإطفاء غضبهم، كما هنالك من يعفو عن الآخرين لطفاً ورحمة. ثم اتّجه الإمام عليه السلام صوب حمد اللّه والثناء عليه وقد تكرر هذا الحمد ثمان مرات فى هذا الجانب من الخطبة حيث أورد صفة خاصة لكل مرحلة، ثم خاض فى هذا الحمد والثناء بأسلوب بليغ وفصيح فقال:

«اللَّهُمَّ لَکَ الْحَمْدُ عَلَى ما تَأْخُذُ وَتُعْطِی، وَعَلَى مَا تُعَافِی وَتَبْتَلِی»

أی أحمدک وأُثنی علیک فی کل الاحوال، ذلک لأنّ الخیر والسعادة منک، فإن أفضت نعمة فتلک کرامة وإن سلبتها کان ذلک عن عنایة. وإن منحت الصحة والعافیة فتلک سعادة وإن أمرضت وابتلیت فعن مصلحة، فلا تفعل إلّاالحکمة وکل ما یأتی منک رحمة.

ثم خاض الإمام علیه السلام فی صفات هذا الحمد لیوجزها فی ستة أوصاف لیجعله حمداً جامعاً شاملًا من جمیع النواحی فقال:

«حَمْداً یَکُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَکَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَیْکَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَکَ. حَمْداً یَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَیَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ.

حَمْداً لَایُحْجَبُ عَنْکَ، وَلَا یُقْصَرُ دُونَکَ. حَمْداً لَایَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا یَفْنَى مَدَدُهُ».

نفحات الولایة، ج۶، ص: ۱۵۳

فهذا الحمد جامع شامل یتجاوز الزمان والمکان والعدد والقصور والحجاب.

أضف إلی ذلک فهو حمد علی العافیة والبلاء والأخذ والعطاء فهو حمد علی کل شیء وفی کل زمان ومکان وعلی کل حال. ثم خاض علیه السلام فی صفات الجلال والجمال لیورد أوصافاً بلیغة أعرب فیها عن العجز عن إدراک عظمة اللَّه، فقال:

«فَلَسْنَا نَعْلَمُ کُنْهَ عَظَمَتِکَ»

ذلک لأنّ اللَّه وجود مطلق ولا- متناهٍ من جمیع الجهات، وهل من نصیب للإنسان المحدود مهما کان هذا الإنسان سوی العجز عن إدراک غیر المحدود. إلّاأنّ الإمام علیه السلام وبغیة دفع التصور الخاطئ من أنّ هذا الکلام ربّما یعنی عدم إمکان معرفة اللَّه وتعطیل صفاته تطرق مباشرة إلی المعرفة الإجمالیة من خلال بیان ثمان صفات من صفاته الثبوتیة والسلبیة علی أننا وإن عجزنا عن إدراک کنه ذاتک المقدّسة

«إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّکَ

«حَیٌّ قَیُّومٌ، لَاتَأْخُذُکَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ»».

ثم واصل علیه السلام کلامه قائلا:

«لَمْ یَنْتَهِ إِلَیْکَ نَظَرٌ، وَلَمْ یُدْرِکْکَ بَصَرٌ. أَدْرَکْتَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْصَیْتَ الْأَعْمَالَ، وَأَخَذْتَ

«بِالنَّوَاصِی وَالْأَقْدَامِ»». طبعاً وصف اللَّه بالحیاة لیس المراد منه الحیاة الواقعیة بمعنی العلم المطلق والقدرة التامة علی جمیع الوجود. والقیوم القائم بذاته والذی یقوم به غیره، لأنّه واجب الوجود، وواجب الوجود غنی عن الغیر ولکل محتاج إلیه. والعبارة

«لَا تَأْخُذُکَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ»

إشارة إلی أنّ علمه ولطفه دائم علی العباد، لا أنّه یلتفت أحیاناً ویحف عباده بالعنایة وأخری ینام فینساهم. والعبارة

«لَمْ یَنْتَهِ إِلَیْکَ نَظَرٌ ...»

إشارة إلی أنّ علم الإنسان لا یسعه الاحاطة بذاته المقدّسة- لأنّ ذاته مطلقة- کما لا یسع البصر الظاهر رؤیته، لأنّه لیس بجسم ولیس له جهة ولا لون، بینما یدرک سبحانه حرکات العیون ویحاسب علی أدنی الأعمال. والمراد من

«بِالنَّوَاصِی وَالْأَقْدَامِ»

- بالنظر إلی أنّ النواصی جمع ناصیة بمعنی شعر مقدمة الرأس والأقدام جمع قدم- قدرة اللَّه وغلبته لکل شیء، ذلک أنّ الإنسان متی أخذ منه ناصیته أو قیدت رجلاه سلب القدرة تماماً.

نفحات الولایة، ج۶، ص: ۱۵۴

ثم خاض الإمام علیه السلام فی عالم الخلقة وعظمته لإثبات تلک الصفات الجمالیة والجلالیة من خلال عبارات عمیقة ورصینة تفید أنّ العالم الذی نراه وندرکه رغم عظمته لا یشکل بالنسبة لما لا نراه وندرکه سوی قطرة إلی بحر فقال:

«وَمَا الَّذِی نَرَی مِنْ خَلْقِکَ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِکَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِیمِ سُلْطَانِکَ، وَمَا تَغَیَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ

عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ»

. نعم، ما نراه اليوم رغم اتساع العلوم والمعارف بشكل مذهل بشأن عالم الخلقة- لغيض من فيض ما لا- نراه وندركه. والعلماء المعاصرون يتحدثون اليوم عن عوالم لا تكون كرتنا الأرضية بالنسبة لها سوى نقطة فى كتاب ضخم!! كما يتكلّمون عن كرات عظيمة فى هذا الكون تفوق كرتنا الأرضية بثلاثين ملياراً! وأجرام سماوية عملاقة تفوق الشمس بثلاثة مليارات مرّة (وهى الأجرام التى تجذب كل شىء من حولها حتى النور الذى ينعكس حين اصطدامه ببعض الأجسام)، ومن هنا لا نراها سوى قطع سوداء متناثرة هنا وهنالك فى السماء، وتضم كرتنا الأرضية رغم صغرها ملايين النباتات والحيوانات التى تغوص فى أعماق البحار والغابات والتى لم يتعرف عليها العلماء لحد الآن ولا- يمكن رؤيتها بالعيون المجردة. أجل، فعالم الملك والملكوت على قدر من السعة بما تعجز العقول عن إدراكه وتحير الأفكار فى عظمته فضلًا عن عظمة اللَّه فى خلقه، وهذا بدوره أعظم درسٍ فى التوحيد ومعرفة اللَّه.

ورد فى الرواية عن الإمام السجاد على بن الحسين عليه السلام أنّه قال:

«لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّماءِ والأَرْضَ أَنْ يَصِفُوا اللَّهَ بِعَظَمَتِهِ لَمْ يَقْدِرُوا»[۲۲۱].

ثم قال عليه السلام مواصلًا خطبته:

«فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ ۲۲۲] خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۵۵

عَلَى مَوْرِ[۲۲۳] الْمَاءِ أَرْضَكَ، رَجَعَ طَرْفُهُ ۲۲۴] حَسِيراً[۲۲۵]، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً[۲۲۶]، وَسَمْعُهُ وَالِهاً،

وَفِكْرُهُ حَائِراً»

. فقد ركز الإمام عليه السلام بهذه العبارات اللطيفة العميقة المعنى على أربعة أمور بشأن عظمة الخلق؛ إقامة العرش، وبداية الخلق، وتعليق الكرات فى السماء، وظهور الأرض من تحت الماء، وكل واحدة أعجب من الاخرى ثم أشار عقبها إلى أثار هذه الحيرة من قبيل تعب العين وعجزها، وبهت العقول، ووله السمع، وحيرة الفكر. أمّا بشأن تفسير العرش فهنالك كلام كثير، والمستفاد من آية الكرسى أنّ العرش عالم فوق السماء والأرض، حيث ورد فى القرآن بشأنه: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ». جدير ذكره أنّ الملوك القدماء كان لهم عرشان؛ عرش صغير يطلق عليه الكرسى يستعملونه فى الأيّام الاعتيادية، وآخر مرتفع يسمى العرش يعتلونه فى الأعياد والمناسبات الرسمية، ثم أصبح هذان التعبير أنّ كناية عن مختلف درجات العظمة، والقرآن يعد السماوات والأرض التى نراها كرسى اللَّه، وعليه فعرشه أرفع من ذلك. ومن هنا ربّما يكون العرش إشارة إلى عالم ماوراء الطبيعة، أى عالم الملائكة والكروبيين ۲۲۷] أوعالم المادة الذى ليس لدينا من سبيل إليه.

والعبارة

«وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ»

يمكن أن يكون إشارة إلى دحو الأرض وظهور اليابسة من المياه؛ لأنّ المياه عمت بادىء الأمر الكرة الأرضية برمتها، ثم تخللت فجوات الأرض وشقوقها بالتدريج حتى ظهرت اليابسة. أجل لا يمتلك الإنسان سوى الحيرة والذهول أن فكر بشأن عالم الخليقة وما ينطوى عليه

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۵۶

من عجائب وغرائب وأسرار، وهى الحيرة التى تلفت نظرنا إلى عظمة الخالق وضرورة معرفته وتنزيهه عمن سواه.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۵۷

القسم الثانى

منها: يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ، كَذَبَ وَالْعَظِيمِ! مَا بَالُهُ لَايَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ. وَكُلُّ رَجَاءٍ- إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ، إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَايُعْطِي الرَّبَّ! فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً؟ أَوْ تَكُونَ لَاتَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً؟ وَكَذلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَايُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً وَوَعْداً. وَكَذلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْداً لَهَا.

الشرح والتفسير

عبيد الدنيا

بعد أن أشار الإمام عليه السلام إلى عظمة اللَّه وحمده وأثنى عليه وتطرق إلى علامات ذاته المقدّسة فى عالم الوجود، خاض فى وعظ الغافلين وإرشادهم وركز على مسألة من أهم المسائل وهى الخوف حيث كشف حقيقته وشرح تفاصيله وفضح الكاذبين فى دعواهم إيّاه فقال:

«يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ، كَذَبَ وَالْعَظِيمِ![۲۲۸]»

. ثم خاض فى ذكر الدليل فقال:

«مَا بَالُهُ لَايَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ

رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ»

. فهذا دليل واضح فالفلاح الذى يرجو جنى ثمار مزرعته ينهمك فى سقيها ودفع الآفات عنها وتوفر كافّة مقدمات الانبات والأثمار، فإن ادّعى مزارع الرجاء لكنه جلس فى بيته ولم يقدم على أى عمل فسوف يتفق الجميع على أنّ رجاءه كاذب فهو يتخيل الرجاء دون واقعية لذلك الخيال، فالرجاء الصادق المقرون بطاعة اللَّه والسير على سبيله والفوز برضاه. قيل للإمام الصادق عليه السلام أنّ جماعة يرتكبون الذنوب ويرجون عفو اللَّه ورحمته فقال:

«كَذَّبُوا لَيْسُوا بِرَاجِينَ أَنَّ مَنْ رَجا شَيئاً طَلَبَهُ وَمَنْ خافَ شَيئاً هَرَبَ مِنْهُ»[۲۲۹].

ثم خاض عليه السلام فى تفاصيل ذلك الخوف والرجاء فقال:

«وَكُلُّ رَجَاءٍ- إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ ۲۳۰] وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ ۲۳۱] إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ».

يبدو دليل ذلك واضحاً فليس هنالك من مبدأ للخير سوى اللَّه وكل من قدر على الإتيان بالخير فبمعونته (لا مؤثر فى الوجود إلّااللَّه). وعليه فلا ينبغى التعلق سوى باللَّه والرجاء لما عنده، فالذى ينفع ويضر ويثيب ويعاقب هو اللَّه وحده وليس للآخرين من ذلك شىء كما ورد فى القرآن الكريم: «وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»[۲۳۲]. صحيح أنّ اللَّه ترك للعبد قدرة الإتيان بالأعمال، إلّاأنّ ذلك لا يعنى سلب القدرة عن ذاته المقدّسة. ولذلك لابدّ من حصر الرجاء فى تلك الذات والخوف من مخالفتها.

ثم إشار عليه السلام إلى قضية مهمّة تكمن فى تضاد أعمال الناس بخصوص موضوع الخوف والرجاء. فلو أمل شخص شخصاً آخر فى مسألة لابدّ له من الخضوع والخشوع، وإن خاف شيئاً أيضاً حسب له ألف حساب، بينما لا يبدى مثل هذه الحساسية تجاه اللَّه تبارك وتعالى سواء على مستوى الرجاء والأمل أو الخوف وحتى فى القضايا المهمّة، فهنالك تواضع يبديه لسائر العباد يفوق نظيره للَّه تعالى:

«فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ!».

ثم واصل كلامه عليه السلام بالإشارة إلى سبب ذلك فقال:

«فَمَا بَالُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً؟ أَوْ تَكُونَ لَاتَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً؟»

حقاً أنّ الإنسان الذى يؤمن باللَّه وأنّه قادر على كل شىء ويؤمن برحمانيته ورحيميته وفضله وكرمه، لا يمكن أن يكون أمله باللَّه كاذباً، أو أن لا يراه أهلًا للأمل. لو تأملنا قليلًا هذه الأفكار لأدركنا بما لا يقبل الشك أصل الانحراف عن التوحيد ومعرفة اللَّه. فالحقيقة أنّ عصارة كلام الإمام عليه السلام هى أننا نرى أنّ بعض الأفراد يتجهونالبعض الآخر لحاجة صغيرة فيبدون لهم صنوف الاحترام والاجلال، بينما لا تشاهد منهم هذه الأمور حين يقصدون اللَّه لحاجاتهم الكبرى، وليس هنالك من تفسير لهذه القضية سوى ضعف مثل هؤلاء الأفراد وعجزهم عن معرفة اللَّه والوقوف على صفاته الجلالية والجمالية.

ثم انتقل الإمام عليه السلام منالرجاء إلىالخوف وقارن بين خوف اللَّه وخوف العبد، فقال:

«وَكَذلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَايُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً وَوَعْداً»[۲۳۳].

قطعاً أنّ سبب هذا الازدواج يعزى إلى ضعف الإيمان، ذلك لأنّ قدرة العباد هشة مقارنة بقدرة اللَّه، فلو فرضنا جميع قدراتهم، ومضة، لكانت قدرة اللَّه بحاراً من

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۶۰

النيران بالنسبة لتلك الومضة، فكيف يتعرف الإنسان على هذين الميدانين للخوف فيخاف الومضة ولا يخاف بحار النار؟! طبعاً يمكن أن يكون منشأ هذا التفاوت، الأمل المفرط بلطف اللَّه وكرمه والذى تفرزه بالطبع الغفلة، لأنّه أرحم الراحمين فى موضع العفو والرحمة وأشد المعاقبين فى موضع النكال والنقمة. ولما كان هذا التعامل الازدواجى تجاه اللَّه والعباد ناشىء من ضعف المعرفة وضيق الافق، فقد خاض الإمام عليه السلام فى اختتامه لهذا الكلام فى هذا التعامل الازدواجى للإنسان حيال الدنيا والآخرة، فقال:

«وَكَذلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْداً لَهَا».

أجل، أنّ عبيد الدنيا عديمو المعرفة لا يرون سوى متاع الدنيا الزائل وحطامها الفانى ويغفلون عن نعيم الآخرة الدائم، وهذا ما يدعوهم لايثار الدنيا على الآخرة وتقديم رضا المخلوق على الخالق. على العكس من عباد اللَّه من أهل الورع والتقوى الذين وصفهم الإمام عليه السلام فى خطبة المتقين:

«عَظُمَ الخالِقُ فِي أَنْفُسِهِم فَصَغُرَ ما دُونَهِ فِي أَعْيُنِهِم».

العبارة

«فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْداً لَهَا»

إشارة إلى حقيقة هى أنّ طلاب الدنيا عادة ما ينتهى بهم الأمر إلى الخروج عن عبودية اللَّه والاشتغال بعبودية الدنيا وطاعة النفس والهوى والشيطان، وبالتالى الخروج من معسكر التوحيد وعبودية اللَّه إلى معسكر الشرك وعبودية الدنيا. أجل عاقبة أمرهم ماآل إليه أمر عمر بن سعد حيث لم ير شيئاً سوى الدنيا متمثلة بملك الرى وغفل عن عذاب جهنم ونعيم الجنّة فاختار ذلك الموقف:

ألا إنَّما الدُّنْيا لِخَيْرٌ مِعَجَّلٌفَمَا عَاقِلٌ باعَ الوُجُودَ بِدَيْنِ ۲۳۴]

تأمّل

الخوف والرجاء

إنّ أقوى دافع نحو الحركة باتجاه الورع والتقوى يتمثل بالخوف من عقاب اللّه والرجاء لرحمته وعفوه. وليس لأحد أن يحلق فى سماء الحق ويقترب من ساحة القدس الربانى دون العنصرين المذكورين. فعلى غرار التلميذ الذى يأمل تذوق طعم النجاح من خلال رجائه الموفقية والحصول على الدرجات العالية إلى جانب الخوف من الرسوب فى الامتحان، فيجد ويجتهد ويجند طاقاته من أجل العلوم والمعارف، يبدو لابدّ من هذا الرجاء والخوف فى الجانب المعنوى أيضاً.

ورد فى الحديث الشريف أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال:

«أَعْلَى النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ أَخْوَفُهُم مِنْهُ»[۲۳۵].

وقال الصادق عليه السلام:

«لا يَكُونَ المُؤمِنُ مُؤمِناً حَتّى يَكُونَ خائِفاً رَاجِياً، وَلا يَكُونَ خائِفاً رَاجِياً حَتّى يَكُونَ عامِلًا لِمَا يَخافُ وَيَرجُو»[۲۳۶]

. والإنسان لا يمكنه الاستفادة من هذين المفهومين، الخوف والرجاء أنّ زعمهما كذباً، والتأكيد من عدم الكذب بهذا الشأن يكمن فى الموازنة والعمل على أساسهما، إلّاأنّ المؤسف له هو أنّ أغلب الناس صادقون فى رجائهم وخوفهم بالنسبة لأمور الدنيا، لكنهم ليسوا كذلك بالنسبة للاخرة. لقد ظهر الآن مرض شديد هو مرض ذات الرئه: «والذى يطلق عليه الالتهاب الرئوى اللانمطى» القاتل حيث بلغ عدد الوفيات سته بالمئة بالنسبة للمصابين بهذا المرض، ويبد وأنّ طرق الوقاية التى اتخذت بهذا الشأن تفوق التصور، فقد عمدوا إلى رش السموم فى المناطق الملوثة، والجميع يرتدى الأقنعة الواقية، وإن عثروا على من يظن أنّه مصاب يعزلونه عن الآخرين، كما هنالك تفتيش دقيق لكافةالمسافرين حين يهبطون فىالمطارات. حقّاً هذا هوالخوف الصادق.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۶۲

والسؤال الذى يرد هنا: هل يبدى المؤمنون مثل هذا الخوف من عذاب اللّه يوم القيامة الذى يفوق هذا الأمر بما لا يحصى؟! يتعجب الإمام عليه السلام فى الخطبة المذكورة من كيفية شعور الإنسان بذلك الخوف من بعض الحوادث الطفيفة بينما لا يعيش مثله من اللّه! والأمر كذلك بالنسبة للرجاء؛ نعم، أولياء اللّه كانوا يرتعشون خوفاً من اللّه فى محراب عبادتهم، وكان يسمع من بعضهم أنين وتأوه. الكلام بهذا الشأن كثير والهدف هنا إشارة سريعة لاتمام المباحث، ونختتم البحث بهذا الحديث. قال الإمام الصادق عليه السلام: كان أبى يقول:

«إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤمِنٍ إِلّا وَفِى قَلْبِهِ نُورَانِ، نُورُ خِيفَةٍ، وَنُورُ رَجاءٍ لَو وُزِنَ هَذا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذا وَلَو وَزِنَ هَذا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذا»[۲۳۷].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۶۳

القسم الثالث

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا، وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا.

الشرح والتفسير: التأسى بالنبى صلى الله عليه و آله

تحدث الإمام عليه السلام فى العبارات الأخيرة من المقطع السابق عن أولئك الأفراد الذين ذاعوا فى الدنيا فأصبحوا عبيدها الأذلّاء بعد أن ولّوا ظهورهم لكل شىء وأخلدوا إلى الدنيا. وقد سعى الإمام عليه السلام لإيقاظ هذه الفئة المتهافتة على الدنيا من خلال الاقتداء بجوانب من سيرة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومن سبقه من الأنبياء، وقد ركز بادىء الأمر على رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال:

«وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا[۲۳۸]

وَمَسَاوِيهَا»

جدير ذكره أنّ الإمام عليه السلام يرى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله هنا اسوة ودليل. والواقع هو أنّ العبارتين تنتهيان إلى نتيجة واحدة وهى اقتناء آثار ذلك النبى الأعظم وتكييف الحياة على ضوء حياته، لكن هنالك تفاوتاً لطيفاً فى المعنى؛ فالأُسوة إشارة إلى أننا نكيف حياتنا طبق حياة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أمّا الدليل، فإشارة إلى أنّه يدعونا إلى الآخرة.

ثم ذكر عليه السلام توجيه ذلك التأسى فقال:

«إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۶۴

أَكْنَافُهَا، وَفُطِمَ ۲۳۹] عَنْ رَضَاعِهَا، وَزُوِىَ ۲۴۰] عَنْ زَخَارِفِهَا[۲۴۱]».

فقد عاش رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين كان القياصرة والأكاسرة يرتعون فى الجزيرة العربية، وقد واصل تلك الحياة البسيطة المتواضعة حتى حين تزعم الدولة الإسلامية وحاز على الغنائم العظيمة، وكان يفخر صلى الله عليه و آله بتلك المعيشة فيقول:

«الفَقْرُ فَخْرِى»[۲۴۲]

فالعبارة لا- تعنى أنّه لم يكن بوسع النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الحصول على تلك الحياة وأسلوب العيش، بل لم يكن شخصياً يرغب فى مثل تلك المعيشة، ومن هنا ورد فى الرواية أنّه هبط عليه أحد الملائكة وبيده مفتاح خزائن الدنيا فقال:

«يا مُحَمَّدُ هَذِهِ مَفاتِيحُ خَزَائِنُ الأَرضِ يَقُولُ لَكَ رَبُّكَ إِفْتَحْ وَخُذْ مِنها ما شِئْتَ مِنْ غَيرِ أَنْ تَنْقُصَ شَيئاً عِنْدِى»

، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله

: الدُّنيا دَارُ مَنْ لادَارَ لَهُ وَلَها يَجْمَعُ مَنْ لاعَقْلَ لَهُ.

فقال الملك:

أُقْسِم بِاللَّهِ الَّذِى بَعَثَكَ نَبِيّاً بِالحَقِّ، إِنِّى سَمِعْتُ هَذا الكَلامَ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّماءِ الرَّابِعةِ حِينَ تَسَلَّمْتُ هَذِهِ المَفاتِيحُ»[۲۴۳].

والعبارة

«إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا»

إشارة أنّ حكومة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسلطته لم تكن كحكومة القياصرة والأكاسرة، والعبارة

«وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا»

إشارة إلى عدم تناوله الأطعمة اللذيذة المتنوعة، والعبارة

«وَزُوِىَ عَنْ زَخَارِفِهَا»

أنّه لم يستفد من القصور الفارهة والمراكب الهنيئة والثياب الفاخرة. على كل حال فقد استعان الإمام عليه السلام بأعظم أُسوة وركز على حياة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إزاء أولئك الذين إنقادوا للدنيا وقصروا همتهم عليها. النبى الذى كان يجلس على التراب ويعيش كأضعف الأفراد ولم يكن لديه أحياناً سوى ثوب واحد وقد اعترض على ابنته فاطمة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۶۵

الزهراء عليها السلام حين وضعت ستاراً جديداً على باب دارها وقد لبست بعض الحلى من الفضة لا الذهب، وسنخوض فى المزيد بهذا الشأن فى ختام هذه الخطبة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۶۷

القسم الرابع

وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَيْثُ يَقُولُ:

«رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ». وَاللَّهِ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ.

وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُودَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ؛ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!

الشرح والتفسير: زهد الأنبياء

أشار الإمام عليه السلام فى البحث السابق إلى جانب من حياة النبى صلى الله عليه و آله كأسوة بالمؤمنين فى الزهد، ثم تطرق هنا إلى هذا الجانب فى حياة ثلاثة من سائر الأنبياء ليتضح من خلال ذلك أنّ هذا الأمر كان محوراً فى حياة الأنبياء فكانوا أُسوة لأُممهم، فقال:

«وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَيْثُ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۶۸

يَقُولُ:

«رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ»». ثم خاض عليه السلام فى تفسير العبارة المذكورة وهى آية من آيات سورة القصص على لسان موسى عليه السلام حين وروده إلى مدين فقال:

«وَاللَّهِ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ ۲۴۴] صِفَاقِ ۲۴۵] بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ ۲۴۶] وَتَشَذُّبِ ۲۴۷] لَحْمِهِ»

. فرَّ موسى عليه السلام إلى الشام ثم مدين إثر دفاعه عن أحد أفراد بنى اسرائيل وقتله لأحد اتباع فرعون ومطاردته من قبل الأجهزة الفرعونية والبحث عنه فى مصر، ولم يكن يحمل فى سفره متاعه وحيث لم يكن يستجدى أحداً من الناس فقد اضطر لأكل نبات الأرض فهزل بدن موسى عليه السلام وضعف خلال هذه المدّة بفعل المسافة الطويلة التى قطعها ماشياً من بلد إلى بلد آخر وقد بلغ الضعف مداه بحيث كانت تبدو خضرة البقول من بطنه. وقد سأل اللَّه سبحانه طعاماً يسد رمقه ويزيل جوعه، بينما كان باستطاعته سؤال اللَّه عيشة هانئة وسفراً مريحاً. صحيح أنّ موسى عليه السلام كان يمر بظروف عصيبة اضطرته إلى تلك الأزمة العنيفة، إلّاأنّ المهم أنّه لم يسأل اللَّه سوى مقدار الضرورة، وهذا دليل واضح على الزهد الذى كان محور حياته.

ثم عرج على زهد داود عليه السلام فقال:

«وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُودَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ ۲۴۸] الْخُوصِ ۲۴۹] بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا»

. نعلم أنّ داود عليه السلام وإلى جانب النبوّة كان من ملوك بنى اسرائيل وكانت حكومته قوية شاملة على ضوء الآية الشريفة: «شَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ»[۲۵۰]. فهل ما

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۶۹

قيل يتعلق بعهد حكومته أم بعدها؟ كيف ما كان الأمر فهنالك دليل دامغ على زهده ولاسيّما ما ورد فى بعض الروايات أنّه لم يكن

يقتات من بيت المال، بل كان يعمل الدروع ويأكل من عرق جبينه. العبارة

«صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِىءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»

إشارة إلى مقاماته المعنوية الرفيعة فى الدنيا والآخرة. وقد أفاض اللّه عليه من العلوم المعنوية بحيث كان ينشئ المزامير (المزامير كما سيأتى بمبحث التأملات مجموعة من الأدعية والمناجاة والمواعظ والإرشادات التى كان يتلوها داود عليه السلام ويترنم بها بصوت عذب فكان يشد إليه الناس، بل حتى الطيور والحيوانات حسب الرواية).

وقارىء (أهل الجنّة) إشارة إلى مقامه الاخروى حيث يتذوق أولياء اللّه هناك لذّة القرب الإلهى وعشق ذاته المقدّسة من ترانيمه المعنوية لذلك الصوت العذب ومناجاته الروحية.

والعبارة

«أَيُّكُمْ يَكْفِينِى بَيْعَهَا»

ربّما تكون إشارة إلى هذه النقطة وهى أنّه أراد شخصاً يبيعها ويستفيد مقداراً من ثمنها، وإن كان هذا الأمر على عهد قضائه فهو إشارة إلى أنّ القضاء لا يتعامل فى مثل هذه الأمور مباشرة مع الآخرين حذراً من معرفته واعطائه الكثير بغية استمالته فى إصدار الأحكام.

ثم تطرق عليه السلام إلى زهد عيسى عليه السلام حيث أوجز حياته المتواضعة فى ثلاث عشرة عبارة قصيرة، يصعب علينا حقّاً تصور تلك الحياة العجيبة لهذا النبى الزاهد فضلًا عن العمل بها فقال:

«وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ[۲۵۱] الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ

بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِى الشِّتَاءِ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ؛ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!»

. المراد من العبارة

«وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ»

أنّه

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۷۰

كان يكتفى من الطعام بالخبز. وتشير العبارة

«وَظِلَالُهُ فِى الشِّتَاءِ ...»

أنّه كان يستعين بدفء حرارة الشمس على برودة الشتاء. جدير بالذكر أنّ المسيح عليه السلام ظهر فى فترة كان يتنعم بها عبيد الدنيا من بنى اسرائيل فى القصور الفخمة والمراكب الهائلة والثياب الفاخرة وتنقل إليهم مختلف الأطعمة ممّا لذّ وطاب. وقد اختار عليه السلام هذا النوع من الحياة لتحذيرهم من مغبة التكالب على الدنيا المحفوفة بالقيود والاغلال والتى تذل فى خاتمة المطاف كل من ركن إليها، وقد قاطع بعض المحاور المهمّة التى من شأنها فتنة الإنسان من قبيل الدور الفارهة والزوجات الجميلة الفاتنة والمال والولد والمركب، فقد ولّى عليه السلام ظهره لكل هذه الأمور بهدف ايقاظ المجتمع من غفلته والسعى إلى دار الآخرة.

تأمّلات

۱. مزامير داود

مزامير جمع مزمور بمعنى الترانيم التى تنشد بنغمة معينة، ومزامير داود عليه السلام اشعار روحية مناجاة ومواعظ وعبر، كان يتلوها داود

عليه السلام بصوته العذب لتؤثر فى القلوب ۲۵۲] وتتكون هذه المزامير التى تعد الآن من كتب أهل العتيق من خمسة كتب تكرر لفظ آمين آخر كل قسم منها، ويعتقد الأغلب من المفكرين أنّ هذا اللفظ من إضافات جامعى الكتب (لابدّ من الالتفات إلى أنّ المزامير الفعلية الموجودة فى الكتب المقدّسة تخلو من هذا اللفظ.

على كل حال يضم الكتاب الأول ۴۱ والثانى ۳۱ والثالث والرابع ۷۱ والخامس ۴۴ مزمورة. ويمكن ايجاز مفاهيم المزامير بصورة عامة فى العناوين الآتية:

۱. مزامير الحمد والتسبيح التى تشمل عدّة مزامير.

۲. مزامير الشكر التى يطلقها الأشخاص إزاء ألطاف اللّه.

۳. المزامير المتعلقة بالتوبة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۷۱

۴. المزامير السياحية (بشأن قصة الأفراد الذين خصتهم عناية اللّه أوغضبه).

۵. المزامير التاريخية بشأن رحمة اللّه وفضله على بنى اسرائيل.

۶. مزامير النبوّة على أساس وعد اللّه لداود عليه السلام وأبنائه.

المزامير التعليمية التى كان يوصى داود عليه السلام فيها ببعض الأمور.

أ) خصائص العادلين ومميزات الشريرين.

ب) قدسية وطهارة؟ الشريفة الإلهيّة.

ج) هوان قيمة الحياة الدنيا.

د) الوظائف الواجبة على الحكام.

۷. مزامير دعاء للمذنبين (يجدر الإشارة إلى أنّ أغلب هذه المزامير لا جميعها تنسب إلى داود عليه السلام)[۲۵۳].

۲. الصوت الداودى

يستفاد من الآيات والروايات أنّ لداود عليه السلام صوتاً شجياً، إلى درجة أنّه لا يقتصر على جذب الناس فحسب، بل كانت تجتمع إليه الطيور وتحط إلى جانبه أو على بدنه حين يناجى الحق فى محراب عبادته. ولما كانت الجنّة الموضع الأفضل فقد ورد فى الخطبة أنّ داود عليه السلام قارىء أهل الجنّة، كما أشار ابن أبى الحديد إلى رواية تحمل هذا المعنى فقال: ورد فى الخبر، داود قارىء أهل الجنّة.

۳. زهد الأنبياء

سنتعرض فى نهاية الخطبة عقب الحديث عن زهد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى علية تشدد أنبياء اللّه على أنفسهم فى الحياة، بما نعجز عن تحمله.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۷۳

القسم الخامس

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّى بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ. قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً. أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ

يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلَّهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ.

الشرح والتفسير: سيرة النبى صلى الله عليه و آله إزاء عبدة الدنيا

إنّ اللَّه جعل أنبياءَه من البشر ليكونوا أُسوة للآخرين من جميع النواحى؛ ولو كانوا من جنس الملائكة لتعذر التأسى بهم ولأصاب الشلل أهم مفاصل حركتهم الرسالية المتمثلة بالتعاليم العملية. والواقع مهما كان الخطيب متمكناً وبليغاً والكاتب فصيحاً ومتعمقاً فإن تأثير مواعظه ونصائحه لا يرقى إلى الأسوة العملية، ولا يمكن مقارنة ما يستفيده الآخرون من السيرة العملية لأولياء اللَّه مع تلك التى تحصل عند سماع الوعاظ؛ ومن هنا ركز الإمام عليه السلام بعد ذكره لبعض الأنبياء على سيرة الرسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى اطار مواجهته لأصحاب الدنيا الذين تكالبوا عليها فى ذلك الزمان وفى كل زمان، فأشار قبل الخوض فى الجوانب العملية لسيرة النبى صلى الله عليه و آله إلى رؤيته للدنيا فقال:

«فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۷۴

تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ [۲۵۴] لِأَثَرِهِ».

وتطرق إلى نظرته صلى الله عليه و آله إلى الدنيا، فقال:

«قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً[۲۵۵]، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً.

أَهْضَمُ [۲۵۶] أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً[۲۵۷]، وَأَخْمَصُهُمْ [۲۵۸] مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ

يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ [۲۵۹]»

. إشارة إلى أنّه كان مسلم للَّهبكل كيانه، يحب ما أحب اللَّه ويعادى من يعاديه اللَّه، وكل هذه العبارات إشارة إلى زخرف الدنيا الزائفة فى أنّ الدنيا مبغوضة وحقيرة وصغيرة وتافهة. القضية المهمّة أنّ حبّ الدينا أساس الظلم والحروب وسفك الدماء، والذى ينظر إلى زخارفها نظرة حقيرة لن يحبها ويفتتن بها وقلّما يتلوث بآثامها.

ثم يخلص إلى نتيجة واضحة فيقول:

«وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلَّهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ»

. نعم فسعادتنا فى الدارين وصدقنا فى ادّعاء الإيمان بالله ورسوله فى أن نعظم ما عظّماه ونستصغر ما صغّراه. فقد وقف النبى الأكرم صلى الله عليه و آله موقفاً مخالفاً لزخارف الدنيا ومظاهرها الزائفة، فكيف نزعم الإيمان به ونحن نعظّم هذه التوافه الدنيوية ونضحى من أجلها بالغالى والنفيس؟! يمكن أن يرد هنا هذا السؤال: إذا كان

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۷۵

النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يجانب الطعام إلى هذه الدرجة وكان أخلى بطناً من عامة الناس، فكيف كان يصمد أمام العدو فى المعركة حتى وصفه على عليه السلام بقوله:

«كُنَّا إِذا احْمَرَّ البأسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولُ اللَّهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبُ إِلَى العَدُو مِنْهُ»[۲۶۰]

. فقد ورد مثل هذا السؤال بشأن على عليه السلام كيف وقف تلك المواقف الصعبة على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى معركة بدر واحد والأحزاب وخيبر وحنين وإبان حكومته فى الجمل وصفين والنهروان ولم يكن طعامه سوى الشعير. وقد أجاب الإمام عليه السلام عن السؤال فى كتابه إلى عثمان بن حنيف [۲۶۱] فقال:

«أَلَا إِنَّ الشَّجَرَةَ البَرِيَّةِ

أَصْلَبُ عُوداً وَالرَّواتِعُ الخَضِرَةِ أَرَقَّ جُلُوداً وَالنَّابِتَاتِ الغِذيَةَ أقوى وُقُوداً وَأَبطَأ خُمُوداً»

وعليه، فالنهم فى الطعام ليس بـدليل على القوّة والقـدرة. ولعل أولئك الأعراب الذين كانوا يقتاتون على الأطعمة العادية قد ابلوا بلاءاً حسناً فى الحرب التى نشبت بين ايران والروم على العكس من أولئك الجنود الذين كانوا يطعمون مختلف الأطعمة، فقاوموا وصمدوا بالشكل الـذى أذهـل الجميع. القضيـة الأخرى هى أنّ معنويات المقاتل هى التى ترسم صورة واضـحة عن مصيره فى جبهـة القتال لا الطعام وانواعه، وكانت معنويات النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام فى القمة بما أهلهما لتلك الشجاعة الفائقة. جدير ذكره أنّ مـا ورد بشـأن طعـام النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله وعلى عليه السـلام لاـ يعنى أنّهمـا كانا يتناولان مثل ذلك الطعام طيلة حياتهما، بل المراد أنّهما لم يتعلقوا بطعام معين قط.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۷۷

القسم السادس

وَلَقَدْ كَانَ- صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَـارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونَ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: «يَا فُلَانَةُ- لِإِحْـدَى أَزْوَاجِهِ- غَيِّبِيهِ عَنِّى، فَإِنِّى إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الـدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَـا». فَأَعْرَضَ عَنِ الـدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَـاتَ ذِكْرَهَـا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَـا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَـا يَتَّخِـذَ مِنْهَا رِيَاشاً، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

الشرح والتفسير

زهد النبى صلى الله عليه و آله

تطرق الإمـام عليه السـلام فى المقطع السـابق من الخطبـة بصورة عامـة إلى زهـد النـبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله وضـرورة الاقتـداء والتأسـى به، إلّاأنّه بيّن هنا مصاديق ذلك الزهـد والتواضع فى حياته اليوميـة فأشار إلى سـبعة مواضـيع تكشف بجلاء عن مـدى زهـده وتواضعه ۲۶۲]، فقال:

«وَلَقَدْ كَانَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ،

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۷۸

وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ ۲۶۳] بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ ۲۶۴] بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ

الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ ۲۶۵] خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونَ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ:

«يَا فُلَانَةُ- لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ- غَيِّبِيهِ عَنِّى، فَإِنِّى إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا»».

العبارة

«يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ»

إشـارة إلى عـدم امتلاـك المحتاجين للمفروشات آنـذاك ليجلسوا عليها فكانوا يضـطرون للجلوس على الأرض فكان النبى صـلى الله عليه و آله يواسيهم فى الجلوس على الأرض. والعبارة

«وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ»

تشير إلى مدى تواضـعه فى جلوسه، لا على غرار المتكبرين الذين يضعون رجلًا على أخرى بكل غرور. والمعروف عن النبى صلى الله

عليه و آله أنّه كان يجثو على ركبتيه على غرار العبيـد؛ فهى جلسة متواضـعة إلى جانب كونها سـهلة فى النهوض. ورد فى الحديث أنّ امرأة سيئة اللسان مرّت بالنبى صلى الله عليه و آله وهو جالس فقالت له: يا محمّد إنّك لتجلس كالعبيد؟

فقال صلى الله عليه و آله:

«وأيُّ عَبْدٍ أَعْبَدُ مِنّى»[۲۶۶].

والعبارة

«وَيَكُونُ السِّتْرُ ...»

إشارة إلى عائشة حين وضعت ستراً مزيناً فيه صور لذى أرواح، فامتعظ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من رؤيته لأنّه مزين فقال:

«غَيبيهِ عَنّى فإنّى إذا نَظَرتُ إليهِ ذَكَرتُ الدُّنيا وَزَخارَفَها، وَأمرَ بَرفعِهِ فَوراً»[۲۶۷].

ثم قال عليه السلام مواصلًا كلامه:

«فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ،

نفحات الولايهٔ، ج۶، ص: ۱۷۹

وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[۲۶۸]، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مُقَاماً»

. إشـارة إلى أنّ حبين لاـ يجتمعـان فى قلب إنسان. فإن افتتن بالـدنيا وأحبّها رحل عن قلبه حبّ اللَّه ونعيم الآخرة، فما لم يطرد من قلبه حبّ الدنيا لن يحبّ اللَّه. ويصدق هذا المعنى على جميع الأفراد، وأبرز نموذج لذلك تمثل فى حياة النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله الذى قال:

«ما لِى وَللدُّنيا إنَّما مَثلِى وَمَثَلَها كَمَثلَ الرَّاكِبِ رُفِعَتْ لَهُ الشَّجرةُ فِى يَومٍ صائِفٍ فَقَالَ تَحتَها ثُمَّ رَاحَ وَتَركَها»[۲۶۹].

ثم خلص الإمام عليه السلام إلى نتيجة واضحة أنّه طالما كانت الدنيا بهذا الشكل فما كان من النبى صلى الله عليه و آله إلّاأنّ قاطعها:

«فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا[۲۷۰] عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا

عَنِ الْبَصَرِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ»

. وهنا يطرح هذا السؤال نفسه: لماذا كل هذا الذم والتحقير للدنيا من قبل الإمام عليه السـلام؟ سنرد على هذا السؤال بالتفصيل فى آخر الخطبة إن شاء اللَّه.

نفحات الولايهٔ، ج۶، ص: ۱۸۱

القسم السابع

وَلَقَـدْ كَانَ فِى رَسُولِ اللَّهِ- صَـلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ- مَا يَـدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِىءِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا: إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ.

فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ: أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِـذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ! فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ- وَاللَّهِ الْعَظِيمِ- بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ، وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَـدْ أَهَـانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَـطَ الـدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَـا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ. فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّداً- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- عَلَماً لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ. خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً. لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِىَ رَبِّهِ. فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ! وَاللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِى هذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا. وَلَقَدْ قَالَ لِى قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ:

اغْرُبْ عَنِّى، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى

الشرح والتفسير: لم التأسى بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله

عاود الإمام عليه السلام تأكيده لما أورده فى المقطع السابق من الخطبة فى ذم الدنيا والمتعلقين بها فقال بادىء الأمر على نحو الاستدلال المنطقى:

«وَلَقَدْ كَانَ فِى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِىءِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا: إِذْ جَاعَ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۸۲

فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ ۲۷۱]، وَزُوِيَتْ ۲۷۲] عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ ۲۷۳]»

. وعلى ضوء هذه المقدمة خاض فى برهانه المنطقى فقال:

«فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ: أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ! فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ- وَاللَّهِ الْعَظِيمِ- بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ، وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ»

. لا ينبغى أن ننسى هنا أنّ فئة من الأثرياء آنذاك كانت ترى ثروتها دليلًا على عناية اللّه بها، وبالتالى فإنّ الفقراء والضعفاء مبعدون عن عناية اللّه، وهذا التفكير دفع بهم لحث الآخرين على جمع الثروة عن أى طريق وباية وسيلة. ومن هنا «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ»[۲۷۴] فرد عليهم الحق تعالى «وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ* وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ* وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ»[۲۷۵].

والإمام عليه السلام ليفند بالبرهان القاطع هذه الفكرة المريضة السائدة فى الأذهان.

فالحق أنّ اللّه سبحانه وتعالى أولى رسوله صلى الله عليه و آله عناية فائقة، فى حين كان محروماً من زخارف الدنيا وزبرجها، ولا يستطيع أحد أن يزعم أنّ اللّه أهان نبيّه، وعليه نخلص إلى نتيجة مفادها أنّ الإمكانات المادية والثروة ليست دليلًا على الشخصية ولذلك خلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة:

«فَتَأَسَّى ۲۷۶] مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۸۳

ثم واصل عليه السلام حديثه بالقول:

«فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّداً- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- عَلَماً لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ. خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً. لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ»

. إشارة إلى أنّ النبى صلى الله عليه و آله ورغم عظمته وكونه عَلماً للساعة وبصفته البشير والنذير فقد عاش تلك الحياة البسيطة المتواضعة إلى درجة أنّه رحل عن الدنيا ولم يملأ بطنه أو يبنى له بيتاً مشيداً (طبعاً بنى النبى صلى الله عليه و آله حجرات لأزواجه عند المسجد من الطين وسعف النخيل والعبارة

«لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ»

تشير إلى بيوت الأثرياء الذين كانوا يبنون بيوتهم من الحجر).

وأخيراً خلص إلى هذه العبرة:

«فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ!»

نفحات الولاية ؛ ج۶ ؛ ص۱۸۳

أجل، فإحدى نعم اللَّه العظمى على البشر وجود هؤلاء الزعماء العظام الذين حفلت جميع حركاتهم وسكناتهم بالدروس والعبر، ولم تنتفع أيّة أمة كالمسلمين من النعمة الفضيلة، فالأُمم وإن كانت لها عظماء، إلّاأنّ نبى الإسلام صلى الله عليه و آله كان أعظم الجميع، وليت شعرى أى كفران للنعمة أعظم من ضلالتنا وحيرتنا رغم نعمة اللَّه علينا بهذا القائد العظيم. وأخيراً وليثبت الإمام عليه السلام أنّه أول من يتمثل عملًا بما يقول وأنّه يحذو حذو رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقد قال:

«وَاللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ ۲۷۷] مِدْرَعَتِي ۲۷۸] هذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا. وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: اغْرُبْ ۲۷۹] عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى »

. يستفاد من هذه العبارة بوضوح أنّ الإمام عليه السلام كان يعطى ثوبه بين الحين والآخر ليرقعوه (وإن قام أحياناً بهذا العمل شخصياً) وقد كثرت رقعات ثوبه حتى شعر الإمام عليه السلام بالخجل من رقعه، مع ذلك لم يكن مستعداً لطرحه. شتان بين سيرة الإمام عليه السلام وبعض الأفراد الذين

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۸۴

ينتقون ثياب كل فصل وزمان ومكان بما يناسبه، فهناك ثوب لمجالس السرور وآخر لمجالس العزاء، وهكذا للسفر والحضر والنوم، بل الأسوأ من كل ذلك طرح بعض الملابس كونها لا تناسب الموضة. العبارة

«فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى »

، مثل معروف عند العرب، معناه، أنّ من يصبر على النوائب ويتحمل الشدائد حين يبلغ هدفه يُسرّ بصبره ويحمد اللَّه ويحمده الآخرون أيضاً[۲۸۰].

تأمّل

لعلنا نتعرف بصورة عميقة على حديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال

«حُبُّ الدُّنيا رَأسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»

كلما أمعنا النظر فى حجم الذنوب والمعاصى والنزاعات الاجتماعية العنيفة وتأملنا الملفات الحقوقية والجزائية التى تضج بها المحاكم. والجدير بالذكر أنّ هذا الحديث لم يقتصر على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بل أكده سائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام كالإمام الصادق والإمام السجاد عليهما السلام إلى جانب تأكيده من الأنبياء السابقين عليهم السلام ۲۸۱].

ولو توقفنا قليلًا وتأملنا لأمكننا ايجاز عمدة مظاهر حبّ الدنيا فى ثلاثة أشياء هى: حبّ المال وحبّ الجاه وحبّ الشهوة. فليس هنالك من حرب وقعت فى العالم ولا فساد انتشر فى صفوف المجتمع إلّاكان معلولًا لأحد هذه المحاور الثلاثة. وبناءً على هذا فإن أردنا ممارسة عملية الإصلاح فى المجتمعات الإسلامية كان لابدّ لنا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۸۵

من مواجهة التعلق بالدنيا. ولعل هذا الموضوع يبدو بارزاً فى المجتمعات الفقيرة التى تنتقل فجأة إلى الغنى، كالمجتمع الإسلامى فى صدر الإسلام؛ ذلك أنّ الفقر كان قد عمّ المجتمع قبل بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، إلّاأنّ الفتوحات وما انطوت عليها من غنائم بصورة مفاجئة قد غيرت الأوضاع فأخذ أصحاب الدنيا يتهافتون على اللذات والغرق فى المعاصى. وعليه فلا يبدو من المستغرب على ذلك الإمام الهمام على عليه السلام وبغية تغيير تلك الأوضاع أن يورد تلك الخطبة ويكرسها لذم الدنيا ومن تعلق بها؛ فيأخذ بأيدى الناس ويغوص بهم فى أعماق تاريخ الأنبياء الماضين ويكشف لهم عن عمق زهد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وحياته البسيطة المتواضعة بهدف إيقاظهم من غفلتهم وإعادتهم إلى المسار الصحيح.

على سبيل المثال كان على عهد عثمان- حين إزدادت الأموال فى بيت مال المسلمين وكان ينبغى أن تصرف فى العمران وبناء الدولة الإسلامية وانقاذ المحرومين- أن سيطرت قرابته وبطانته على الأموال، فجنى كل منهم ثروة عظيمة أفرد لها العلّامة الأمينى رحمه الله فى الجزء الثامن من الغدير باباً أسماه (الكنوز المكنزة ببركة الخليفة) وقد عرض فيه بعض تلك الكنوز من مصادر العامة. وذكر بعض الأفراد من قبيل: مروان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص ويعلى بن أمية وعبدالرحمن بن عوف وزيد بن ثابت وسائر الأفراد، وقد حصل كل منهم على آلاف الدنانير من بيت المال، حتى ذكر أنّ ورثة زيد بن ثابت كانت تتقاسم ارثه من الذهب والفضة عن طريق كسرها بالفؤوس، كما ترك يعلى بن أمية مبلغ خمسمائة ألف دينار إلى جانب المزارع والبساتين والدور والديون التى له بذمة الناس والتى تبلغ مائة ألف دينار (كل دينار مثقال من الذهب المسكوك).

وأمّا عبدالرحمن بن عوف فقد ترك ألف ناقة وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس إلى جانب الأراضى الزراعية، ومن أراد المزيد فليراجع الغدير وما ذكره من مصادر

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۸۶

وأرقام بهذا الشأن ۲۸۲].

وعلى هذا الضوء ألا يتوجب على زعيم عظيم كعلى عليه السلام أن يكون كالطبيب الحاذق فيشمِّر عن ساعديه ويعالج ذلك المجتمع المريض بوباء حبّ الدنيا من خلال ذمها واستصغار شأنها؟ وعليه ينتفى السؤال الذى يطرح نفسه أنّه لم عرض على عليه السلام بكل هذا الذم للدنيا وهو إمام الإسلام هذا الدين الذى يعنى بالدنيا والآخرة والحضارة والمدنية. واليوم أيضاً إن أردنا أن نحول دون هذه النزاعات الدامية وسفك الدماء وتجار السلاح الذين يصدرون الموت والدمار للشعوب والوقوف بوجه مراكز الفساد والدعارة والانحراف، فليس أمامنا من سبيل سوى تحقير هذه الدنيا ومن تعلق بها واستصغارها حتى تصبح فضيحة ليقتنع الآخرون بالحياة البسيطة المتواضعة على حد الكفاف.

ونختتم الكلام بالحديث الذى ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال

«جَعَلَ الخَيْرَ كُلَّهُ فِى بَيتٍ وَجَعَلَ مِفتَاحُهُ الزُّهدُ فِى الدُّنيا»[۲۸۳].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۸۷

الخطبة ۱۶۱

اشارة

فِى صِفَةِ النَّبِىِّ وَأهْلِ بَيْتِهِ وأتْباعِ دِينِهِ وَفِيها يَعِظُ بِالتَّقْوى ۲۸۴]

نظرة إلى الخطبة

تشتمل هذه الخطبة على ثلاثة أقسام، أشار فى المقطع الأول إلى بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وصفاته الحميدة وخصائص أهل بيته، ويذكر آثار دعوته فى إظهار الحق ودحر الباطل، ويخلص إلى نتيجة مفادها أنّ شقاء الدنيا والآخرة فى عدم الإيمان بالإسلام الحنيف.

وتطرق الإمام عليه السلام فى المقطع الثانى من الخطبة إلى التوكل على اللَّه وسؤاله الهدى. ثم اختتم الخطبة بدعوة الجميع إلى الورع والتقوى وطاعة اللَّه والحذر من التعلق بالدنيا بعبارات عظيمة المعانى إلى جانب ضرورة الاعتبار بالوقائع والأحداث التى يشهدها

العالم.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۸۹

القسم الأول

ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي وَالْكِتَابِ الْهَادِي. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ؛ أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ. مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ. أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ.

«فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً» تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ، وَيَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ.

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكُّلَ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ. وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ.

الشرح والتفسير: صفات النبى صلى الله عليه و آله

استهل الإمام عليه السلام الخطبة بالحديث عن خصائص النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ورسالته فقال:

«ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي ۲۸۵] وَالْكِتَابِ الْهَادِي»

. المراد من النور المضيء نور نبوته صلى الله عليه و آله الذى أضاء كل شيء،

«وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ»

إشارة إلى معجزاته الواضحة، كما تبيّن العبارة

«وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي»

شريعته الغراء،

«وَالْكِتَابِ الْهَادِي»

القرآن الذى يهدى عامة الخلق إلى اللّه حتى قيام الساعة. هذا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۹۰

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ العبارات الأربع المذكورة تشير إلى القرآن الذى نظر إليه الإمام عليه السلام من عدّة جوانب؛ إلّاأنّ الأنسب ما ذكرناه من أنّ كل عبارة تشير إلى جانب معين؛ الأمر الذى استحسنه سائر الشرّاح. على كل حال فإنّ كلام الإمام عليه السلام إشارة إلى أركان الدعوة الكاملة الشاملة والتى تستند إلى نور الوحى، والتى بينت بمختلف المعجزات والأدلة والبراهين وكتاب الهداية القرآنية بأحكامه الجلية الواضحة.

ثم خاض عليه السلام بثمان عبارات قصيرة فى التعريف بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال:

«أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ؛ أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ. مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ[۲۸۶] عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ»

. متهدل، بمعنى متدلٍ وهنا تعنى الفاكهة القريبة من الجميع. ولعل موفقية الإنسان وسعادته تتحقق فى ظل أمور مختلفة ولكل من نجابة الأسرة وكرامة الحسب والنسب ورفعة شخصية الأهل والقرابة وأهميّة مسقط الرأس والبيئة والنشاط فى أجوائها، دور مهم فى تلك السعادة. ولو أمعنا النظر فى حياة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله نجد أنّه صلى الله عليه و آله إلى جانب سموّه الذاتى قد توفرت له سائر العوامل اللازمة للتوفيق والنجاح ليتمكن على ضوئها من ممارسة دوره فى هداية الناس، فنسبه الشريف يمتد إلى إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام حيث ورث منهما الشجاعة والتضحية. قبيلته بنى هاشم من أشرف القبائل العربية. أبوه عبداللّه،

وجدّه عبدالمطلب، وعمّه حمزة وأبوطالب، وابن عمّه على وجعفر عليهما السلام، وبنته فاطمة الزهراء عليها السلام أم المعصومين عليهم السلام. وولادته فى مكة الحرم الإلهى الآمن، وهجرته إلى المدينة الطيبة مركز الإيثار والفداء والتضحية. ومن هناك وسع رقعة دعوته وأسمع صوته العالم بأسره، والأسرة من مادة أسر على وزن عصر، بمعنى القوة والقدرة إشارة إلى أُسرة بنى هاشم وقرابة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۹۱

وتشير الشجرة إلى أصل هذه الأُسرة التى تنتمى إلى إبراهيم عليه السلام، والأغصان المعتدلة إشارة إلى فروعه كعبدالمطلب وأبىطالب وحمزة وجعفر وأميرالمؤمنين عليه السلام وأئمّة الهدى عليهم السلام وهم بمثابة الفروع المتداخلة للشجرة فى فضلهم وعلمهم وكمالهم وعدم اختلافهم ومعارفهم التى يتغذى على ثمارها جميع الناس على مرّ العصور والدهور.

ثم اتّجه الإمام عليه السلام صوب سيرته العملية فقال:

«أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ[۲۸۷]»

. نعم، فقد كانت له مختلف الأدلة العقلية والفطرية والمعاجز الحسية، فيعالج أمراض الناس والمجتمعات بكلماته الحكيمة ويصلح الخراب الذى لحق بالناس إبان الجاهلية فى كافة مجالاتهم الاجتماعية. فقد اقترنت دعوة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بالدليل والبرهان من حيث جذورها وانطلاقتها، كما تضمّنت على مستوى المضمون الخطط العملية الهادية، وكل ذلك يقود إلى نتيجة مرجوة تتمثل فى إصلاح الفساد وإعادة بنية الأصول الفكرية والأخلاقية والاجتماعية.

ثم خاض عليه السلام فى الأعمال المهمّة التى أتى بها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال:

«أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ[۲۸۸]، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ[۲۸۹]»

. فالواقع هو أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله مارس ثلاثة أعمال مهمّة: أعلن العقائد الحقّة، وأزال البدع والخرافات، وبيّن الأحكام الشرعية بوضوح لجميع الناس، حصل كل منها بسعى متواصل وجهد عظيم. ثم خلص إلى هذه النتيجة التى صرّح بها القرآن الكريم: «

«فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً»

تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ، وَيَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ»

. فمن الطبيعى أن لا تكون

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۹۲

نتيجة مخالفة الدين الذى يتّسم داعيته بكل تلك المكارم ودينه الجامع والشامل، سوى الشقاء والضلال والهلكة. ويتضح من هذه العبارات مدى زيف الشعارات الجوفاء التى يرفعها البعض اليوم فى الأوساط الإسلامية انفعالًا بكتّاب الغرب فيتبنون كفاية اعتناق أىٍّ من الأديان؛ الأمر الذى لا ينسجم ومنطق القرآن ولا كلمات أئمّة الهدى كعلى عليه السلام.

وأخيراً يعرب الإمام عليه السلام عن توكله على اللَّه وإنابته إليه فيقول:

«وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكُّلَ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ. وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ»

. ربّما تكون هذه العبارة إشارة إلى أنّ أسباب سعادة البشرية توفرت ببيعة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والدين العظيم الذى بعث به، ولم يبق لتحقيق هذه السعادة سوى أن نسير على الدرب وبالتوكل على اللَّه وطلب الهداية منه والإرشاد إلى الحق. ومن هنا اختتم الإمام عليه السلام هذا الجانب من الخطبة بالتوكل على اللَّه واسترشده الطريق إلى الجنّة.

تأمّل

من قال أم ما قال؟

يبدو أنّ هذه العبارة المعروفة:

«انْظُرْ إِلى ما قَالَ وَلا تَنْظُرْ إِلى مَنْ قَالَ»[۲۹۰]

صادقة فى القضايا الواضحة والمنطقية، أمّا فى القضايا المهمّة والمعقدة والمدارس الفكرية المطروحة فلابدّ من النظر والتركيز على من قال، حتى يتسنى الوثوق به والتأسى بسيرته، ولذلك خاض القرآن فى أكثر من موقع فى خصائص النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال:

«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ»[۲۹۱] وقال فى موقع اخر: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۹۳

لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»[۲۹۲]. ومن هنا أشار الإمام عليه السلام فى بداية الخطبة إلى شخصية النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من حيث النسب والأُسرة والأصل وصفاته الكمالية وأثنى على شجرته وفروعها المثمرة، ثم تطرق إلى شريعته السمحاء من مختلف الجوانب ليلفت انتباه الآخرين إلى ضرورة الوثوق به ويقطع اعذار المغرضين.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۹۵

القسم الثانى

أُوصِيكُمْ عِبَادَاللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، وَالْمَنْجَاةُ أَبَداً. رَهَّبَ فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ؛ وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا، وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا. فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ- عِبَادَاللَّهِ- غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا، لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا. فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ. وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ؛ فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا. لَايَتَفَاخَرُونَ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، وَلَا يَتَحَاوَرُونَ. فَاحْذَرُوا، عِبَادَاللَّهِ، حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ.

الشرح والتفسير: الاعتبار بالامم السابقة

خاض الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة باسداء النصح والموعظة التى توقظ الغافلين بعد أن أكد فى الموضع السابق على تقوية روح الإيمان لدى المخاطبين ليؤكد هنا على بعض الجوانب العلمية، ذلك لأنّ عمل ثمرة الشجرة الإيمان فقال:

«أُوصِيكُمْ عِبَادَاللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، وَالْمَنْجَاةُ[۲۹۳] أَبَداً».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۹۶

ربّما أمكن عودة الطاعة والتقوى إلى مفهوم واحد، كما يمكن اعتبار التقوى أساس الطاعة، ذلك لأنّ طاعة اللّه إنّما تنبعث من التقوى والورع، كما يحتمل أن تكون التقوى إشارة إلى ترك الذنب، والطاعة إلى امتثال الأحكام الشرعية، فهما لا يفترقان كيفما كان الأمر (ولعل ذلك هو سبب الإتيان بالضمير مفرداً فى أنّها والحال، ينبغى أن يكون مرجع الضمير مثنى). واطلاق النجاة على التقوى من قبيل اطلاق المسبب على السبب، لأنّ التقوى سبب النجاة فى الآخرة.

ثم قال:

«رَهَّبَ ۲۹۴] فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ ۲۹۵]»

. إننا لنعلم أنّ الضمان الفعلى لجميع الأحكام الشرعية هو البشارة والإنذار. وقد شحنت الكتب السماوية بالوعد والوعيد والإنذار والبشارة ترغيباً للناس فى الطاعة وحياشة لهم عن المعصية. ولما كان التعلق بالدنيا والخداع بمظاهرها رأس المعاصى والذنوب فإنّ الإمام عليه السلام عاد ليؤكد هذا الأمر فقال:

«وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا، وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا. فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا»

. فالذى يستفاد من هذه العبارة القصيرة والعميقة المعانى أنّ اللَّه بيّن أربعة أمور بشأن الدنيا؛ الأول أصل الحياة الدنيا وكما يبدو من أسمها حياة دنيئة وتافهة لا قيمة لها، والثانى، أنّها ليست مستقرة وذات يوم يحل الموت بالإنسان ويقضى على دنياه، والثالث، ما أن ينغمس الإنسان فى متع الحياة الدنيا حتى يشعر بزوالها التدريجى، حيث تأخذ قواه البدنية بالضعف وتختل صحته ويثكل بفقد الأعزة والأصدقاء، الواحد تلو الآخر، وينظر إليهم وهم يتوسدون التراب، والرابع، أنّ الدنيا دائمة الانتقال من قوم إلى قوم: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ»[۲۹۶].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۹۷

فقد رسمت الآية القرآنية الشريفة صورة واضحة عن تفاهة الدنيا وانقطاع نعيمها وزوالها فى إطار واضح، كما ورد هذا الانتقال فى آية أخرى: «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ»[۲۹۷].

ثم قال مواصلًا وصف الدنيا:

«أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ!»

. ودليل ذلك واضح هو أنّ الدنيا هوى وهوس يقذف بالإنسان فى مستنقع الذنب من كل جانب وهذا ما يوجب غضب اللَّه وعدم رضاه. طبعاً، المراد من الدنيا هنا، الدنيا المادية التى يجعلها الإنسان هدفاً ويعتمد كل الوسائل للحصول عليها وإن قارف الذنوب، وإلّا فالدنيا وسيلة على الاقتدار للطاعة وشكر النعمة وبلوغ السعادة.

ثم خلص عليه السلام إلى هذه النتيجة:

«فَغُضُّوا[۲۹۸] عَنْكُمْ- عِبَادَاللَّهِ- غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا،

لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا. فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ ۲۹۹]»

. إشارة إلى تصاعد آلام الدنيا وتزايد همها، فكلما اقترب الإنسان منها زاد غناؤه حتى يسيطر الهم على جميع كيانه.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«مَثَلُ الحَرِيصِ عَلَى الدُّنيا مَثَلُ دُودَةِ القَزِّ كُلَّما إِزْدَادتْ مِنَ القُزِّ عَلَى نَفْسِها لَفاً كَانَ أَبْعَدُ لَها مِنَ الخُرُوجِ حَتّى تَمُوتَ غَمَّاً»[۳۰۰]

. وقد تمثل الشاعر العربى فانشد[۳۰۱].

أَلَمْ تَرَ أَنّ المَرءَ طُولَ حَياتِهِحَرِيصٌ عَلى ما لايَزالُ يَنَاسِجُهُ

كَدُودٌ كَدُودِ القَزِّ يَنْسِجُ دائماًفَيُهلَكُ غَمّاً وَسَطَ ما هُوَ ناسِجُ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۹۸

ثم أخذ الإمام عليه السلام بيد مخاطبيه إلى العهود الماضية ليشرح عاقبة الحياة الدنيا لمن تعلق بها ضمن عشر عبارات قصيرة بما يهزّ ضمير الإنسان فقال:

«وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصارِعِ ۳۰۲] الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ ۳۰۳]، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ».

وتشير العبارة

«تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُم»

إلى تآكل الجسد تحت التراب، كما يمكن أن تكون العبارة إشارة إلى تآكل الوشائج الاجتماعية فى حياة الإنسان والتى تزول بعد وفاة الإنسان، كما يمكن أن تكون الأسماع والأبصار إشارة إلى الأذن والعين الظاهرية لقدرة الرؤية والسمع الحسى. ولا تزول حواس الإنسان الظاهرية وأعضائه البدنية فحسب، بل تزول كل امتيازاته الاجتماعية من قبيل الترف المادى والعزة وكافة النعم والمتع. ثم أشار عليه السلام إلى جانب آخر من النعم التى يفارقها الإنسان بالموت فقال:

«فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا. لَا يَتَفَاخَرُونَ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، وَلَا يَتَحَاوَرُونَ».

بل وصفهم الشاعر[۳۰۴]:

وَحَلُّوا بِدارٍ لاتَزاوُرَ بَينَهُموَأَنَّى لِسُكَانِ القُبُورِ التَّزاوُرُ

طبعاً هذا الكلام فى جسم الإنسان ولا مانع من اجتماع أرواح المؤمنين وتزاورها وتحاورها.

واختتم الإمام عليه السلام الخطبة محذراً الجميع:

«فَاحْذَرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ[۳۰۵] وَالسَّبِيلَ قَصَدٌ»

. العبارة

«فَاحْذَرُوا ... النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ»

إشارة إلى أنّ الإنسان يمكنه

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۱۹۹

اجتياز الأخطار الواردة فى العبارات السابقة للإمام من خلال: غلبته لنفسه ليتمكن بعد ذلك من كبح جماح شهواته ومن ثم النظر إلى الأمور ببصيرة العقل لا الشهوة المضلة، والعبارات الأربع الأخيرة فى الخطبة تشير كل واحدة منها إلى قضية مستقلة، قال فى الاولى: إنّ سبيل السعادة قد اتضح بواسطة القرآن وأولياء اللّه وقد نصبت الأعلام الواضحة على طول طريق السير إلى اللّه، كما أنّ الجادة محكمة ومستوية وخالية من العوائق والمطبات والانحراف، ولا يبقى شىء سوى العزم والإرادة للسالكين على الدرب واجتيازه بصورة سريعة. وهنيئاً لأولئك الذين عزموا وساروا على الدرب كما قال الشاعر:

فَطُوبَى لِعَبدٍ آثَرَ اللَّهَ رَبَّهُوَجادَ بِدُنياهُ لِما يَتَوَقَّعُ ۳۰۶]

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۰۱

الخطبة ۱۶۲

اشارة

لِبَعْضِ أَصْحَابِه وَقَد سَأَلَهُ: كَيْفَ دَفَعَكُمْ قَوْمُكُمْ عَنْ هذا المَقَامِ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ؟ فَقَالَ:[۳۰۷]

نظرة إلى الخطبة

كما ورد آنفاً فإنّ الإمام عليه السلام أورد هذا الكلام كجواب لأحد أصحابه وقد ساله عن كيفية دفعه عن حقّه فى الولاية وجدارته بها. فأشار الإمام عليه السلام إلى أمرين تدور حولهما الخطبة:

الأول: أنّ السبب الرئيسى هو البخل والاستبداد والتعلق بالدنيا.

والثانى: الذى قال فيه إنّك إن تعجب من قضية بداية الخلافة، فانظر اليوم وقد تصدى معاوية وتبعه الناس، دون أدنى جدارة بهذا المنصب ولا يمكن المقارنة بينى وبينه.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۰۳

القسم الأول

فقال: يَا أَخَا بَنِى أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ تُرْسِلُ فِى غَيْرِ سَدَدٍ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الْإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- نَوْطاً، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ؛ وَالْحَكَمُ اللَّهُ، وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ.

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِى حَجَرَاتِهِوَلَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

الشرح والتفسير: علة غصب الخلافة العلوية

أورد الإمام على عليه السلام هذا الكلام فى رده على السائل الذى يبدو أنّه طرح السؤال فى موقع لم يكن مناسباً، مع ذلك أجاب عليه السلام عن السؤال فقال:

«يَا أَخَا بَنِى أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ تُرْسِلُ فِى غَيْرِ سَدَدٍ[۳۰۸]، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ[۳۰۹] الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ»

. أمّا لماذا خاطبه الإمام عليه السلام

«يَا أَخَا بَنِى أَسَدٍ»

وأشار ضمن كلامه بالقول لك علينا ذمامة الصهر؟ هناك خلاف بين شرّاح نهج البلاغة بهذا الشأن؛ فالبعض كابن أبى الحديد ومغنية يقولان إنّ ذلك يعود إلى أنّ إحدى أزواج النبى الأكرم صلى الله عليه و آله زينب بنت جحش من طائفة بنى‌أسد[۳۱۰]. بينما يرى البعض الآخر أنّ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۰۴

علياً عليه السلام تزوج امرأة من بنى أسد، وإن لم تذكر كتب التاريخ ذلك، ولا مانع من الجمع بين الاحتمالين. العبارة

«لَقَلِقُ الْوَضِينِ»

بالنظر إلى أنّ

(الوضين)

بطان يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج، و

(قلق)

، بمعنى الضعيف فإنّ من الطبيعى أن اضطرب ذلك الحزام تململ الجمل وتحرك هنا وهناك ومن هنا يطلق على المضطرب: الوضين. والعبارة

«وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ»

تعبير حى رائع يفيد أنّ لكل شخص الحق فى سؤال الإمام، كما يستفاد ضمنياً التزام الإمام بالاجابة ما لم يكن هنالك محذور معيّن.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه السابق ليتطرق إلى الأسباب التى وقفت وراء دفعه عن حقّه فقال:

«أَمَّا الْإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- نَوْطاً[۳۱۱]، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً[۳۱۲] شَحَّتْ ۳۱۳] عَلَيْهَا نُفُوسُ

قَوْمٍ، وَسَخَتْ ۳۱۴] عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ؛ وَالْحَكَمُ اللَّهُ، وَالْمَعْوَدُ[۳۱۵] إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ».

المراد من الإستبداد، من مادة

(بدد)

، بمعنى الابعاد والتفريق، بحيث يستولى الإنسان على شىء ويبعد الآخرين عنه. فقد عزى الإمام عليه السلام فى هذا الموضع من كلامه الدليل الأصلى لغصب الخلافة رغم أولويته بها إلى الإستبداد والبخل الذى أعمى أعين البعض عن الواقع فسارع‌عزل الآخرين واعتلى موقع النبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

من الواضح أنّ المراد من هؤلاء الأفراد أولئك الذين اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة لاختيار الخليفة، وإن دفع التعصب ابن أبى الحديد لينسب المقصود إلى الشورى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۰۵

التى نصبها عمر ومعارضة عبدالرحمن بن عوف لخلافة على عليه السلام والذى يعد فى الواقع من قبيل انكار البديهيات؛ ذلك لأنّ سؤال السائل كان بشأن أصل الخلافة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وجواب الإمام عليه السلام أيضاً عالج هذه القضية والذى يشبه ما أورده الإمام عليه السلام بهذا الخصوص فى خطبة أخرى والمراد من العبارة

«وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ»

إننا بنى هاشم حين رأينا الإصرار العجيب لتلك الفئة على مصادرة الخلافة ولا- تعود المقاومة سوى إلى تصدع كيان المجتمع الإسلامى غضضنا الطرف عنها بكل سخاء ولم نمارس أيّة مقاومة.

ثم تمثل الإمام عليه السلام بذلك الشعر الذى ينسب إلى

امرؤ القيس

الذى قال فيه دع عنك الحديث بشأن الغارات التى وقعت فى الزمان الماضى وحدثنى عن غارات اليوم (حيث آلت فيه الخلافة الإسلامية إلى معاوية الذى أصبح الخطر العظيم الذى يهدد الإسلام).

ودع عنك نهباً صيح فى حجراته ۳۱۶] ولكن حديثا ما حديث الرواحل.

يذكر أنّ

امرؤ القيس

أنشد هذا البيت بعد قتل أبيه الذى لجأ إلى

خالد بن سدوس

فهجمت عليه طائفة من قبيلة

بنى جديلة

ونهبوا الأموال والجمال. فأخبر

امرؤ القيس خالد

الخبر فقال له: أعطنى جمالك حتى استعيد تلك الجمال فقبل. فاتّجه

خالد

إلى قبيلة

بنى جديله

فطالبهم باعادة الجمال. فأنزلوه من ناقته وأخذوا منه البقية. فلما اطلع

امرؤ القيس

على هذا الخبر أنشد ذلك البيت، ومضمونه: دع عنك نهب تلك الجمال وحدثنى عن هذه التى سلمها

خالد

لهذه القبيلة[۳۱۷]. ينطوى هذا القسم على موضوعين مهمين سنتطرق إليهما فى ختام الخطبة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۰۷

القسم الثانى

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِى ابْنِ أَبِى سُفْيَانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِى الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ؛ وَلَا غَرْوَوَاللَّهِ، فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ! حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَجَدَحُوا بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً، فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ؛ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ».

الشرح والتفسير

هذا المقطع من الخطبة شرح لما ذكره الإمام عليه السلام على نحو الإشارة فى البيت الذى تمثل به والذى أنشده امرؤ القيس، فقد صرح الإمام عليه السلام بترك الماضى رغم عيوبه وإشكالاته والنظر إلى الطامة التى تحدث اليوم:

«وَهَلُمَ ۳۱۸] الْخَطْبَ ۳۱۹] فِى ابْنِ أَبِى

سُفْيَانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِى الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ».

إنّك تسألنى لِمَ أبعدوك عن الخلافة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى حين لا يرقى إليك أحد؟ تعال اليوم وانظر إلى ابن أبى سفيان عدو الإسلام اللدود الذى يطالبنى بالخلافة. يا له من أمر مبكٍ ومضحكٍ، أمّا أنّه مبكٍ فذلك لأنّ الإسلام بلغ مرحلة يريد فيها ابن أعدى أعداء الدين زعامة الدولة الإسلامية والدفاع عن حمى الإسلام

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۰۸

والمسلمين، وأمّا أنّه مضحك فذلك لأنّه ليست هنالك من نسبة للمقارنة بينى وبينه، ولذا لا يقاس معاوية أبداً بى بل أنا وهو طرفى التضاد، نعم ربّما لا يعود هذا البكاء والضحك لزمان واحد، فالبكاء لهضم حقوق الإسلام والمسلمين فى كيفية رضاهم بحكومة بنى أمية حثالة عصر الجاهلية.

ثم قال عليه السلام

: «وَلَا غَرْوَ[۳۲۰] وَاللَّهِ، فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ ۳۲۱] الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ[۳۲۲]!».

لعل صدر وذيل العبارة يبدو فى الوهلة الأولى متناقضاً، إلّاأنّه فى الواقع نوع من البلاغة والفصاحة التى أوردها الشاعر حين أنشد:

قَدْ صِرْتُ فِى المَيدانِ يَوْمَ طِرادِهِمْفَعَجِبْتُ حَتّى كِدْتُ أن لْاأَعْجبا[۳۲۳]

أى، تعجبت إلى الحد الذى لم يبق لى من مجال للتعجب فقد وطأت الميدان فعجبت من الوضع إلى درجة أنّى كدت أن لا اتعجب،

ولعل ذلك من باب المثل المعروف، «أنّ الشَّيءَ إذا تَجاوَزَ حَدُّهُ انْقَلَبَ ضِدُّهُ». والعبارة

«وَيُكْثِرُ الْأَوَدَا!»

إشارة إلى أنّ المجتمع الإسلامى بفعل حكومة يتزعمها ابن أبى سفيان سينحرف تماماً عن الصراط ويعيش الاعوجاج فى كل شىء.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى تفاصيل هذا الأمر فقال:

«حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ ۳۲۴] مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَجَدَحُوا[۳۲۵] بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً[۳۲۶]»

. فالعبارة

«حَاوَلَ الْقَوْمُ ...»

إشارة إلى أنّ بنى أمية لا يسعون إلى الحكومة وزعامة الأُمّة فحسب، بل هدفهم إطفاء نور الإسلام والقرآن، والهدف إعادة الأُمّة إلى الجاهلية

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۰۹

وعصرها المظلم وأعمالهم خير شاهدة على ذلك.

والعبارة

«وَسَدَّ فَوَّارِهِ ...»

بينت نفس المعنى بتعبير آخر، حيث شبه الإسلام والقرآن بعين فياضة انفجرت فى صحراء جاهلية العرب وروت بمائها العذب ما تصحو من قلوبهم واثمرت تلك النبتة، ويسعى بنى أمية لغلق هذه العين وسوق الأُمّة إلى تلك الصحراء.

والعبارة

«وَجَدَحُوا ...»

تعبير رائع آخر للمعنى المذكور. فقد خلط هؤلاء القوم ماء الشريعة العذب الفرات بالسموم الفتاكة ليسمموا أفكار الأُمّة ويلوثوا أخلاقها، فمثل هذه الأُمّة لن تنقاد إلى بنى أمية وآل أبىسفيان إن عاشت السلامة فى فكرها والطهر فى أخلاقها. نعم، فهؤلاء لم يسعوا لإطفاء نور الولاية فحسب، بل وعلى غرار المشركين الذين قال فيهم القرآن: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ»[۳۲۷] سعوا إلى إطفاء نور الإسلام والقرآن والحيلولة دون نشر الإسلام والمعارف الدينية وقد وضعوا العديد من الأحاديث لتلويث هذا الماء العذب.

ثم اختتم الإمام عليه السلام الخطبة بالإشارة إلى عزمه الذى اتخذه بهذا الشأن فقال:

«فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ؛ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى

«فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ»». أى، إن زالت الموانع فإنّى على استعداد تام لإعادة الأُمّة الإسلامية إلى سابق عزّها على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وسأبذل جهدى بهذا الخصوص، ولكن إن لم تسمح الظروف فلا إشكال، ذلك أنّى أعمل بوظيفتى وسيذوق هؤلاء وبال أعمالهم.

تأمّلات

۱. حق السؤال

عادة ما يواجه الإنسان من حوله سيلًا من المجاهيل التى ترتبط أحياناً بالأمور

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۱۰

المادية وأخرى المعنوية وسؤال العلماء والمختصين، مفاتيح حل تلك المجاهيل.

ولذلك فتح اللّه تعالى على الإنسان أبواب السؤال بشأن عالم التشريع والتكوين.

وتمتاز الشريعة الإسلامية الغراء بأنّها لم تأذن بفتح باب السؤال لكل شخص وفى أى مجال فحسب، بل أمرت بذلك. القرآن الكريم من جانبه أكد على هذا الأمر فى آيتين: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ»[۳۲۸]. كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام فى بعض كلماته القصار فى نهج البلاغة:

«وَلا يَسْتَحْيِيَنَ أحدٌ إذا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيءَ أن يَتَعَلَّمَهُ»[۳۲۹]

. نعم، فالسؤال ليس عيبا، بل العيب أن لا يسأل الإنسان ويبقى فى الجهل.

الجدير بالذكر أنّ الخطبة المذكورة إشارة إلى أنّ السؤال حق لكل شخص، ويبدو هذا الأمر أكثر أهميّة لدى الشباب وذلك لكثرة مجهولاتهم. فمن حيث التكوين والخلقة فإنّ اللّه خلق فى ذات الإنسان حبّ الاستطلاع والبحث. فالإنسان يميل بطبعه لمعرفة الأشياء التى لا يعلمها، وتبدو هذه الرغبة أعمق لدى الشباب، بسبب تلك الحاجة، فهم يطرحون أحياناً على الوالدين بعض الأسئلة التى تنتهى عادة بارتفاع أصواتهم، والحال، واجبهم يتطلب منهم تلبية هذه الحاجة الروحية بكل عطف ورقة، فيعلمونهم ما لا يعلمون وإن عجزوا عن الجواب أرشدوهم إلى من يجيبهم. والبعض يعتقد أنّ السؤال عن القضايا الأصولية والعقائدية من دواعى الكفر والإلحاد، بينما تسهم مثل هذه الأسئلة فى ترسيخ الإيمان وشد الجانب العقائدى لدى الإنسان. لا شك أنّ وظيفة العلماء تقتضى تأهبهم للاجابة عن الأسئلة فى كافة الظروف والتعامل مع السائل بكل أدب واحترام، ولا ينبغى لهم نسيان ضرورة قيامهم بهذا الدور، لما قاله أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنَّ اللّهَ يأخُذُ عَلَى الجُهّالِ عَهداً بِطَلَبِ العِلْمِ حَتّى أَخَذَ عَلَى العُلَمَاءِ عَهداً بِبَذْلِ العِلْمِ لِلجُهّالِ»[۳۳۰].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۱۱

ونختتم البحث ببعض الأحاديث الواردة بهذا الشأن: أولًا: ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام فى حثه أحد أصحابه وهو حمران بن أعين على السؤال أنّه قال:

«إنّما يَهْلِكُ النَّاسِ لأَنَّهُم لايَسأَلُونَ»[۳۳۱].

وثانياً: قال على عليه السلام:

«القُلُوبُ أَقْفالٌ مَفاتِحُها السُّؤالُ»[۳۳۲].

وثالثاً: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«العِلْمُ خَزائِنُ وَمَفاتِيحُهُ السُّؤالُ فَاسْأَلُوا يَرْحَمُكُمُ اللّهُ فَإِنَّهُ يُؤجَرُ فِيهِ أَربَعَةٌ: السَّائِلُ وَالمُعَلِّمُ وَالمُسْتَمِعُ وَالمُحِبُّ لَهُم»[۳۳۳]

. التفت اعرابى يوم الجمل إلى أمير المؤمنين وقال: يا أمير المؤمنين، تقول أنّ اللّه واحد؟ ما المراد بهذه الوحدة. فهجم عليه الناس من كل جانب وقالوا له ألا ترى انشغال أمير المؤمنين بالقتال؟ (فلكل حادث حديث) فأشار عليهم الإمام عليه السلام دعوه فما يسأل عنه الأعرابى هو ما نريده من القوم (إننا ندعوهم إلى التوحيد والقتال لمعرفة هذه التعاليم المقدّسة) ثم قسم الإمام عليه السلام التوحيد إلى أربعة أقسام اثنان مرفوضان واثنان مطلوبان ۳۳۴].

۲. الهدف الاصلى من السؤال والجواب فى الخطبة

مراد الرجل الاسدى من السؤال بشأن الخلافة واجابة الإمام عليه السلام واضحة تماماً أنّها بخصوص السقيفة وتغيير محور الخلافة عن أهل بيت النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بعد وفاته، إلّاأنّ تعصب ابن أبى الحديد لمذهبه جعله يفسر العبارة ومرادها على أساس احتمال ضعيف من قبيل أنّ المراد معارضة عبدالرحمن بن عوف لخلافة على عليه السلام ودفعها لعثمان. والغريب فى الأمر أنّ ابن أبى الحديد نقل هنا قصة عن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۱۲

استاذه أبى جعفر النقيب تؤيد تماماً ما قلناه، وهى منطقية تماماً، مع ذلك لم يستطع هذا الرجل المفكر ابن أبى الحديد من التسامى على بعض تعصبه، إذ يروى عن أستاذه الذى يصفه بأنّه رجل منصف علوى المذهب وله حظ وافر من العقل أنّه يسأله ماذا عنى ذلك السائل بسؤاله الإمام على عليه السلام عمن أبعدوه عن حقّه؟ أكان مراده يوم السقيفة أم يوم الشورى أجاب: السقيفة. قلت: لا أجيز لنفسى أن أقول إنّ أصحاب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله خالفوه ولم يلتزموا بمعتى الخلافة. قال: إنا أيضاً لا أجيز لنفسى أن أنسب إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه أهمل أمر الخلافة والإمامة من بعده وترك الأُمّة دون إمام، فقد كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ينصب من يقوم مقامه إن سافر إلى المدينة، فكيف لا ينصب شخصاً للخلافة بعد وفاته وأضاف الأستاذ أنّ الجميع يعتقدون أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان قمة الكمال العقلى، كما يعتقد اليهود والنصارى والفلاسفة والحكماء أنّه رجل حكيم وله نظرة صائبة وقد أتى بقوانين منطقية وعقلية، وبغض النظر عن مقام النبوّة فإنّ تعاليمه تستند إلى الوحى، وهذا الإنسان كان عارفاً بالعرب ويعرف طباعهم وأحقادهم وإن قُتل شخص لقبيلة ثأروا له، فإن عجزوا فمن أهله وقرابته، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يحب بنته فاطمة وولديها الحسن والحسين وبعلها علياً عليهم السلام، ولا شك فى أنّه لو لم يستند إلى الوحى فلن يتركهم دون إمام، أتظن أنّه أراد أن تكون إحدى ضعفاء المدينة. وفى وسط قومٍ أراق على عليه السلام دماء قرابتهم، والواقع هو أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سفك دماءَهم لا على عليه السلام.

خلاصة القول أنّ هذا الرجل العاقل كان لابدّ له من تنصيب أحد للخلافة من أهل بيته لكى لا تموت رسالته. قال: فقلت له: هذا صحيح، لكن كلام الإمام عليه السلام لا يدل على النص فى الخلافة، أجاب: صحيح، إلّاأنّ السائل لم يسأل عن النص فى الخلافة بل سأل كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم الأعلى نسباً وقرابة من النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فأجابه الإمام عليه السلام عن هذا السؤال ۳۳۵].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۱۳

۳. بنى امية ومؤامرة القضاء على الإسلام

يستفاد من عبارات الإمام عليه السلام فى الخطبة المذكورة ولاسيما قوله:

«حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ...»

أنّ هدف بنى أمية لم يقتصر على الإستيلاء على الخلافة الإسلامية فحسب، بل إنّهم سعوا جاهدين لمحو آثار الإسلام، كونهم حثالى عصر الجاهلية، ولولا تضحيات تلك الثلة المخلصة فى كربلاء والتى كشفت عن كوامن بنى أمية لما بقى اليوم من الإسلام إلّااسمه، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة منها:

۱. إنّ المؤرخ المعروف المسعودى قد روى فى كتابه (مروج الذهب) قصة عن المأمون، الخليفة العباسى أنّه أصدر أمراً سنة ۲۱۲ ه وبعث بمنادٍ ينادى أن ليس لأحد أن يذكر معاوية بخير أو يقدمه على أىٍّ من صحابة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وحين حاول البعض معرفة دافع المأمون، اتضح أنّ السبب ما ذكره له ابن المغيرة بن شعبة، قال: دخلت الشام مع أبى وكان كل يوم يقصد معاوية ويمدحه حتى رجع يوماً حزيناً فسألته الخبر. قال: رجعت من أخبث الناس. قلت: لم؟ قال: كنت عند معاوية فأشرت عليه بالعدل والخير تجاه بنى هاشم وصلة الرحم فقال غاضباً:- هَيهاتَ هَيهاتَ أخو تيم (أبو بكر) ولّى الخلافة وفعل ما فعل، فلما مات انقطع ذكره، ثم ولاها أخو عدى (عمر) فلما مات انقطع ذكره، وكذلك عثمان إلّاأخو هاشم ينادى باسمه كل يوم خمس مرات

«أشهد أنّ محمّداً رسول اللَّه»

فما الذى يبقى لنا ثكلتك أُمّك.

ثم قال:

«وَاللّهِ إلَّادَفناً دَفناً»[۳۳۶]

. فلما سمع المأمون ذلك أصدر أمره المذكور بحق معاوية[۳۳۷] فهذا الخبر الذى تناقلته كتب التاريخ يكشف الكثير من الأمور ويتضمن

نفحات الولايه، ج۶، ص: ۲۱۴

الأجوبة عن الكثير من الأسئلة التى تطرح بشأن مؤامرات بنى أمية.

والشاهد الآخر على ما ذكرناه الشعر الذى تمثل به يزيد بن معاوية حين سمع بمصرع الحسين فأنشد:

لَعِبَتْ هاشِمُ بِالمُلكِ فَلاخَبَرٌ جاءَ وَلا وَحىٌ نَزَلْ

ولا غرو فهو ابن معاوية بن أبى سفيان. قال الطبرى: حين وُلّى عثمان الخلافة خاطب أبوسفيان بنى أمية: هل فيكم غيركم؟ قالوا: لا، قال:

«تَلَقَّفُوها تَلَقُّفَ الكُرَةِ فَما هُناكَ جَنَّةٌ وَلا نارٌ»[۳۳۸].

وروى المسعودى (فى مروج الذهب) أنّه قال

«يا بَنِى أُمَيَّةَ تَلَقَّفُوها تَلَقُّفَ الكُرَةِ فَوالَّذى يَحْلِفُ بِهِ أَبُوسُفيانَ ما زِلْتُ أَرجُوها لَكُم وَلَتَصِيرَنَّ إلى صِبيانِكُم وراثَةً»[۳۳۹]

. كما روى هذا المعنى ابن عبدالبر فى الاستيعاب، وقال: كان هذا فى مجلس عثمان، فلما سمع انكاره للجنّة والنّار قال:

«قُم وانصرف عنّى»[۳۴۰].

نفحات الولايه، ج۶، ص: ۲۱۵

الخطبة ۱۶۳

نظرة إلى الخطبة[۳۴۱]

إنّها خطبة بليغة وفصيحة تتكون من قسمين:

القسم الأول: يتحدث عن صفات اللّه الجمالية والجلالية، وقد شرح الإمام عليه السلام تسع عشرة صفة من صفات اللّه بعبارات غاية فى الروعة حسبما ذكره المرحوم المحقق البحرانى.

أمّا القسم الثانى: فخاطب فيه الإمام عليه السلام الإنسان وقد بين آيات القدرة الإلهية فى خلقه رغم ضعفه وعجزه، ليربط صدر الخطبة بذيلها ويرسم صورة جميلة عن توحيد اللّه ومعرفته.

نفحات الولايه، ج۶، ص: ۲۱۷

القسم الأول

الْحَمْدُللّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ، وَمُسِيلِ الْوِهادِ، وَمُخْصِبِ النِّجَادِ. لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ. هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِى بِلَا أَجَلٍ. خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ. حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا. لَاتُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ. لَايُقَالُ لَهُ: «مَتى » وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ «بِحَتَّى . الظَّاهِرُ لَايُقَالُ: «مِمَّ؟» وَالْبَاطِنُ لَايُقَالُ: «فِيمَ؟» لَاشَبَحٌ فَيُتَقَصَّى وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلَا ازْدِلَافُ رَبْوَةٍ، وَلَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ، فِى لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِى الْأُفُولِ وَالْكُرُورِ،

وَتَقَلَّبِ الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ. قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ، وَنِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ، وَتَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ، وَتَمَكُّنِ الْأَمَاكِنِ. فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ.

الشرح والتفسير: حادثة مهمّة

يبيّن المقطع الأول من الخطبة كما ذكرنا جانباً من صفات اللّه، والمهم أنّه يستهل الخطبة بصفات الأفعال، يعنى خلق عالم الوجود وما ينطوى عليه من عجائب

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۱۸

وغرائب، ذلك لأنّ هذه الصفات تدرك من قبل الجميع، حيث قال:

«الْحَمْدُللَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ ۳۴۲] الْمِهَادِ[۳۴۳]، وَمُسِيلِ الْوِهادِ[۳۴۴]، وَمُخْصِبِ ۳۴۵] النِّجَادِ[۳۴۶]»

. فقد أشار الإمام عليه السلام بادىء الأمر إلى خلق الناس بصفته، أروع خلق اللّه، ثم أشار إلى ثلاثة محاور مهمة (موضع السكن والماء، مادة الحياة، والمواد الغذائية) ليثير لدى الآخرين الشعور بالإمتنان والشكر ويعدّهم للتعرف على صفات اللّه الجمالية والجلالية.

(والعباد)

الواردة بقرينة العبارات القادمة تعود إلى الناس وأن تشمل أحياناً الملائكة والجن. وتشير

«وَسَاطِحِ الْمِهَادِ»

إلى ما ورد فى الآية الشريفة: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً»[۳۴۷]. والعبارة

«وَمُسِيلِ الْوِهادِ»

بالنظر إلى أنّ الوهاد تعنى الوديان والمنخفضات إشارة إلى أنّ اللّه تعالى جعل بعض مناطق الأرض منخفضة لتتخلها المياه دون غيرها. والعبارة

«وَمُخْصِبِ النِّجَادِ»

إشارة إلى قدرة اللّه فى إحياء الأراضى المرتفعة بالنباتات رغم عدم وصول المياه إليها.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى جانب مهم من صفاته تعالى الأزلية والأبدية وواجب الوجود فقال:

«لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ. هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ»

. أثبتت الأدلة العقلية أنّ اللّه واجب الوجود ليس له بداية ولا نهاية، كان دائماً ولا يزال، فوجوده عين ذاته وذاته مطلقة، وعليه فالعبارة

«هُوَ الْأَوَّلُ ...

وَالْبَاقِي ...»

نتيجة للعبارة

« «لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ... وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ ...»

لأنّه حين لا تكون لأزليته وأبديته بداية ولا نهاية، فهو الأول والآخر، وهاتان الصفتان فى الواقع أساس أغلب صفات اللّه، وصفاته الجمالية والجلالية إنّما تعود إلى هاتين الصفتين.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۱۹

قال القرآن الكريم: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»[۳۴۸].

ثم قال عليه السلام:

«خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ»

. ومن المسلَّم به أنّ خالق جميع الأشياء والمخلوقات والنعم والذى يستمد الوجود بأسره، الوجود منه فهو أهلٌ للعبادة والسجود والحمد وليس لأحد غيره هذا المقام. وبالطبع فإنّ ذلك السجود والحمد يختص بالعارفين باللَّه لا الكفّار والمشركين الذين لا يستحقون الذكر.

ثم واصل كلامه بالإشارة إلى بعض الصفات السلبية المنزهة من كل نقص فقال:

«حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا»

. إشارة إلى أنّ جميع المخلوقات محدودة وذاته المقدّسة فقط لا تعرف الحدود، ومن هنا ليست هنالك من صعوبة فى تمييز الخالق من المخلوق والإبتعاد عن السقوط فى مستنقع الشرك. وهنا يرد هذا السؤال: أفيمكن أن يخلق اللَّه شيئاً غير محدود أو بعبارة أخرى، واجب الوجود؟ أنّ ذات كل مخلوق تقتضى كونه محدوداً، ومن هنا كيف يقال إنّ اللَّه خلق الأشياء المحدودة حتى لا تشبه ذاته؟

والجواب عن هذا السؤال: إنّ المراد من

«حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا ...»

تمييزه عن المخلوقات؛ بعبارة أخرى فإنّ

«إِبَانَةً لَهُ»

ليست مفعولًا لأجله، بل نتيجته وغاية الفعل. والمسألة الأخرى الجديرة بالإلتفات أنّ أغلب نسخ نهج البلاغة نقلت العبارة

«ابانة لها»

وفى هذه الحالة لا يرد أى غموض وإبهام؛ حيث مفهوم العبارة أنّ اللَّه حدّ الأشياء عند خلقها أى جعل لكل موجود حدود معينة تميزه من الأخرى من قبيل ما ورد فى الآية ١٣ من سورة الحجرات: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا»[۳۴۹].

ثم أسهب عليه السلام فى شرح مطلقية ذات اللَّه المقدّسة ليكشف عمق هذه الحقيقة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۲۰

بعبارات مختلفة تسلط الضوء على كل جوانب غناه عن الحدود فقال:

«لَا تُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ»

. ليست له أعضاء كأعضاء الأنسان ولا يعتمد الوسائل والأدوات لتحقيق مايشاء، كما لا يحتاج الحركة والإنتقال من مكان إلى آخر، ذلك لأنّ كل هذه الأمور من علامات المحدودية ولا تعرف ذاته الطاهرة أية حدود وقيود، ومن هنا تعذر على سكان العالم المحدود المعروف بالنقص والحاجة، الوقوف على كنه تلك الذات المقدّسة، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«كُلُّ ما مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوهامِكُم فِي أَدْقِ مَعانِيهِ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مِثْلُكُم مَرْدُودٌ إِلَيكُم»[۳۵۰].

ثم وضح ماقاله سابقاً:

«لَا يُقَالُ لَهُ: «مَتَى » وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ «بِحَتَّى . الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ: «مِمَّ؟» وَالْبَاطِنُ لَايُقَالُ: «فِيمَ؟»»

وعلى هذا الضوء ليست له من بداية ولا نهاية، لا ظاهر كظهور الشمس والقمر، ولا باطن كالمعادن الخفية فى باطن الأرض، وفى ذات الوقت فذاته أظهر من كل شىء وأخفى من كل شىء، بعبارة أخرى، فإنّ ظهوره ظهور ذاتى وخفاءَه من كنه ذاته.

ثم خاض عليه السلام بصورة أعمق ليقول:

«لَا شَبَحٌ ۳۵۱] فَيُتَقَصَّى ۳۵۲]، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى ۳۵۳].

لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ»

. فقد نفى الإمام عليه السلام فى هذه العبارات بادىء الأمر، الجسمية عن اللَّه، ذلك لأنّ الجسم إمّا ظاهر له حدّ وحدود أو مخفى

ومحتجب فى شىء آخر وله حدّ وحدود فى كلا الحالتين، والحال ليس لواجب الوجود من حدود، كما يلاحظ فى العبارتين الأخيرتين تجلى آخر لغنى الذات المقدّسة عن الحدود. فهو أقرب لكل شىء، لكن ليس بمعنى الإلتصاق أو الحلول والإتحاد، بل بمعنى الحضور فى كل مكان والاحاطة بكل شىء، كما هو

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۲۱

بعيد عن كل شىء ليس بمعنى المسافة والانفصال عن الأشياء، بل بمعنى سمو ورفعة وجوده وصفاته بالنسبة لسائر الأشياء. وهذا يشبه ما ورد فى الخطبة الأُولى من نهج البلاغة:

«مَعَ كُلِّ شَيءٍ لَابِمُقارِنَةٍ وَغَيْرُ كُلِّ شَيءٍ لَابِمُزايَلَةٍ»

. لا شك أنّه يستحيل جمع هذه الصفات فى الممكنات؛ ذلك أنّ الشىء إن بعد فلا يسعه الاقتراب، وإن اقترب فلا يمكنه الإبتعاد، ولكن ليس هنالك من معنى لتضاد القرب والبعد وأمثال ذلك فى ذات واجب الوجود المطلق.

ثم تطرق عليه السلام إلى موضوع علم اللَّه تعالى بكل شىء وفى كل زمان ومكان من خلال عبارات رائعة عميقة المعنى فقال:

«وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ ۳۵۴]

لَحْظَةٍ، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلَا ازْدِلَافُ ۳۵۵] رَبْوَةٍ[۳۵۶]، وَلَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ، فِى لَيْلٍ دَاجٍ ۳۵۷]، وَلَا غَسَقٍ ۳۵۸] سَاجٍ ۳۵۹]»

. فالإمام عليه السلام بغية تشخيص عدم خروج أخفى الأشياء عن علم اللَّه يفترض مسافراً مرّ فى ليلة ظلماء بصحراء وقد صوب بصره إلى الصحراء وينبس ببعض الكلمات، يقترب من التلال والمرتفعات ويتسلقها بسرعة ليبلغ غايته وهو يشق طريقه فى تلك الظلمة المعتمة، فاللَّه تعالى الذى لا يخفى عليه شىء من حركات عيون وشفاه وأقدام هذا المسافر لهو أعلم بأعمال عباده وهم يأتون بها فى وضح النهار وفى المدن والبلدان.

ثم قال فى وصف هذه الليلة الظلماء:

«يَتَفَيَّأُ[۳۶۰] عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ

ذَاتُ النُّورِ فِى الْأُفُولِ وَالْكُرُورِ[۳۶۱]»

. إشارة إلى أنّ علم اللَّه بالموجودات وأعمال

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۲۲

الإنسان لا يقتصر على اليالى المظلمة، بل يشمل اليالى المقمرة والنهار الواضح، بالتالى ليس هنالك من مكان خارج عن علم اللَّه كالذى ورد فى ما بعد:

«عِلْمُهُ بِما فِى السَّماواتِ العُلى كَعِلْمِهِ بِما فِى الأرضِينَ السُّفلَى .

ثم قال مواصلًا كلامه:

«وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ»

. هذه العبارة كتلك التى وردت فى العبارات القادمة:

«عِلْمُهُ بِالأمواتِ الماضِينَ كَعِلْمِهِ بِالأَحياءِ الباقِينَ»

وكل هذه العبارات تشير إلى سعة علم اللَّه الذى لا يحدّه الزمان والمكان. وهنا يرد هذا السؤال: لماذا استند إلى إقبال الليل والنهار مع أنّ لكل من الليل والنهار إقبال وإدبار؟ لعل هذه العبارة تأكيد لما مرّ فى العبارات السابقة بشأن نفوذ علم اللَّه إلى أعماق الظلمات وليس فقط وضح النهار. وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أن تركيز الإمام على إقبال الليل وإدبار النهار ربّما إشارة إلى أنّ أمور الدنيا غالباً ما تجرى على خلاف رغبة الإنسان ۳۶۲].

ثم قال عليه السلام:

«قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ»

. الواقع أنّ العبار

(لا يخفى عليه من عباده ...)

التى تحدّث فيها عن علم اللَّه بالزمان والمكان وكل إنسان وشىء تشمل هذا المعنى أيضاً أنّه عليم بنهاية عمر كل إنسان وكل موجود قبل أن ينتهى عمره كما يعلم عدد الموجودات قبل أن تعد وتحصى ۳۶۳].

ثم قال فى نتيجة كلية:

«تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ، وَنِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ، وَتَأَثُّلِ ۳۶۴] الْمَسَاكِنِ، وَتَمَكُّنِ الْأَمَاكِنِ»

. نعم؛ فكل طائفة ضالة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۲۳

تفتقر إلى المعرفة من قبيل المشبِّهة والمجسِّمة إنّما شبهت اللَّه بمخلوقاته وجعلت له جسماً وأعضاءاً، وأنّ له مكان وينتقل من مكان إلى آخر فيحضر هنا ويغيب هناك، والحال أنّه لأرفع من الزمان والمكان والقياس والوهم؛ أرفع ممّا نرى ونقرأ ونكتب، فليس له جسم ولا مكان ولا صفة من صفات المخلوقات. والعبارة المذكورة إشارة إلى أربعة أنواع من الحدود يتنزه اللَّه عنها جميعا: الحدود من حيث القامة كالصغر والكبر ومن حيث النهاية كمقدار العمر ومن حيث اختيار السكن وأخيراً من حيث المكان. فهو وجود مطلق لا متناهٍ غنى عن أى من الحدود، ذلك لأنّ كل هذه الأمور من صفات المخلوقات. ومن هنا اختتم الخطبة بالقول:

«فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ»

. فهذه العبارة هى عصارة الأبحاث السابقة فى أنّ كل محدودية هى إنّما تعودالمخلوقات ومن شأن الممكنات، وليس لهذه الصفة من سبيل إلى ذاته المطلقة.

تأمّل: اللَّه حقيقة مطلقة

إنّ أول وأهم مطلب ينبغى إثباته فى باب صفات اللَّه ليتضح مفهوم التوحيد وكذلك سائر الصفات كالعلم والقدرة وماشابه ذلك يتمثل فى كون ذاته مطلقة لا متناهية، وذلك لأنّه إن ثبت هذا المطلب فقد تمهد السبيل أمام إدراك جميع صفاته الجمالية والجلالية (الصفات الثبوتية والسلبية). ولإثبات ذلك لابدّ من الألتفات إلى الأمور التالية:

۱. إنّ محدودية الوجود تعنى طروء العدم، ذلك لأنّه إن لم يرد العدم فلا معنى للحدود. فلو قلنا إنّ عمر فلان محدود، فذلك يعنى أنّ عمره سينتهى يوما إلى العدم، وهكذا بشأن العلم والقدرة وماشابه ذلك.

۲. إنّ الوجود ضد العدم فإن اقتضى شىء بذاته الوجود فلا يمكنه اقتضاء العدم.

۳. ثبت فى برهان العلة والمعلول أنّ سلسلة العلة والمعلول لهذا العالم يجب أن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۲۴

تنتهى إلى نقطة ثابتة وأزلية يصطلح عليها (واجب الوجود) أى أنّ وجوده من ذاته لا- من خارجها، وعليه فإنّ العلة الاولى للعالم تقتضى الوجود بذاتها فهى لا تمتزج بالعدم. وعلى ضوء هذه المقدمات الثلاث يتضح أن طرأت حدود على الذات الواجبة الوجود فلابدّ أن تكون من خارجها، ذلك لأنّ المحدودية استناداً إلى المقدمات المذكورة بمعنى الامتزاج بالعدم، والشىء الذى تقتضى ذاته الوجود فإنّها لا- تقتضى العدم اطلاقاً. وبناءً على هذا فإنّ اعترته محدودية فلابدّ أن يحده عامل خارجى ويلزم من ذلك أنّه ليس بواجب الوجود، لأنّه معلول لذات أخرى ومخلوق آخر فى حد وجوده. بعبارة أخرى ممّا لا- شك فيه أنّ العالم ينتهى إلى واجب

الوجود، فإن كان واجب الوجود غير محدود فليست هنالك من مشكلة، أمّا إن كان محدوداً فذلك ليس من مقتضيات ذاته، لأنّ ذاته تقتضى الوجود لا العدم، إذن لابدّ أن تطرأ عليه من الخارج. ومفهوم هذا الكلام أنّ هنالك علة خارج وجوده وهو معلول لتلك العلة وفى هذه الحالة سوف لن يكون واجب الوجود.

وقد تعرضت الرواية الواردة عن الإمام السجاد عليه السلام إلى وجوده المطلق على ضوء البرهان المذكور، فقال:

«إِنَّ اللَّهَ لَايُوصَفُ بِمَحْدُودِيَّةٍ عَظُمَ رَبُّنَا عَنِ الصِّفَةِ فَكَيْفَ يُوصَفُ بِمَحدُودِيّةٍ مَنْ لايُحَدُّ»[۳۶۵]

. وورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال:

«هُوَ أَجَلُّ مِنْ

أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ أَوْ يُحِيطَ بِهِ وَهْمٌ أَوْ يَضْبِطَهُ عَقْلٌ»

قال السائل: حده لى؟ قال عليه السلام:

«إِنَّهُ لَايُحَدُّ قَالَ: لِمَ؟ قَالَ عليه السلام: لِأَنَّ كُلَّ مَحْدُودٍ مُتَناهٍ إِلى حَدٍّ فَاذَا احْتَمَلَ التَّحْدِيدَ احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَاذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ احْتَمَلَ النُّقْصَانَ فَهُوَ غَيْرُ مَحْدُودٍ وَلَا مُتَزَائِدٍ وَلَا مُتَجَزِّىءٍ وَلَا مُتَوَهَّمٍ»[۳۶۶].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۲۵

القسم الثانى

لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلَا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ. لَيْسَ لِشَىْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَىْءٍ انْتِفَاعٌ. عِلْمُهُ بِالأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِى السَمَاوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِى الْأَرَضِينَ السُّفْلَى

الشرح والتفسير: العلم الإلهى المطلق

واصل الإمام عليه السلام ما طرحه سابقاً بشأن قدرة اللَّه التامة وعلمه المطلق فقال:

«لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلَا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ»

فالعبارة إشارة إلى الابداع فى الخلق، أى خلق الأشياء دون سابقة، فلم تكن هناك مواد أزلية استعان بها اللَّه لخلق الأشياء، كما لم تكن هنالك إشكال وصور احتذاها فى تصويره الأشياء، خلافاً لما اعتقده الفلاسفة من أزلية المادة، فلا أبدية وأزلية سوى للذات المقدّسة، وهذا ما بيّناه فى برهان التوحيد من امتناع وجود الأبدى والأزلى فى عالم الممكنات. والعجيب أنّ الإمام عليه السلام كشف النقاب عن هذه الحقيقة فى عصر وبيئة لم ترق لهذه الأفكار ولم تشهد معرفة اللَّه مثل هذا المنطق الرصين.

ثم أشار عليه السلام إلى قدرة اللَّه المطلقة من زاوية أخرى فقال:

«لَيْسَ لِشَىْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَىْءٍ انْتِفَاعٌ»

. بل الجميع مستسلم لإرادته التكوينية، فيوجد ما يشاء متى شاء ويعدم ما يشاء كيفما شاء، مع ذلك فاستسلام الموجودات وطاعة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۲۶

المطيعين وعبادة العابدين لا تزيد فى عظمته شيئاً، لأنّ وجوده مطلق ومصدر جميع الخيرات والبركات. هذا من حيث القدرة، أمّا بشأن العلم المطلق فقال:

«عِلْمُهُ بِالأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِى السَمَاوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِى الْأَرَضِينَ السُّفْلَى

. فما ذكره الإمام عليه السلام فى هذه العبارات البليغة الرائعة العميقة المدى اقتباس من بعض الآيات القرآنية من قبيل: «وَمَا يَعْزُبُ عَنْ

رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»[۳۶۷] «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً»[۳۶۸] والإية: «وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ»[۳۶۹]. وزبدة الكلام:

تتعذر معرفة اللَّه دون الوقوف على علمه المطلق وقدرته اللامتناهية وأزليته وأبديته الغنية عن الحدود.

تأمّل: دور الإيمان بعلم اللَّه على العمل

الموضوع المهم هنا أنّ مثل هذا الإيمان بعلم اللَّه وقدرته وأزليته وأبديته لا يقتصر دوره على البعد الذهنى والفكرى فحسب، بل له تأثير عميق وشامل على أعمالنا وأفعالنا، لأننا حين نوقن بأنّه معنا أين ما كنّا وكان قبلنا وسيكون بعدنا ولا يخفى عليه ظاهرنا وباطننا بل حتى تفاصيل دوافعنا وجزئيات نيّاتنا، فإنّ هذا الإيمان سيربّينا ويضطرنا إلى مراقبة أنفسنا وأعمالنا ويسوقنا إلى محاسبة أنفسنا، إلى جانب إبعادنا عن الشعور باليأس والإحباط ويبعث فينا روح الرجاء والأمن.

وعلى هذا الأساس فإنّ إيماننا باللَّه على ضوء الصفات المذكورة لا يقتصر دوره

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۲۷

على يوم الجزاء فحسب، بل من شأنه إصلاح حياتنا الدنيوية والأخذ بأيدينا إلى الورع والتقوى والشعور بالأمن والاستقرار، وعليه فما نراه اليوم من تهتك لحجاب التقوى من جانب وحالة الاضطراب من جانب آخر إنّما يُعزى أحد أسبابها الرئيسية إلى الإبتعاد عن العقائد الدينية الصحيحة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۲۹

القسم الثالث

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ. بُدِئْتَ «مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ»، وَوُضِعْتَ «فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ» وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ. تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لَاتُحِيرُ دُعَاءً، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً؛ ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا. فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ! هَيْهَاتَ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ!

الشرح والتفسير: الأرفع من الخيال والوهم

هذا المقطع الذى يمثل القسم الأخير من الخطبة هو جواب عن سؤال من الأسئلة التى تفرزها الأقسام السابقة، وهو تعذر معرفة اللَّه بهذه الصفات من قبيل كونه الأول والآخر والظاهر والباطن والقريب من الأشياء والبعيد عنها والمطلق العلم واللامتناهى القدرة. صحيح، لدينا علم إجمالى بكل هذه الصفات ولكن ليس لدينا من سبيل إلى العلم التفصيلى الذى نعبّر عنه بالعلم بكنه الذات والصفات. يشير الإمام عليه السلام هنا إلى جانب من خلق الإنسان والأسرار المعقدة التى تكتنف فترة كونه جنيناً إلى جانب الأسرار العظيمة لولادته وما بعدها، ثم يخلص إلى نتيجة فى أنّك إن عجزت عن التوصل إلى أسرار خلقتك كيف يسعك العلم بكنه صفات خالقك؟

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۳۰

فقال:

«أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ ۳۷۰]، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ ۳۷۱]، فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ،

وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ»

. نعم؛ مرحلة الجنين من أعجب مراحل الخلقة التى تنطوى على العديد من الأسرار. فنطفة الإنسان تطوى مراحلها التكاملية بصورة متتالية فى وسط مغلق ومظلم ومحاط بالأستار بحيث يطأ كل يوم مرحلة جديدة فى إطار خلقة موزونة ومنظمة، ورغم أنّها تجرى فى وسط رقيق وشفاف إلّاأنّها بعيدة كل البعد من المخاطر.

ثم خاض فى شرح هذا المطلب فقال:

«بُدِئْتَ

«مِنْ سُلَالَةٍ[۳۷۲] مِنْ طِينٍ»

، وَوُضِعْتَ

«فِى قَرَارٍ مَكِينٍ ۳۷۳]* إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ»

وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ»

. إشارة إلى أنّ عملية توقف الإنسان فى الرحم خاضعة لحساب دقيق. من حيث كمية البدن وكيفيته من حيث المدة والزمان وقد أشار الإمام عليه السلام إلى أحدهما بالعبارة

«إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ»

والأخرى بالعبارة

«وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ».

ثم تطرق إلى المرحلة الأخرى التى تعقب الرحم فقال:

«تَمُورُ[۳۷۴] فِى بَطْنِ أُمِّكَ

جَنِيناً لَاتُحِيرُ[۳۷۵] دُعَاءً، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً»

. فهذه العبارة إشارة لطيفة إلى الحركة المتتابعة للجنين فى بطن أُمّه والتى تتمّ من خلال السباحة فى ماء معين حوله. وأنّه ليتلقى بوازع من فطرته وبحكم طبيعته الأمر بالحركة، دون أن يسأل أو يجيب أحداً، ذلك لأنّه ليس له من سمع ولا لسان، لكن اللَّه وفّر له كل حاجاته مسبقاً حين كان فى ذلك الوسط المظلم والمغلق.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۳۱

ثم أشار عليه السلام إلى مرحلة الولادة والرضاعة فى احضان الأُم فقال:

«ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا»

. نعم، يرد من ذلك القرار المكين والمكان الآمن إلى الدنيا لا يعرف منها شيئاً، فلا يعرف الغذاء اللازم ولا الإرادة للحصول عليه ولا كيفية تناوله، لا يعرف وسائل النمو، ولا معوقاته، ولا يعرف أسلوب التعايش ولا التعامل مع الآخرين، فإن لم يأخذ اللطف الإلهى بيده وتشمله الهداية التكوينية لعجز قطعاً عن مواصلة الحياة، غير أنّ اللَّه الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هداه يحفه بعنايته فيتجاوز الطرق الوعرة بحكم الغزيزة التى أودعها اللَّه إيّاه.

لذلك واصل الكلام عليه السلام قائلًا:

«فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ[۳۷۶] الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ،

وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ!»

. حقّاً من علم الوليد أنّ غذاءه فى ثدى أُمّه؟ عليك أن تضغط بأصابع يدك الصغيرة وتمتص ما فى الثدى من اللبن بفمك الصغير؟! من علمه ذلك البكاء بالصوت الحزين ليعلن من خلاله عن حاجاته كافة؟! العطش والجوع والحر والبرد والمرض والحاجة إلى النوم؟!

والغريب أنّ فراخ الطيور والدواب وسائر الحيوانات يندفع كل منها بطريق عجيب نحو حاجته.

ثم اختتم الخطبة بهذه النتيجة:

«هَيْهَاتَ ۳۷۷]، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِى الْهَيْئَةِ

وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ!»

. أجل، لا يمكن حقّاً الوقوف على عجائب وغرائب عالم الخلق وسبر غور أسراره.

فإن عجزنا عن إدراك بعض ما يتعلق بمخلوقات اللّه فأنّى لنا بالوقوف على كنه الذات والصفات الغنية عن الحدود من جميع الجهات. البنية المعقدة للأعصاب والقلب والعروق والخلايا والجينات ومختلف الغرائز التى أودعها اللّه أجسامنا لمن المسائل التى شغلت أذهان العلماء لقرون وما زالوا يعترفون بكثرة المجاهيل التى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۳۲

تعترى خلقة الإنسان حتى ألّف ذلك العالم الفرنسى المعروف، كتابه الشهير (الإنسان ذلك المجهول).

تأمّل

الدورة الجينية المذهلة

ما ورد فى هذا الجانب من الخطبة بشأن الأسرار الغريبة لخلق الإنسان فى الدورة الجينية ومن ثم الولادة والرضاع ينسجم تماماً والعديد من الآيات القرآنية التى أكدت على التفكير فى هذه الأسرار، ومنها سورة الزمر: «يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ»[۳۷۸] وسورة المؤمنون:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»[۳۷۹]. وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى هذه المرحلة فى توحيد المفضل كآية من آيات اللّه فى التوحيد والقدرة، وأوصى المفضل وقال: «نبتدىء يا مفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به، فأول ذلك ما يدبّر به الجنين فى الرحم، وهو محجوب فى ظلمات ثلاث: ظلم البطن، وظلم الرحم، وظلم المشيمة، حيث لا حيلة عنده فى طلب غذاء ولا دفع أذى، ولا استجلال منفعة ولا دفع مضرّة، فإنّه يجرى إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذوا الماء النبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه، وقوى أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق بأُمّه فأزعجه أشدّ إزعاج، وأعنفه حتى يولد، وإذا ولد صرف ذلك الدم الذى كان يغذوه من دم أُمّه إلى ثدييها فانقلب الطعم واللّون إلى ضرب آخر من الغذاء ...»[۳۸۰].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۳۳

ثم خاض الإمام عليه السلام فى شرح تكامل المولود فى مختلف المراحل وهو يعرض لعجائب الخلقة الواحدة تلو الأخرى ۳۸۱]. (طبعاً لا يسع البحث الاستغراق فى القضايا المذهلة التى تم اكتشافها فى عصرنا الراهن بشأن تكامل النطفة من خلال مرورها بتلك المراحل، وكل الذى يسعنا قوله إنّ مثل هذا البحث ينطوى على آلاف الأسرار والعجائب: «خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ». ومن الضرورى أن نشير هنا إلى سر من تلك الأسرار وهو أنّ الجنين طيلة هذه المدّة يسبح فى كيس صغير مملوء بماء غليظ، ولا يتأثر هذا الكيس بالضربات حتى وإن سقطت المرأة على الأرض أو قامت بحركات سريعة وعنيفة، فليس هنالك أدنى أذى على الجنين، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنّه يمتاز بتعديله للحرارة والبرودة بالشكل الذى يحول دون تأثيرهما على الجميع. أضف إلى ذلك فإنّ سباحة الجنين فى ذلك السائل يبعد الضغط عن أعضائه الرقيقة، وأخيراً يحفظ هذا الكيس الجنين من الأمواج الصوتية العالية ويحافظ

على نعومة الجلد، كما يلعب دوراً مهمّاً فى التغذية: «فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۳۵

الخطبة ۱۶۴

اشارة

لَمّا اجْتَمَعَ النّاسُ إلَيْهِ وَشَكوا مَا نَقِمُوهُ على عُثْمَانَ وَسَأَلُوهُ مُخَاطَبَتَهُ لَهُمْ وَاسْتِعْتَابَهُ لَهُمْ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ:[۳۸۲]

نظرة إلى الخطبة

المراد الأصلى من هذه الخطبة كماذكرنا سابقاً أنّها تعرض بالنصح لعثمان وتحذيره بمنتهى الأدب والحرص للحيلولة دون تجاوز أجهزة حكومته للحدود، وهى تتألف من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: خطاب لشخص عثمان، خطاب الناصح المشفق الذى يرى مقابله على شفا حفرة خطيرة، وقد ركز الإمام عليه السلام على علم عثمان بالأحكام الإسلامية وسوابقه مع النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ليصده عن الزلل والأنحراف.

أمّا القسم الثانى: فيعرض فيه الإمام عليه السلام بحثاً جامعاً وكلياً بشأن أئمّة العدل

نفحات الولاية ؛ ج۶ ؛ ص۲۳۶

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۳۶

والظلم وخصائص كل منهما، وبما يجعل كل إمام منهما اسوة للأخرين فى سيرته وفى كل زمان ومكان، ومن ثم حذر عثمان من أن يصبح العوبة بيد بطانته كمروان وأمثاله.

والقسم الثالث: نقل جواباً عن عثمان وما أن سمع الإمام عليه السلام ذلك الجواب حتى عرض عليه كيفية الخروج من المأزق، والمؤسف أنّ هذه النصائح لم تجد أذاناً صاغية من عثمان فوقعت تلك الحوادث العنيفة والمريرة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۳۷

القسم الأول

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِى وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا أَقُولُ لَكَ! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَاتَعْرِفُهُ. إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ. مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَىْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَىْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ. وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ابْنُ أَبِى قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى أَبِى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا؛ وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا. فَاللَّهَ اللَّهَ فِى نَفْسِكَ! فَإِنَّكَ- وَاللَّهِ- مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ.

الشرح والتفسير: إتمام الحجة على عثمان

ينبغى لاتضاح مضمون هذه الخطبة الإشارة إلى الأحداث والأوضاع التى أدّت إلى هذا الحوار بين الإمام عليه السلام وعثمان. حيث

ذكر المؤرخ المعروف الطبرى أنّ الناس حين رأوا أعمال عثمان- من قبيل سلب ونهب بيت المال وتسليط الظلمة والفسقة على المناصب الحساسة فى الحكومة الأسلامية- كتب عدد من صحابة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كتبهم إلى أمراء الجيش على الثغور ودعوهم إلى الجهاد فى سبيل اللّه ونشر دين محمد صلى الله عليه و آله والقدوم إلى هنا وإنقاذ من يقوم بهدم هذا الدين. وتقاطر الجنود من كل مكان على المدينة- سيما أولئك الذين أتوا من مصر والذين عاشوا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۳۸

ظلم الولاة وعمال الخليفة- حتى قتلوا عثمان ۳۸۳]. آنذاك تعالت الأصوات التى ضجت من ظلم عثمان، فقدم جماعة من الناس إلى الإمام عليه السلام وسألوه وضع حد لتلك الأوضاع بطريقة سلمية، فيكون عليه السلام سفيرهم إلى عثمان ويتم الحجة عليه. فأورد الإمام عليه السلام ذلك الكلام بما يجعله وبطانته يكفون عن الظلم. وكلام الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة يتضمن براعة البلاغة والفصاحة والقضايا النفسية الدقيقة أملًا فى عودة الطرف المقابل إلى رشده ولعلّه يلتفت إلى الأخطار المحدقة بالإسلام والعالم الإسلامى. وقد تحدث الإمام عليه السلام بادىء الأمر عن علم عثمان ومعرفته بالأحكام الإسلامية بشأن رعاية حقوق الناس والإبتعاد عن الظلم والجور فقال:

«إِنَّ النَّاسَ وَرَائِى وَقَدِ اسْتَشفَرُونِى ۳۸۴] بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا أَقُولُ لَكَ! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَاتَعْرِفُهُ. إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ. مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَىْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَىْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ»

. من الواضح أنّ عبارات الإمام عليه السلام لا تعنى أنّ عثمان بمصاف الإمام على عليه السلام فى العلم والمعرفة، بل مراده أنّ عثمان كان يعلم بالأحداث التى وقعت وسوء الظلم والجور وضرورة رعاية حقوق الناس، وهى الأمور العادية التى يتساوى فيها عثمان مع عامة الناس الذين كانوا يعرفون تلك الأمور، بل حتى الأطفال- فضلًا عن العقلاء والكبار- كانوا يعلمون صحيحها من سقيمها كما ذكر ذلك ابن أبى الحديد[۳۸۵]. وبناءً على هذا فإنّه يخطئ كل من يتصور بأنّ العبارات المذكورة دليلًا على أنّ عثمان بمنزلة الإمام على عليه السلام فى العلم والمعرفة. فعلى عليه السلام كما قال النبى الأكرم صلى الله عليه و آله باب علم مدينة النبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام حسب الروايات الإسلامية من عنده علم الكتاب وهو الملاذ العلمى للأمة فى حل جميع مشاكلها حتى صرح بعض الخلفاء

«اللَّهُمَّ لَاتَبْقِنى لِمُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا ابْنُ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۳۹

ابِى طَالِبٍ»[۳۸۶].

ثم واصل كلامه مشيراً إلى سوابق عثمان فى الإسلام فقال:

«وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كَمَا صَحِبْنَا»

. إشارة إلى أنّك كنت مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله لسنوات عديدة وقد سمعت منه تعاليم الإسلام وأحكامه الشرعية، وعليه فكيف تخفى عليك هذه المسائل الواضحة بشأن حق الناس وبيت المال والعدالة الاجتماعية. آنذاك طرق السبيل الثالث بغية التأثير على أفكار عثمان فقارنه بأبى بكر وعمر، ذلك لأنّهما لم يرتكبا ما ارتكبه عثمان قط، وإن كانت لهم زلاتهم الأخرى فقال:

«وَمَا ابْنُ أَبِى قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى أَبِى ۳۸۷] رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا؛ وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا»

. بالنظر إلى أنّ الوشيجة بمعنى جذور الشجرة أو الألياف التى تصنع من النخيل وثم اطلقت على اشتباك القرابة، فإنّ الإمام عليه السلام أراد أن يذكره بقرابته من النبى صلى الله عليه و آله حيث يقرب للنبى صلى الله عليه و آله من جده عبد مناف. فقد اعتمد الإمام عليه السلام مختلف الطرق بغية التأثير عليه وإعداده لقبول الحق والكفّ عن ممارسة الباطل. إلّاأنّ المؤسف أنّ الخليفة الثالث

لم يعد يسمع قول الحق وقد انغمس فى الفساد الذى دب فى كافّة مرافق الحكومة. على كل حال عاد الإمام عليه السلام ليؤكد على الخليفة ضرورة الأنصياع إلى الحق والشفقة على نفسه فقال:

«فَاللَّهَ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ! فَإِنَّكَ- وَاللَّهِ- مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ»

. فالإمام عليه السلام لم يتخلَّ عن أى أسلوب من شأنه التأثير على الخليفة، فأحياناً يحدثه بحسن وقبح مثل هذه الأمور، وأخرى يقول له

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۴۰

إنّك سمعت من النبى صلى الله عليه و آله ما ينبغى سماعه، وتارة يقول له على الأقل سر بسيرة من سبقك من الخلفاء فهما ليسا أولى منك بالعمل بالحق. وأخيراً يبيّن له أنّ طريق الحق واضح فلماذا تعرض نفسك لكل هذه الأخطار وتسلك السبيل غير القويم، لكن لم يستجب عثمان حتى حدث ما لا ينبغى أن يحدث بعد أن ولّى ظهره لكل تلك المواعظ والإرشادات القيّمة.

تأمّل

سبُل نفوذ الكلام فى الآخرين

إذا قام شخص ببعض المخالفات وكان يبدو مدركاً لبعض الأعمال الخطيرة وأراد عاقل أن يوقظه من نوم الغفلة، فإنّ أفضل أسلوب يمكن اعتماده بادىء الأمر أن يستقطب قلبه ويذكره بإيجابياته، فيقول مثلًا: إنّك من أُسرة عريقة ولديك تحصيلات علمية قيمة وسمعتك حسنة بين الناس لعله يشعر بشخصيته ويثق بالمقابل فيتقبل منه. ومن ثم مقارنته بأمثاله وأقرانه بهدف إعادته إلى الصواب والإبتعاد عن الخطر.

الإمام عليه السلام بصفته سيد الفصحاء والبلغاء والعالم بالقضايا التربوية والنفسية، فقد ذكّر عثمان بكل هذه الأمور، فقال له إنّك لصهر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ۳۸۸] وأقرب إليه من الخليفة الأول والثانى ولك سابقة فى الإسلام وقد لازمت النبى صلى الله عليه و آله وليس هنالك من شىء غائب عنك لأذكرك به، فهنالك ظلم وجور وتطاول على بيت مال المسلمين وهضم لحقوق الناس. إلّاأنّ الخليفة الثالث قد انغمس فى شباك بطانته- تلك البطانة التى يمثل اغلبها حثالات الجاهلية- ولم يعد يتحمل نصح ذلك الناصح الأمين وينقذ نفسه من تلك الورطة. ويتضح ممّا مر معنا أن ليس هنالك من فضيلة لعثمان تضمنتها عبارات هذه الخطبة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۴۱

القسم الثانى

فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ امَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً. وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ، لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ، لَهَا أَعْلَامٌ. وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً. وَإِنِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا». وَإِنِي أَنْشُدُكَ اللَّهَ الَّا تَكُونَ إِمَامَ هذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ:

يُقْتَلُ فِي هذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً.

فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ.

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ، فَقَالَ عليه السلام:

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.

الشرح والتفسير: خصائص الحاكم العادل والظالم

تضمن المقطع الأول من هذه الخطبة، خطاب الإمام عليه السلام بصورة خاصة لعثمان

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۴۲

وبذل له النصح والإرشاد لإنقاذه من خطورة الموقف الذى كان فيه وليطفىء عنه غضب الأُمّة، والأهم من كل ذلك رضى اللَّه تبارك وتعالى. أمّا هنا فقد تطرق الإمام عليه السلام إلى الضوابط الكلية والعامة للحاكم العادل ومن ثم صفات الحاكم الظالم ليتبيّن الخليفة من ذلك، الطريق الصحيح فيسلكه فقال عليه السلام:

«فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ امَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً. وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ، لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ، لَهَا أَعْلَامٌ»

. فقد ركز الإمام عليه السلام بادىء الأمر على هذا الموضوع المهم فى أنّ أفضل عباد اللَّه هو الإمام العادل، كيف لا وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«عَدْلُ ساعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سِتِّينَ سَنَةً قِيامَ لَيْلِهَا وَصِيامِ نَهَارِهَا»[۳۸۹]

ثم تطرق إلى خصائص الإمام العادل، ومنها أن تلمس الهدى عن طريق القرآن والوحى والعقل السليم ثم هدى الناس إلى الصراط المستقيم، ذلك لأنّ البرامج الثقافية البناءة من وظائف الحاكم العادل لأنّها تتمثل فى إقامة السنن المعلومة وإماتة البدع المجهولة؛ لأنّه لابدّ للحاكم العادل من رؤية دقيقة بحيث لا تطمس السنن الحسنة وتنسى وتسود المجتمع خصال الخير والفضيلة والتقوى والعلم والمعرفة والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إلى جانب عدم السماح لظهور البدع السيئة والخرافات والاختلافات والنزاعات وكل ما جهد الأنبياء من أجل تنقية الأُمّة من شوائبه، خاصة أنّ الإمام عليه السلام صرّح بأنّ للسنن والبدع علامات. فعلامات السنن الأمن والاستقرار وتطور البلاد ومسارعة الأفراد إلى المعنويات، على العكس من علامات البدع المتمثلة بالاضطراب والإرباك والركود والتخلف والخرافات. وبالطبع فإنّ مميزات الحاكم الظالم (الإمام الجائر) بالضبط على العكس من سابقتها فى الحاكم العادل، فهو ضال مضل لغيره، يطمس سنن اللَّه ويحيى البدع، وللأسف كلنا نعلم أنّ الخليفة الثالث كان مصداقاً للإمام الجائر بتسليطه لبطانته على رقاب المسلمين ونهبهم لبيت المال.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۴۳

ثم قال عليه السلام:

«وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً»

. فمن البديهى أنّ دعائم العدالة وركائزها فى المجتمع إنّما تستحكم فى ظل إحياء السنن الإلهية التى تضمن خير البشرية وسعادتها، وتهجر البدع التى تسوق الناس إلى الفساد والظلم. والحاكم الذى يقوم بهذه الأعمال إنّما يفصح عن ظلمه وفساده، بالتالى فهو شر الناس، ذلك لأنّه يسوق المجتمع إلى البؤس والشقاء، بغض النظر عن ظلمه لنفسه وسوقها للشقاء الأبدى.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه مستشهداً بحديث خطير عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال:

«وَإِنى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِى نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِى قَعْرِهَا»»[۳۹۰]

. فقوله عليه السلام:

«وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ»

إشارة إلى أنّه كان له فى الدنيا فئة من الناس يقفون إلى جانبه فى الشدائد والمشاكل التى تعرض عليه ويجدون له المبررات فى ممارسة الظلم والجور، ومن جانبه كان يغدق عليهم الإمتيازات بغية الإحتفاظ بهم. أمّا فى ذلك اليوم فهو وحيد فريد فى محكمة العدل الإلهى وليس له سوى النار جزاء لأعماله الشنعاء. ولعل العبارة

«فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى

إشارة إلى أنّ دورانه فى نار جهنم يوجب مزيداً من الألم والأحراق أولًا ويجلب انتباه الأخرين ثانياً فتبدوفضيحته علانية.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة مهمّة تتعلق بمصير عثمان تحذره من مغبة سوء فعاله فقال:

«وَإِنى أَنْشُدُكَ ۳۹۱] اللَّهَ الَّا تَكُونَ إِمَامَ هذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِى

هذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

. فالإمام عليه السلام وإن لم يشر إلى من قال هذا الكلام، لكن من الواضح أنّه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وقد وقع عين ما أخبر به حيث كان الظلم سبب قتل عثمان وأثر ذلك- وبحجة دم عثمان- حصل كل ذلك

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۴۴

القتال وسفك الدماء ومازلنا نشهد حتى العصر الراهن بعض التبعات والاختلافات التى تحدث بين المسلمين. والشاهد على ذلك الحديث عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والذى ورد فى سنن أبى داود أنّه قال:

«وَإِنَّما أَخافُ عَلىٰ أُمَّتِى الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ وَإِذا وَضِعَ السَّيفَ فِى أُمَّتِى لَمْ يُرْفَعْ عَنْها إِلى يَوْمِ القِيامَةِ»[۳۹۲].

ثم خاض الإمام عليه السلام فى شرح ما ورد عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال:

«وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ يَمُوجُونَ ۳۹۳] فِيهَا مَوْجاً،

وَيَمْرُجُونَ ۳۹۴] فِيهَا مَرْجاً»

. وتشير العبارة

«وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا»

إلى أنّ الساسة المحترفين يحاولون تضليل الرأى العام فهم ينطلقون فى الظاهر على أساس المطالبة بدم الخليفة المقتول، لكنهم يزيّفون الحقائق باطناً بهدف الوصول إلى الخلافة، فهم يصورون الظالم مظلوماً والمظلوم ظالماً[۳۹۵]. والعبارة

«وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا»

وهى إشارة إلى اتساع الفتن فى صفوف الأُمّة نتيجة ذلك، والعبارات القادمة بمثابة نتيجة، فمن جانب يصعب تمييز الحق من الباطل ومن جانب آخر فإنّ الناس سيعومون فى بحر من الفتن. والفارق بين يموجون ويمرجون أنّ الأُولى إشارة إلى اقتتال الأُمّة فى تلك الفتن، والثانية إشارة إلى اختلاط الحق والباطل فى المجتمع بحيث يصعب تمييز الحق من الباطل. جدير بالذكر أنّ كل ما تنبّأ به النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى الرواية وأخبر به أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام وقع دون أدنى زيادة أو نقصان.

فقد ألب عثمان وبطانته الأُمّة عليهم لظلمهم حتى قتل عثمان واندفعت عقب ذلك فئة من بنى أمية لتستغل الأحداث السياسية لصالحها وارتفعت حدة الخلافات بين

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۴۵

الناس حتى تعذر تمييز الحق من الباطل وسفكت تلك الدماء الغزيرة، ثم امتدت تلك الاضطرابات لقرون. راجع المزيد بشأن عوامل القيام ضد عثمان الجزء الأول والثانى من هذا الكتاب ۳۹۶].

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى أهم عنصر يقف وراء انحراف عثمان- والذى جرّ عليه كل تلك الويلات- والمقصود من طاعته العمياء لمروان، فقال عليه السلام:

«فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً[۳۹۷] يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ ۳۹۸] السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ».

ورد فى التاريخ أنّ عمر عثمان كان آنذاك ۸۲ سنة[۳۹۹]. لا شك أنّه كان لمروان الدور الأساسى فى حكومة عثمان بحيث كان سير الأمور حسب رغباته، وحتى حين استمع عثمان لنصائح الإمام عليه السلام وعزم على الاعتذار من الأُمّة، اعترضه مروان بشدّة وحال دون إصلاحه لأخطائه، والواقع أنّه صب الزيت على فتيل النار التى أوقدها الناس حتى طالت حياة عثمان، وربّما كان ذلك يستند إلى خطة تمكنه أو تمكن معاوية من استلام زمام الأمور بعد عثمان.

فلما بلغ الإمام عليه السلام هذا الموضع من كلامه استجاب له عثمان وتأثر شديداً:

«فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ.

فَقَالَ عليه السلام: مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ»

. إشارة إلى أنّ المهلة فى هذه الحالات الحادة قد تقود إلى ثورة عارمة فلا معنى لهذه المهلة، إضافة إلى أنّ المهلة إنّما تهدف إلى إعداد المقدمات، وإعادة حقوق الناس لا تحتاج إلى أى مقدمات، فما كان فى المدينة لابدّ من إصدار الأوامر بشأنه فوراً

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۴۶

فيؤخذ من الظلمة ويسلم إلى المظلومين، وما كان فى المناطق البعيدة فلابدّ من الإسراع فى انتزاعه. ولعل العبارة المذكورة إشارة إلى هذه النقطة فى أنّ الساسة حين يواجهون أزمة إنّما يلجأون إلى التسويف بغية الهروب من المسؤولية ويطلبون من الطرف المقابل مهلة زمنية على أمل امتصاص نقمة الغضب وتوجيه ضربة مهلكة إلى الطرف الآخر، فما كان من الإمام عليه السلام إلّاأنّ سد عليه الأبواب كافة واختلاق الذرائع. صرّحت كتب التاريخ بأنّ عثمان استجاب للإمام عليه السلام لكنه استمهل الإمام عليه السلام ثلاثة أيّام بالنسبة للمدينة. فوافقه الإمام عليه السلام وخرج من عند عثمان وأخبر الناس وكتب العهد على عثمان ومهلة الثلاثة أيّام لإعادة الحقوق المهضومة وعزل الولاة الظلمة الذين نقم منهم الناس. وقد أشهد على العهد طائفة من المهاجرين والأنصار، فانسحب الناس على أمل وفاء عثمان بالعهد بينما أراد عثمان خلال الأيّام الثلاثة جمع العدّة والعدد وتجهيز الجيش، فلما مضت المهلة شعر الناس بعدم الوفاء بالعهد فثاروا على عثمان، حتى انتهى الأمر إلى قتل عثمان، جدير بالذكر أنّ كل ما ذكرناه أورده الطبرى فى تاريخه ۴۰۰].

أضواء على حادثة قتل عثمان

أشرنا فى الأجزاء السابقة من هذا الكتاب إلى الأحداث التى رافقت مقتل عثمان، ونود هنا أن نشير إلى بعض الأمور، ومنها:

۱. لاـ شك فى أنّ قتل عثمان حادثة مفجعة، ذلك لأنّها انعكست سلباً على المسلمين، وكما ورد فى الرواية الواردة عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله فإنّ قتل عثمان أدّى إلى تصاعد الخلافات بين المسلمين وسفك المزيد من الدماء، رغم أنّ المقصر الأصلى فى هذه الحادثة شخص عثمان وبطانته وقرابته الذين أخرجوا الحكومة من إطارها المتعارف وأشاعوا فى المجتمع معانى الظلم والجور إلى جانب الفساد والانحراف.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۴۷

۲. جدير ذكره أنّ هذه الحادثة وقعت فى المدينة أمام الصحابة من المهاجرين والأنصار ولم يهبّوا للدفاع عن عثمان، وكأنّهم راضون عن حركة الناس ضد عثمان، بل حسبما ورد فى تاريخ الطبرى أنّ جماعة من الصحابة كتبوا لبعضهم إنّ الجهاد حقّاً فى المدينة لا فى الروم (لأنّ الحكومة الإسلامية اندفعت نحو الفساد وإصلاحها مقدم على كل شىء). أمّا الشخص الوحيد الذى وقف إلى جانب عثمان وحال دونه فهو أمير المؤمنين عليه السلام والذى أمر ولديه بالدفاع عنه، لأنّه كان يعلم بالآثار السلبية التى تترتب على قتل عثمان وإن كانت حركة الأُمّة عنيفة ولم تنجح تدابير الإمام عليه السلام فى الحيلولة دون وقوعها.

۳. تقدم الإمام عليه السلام فى الخطبة المذكورة وقبل تصاعد حدة الاعتراض بإسداء النصح والإرشاد المشفق لعثمان وحذره بشدّة

بضرورة الكفّ عن مواصلة ذلك الأسلوب وتلافى ما فرط منه، ووعد هو من جانبه بالعمل بذلك، لكنه إمّا أن يكون رفض أو منعته حاشيته من الإستجابة. والذى يستفاد من بعض المصادر التاريخية أنّه لم يكن مستعداً بفعل تعصبه الشديد لقرابته أن يعترف صراحة بما فرط منه، حيث قال بعد نصح الإمام: لم أرتكب خلافاً، فقد وصلت رحمى (فالأموال التى أنفقتها على قرابتى من باب صلة الرحم) وأغنيت الفقراء وآويت المحتاجين واستعملت مثل من استعمل عمر وولاه. فرد الإمام عليه السلام إنّ عمر كان يعاقب بشدّة من يرتكب الخلاف ممّن ولاه من عمّاله، لكنك ضعيف، أمّا قرابتك وولاتك فلا تكترث لما يرتكبون من أخطاء[۴۰۱].

والعجيب أنّ عثمان صعد المنبر بعد هذه الأحداث ليحدث الناس بأنّ لكل شىء آفة وآفة هذه الأُمّة أهل الغيبة الذين يتكلّمون بما لا يعلمون والأُمّة تلهث خلفهم، وإنّكم لتعيبون علىَّ بعض الأمور التى كنتم ترضونها لعمر، لغلظته عليكم، على العكس من مداراتى لكم وإن شئت لأشرت على رجالى، فلا تفعلوا ما يدعونى إلى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۴۸

النقمة عليكم، فاسكتوا ولا تطعنوا فى ولايتى. وهنا انبرى مروان ليصرخ: أيّها الناس إن شئتم جعلنا السيف حكماً بينا وبينكم. فغضب عثمان وأسكته وقال له دعنى اكلم أصحابى، ألم أُوصيك بعدم الكلام؟ فصمت مروان ونزل عثمان من المنبر[۴۰۲].

وهذه العبارات تفيد أنّ عثمان إمّا كان جاهلًا بالأوضاع! أو أنّه كان يثق بقرابته وبطانته بحيث كان يرى ظلمهم وجورهم عين العدالة والقسط! فكان أسيراً بيدهم بحيث لم يستطع تغيير مسار الأحداث ۴۰۳].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۴۹

الخطبة ۱۶۵

اشارة

يَذْكُرُ فِيها عَجِيبَ خِلْقَةِ الطَّاوُوسِ ۴۰۴]

نظرة إلى الخطبة

يمكن تقسيم هذه الخطبة إلى أربعة أقسام:

أشار الإمام عليه السلام فى القسم الأول إلى العجائب والغرائب التى تكتنف المخلوقات ولا سيما الطيور ليستدل عن هذا الطريق على وجود اللَّه والإيمان به. ويركز فى القسم الثانى على خلق الطاووس من بين الطيور وأسرار خلقته ليشير إلى تفاصيل لطيفة ودقيقة عن هذا المخلوق، كما يرد على بعض الخرافات والأوهام الواردة بشأنه.

ويختتم هذا الكلام بالإشارة إلى نقطة وتتمثل بعجز العقول عن وصف مخلوقات

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۵۰

اللَّه فأنّى لها بوصف الخالق العظيم؟ كما تطرق فى القسم الثالث إلى عجائب خلق الديدان الصغيرة وكشف عن عجائب خلق النمل ليستدل من خلال ذلك على توحيد اللَّه تعالى. أمّا القسم الرابع والأخير فقد خاض فى جانب من أوصاف الجنّة بما يجعل السامع يعيش لهفة الشوق إليها، وعلى هذا الأساس يربط بين المبدأ والمعاد ليعرض صورة واضحة متكاملة فى بحث العقائد.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۵۱

القسم الأول

ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِى حَرَكَاتٍ؛ وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِى أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْيَارِ الَّتِى أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِى أَعْلَامِهَا، مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِى زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَمُرْفِرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِى مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ، وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ. كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِى عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِى حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِى الْهَوَاءِ خُفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِى الْأَصَابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ. فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِى قَالَبِ لَوْنٍ لَايَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِى لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ.

الشرح والتفسير: خلق الطيور

إنّ معرفة اللّه من أهم أُصولنا العقائدية والتى يستند جانب كبير منها إلى القرآن الكريم، وهذا هو الهدف من الخطبة. وممّا لا شك فيه أنّ أعمال الإنسان وسلوكه إنّما يتوقف على تلك المعرفة ومدى رسوخ دعائمها. فقد بين الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة عجائب الخلقة التى تعكس وجود اللّه وعلمه المطلق وقدرته التامة، سيما أنّ الإمام عليه السلام يصطحبنا إلى عالم الطيور ويكشف لنا النقاب عن أسرار تلك الخلقة. ومن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۵۲

ثم يتطرق إلى الطاووس ليكشف عجيب صنعه بما يحير العقول ويسوق الإنسان إلى حمد اللّه والثناء عليه وتسبيحه وتقديسه، فقال:

«ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِى حَرَكَاتٍ»

. المراد من الموات، الجوامد كالأرض والسماء والنجوم والشمس والقمر، وبعضها ساكنة والأخرى متحركة (وإن كان هنالك رأى بحركتها جميعاً). والمراد من الابداع، الخلق من غير مثال مسبق، وهذا موضوع فى غاية الأهميّة، ذلك لأنّ جميع ما سوى اللّه إنّما يحتذى الأمثلة المسبقة فى تصويره وصنعه وابداعه. ثم خاض فى شرح هذا الكلام فقال:

«وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ ۴۰۵] فِى أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ»

. حقّاً أنّ الإنسان لو تعرّف على العلوم الطبيعية وخاض فى دراسة عجائب خلقة موجودات العالم لإنطلق نحو اللّه تبارك وتعالى.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى جانبٍ خاص من غرائب وعجائب العالم- الملى بالأسرار واللطائف- ليتحدث عن عالم الطيور ويشرح أسرارها، فقال:

«وَمَا ذَرَأَ[۴۰۶] مِنْ

مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْيَارِ الَّتِى أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ[۴۰۷] الْأَرْضِ، وَخُرُوقَ ۴۰۸] فِجَاجِهَا[۴۰۹]

وَرَوَاسِى ۴۱۰] أَعْلَامِهَا[۴۱۱]»[۴۱۲].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۵۳

هذا أول تنوع لخلق الطيور من حيث موضع سكنها، فبعضها كالبوم تلجأ إلى شقوق الأرض وتخرج عند الظلام، كما يسكن البعض فى الوديان كالفاخته والبعض الآخر فى سفوح الجبال كالنسر والعقاب، وقد أمدّ اللّه تعالى كلّا منها بما يتطلبه فى حياته. طبعاً ماذكره الإمام عليه السلام فى العبارات المذكورة يقتصر على نماذج من الحيوانات البحرية والأهلية الأليفة من قبيل الطيور التى تعيش فى الغابات والأعشاش والصحارى ولكل عجائبه وغرائبه التى تحير عقل الأنسان. فما ذكره الإمام عليه السلام تصنيف للطيور على أساس سكنها.

ثم أشار إلى تصنيف آخر- على أساس نوع الطيران والأجنحة-/ فقال:

«مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ[۴۱۳] فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَمُرَفْرِفَةٍ[۴۱۴] بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ ۴۱۵] الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ ۴۱۶]، وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ»

. وهو ما أشير إليه في القرآن بعدة آيات مثل: «أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»[۴۱۷].

ثم خاض الإمام عليه السلام في تصنيف ثالث ورابع للطيور فمنها ما لها أشكال مختلفة وطيور ثقيلة الوزن تعجز عن الطيران وأخرى خفيفة تحلق إلى عنان السماء فقال:

«كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ ۴۱۸] مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةٍ[۴۱۹] خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفاً[۴۲۰]، وَجَعَلَهُ يَدِفُ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۵۴

دَفِيفاً[۴۲۱]»

. نعم؛ فأشكال الطيور على درجة من الاختلاف بما يذهل تنوعها عقل الإنسان، فبعضها غاية في الجمال بما لا تشبع العين من رؤيته، والبعض الآخر له شكل مخيف غالباً ما يفزع الإنسان من مشاهدته، وبعضها ذات أقدام طويلة وكأنّ أجسامها حملت على عمودين (كالنعامة واللقلق) والأخرى قصيرة لا ترى إلّا بصعوبة، ومنها الطيور ذات الجثة الضخمة والأخرى النحيفة، كما تختلف مع بعضها في الطيران فبعضها لا تستطيع الطيران لكنها تبسط جناحيها وتنطلق بسرعة، وتحلق الأخرى إلى ارتفاعات منخفضة فتنهض من الأرض كنهوض الطائرة، أمّا البعض الآخر فيرتفع سريعاً من الأرض ويحلق في عنان السماء مستفيداً من دفع أقدامه بالإضافة إلى الإستعانة بأجنحته (كحركة المروحيات)، وتبقى بعض الطيور محلقة في السماء لأسابيع دون أن تشعر بالتعب والملل، كالطيور المهاجرة التي تقطع أحياناً نصف الكرة الأرضية وتتغذى على ما تدخره من مواد غذائية. جدير بالذكر أنّ بعض الطيور ذات الأجنحة المنبسطة والبدن الخفيف تستغني عن بسط جناحيها حين تبلغ ذروة التحليق وعلى العكس من ذلك الطيور ذات الجثة الثقيلة والتي لا غنى لها عن الأجنحة مهما حلقت. حقّاً أنّ الإنسان كلما تأمل هذه الأنواع تعرّف أكثر على عظمة الخالق وعلمه المطلق وإرادته التامة.

وأشار عليه السلام في المرحلة الرابعة إلى تنوع ألوان الطيور والذي يكشف أيضاً عن جانب من العجائب فقال:

«وَنَسَقَهَا[۴۲۲] عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِغِ ۴۲۳] بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ،

وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ. فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ ۴۲۴] فِي قَالَبِ ۴۲۵] لَوْنٍ لَايَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ؛

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۵۵

وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ»

. فتنوع ألوان الطيور هو الآخر من العجائب. وقد قام البعض بإنشاء حديقة كبيرة في بعض المناطق تدعى حديقة الطيور فضمت مختلف أنواع الطيور وتعيش ظروفاً كالظروف الطبيعية للحياة مع فارق بسيط هي أنّها أحيطت بسياج كبير بغية المحافظة عليها، والحق أنّ كل من يتأمل ألوانها المتنوعة ليسحره منظرها الخلاب فيخيل إليه أنّ رسّاماً ماهراً جلس لأيّام يخط هذه الألوان، فلا يملك الناظر سوى التوجه إلى اللّه بالحمد والثناء والتسبيح والتقديس.

تأمّل: عجائب عالم الطيور

إنّ النظر إلى طائر جميل والإبداع في بنية جناحه وبالتالي خلقه يجعل الإنسان مستغرقاً في التوحيد، فما ظنك لو قطعنا هذه الرحلة الطويلة في عالم الطيور والتي تتطلب سنوات عديدة. لقد ألف العلماء العديد من الكتب بشأن الأسرار المودعة في الطيور ومختلف أنواعها وأقسامها بما فيها الطيور البرية والبحرية والمهاجرة وغير المهاجرة، ولا يسع البحث لاستيعاب زاوية منها ولذلك نقتصر على

الإشارة إلى جانب منها، فمما قاله العلماء:

۱. هنالك حوالى أربعة عشر ألف نوع من الطيور فى الكرة الأرضية وقد دفع اختلافها العلماء إلى تصنيفها إلى عدّة فصائل، وبالطبع فإنّ لكل فصيلة آلاف المصاديق فى الخارج، ولا يخفى أنّ هنالك الآلاف المؤلفة أيضاً من الطيور فى الغابات والوديان التى لم يقف عليها الإنسان لحد الآن.

۲. إنّ بعض الطيور كالنعامة التى تزن حوالى ۱۰۰ كيلوغرام وتستطيع بأرجلها الطويلة أن تسير بسرعة ۹۵ كيلومتر بالساعة، وهنالك الطيور الخفيفة الصغيرة التى لا يتجاوز وزنها بضعة كيلو غرامات، وربّما لا تقل سرعة طيرانها عن سرعة سير النعامة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۵۶

۳. إنّ خلقة كل طير تتناسب مع بيئته وظروفه المحيطة وأوضاعه المعاشية، فلبعضها منقار طويل وحاد يتمكن من صيد الأسماك، ولبعضها منقار قصير ومخروطى يستطيع كسر البذور النباتية، كما هنالك المنقار النحيف والحاد الذى يمتص رحيق الأزهار، وأخيراً المنقار الذى يشبه السلة ويتمكن من صيد عدد من الأسماك والاحتفاظ بها.

۴. ليس لأىمن الطيور أسنان لكنها تطحن الطعام وتمتصه فى أوعيتها الصلبة.

۵. الطيور بيوضة عادة تنام على بيضها لأيّام لتفقس عن أفراخ، طبعاً الانثى هى التى تنام عليها، كما يتناوب معها الذكر أحياناً، وأحياناً يحبس الذكر انثاه فى عش ولا يسمح لها بالخروج ولا يدع سوى فتحة صغيرة فى العش ليوصل إليها ما تحتاج من غذاء.

۶. بدن الطيور خفيف للغاية مستعد للطيران وهو ملىء بالغضاريف والغدد التى تساعدها على الطيران.

۷. لطيور الماء ويقصد بها الطيور العائمة فى المياه وسواحل البحار برامج عجيبة فأحياناً تستهدف طعامها تحت الماء من خلال اكتشافه بجهاز يشبه الرادار فتغوص فى الماء لتحصل عليه وبالطبع فإنّ جسمها دهنى لا يسمح بنفوذ الماء إلى داخلها.

۸. ألوان الطيور من عجائب الخلقة، فهناك بعض الطيور الجميلة التى تخطف الأبصار وتشرح القلوب حتى يظن الناظر أنّها رسمت بريشة فنان عبقرى (وهذا من أبدع أمور الخليقة التى ركز عليها الإمام عليه السلام فى الخطبة المذكورة) ولا يدرك الإنسان هذه العظمة دون النظر والتأمل.

۹. أعشاش الطيور هى الأخرى متنوعة وعجيبة، ورغم أنّها لا تمتلك الأيدى إلّا أنّها تصنع أعشاشها وتبنيها بدقّة متناهية، فهنالك طائر يسمى (الخيّاط) يقوم بصنع عشه من خلال خياطته لأوراق الأشجار حيث يستعين بمنقاره كأبرة وخيوطه ألياف النباتات.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۵۷

۱۰. طيور الصيد لها أرجل وأجنحة قوية كالعقاب والغراب ولها رؤية حادة وقوية بحيث ترى حتى الحشرات الصغيرة فى الأرض وهى على ارتفاعات فى السماء، وبعضها على درجة من الضخامة بحيث يمكنها التقاط شاة وحملها معها.

۱۱. وللطيور المهاجرة عالم غريب وعجيب فهى تنطلق أحياناً من خط الإستواء نحو المناطق القطبية وبالعكس فتقطع أكثر من عشرة آلاف كيلومتر دون أن تضل طريقها، فهى تحلق لأيام ولياٍل دون تعب وتعكف قبل الهجرة غريزتاً على جمع المواد الغذائية لتستفيد منها طيلة مدّة الهجرة.

۱۲. للطيور مقاومة شديدة لدرجات الحرارة والبرودة فهى صامدة حتى فى درجة تحت الصفر، وحرارة جسمها أعلى من درجة حرارة جسم الإنسان وتصل إلى ۴۵ درجة فوق الصفر[۴۲۶].

۱۳. خدمات الطيور للإنسان كثيرة، فطعام أغلب هذه الطيور من الحشرات، وطيور الصيد تحول دون مضاعفة نسل الطيور الأخرى وهنالك الطيور التى تتغذى على الميتة فتطهر سواحل البحار وسطح الأرض كما تلعب دوراً فى القضاء على الآفات.

۱۴. نقل شارح نهج البلاغة عن كتاب روبرت لمن

«كل شىء عن الطيور»

والـذى ترجمه الـدكتور بـدران، أنّ البعض يعتقـد أنّ على وجه الأرض أكثر من مئـة مليارد طير أكبرها النعامـة التى يبلغ طولها مترين ونصف ... وأصـغرها الطنان وطوله خمسة سانتى مترات، وتحلق بسـرعة حيث تبلغ سـرعتها أكثر من تسـعين كيلومتر بالساعة وتسـتطيع الوقوف مـدّة طويلـة فى الجو، وتبلغ خطوة بعض الطيور أكـثر من سـتة أمتـار. وتحلق بعض الطيور إلى سـتة آلاـف متر فى الهواء بينما تغطس بعضها إلى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۵۸

عمق ۱۸ متر[۴۲۷]. وزبـدة الكلاـم فإنّالإنسـان لاـ يملـك إنّ تأمل هـذا الخلق العجيب سوى الركون للّهوالإستسـلام لقـدرته المطلقة وصنعه العجيب.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۵۹

القسم الثانى

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِى أَقَامَهُ فِى أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِى أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ. إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلًّا عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ.

يَخْتَـالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَـانِهِ. يُفْضِـى كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَـةِ، وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَـةِ لِلضِّرَابِ. أُحِيلُكَ مِنْ ذلِكَ عَلَى مُعَايَنَـةٍ، لَاكَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَـعِيفٍ إِسْـنَادُهُ. وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ فِى ضَفَّتَى جُفُونِهِ، وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذلِكَ، ثُمَّ تَبِيضُ لَامِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ، لَمَا كَانَ ذلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ.

الشرح والتفسير: أعجب طير فى العالم

بعد أن تطرق الإمام عليه السـلام فى المقطع السابق من الخطبة إلى عجائب عالم الطيور أشار هنا بالخصوص إلى أعجب وأجمل طيور الـدنيا ألا وهو (الطاووس) الذى يضـرب به المثل فى الجمال حتى يسـتفاد من ريشه الجميل كعلامة للوصول إلى آية معينة فى القرآن وصنع المكانس لنكث الغبار عن الأضرحة المقدّسة، حيث أشار الإمام عليه السلام الى بعض خصائص هذا الطائر فقال:

«وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِى أَقَامَهُ فِى أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ[۴۲۸] أَلْوَانَهُ فِى أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۶۰

أَشْرَجَ ۴۲۹] قَصَبَهُ ۴۳۰]، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ ۴۳۱]».

الشـىء الأـول الـذى يلفت الانتبـاه فى الطـاووس، الألوان الرائعـة العجيبـة لأجنحته وذيله الطويل نسبياً حيث يخط وراءَه عنـدما يمشـى ويتبختر كـأنّه العروس الجميلـة فى ليلـة زفافهـا. حقّاً لا يمكن وصف ألوان الطاووس بأى شـكل من الأشـكال، سوى أن يقف الإنسان مذهولًا أمام عظمة الخالق ويشاهد ويتمتع بهذا الطائر اللطيف. ما يجدر ذكره فى عالم الحيوانات أنّ الذكر يسـتغل مختلف الطرق بغية جلب انتبـاه الاـنثى له، فأحيانـاً عن طريق الصوت العـذب وأخرى الحركـات الموزونـة وبعض الحركـات الأخرى كما أشار الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة المهمّة فقال:

«إِذَا دَرَجَ ۴۳۲] إِلَى

الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ ۴۳۳]، وَسَمَا بِهِ مُطِلًّا[۴۳۴] عَلَى رَأْسِهِ»

. حقا أنّ بسط الطاووس لجناحه لمن أروع المناظر ويعكس حالة من النسق والنظام الرائع.

ثم أورد الإمام عليه السلام تشبيها لذلك فقال:

«كَأَنَّهُ قِلْعُ ۴۳۵] دَارِيٍ ۴۳۶] عَنَجَهُ ۴۳۷] نُوتِيُّهُ ۴۳۸]»

. ربّما

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۶۱

كـان هـذا التشبيه لأنّ حركـة الشـراع نحو المقصـد تمنـح السـفينة جمالًا خاصاً، الطاووس أيضاً عنـد حركته وفتحه لمظلته يجلب انتباه الآخرين لجماله وروعته.

ثم قال عليه السلام:

«يَخْتَالُ ۴۳۹] بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ ۴۴۰] بِزَيَفَانِهِ ۴۴۱]. يُفْضِي ۴۴۲] كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ،

وَيَؤُرُّ[۴۴۳] بِمَلَاقِحِهِ ۴۴۴] أَرَّ الْفُحُولِ الْمُعْتَلِمَةِ[۴۴۵] لِلضِّرَابِ ۴۴۶]»

. الواقع أنّ هذا الكلام مقدمة لابطال بعض خرافات عامة الناس بشأن هذا الطائر (ويالها من خرافات كثيرة يحيكها العوام بشأن عجائب الحيوانات) لذلك قال:

«أُحِيلُكَ مِنْ ذلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ».

ثم واصل عليه السلام كلامه قائلًا:

«وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا[۴۴۷]

مَدَامِعُهُ ۴۴۸]، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَي ۴۴۹] جُفُونِهِ ۴۵۰]، وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذلِكَ، ثُمَّ تَبِيضُ لَامِنْ لِقَاحِ

فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ ۴۵۱]، لَمَا كَانَ ذلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ[۴۵۲] الْغُرَابِ»

. إشارة إلى عـدم التعجب من هـذه الخرافـة التى قيلت بشأن الطاووس، فقـد قيل الأعجب من ذلك بشأن الغراب، أنّه ليس هنالك من جمـاع لـدى الغراب بـل إنّ أراد لُانثاه الحمل يضع منقاره فى منقارها وينقل إليها مقـداراً من الماء من القامصـة الذكريـة فتحمل، وهو كلام باطل ولقد شوهد الجماع كراراً لدى الغراب، وإن سعى إلى الإبتعاد عن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۶۲

أنظار الناس، وعليه فعملية الجماع لديه خفية حتى ضرب المثل به لدى العرب فقيل:

«أخفى من سفاد الغراب»

ولعل سـبب هـذه الخرافـة أنّ أغلب الطيور تضع مناقيرها أمام مناقير الطيور الأخرى قبل الجماع وهذا ما جعل البعض يلتبس عليه الأمر. وشبيه ذلك ما قيل فى الطاووس من أنّ الانثى تمتص دمع الذكر قبل الجماع ۴۵۳].

سؤال: وهنا يطرح هذا السؤال نفسه: ترى من الذى جعل الإمام عليه السـلام يتعرض لهذه الخرافة بشأن الطاووس أو الغراب، والحال لو كان الأمر كذلك لكان من عجائب الخلقة وغرائبها؟

والجواب: أنّ الناس لو اتجهوا صوب الخرافات لإثبات العجائب والغرائب لاضطربت الواقعيات وسلبت نتائجها المطلوبة. والسؤال الآخر الذى يرد هنا لم يكن فى الحجاز طاووس ليرى الإمام عليه السلام عملية التلقيح فكيف ورد هذا الكلام؟

أجاب ابن أبى الحديـد فى شـرحه لهـذه الخطبـة من نهـج البلاغة أنّ المدينة وإن خلت من هذا الطائر غير أنّ الإمام عليه السـلام أورد هذه الخطبة فى الكوفة التى كان يجلب إليها كل شـىء بما فيها هدايا وصـفايا الملوك، وعليه فليس من العجيب أنّ الإمام عليه السلام شاهد الطاووس وحركاته ۴۵۴].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۶۳

القسم الثالث

تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ، وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ، وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ. فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ

قُلْتَ: جَنىً جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ. وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمُوشِيِّ الْحُلَلِ، أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ. وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ. يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ، وَأَصَابِيغِ وَشَاحِهِ؛ فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلًا بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيْكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ. وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ.

الشرح والتفسير: صورة رائعة لجناح الطاووس

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى عجيب خلقة الطاووس من خلال وصف جناحه وريشه الملون الرائع ليشرح ذلك بعبارات فصيحة بليغة وتشبيهات غاية فى الروعة فقال:

«تَخَالُ قَصَبَهُ ۴۵۵] مَدَارِيَ ۴۵۶] مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ

دَارَاتِهِ ۴۵۷]، وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ ۴۵۸]، وَفِلَذَ[۴۵۹] الزَّبَرْجَدِ[۴۶۰]».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۶۴

يعلم كل من رأى ريش الطاووس أنّ ألوانه خارقة فى الجمال، إلّاأنّ هنا لك لونين يجليان الإنتباه أكثر من غيرهما، هما اللون الأصفر- الذى يلمع كالذهب الخالص، واللون الأخضر الذى يشبه قطعات الزبرجد (ذلك الحجر النفيس الأخضر اللون والذى يستخدم فى الزينة وتاج الملوك) ومن هنا ركز الإمام على هذين اللونين من بين سائر الألوان، والغريب أنّ جميع ريشه الجميل ينبت على قصبة بيضاء شبهها الإمام عليه السلام بالفضة. ثم شبّه الإمام عليه السلام جناحى الطاووس بغية زيادة التوضيح تارةً بالأزهار الربيعية المتنوعة الألوان وأخرى بالثياب النفيسة الملونة.

وأخيراً التيجان المرصعة بها، فقال:

«فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ: جَنىً ۴۶۱] جُنِيَ

مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ»

. ذكر بعض شرّاح نهج البلاغة أنّه يوجد فى بعض البلدان عشرة آلاف نوع من البراعم والزهور ولكل جماله الخاص به.

ثم ذكر الإمام عليه السلام تشبيها آخر وعبارة رائعة فقال:

«وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ ۴۶۲] بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ

كَمُوشِيِ ۴۶۳] الْحُلَلِ، أَوْ كَمُونِقِ ۴۶۴] عَصْبِ الْيَمَنِ»

والتشبيه الثالث والأخير:

«وَإِنْ شَاكَلْتَهُ

بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ۴۶۵] ذَاتِ أَلْوَانٍ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ ۴۶۶] الْمُكَلَّلِ ۴۶۷]»

. فقد كان لقدماء الملوك تيجان مفعمة بالنقوش والألوان ومليئة بالمجوهرات حيث يجعلون المجوهرات على شريط أو يخيطونها عليه بخيوط رقيقة ليزينوا بها تيجانهم.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۶۵

والقصبات التى تتوسط جناحى الطاووس- كما وردت سابقاً فى عبارة الإمام عليه السلام- بيضاء كالفضة والريش على جانبيها كالمجوهرات. الواقع، أنّ النقوش الجميلة والملونة لا تعدو عادة أحد هذه الأشياء الثلاثة: باقة الورد والملابس والجواهر. وقد استعان الإمام عليه السلام بالتشبيهات الثلاثة بتلك العبارات الفصيحة البليغة ليجسد جمالية ريش الطاووس.

ثم واصل عليه السلام كلامه ليخوض فى شرح الطاووس من خلال مشيه ونظرته لنفسه فقال:

«وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللَّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ، يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ ۴۶۸] الْمُخْتَالِ ۴۶۹]، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ،[۴۷۰] فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ

سِرْبَالِهِ، وَأَصَابِيغِ ۴۷۱] وَشَاحِهِ ۴۷۲]؛ فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا[۴۷۳] مُعْوِلًا[۴۷۴] بِصَوْتٍ يَكَادُ

يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ ۴۷۵] كَقَوَائِمِ الدِّيْكَةِ

الْخِلَاسِيَّةِ[۴۷۶]. وَقَدْ نَجَمَتْ ۴۷۷] مِنْ ظُنْبُوبٍ ۴۷۸] سَاقِهِ صِيصِيَةٌ[۴۷۹] خَفِيَّةٌ»

. فقد أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة لطيفة وهى أنّ اللّه سبحانه جعل فى هذا الطائر بعض نقاط الضعف رغم آيات الجمال، وإذا ما شعر حيناً بالغرور ودفعه ذلك للضحك بالقهقهة فإنّه لا يكاد يخفى ألمه إن وقعت عينيه على نقصه. وبالطبع فإنّ هذا نموذج من عالم الخلق الذى حال فيه الحكيم دون الغرور والطغيان الناشىء من الشعور بالقوّة حيث جعل قدراً من الضعف والنقص بغية التوازن والقضاء على الغرور والغفلة. فهنالك الكسل والعجز الذى يطارد الشباب والنشاط، والمرض والسقم الذى يتبع الصحة والعافية،

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۶۶

والفقر الذى يجرى خلف الغنى، وإدبار الدنيا الذى يحثّ الخطى نحو إقبالها. نعم هذه إحدى فلسفات المرض والعجز وسائر المحن والويلات.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۶۷

القسم الرابع

وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ. وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ، وَمَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ؛ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ. وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأُقْحُوَانِ، أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ. وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ، وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ، لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ.

الشرح والتفسير: صورة دقيقة عن جمال الطاووس

خاض الإمام عليه السلام هنا بعبارات فصيحة بليغة فى خمس خصائص أخرى تعكس جمال الطاووس ليذكر من خلالها هذه الجمالية على ضوء مظاهر جمال اللّه وجلاله، فقال:

«وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ ۴۸۰] قُنْزُعَةٌ[۴۸۱] خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ[۴۸۲]»

. العرف عند العرب، شعيرات طويلة تبدأ من أعلى الكتف والرقبة حتى خلف الرأس لتنتهى بين الأذنين فيكون كالتاج وحيث هذا التاج أخضر براق فى الطاووس فإنّه يمنحه جمالًا يسحر الأبصار ويلفت نظر الإنسان إلى مبدأ هذا الجمال الساحر.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۶۸

وقال فى الخاصية الثانية:

«وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ ۴۸۳]، وَمَغْرِزُهَا[۴۸۴] إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ

كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ[۴۸۵] الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ ۴۸۶]».

وقال فى الثالثة:

«وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ ۴۸۷] بِمِعْجَرٍ[۴۸۸] أَسْحَمَ ۴۸۹]؛ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ،

وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ»

. وقال فى الخاصية الرابعة:

«وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِ ۴۹۰] الْقَلَمِ فِى لَوْنِ

الْأُقْحُوَانِ ۴۹۱]، أَبْيَضُ يَقَقٌ ۴۹۲]، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِى سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ ۴۹۳]».

وأخيراً قال فى الخاصية الخامسة:

«وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ ۴۹۴]، وَبَصِيصِ ۴۹۵] دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ ۴۹۶]، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ، لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ[۴۹۷]».

إنّ التمعن فى هـذه الخواص الخمس للطاووس إضافة لما ذكر فى مقاطع الخطبة السابقة يكشف من جانب، عن عظمة وقدرة المصور الماهر الذى جمع كل هذا الحسن والجمال فى هذا المخلوق وجعله نموذجاً لأنواع الجمال، حيث أدنى وقفة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۶۹

عند هذا المخلوق دليل على وجود الخالق سوى لهذا المخلوق البديع لكفى فى الوقوف على الخالق العظيم، وكلما أوغل الإنسان أكثر وتعمق أصبح أكثر خضوعاً لخالقه الحكيم ونطق بلسان حاله: يا لك من مخلوق رائع جميل، فما أجمل من خلقك ومنحك كل هذا الجمال. ومن جانب آخر، نقف على مـدى عظمـة هـذا الإمام العظيم بطل التوحيـد ومـدى دقته فى عرض عجائب وجمال عالم الخلقة وإرشاده الخلق إلى الخالق، والحق أنّ أحداً لم يستطع أن يتحدث عن جمال هذا الطائر كما تحدث الإمام عليه السلام.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۷۱

القسم الخامس

وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لَايُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِى غَيْرِ مَكَانِهِ! وَاذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً، فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، اوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ!

وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ! فَسُبْحَانَ الَّذِى بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً؛ وَاعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ!

الشرح والتفسير: حيرة العقول فى الوصف

أشار الإمام فى هذا المقطع والذى يمثل ختام الكلام فى الطاووس إلى أمرين مهمين؛ الأول قال:

«وَقَدْ يَنْحَسِرُ[۴۹۸] مِنْ رِيشِهِ، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى ۴۹۹]،

وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُ ۵۰۰] مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى

يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۷۲

ثم قال:

«لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِى غَيْرِ مَكَانِهِ!»

. لا شك فى أنّ ريش الطاووس ورغم كل هذا الجمال لكنه قد يتعرض مع مرور الزمان إلى الإتساخ بالتراب والغبار، ومن هنا فإنّ اللّه تعالى ينزع عنه كل سنة لباسه القديم ويغطى جسمه بلباس جديد وجميل ليبقى غضاً جميلًا على الدوام. غالباً ما تسقط أوراق الأشجار

فى فصل الخريف ويسلب الطاووس نشاطه وحيويته، وحين تتفتح الأزهار فى فصل الربيع تدب الحيوية فى الطاووس ويكتسى حلة جديدة ملونة تجعل قصبه الأبيض الفضى اللون يبدو كسيقان الأشجار.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة لطيفة فقال:

«وَاذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً[۵۰۱]»

. لما كانت على ريش الطاووس دوائر جميلة بألوان مختلفة، وكل لون يختص بخصلة معينة لتبدو بصورة رائعة.

وأخيراً يخلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة فقال:

«فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هذَا عَمَائِقُ ۵۰۲] الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ ۵۰۳] الْعُقُولِ، اوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ! وَأَقَلُ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ!»

. نعم؛ إن عجز الإنسان العاقل والمفكر عن الوقوف على عجائب الطاووس وتعذر عليه وصفه وإدراكه فكيف بعالم الخلقة وأسراره؟!

وإضافة إلى النتيجة السابقة الواضحة فى موضوع معرفة اللَّه وإدراك عظمة الخالق وسعة علمه وقدرته إنّما خلص إلى نتيجة أخرى فإن عجزنا عن إدراك كائن من هذه الكائنات فكيف لنا بإدراك كنه الذات والصفات والتعرّف على اللَّه كما هو[۵۰۴]، فقال:

«فَسُبْحَانَ الَّذِى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۷۳

بَهَرَ[۵۰۵] الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَّاهُ ۵۰۶] لِلْعُيُونِ، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً؛

وَاعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ ۵۰۷] صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ!».

تأمّل

غرائب الطاووس

إنّ عالم الخليقة لعجيب كيفما نظرنا إليه، إلّاأنّ هنالك البعض الأعجب غيره ومن ذلك الطاووس. فهذا الطائر فريد فى الجمال ومن هنا ضرب به المثل. لقد اصطبغ ريشه بعدّة ألوان جميلة، وإن نشر جناحيه بدأ أكثر جمالًا وروعة ويفعل ذلك على وجه السرعة حين تلحظه أنثاه ليلفت نظرها إليه، فهو يبدو كالعروس التى ترتدى حلتها ليلة الزفاف، ويشعر بالمتعة من هذا المنظر فيمشى باختيال وغرور ويختتم ذلك بقهقهة ضاحكاً.

يبلغ عمر الطاووس ۲۵- ۲۰ سنة وتبيض الانثى فى الثالثة من العمر، تبيض الانثى عادة مرّة فى العام وتضع ۱۲ بيضة، إلّاأنّ كثرة حركاته تجعله لا يحافظ على بيوضه، لذلك توضع البيضة تحت بطن آخر لتفقس، يعتبره اليونانون والرومانيون طائراً مقدّساً، بينما يراه الآخرون مشؤوماً أدى إلى دخول ابليس إلى الجنّة، يبلغ طوله من منقاره إلى انتهاء ذيله أكثر من مترين، والأنثى أقصر من الذكر.

وكما ذكر الإمام عليه السلام فى الخطبة المذكورة فإنّ هنالك خرافة سائدة بين الناس بشأن حمل الطاووس وأنّ الذكر حين يتهيج يضع قطرة دمع فى عين الانثى فتمتصها

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۷۴

وتحمل، والواقع أنّه يلقح انثاه على أساس الجماع كما لوحظ ذلك كثيراً. عادة ما يربى هذا الطائر الجميل الذى يستفاد منه فى الزينة، وهنالك من يتناول لحمه، غير أنّ الشريعة الإسلامية حرمت ذلك ۵۰۸].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۷۵

القسم السادس

وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَالْفِيَلَةِ! وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ، إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

الشرح والتفسير: الديدان والفيلة والحيتان

أشار الإمام هنا بصورة عابرة إلى عجائب سائر الأحياء حتى لا يتصور أنّ العجائب تقتصر على الطاووس، فقال:

«وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ ۵۰۹] قَوَائِمَ ۵۱۰] الذَّرَّةِ[۵۱۱]

وَالْهَمَجَةِ[۵۱۲] إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ ۵۱۳] وَالْفِيَلَةِ!»

. فقد أشار الإمام إلى حشرتين من أصغر الحشرات على الأرض صغار النمل والذباب وإلى أضخم وأكبر حيوانين هما الحوت فى البحار والفيل فى اليابسة، ولقد لفت الإنتباه إلى أيدى وأرجل صغار الحشرات، اليد والرجل التى تضاهى يد الفيل ورجله فتتحرك يميناً وشمالًا وتأخذ أوامرها من الدماغ وتشتمل على الأعصاب والعضلات والمفاصل وما شابه ذلك، والحق لو جعلنا رجل هذه الدودة الصغيرة تحت المجهر وتأملنا بنيتها لتعرفنا على قدرة اللَّه تعالى وعلمه المطلق.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۷۶

كذلك لو تأملنا الحيوانات الكبيرة حيث إنّ زنة بعض الحيتان تبلغ طناً وترضع فراخها اللبن تحت الماء، حيث تسكب الأُم اللبن فى الماء ويمتصه الوليد فوراً، وتنطوى سائر عجائبها على الدروس البليغة فى التوحيد ومعرفة اللَّه، نعم؛ إنّ هذه الديدان- على سبيل المثال- كثيرة من حولنا وقد اعتدنا على رؤيتها فلم نعد نلفت إلى أنّ بنيتها تفوق بنية الطائرة الضخمة. قال اللَّه تعالى فى كتابه العزيز:

«وَكَأَيِّنْ مِّنْ آيَةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ»[۵۱۴].

وأشار الإمام عليه السلام أخيراً إلى مصير الأحياء كافّة، أى الموت والعدم، فقال:

«وَوَأَى ۵۱۵] عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ ۵۱۶] مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ، إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ

مَوْعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ»

. أجل؛ إنّ الموت هو مصير كل ذى روح وهذا الكلام هو إشارة إلى أنّ الدنيا لا تدوم رغم كل ما فيها من جمال وعجائب ولا يمكن التعلق بها، ومن جانب آخر يمكن الوقوف على عظمة اللَّه تعالى بصورة أفضل من خلال مقارنة موت هذه الموجودات بحياتها، لأنّ أهميّة كل شىء تظهر حين فنائه.

تأمّل: غيض من عجائب الحيتان والفيلة

سنخوض فى شرح الخطبة ۱۸۵ التى أوردها الإمام عليه السلام بشأن النمل إن شاء اللَّه، ونشير هنا إلى الحيتان والفيلة بصورة مختصرة:

الحيتان

يقول العلماء: إنّ هنالك خمسة عشر ألف نوع من الحيتان فى بحار ومحيطات العالم، بعضها صغيرة جدّاً لا تتجاوز سانتيمترين وبعضها الآخر كالحوت الذى يبلغ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۷۷

طوله ثلاثين متراً ويزن ثلاثين طناً تنطوى على العديد من العجائب. فمعدتها كبيرة جدّاً تستوعب الكثير من المواد الغذائية، ويبلغ طول وليدها ستة أمتار حين الولادة.

وتتغذى فراخها على لبنها الذى يخرج من بدنها بغزارة. تتحرك دائماً على سطح الماء للتنفس ولا تستطيع البقاء أكثر من ساعة تحت

الماء، فهى أكبر الحيوانات على الأرض وتعتبر من الثديات. أبدانها دهنية، يستفاد منها فى الصناعات المختلفة ولا تملك أسناناً بل لها شفرات عظيمة طويلة وخطيرة تشبه الأسنان ويستفيد الصيادون من هذه الشفرات والغدد الدهنية.

الفيلة

يعتبر الفيل فى الوقت الحاضر من أكبر الحيوانات، والفيلة نوعان: الفيلة الهندية ويطلق عليها الفيلة الأسيوية، والآخر، الفيلة الأفريقية. والفيلة الأسيوية أكبر ومستعدة للتربية أكثر من نظيرتها الأفريقية. والواقع هو أنّ خرطوم الفيل بمثابة أنفه وشفته العليا، غير أنّه يقوم بعمل اليد عادة، أى أنّ الفيل يحمل الطعام بيده إلى فمه ويقذف الماء على ظهره عند الحرارة. يتغذى الفيل على العلف حيث يجمعه من الأرض بخرطومه ويضعه فى فمه، كما يستعين بعاجه القوى والحاد على اقتلاع الأشياء من الأرض. الفيل حيوان ذكى جدّاً يمكن ترويضه للقيام بعدّة أعمال، كما يقوم بالعديد من الحركات السريعة والعجيبة فى السيرك. تعيش الفيلة بصورة جماعية وهذا بدوره دليل على ذكائها. تعمر أحياناً مائة وخمسين سنة! تعرف أسنان الفيل (بالعاج) الذى يعتبر من الأشياء النفيسة والذى تصنع منه أشياء الزينة.

كان قدماء الملوك والسلاطين عادة ما يشكلون جيشاً من الفيلة ويزينون فيلتهم وينصبون عليها الأعلام. نعم؛ عجائب الحيتان والفيلة أكبر من أن تختصر فى هذا البحث، وغرض الإمام عليه السلام من التطرق إلى هذه الخصاص إلفات الإنتباه إلى آيات الخلقة العظيمة[۵۱۷].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۷۹

القسم السابع

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا، وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ. قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ، لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا. جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

الشرح والتفسير: نعم الجنّة ومفاتنها

يشير هذا المقطع من الخطبة كما يفهم من مضمونه وصرح به السيد الرضى إلى صفات الجنّة، وبالطبع فإنّ هنالك مطالب أخرى بين هذا المقطع وما سبقه إلّاأنّ السيد اقتطف هذه الرياحين كعادته، لكن يبدو أنّ الإمام تحدث سابقاً عن التوحيد، بينما تطرق هنا إلى المعاد، ليتكامل مبحث المبدأ والمعاد، أو بعبارة أخرى يعرض لنعم الجنّة بعد هذه الدنيا. فقال:

«فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۸۰

لَعَزَفَتْ ۵۱۸] نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا، وَزَخَارِفِ

مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهِلَتْ ۵۱۹] بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ ۵۲۰] أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ ۵۲۱] الْمِسْكِ

عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا».

وما أنّ فرغ الإمام عليه السلام من وصف الأشجار فى الجنّة، حتى تطرق إلى ثمارها فقال:

«وَفِى تَعْلِيقِ كَبَائِسِ ۵۲۲] اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِى عَسَالِيجِهَا[۵۲۳] وَأَفْنَانِهَا[۵۲۴]، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِى غُلُفِ ۵۲۵] أَكْمَامِهَا[۵۲۶]، تُجْنَى ۵۲۷] مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتى عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا».

إنّ أحد معضلات أشجار الفاكهة فى الدنيا يكمن فى جنيها الذى ينطوى على متاعب جمة، إلى درجة أنّ البعض يتسلق الشجرة لعملية الجنى، فيفقد حياته. هذه هى طبيعة الدنيا فى مزج اللذّة بالألم، أمّا فى الجنّة حيث لا موضع للألم وكل شىء على ما يرام وطبق المراد فإنّ ثمار الأشجار فى متناول الجميع، وعلى كل حال، سوى الوقوف أو الجلوس، بل على أساس بعض الروايات أنّ غصون الشجرة تحضر بثمارها عند الشخص كلما اشتهاها: «قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ»[۵۲۸]، وفى أية أخرى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۸۱

«وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ»[۵۲۹].

ثم خاض الإمام عليه السلام فى النعمة الأخرى فى الجنّة فقال:

«وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِى أَفْنِيَةِ[۵۳۰] قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ[۵۳۱]»

. وقد أشار القرآن إلى الشراب الطهور اللذيذ فى الجنّة الذى لا يصيب الرأس بالصداع ولا يذهب بعقل الإنسان، ومن ذلك ما ورد فى سورة الدهر التى أشارت إلى هذا الشراب اللذيذ وأربع صور وطبائع: «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً* عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ...* وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا* عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ... وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً»[۵۳۲] وقال فى موضع أخر:

«لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ»[۵۳۳].

ثم أشار عليه السلام إلى أوصاف الجنّة فقال:

«قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ[۵۳۴] الْأَسْفَارِ»

. ويستفاد من هذه العبارة أنّ أصحاب الجنّة حفظوا قدسيتهم وطهارتهم وورعهم إلى آخر عمرهم ولم يخدشوا الكرامة الإنسانية التى أشارت إليها الآية القرآنية: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ ...»[۵۳۵] فلقوا ربّهم على الإيمان والعمل الصالح الذى ملأ كيانهم، كما تفيد العبارة، التأكيد على حسن العاقبة وأنّ كل شىء يتوقف على خاتمة الأمور والأعمال. وأخيراً يشعل فى قلوب الآخرين شعلة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۸۲

الشوق إلى لقاء اللطف الإلهى ونعمه التى لا تحصى فى ذلك العالم:

«فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ[۵۳۶]، لَزَهِقَتْ ۵۳۷] نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِى هذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا»

. أراد الإمام عليه السلام أن يؤكد فى هذا الكلام على حقيقة هى أنّ عظمة نعم الجنّة أكبر من أن يحيطها وصف الإنسان، ولو تأملها الإنسان لذاب شوقاً إليها وكأنّه يروم التحليق إليها، كما ورد ذلك فى خطبة المتقين:

«فَاذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا الَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ الَيْهَا شَوْقاً»[۵۳۸].

وهكذا اختتم الإمام عليه السلام الخطبة بهذا الدعاء:

«جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ»

. إشارة إلى أنّ الإنسان لا يبلغ شيئاً دون أن تشمله رحمة اللّه.

تفسير بعض الكلمات الصعبة فى الخطبة (من جانب الشريف الرضى):

قال السيد الشريف الرضى فى آخر هذه الخطبة:

قَوْلُهُ عليه السلام:

«يَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ»

الْأَرُّ: كِنَايَةٌ عَنِ النِّكاح، يُقَالُ: أرّ الرّجُلُ المَرْأَةَ يَؤُرّهَا، إِذَا نَكَحَهَا. وَقَوْلُهُ عليه السلام:

«كَأَنَّهُ قَلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ»

الْقَلْعُ: شِرَاعُ السَّفِينَةِ، وَدَارِيّ:

مَنْسُوبٌ إِلى دَارِينَ، وَهِيَ بَلْدَةٌ عَلَى الْبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا الطّيبُ. وَعَنَجَهُ: أَىْ عَطَفَهُ.

يُقَالُ: عَنَجْتُ النَّاقَةَ- كَنَصَرْتُ- أَعْنُجُهَا» عَنْجاً إِذَا عَطَفْتَهَا. وَالنُّوتِي: الْمَلَّاحُ.

وَقَوْلُهُ عليه السلام:

«ضَفَّتَىْ جُفُونِهِ»

أَرَادَ جَانِبَىْ جُفُونِهِ. وَالضّفّتَانِ: الجّانِبَانِ. وَقَوْلُهُ عليه السلام:

«وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ»

الْفِلَذُ: جَمْعُ فِلْذَة، وَهِيَ القِطْعَةُ. وَقَوْلُهُ عليه السلام:

«كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ»

الْكِبَاسَة: الْعِذْقُ وَالْعَسَالِيجُ: الْغُصُونُ، وَاحِدُهَا عُسْلُوجٌ.

تأمّل: أيّها أجمل؟

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۸۳

تحدث الإمام عليه السلام بكل فصاحته وبلاغته المعهودة فى هذه الخطبة عن جمال هذا العالم أحياناً، وأحياناً أخرى عن جمالية العالم الآخر، لكنه ما أن يبلغ شرح نعم الآخرة حتى يشير إلى هذه الحقيقة وهى أنّ ما يتعلق بذلك العالم يتعذر بيانه، بحيث لو يراه الإنسان لتمنى المسارعة إليه. حقّاً أنّ آداب الحياة الدنيا لا يسعها شرح الحياة الآخرة، وذلك أشبه بأن يسجن الإنسان منذ ولادته فى غرفة ولما اكتمل عقله أرادوا أن يشرحوا له المناظر الجميلة المتناثرة فى الحدائق والبساتين والشلالات ومختلف الأماكن الطبيعية الرائقة، يحدثوه عن الطاووس وألوانه الجميلة وأصوات الطيور العذبة، والفاكهة الذيذة وسائر المناظر الخلابة، فبالطبع لا تسعفه الآداب التى تعلمها فى تلك الغرفة المظلمة لأن يفهم ما يسمع. الجدير بالذكر أنّ الإمام ينظر إلى نعم الآخرة من زوايا مختلفة، فتارة من زاوية حظ البصر وأخرى من خلال الفواكه الذيذة والثمار الطبيعية، وأحياناً من خلال الضيافة المفعمة بالكرامة والاجلال، والأخرى عن الأمن والسكينة التى تسود الجنّة. فليس هنالك من مرض ولا تعب ولا إرهاق ولا موت ولا سلطان ظالم ولا خيانة ولا مكر ولا غدر ولا حرب وخراب ودمار. بل الحاكم هو الإمن والأمان والسلام.

عن أبى سعيد الخدرى أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«انَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا حَوَّطَ حَائِطَ الْجَنَّةِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَغَرَسَ غَرْسَهَا قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِى فَقَالَتْ: قَدْ افْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَالَ: طُوبى لَكِ مَنْزِلَ الْمُلُوكِ»[۵۳۹].

وعن عبد اللّه بن جابر الأنصارى أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«اذَا دَخَلَ اهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ تَعَالَى أَتُحِبُّونَ أَنْ لَذِيذَكُمْ فَيَقُولُونَ: وَهَلْ خَيْرٌ مِمَّا أَعْطَيْتَنَا؟

فَيَقُولُ: نَعَمْ رِضْوَانِي أَكْبَرُ»[۵۴۰].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۸۵

الخطبة ۱۶۶

نظرة إلى الخطبة[۵۴۱]

تتألف هذه الخطبة من ثلاثة أقسام: حثّ الإمام عليه السلام في القسم الأول الناس على احترام بعضهم البعض الآخر ويتبع الصغير الكبير ويراف الكبير بالصغير ولا يكونوا كجفاة الجاهلية. وأخبر في القسم الثاني عن مصير بني أمية الذين يستولون على كل شيء بفعل فرقة المسلمين وابتعادهم عن أصالتهم، وسيصلون إلى أقصى مناطق البلاد الإسلامية، إلّاأنّهم لا يلبثون كثيراً حتى يفقدون كل شيء.

وأخبر في القسم الثالث عن عوامل تخلف المسلمين في آخر الزمان وفي مقدمتها عدم نصرة الحق والوقوف بجانب الإمام العادل.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۸۷

القسم الأول

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ؛ وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لَافِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ؛ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً.

الشرح والتفسير: ثلاث وصايا أخلاقية

أورد الإمام في هذه العبارات القصيرة العميقة المعنى ثلاث وصايا أخلاقية واجتماعية مهمّة يؤدّي العمل بها إلى تماسك عرى المجتمع، فقال في الأولى:

«لِيَتَأَسَ ۵۴۲] صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ»

. ذلك لأنّ الكبير عادة سلسلة من التجارب وقد ذاق حلاوة الدنيا ومرارتها ووقف على خيرها وشرّها، أضف إلى ذلك فقد اجتاز هذا الكبير عصر الفتوة بنشاطه وحيويته ويشعر الآن بنوع من الاستقرار الأخلاقي وقد تعرف على الآداب والأعراف الاجتماعية، ولا يمكن التنكر لهذه الحقيقة، بالرغم من أنّ هذه ليست قاعدة كلية ولا تخلو من الاستثناء.

الوصية الثانية

«وَلْيَرْأَفْ ۵۴۳] كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ»

فيتلافى ضعفهم وينقل إليهم تجاربه ويتغاضى قدر المستطاع عن أخطائهم ويقف في كل الأحوال إلى جانبهم. ولو كان هناك التزام بهاتين الوصيتين لتوطدت العلاقات بين الجيل القديم والحديث بما يجعلهم يشكلون جبهة واحدة رصينة الصفوف. وإلّا فليس هنالك سوى احتدام

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۸۸

النزاع بينهما بما يعكر صفو المجتمع.

أمّا الوصية الثالثة والتي تمثل في الواقع تأكيداً للوصايا السابقة:

«وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ[۵۴۴] الْجَاهِلِيَّةِ: لَافِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ»

. نعم، فالجهال لم ينفتحوا على التربية الدينية ولم يستعينوا بعقولهم، فهم زمرة فضة متحللة تهد كيان المجتمع، لا ترحم الصغير ولا تتعظ بنصائح الكبير.

ثم خاض عليه السلام فى هذه الفئة فقال على سبيل التمثيل:

«كَقَيْضِ ۵۴۵] بَيْضٍ فِى أَدَاحٍ ۵۴۶]

يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا[۵۴۷] شَرّاً»

. إشارة إلى الحذر من كون ظاهركم الإسلام وباطنكم كجفاة العصر الجاهلى بحيث يشك الصالحون بكم حين التعامل، فلو عاملوكم بصدق وأمانة خشوا من باطنكم الذى تشم منه رائحة النفاق، وإن عاملوكم كمنافقين خشوا أن يكون باطنكم طاهراً. من المعروف أنّ النعامة تحفر الرمل وتبيض هناك وهكذا تفعل الحية والأفعى، ومن هنا فإنّ الإنسان حين يرى هذه البيضة لا يعلم هل هى للأفعى تعود أم النعامة؟ فيشك فى التعامل معها! وبعبارة أخرى أنّ صورة الإنسان الجافى صورة إنسان إلّاأنّ باطنه مملوء بالشر والفساد، كالبيضة التى صورتها بيضة الطيور وباطنها حية قاتلة. وعلى هذا الضوء فقد رسم الإمام عليه السلام بهذا التشبيه الرائع صورة واضحة للمشاكل التى تفرزها التعامل مع الفرد المنافق.

نفحات الولاية ؛ ج۶ ؛ ص۲۸۸

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۸۹

القسم الثانى

افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ. فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ، مَالَ مَعَهُ. عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِى أُمَيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ؛ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً. يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ، وَلَاحِدَابُ أَرْضٍ. يُذَعْذِعُهُمُ اللَّهُ فِى بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِى الْأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِى دِيَارِ قَوْمٍ. وَايْمُ اللَّهِ، لَيَذُوبَنَّ مَا فِى أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

الشرح والتفسير: المصير الأسود لبنى أمية

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى المصير الباهر لأصحابه إلى جانب النهاية المفجعة فقال:

«افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ»

فمنهم من التحق بالخوارج وقف فى وجه الإمام عليه السلام ومنهم من أصابه الشك واعتزل عن الجماعة، ومع ذلك فإنّ هناك بعض أصحابه

«فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ، مَالَ مَعَهُ»

. فهذه إشارة إلى طائفة ثبتت على الحق وتمسكت بالثقلين (الكتاب والعترة) وتعلقوا بغصن شجرة النبوة المتمثل بأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام فانطلقوا خلفهم لرضى اللّه. نعم؛ ذهب البعض إلى أنّ هذه العبارة إشارة إلى فئة منحرفة أيضاً، والحال تفيد العبارات القادمة أنّ المعنى الأول هو الصحيح. لأنّ الإمام قال لاحقاً:

«عَلَى أَنَّ اللَّهَ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۹۰

تَعالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِى أُمَيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ ۵۴۸] الْخَرِيفِ ۵۴۹]»

. ثم قال:

«يُؤَلِّفُ

اللَّهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ رُكَاماً[۵۵۰] كَرُكَامِ السَّحَابِ؛ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً».

ثم واصل عليه السلام كلامه ليبين كيف سيواجه اتباع أهل البيت عليهم السلام ظلمة بنى أمية فقال:

«يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَشَارِهِمْ ۵۵۱] كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ[۵۵۲]، وَلَمْ

تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ[۵۵۳]، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ ۵۵۴] رَصٌ ۵۵۵] طَوْدٍ[۵۵۶]، وَلَاحِدَابُ ۵۵۷] أَرْضٍ»

. ما ورد فى هذه العبارة إشارة إلى قوم سبأ الذين عاشوا فى اليمن وبنوا سداً عظيماً بين جبلين يعرف بسد مارب منعوا السيول واستفادوا من ماء السد فى بناء جنتين عظيمتين على جانبى نهر كان يجرى هناك، فعاشوا حياة مرفهة وادعة، إلّاأنّ جحودهم وبطر نعمتهم وغرورهم عرّضهم لأليم العقاب.

إنهار السد عند الليل فأتى السيل على جنّتيهم وأحال أرضهم خراباً فاضطر من تبقى منهم للهجرة. وسيكون أتباع أهل البيت عليهم السلام بمثابة السيل الذى يدمر ظلمة بنى أمية ويخربون بيوتهم ويقضون عليهم ويهاجر من يبقى منهم.

ثم شبه الإمام عليه السلام هذه الجماعة المدافعة عن الحق فيما بعد زوال بنى أمية بالماء المطمور فى الأرض والذى ينبع كعيون جارية فى البناء والعمران، فقال:

«يُذَعْذِعُهُمُ ۵۵۸] اللَّهُ فِى بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ۵۵۹]، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِى الْأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۹۱

قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِى دِيَارِ قَوْمٍ»

. ذكر بعض شرّاح نهج البلاغة احتمالًا آخر لتفسير العبارة المذكورة ومرجع الضمائر، ولا نرى حاجة لذكره سيما لعدم انسجامه مع العبارات السابقة واللاحقة. نعم؛ فأتباع أهل البيت عليهم السلام ينطلقون بادىء الأمر كالسيل الذى يحطم قصور بنى أمية كما حطم السيل عروش الظلمة فى سبأ، وسيطيحون بدولتهم، فيتفرقون فى كل مكان ويكونوا كعيون الماء فى إقامتهم للعدل والقسط.

وأخيراً أقسم الإمام عليه السلام قائلًا:

«وَايْمُ اللَّهِ، لَيَذُوبَنَّ مَا فِى أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ[۵۶۰] عَلَى النَّارِ»

. والتشبيه المذكور إشارة إلى أنّ بنى أمية وإن ترهلوا على عهد حكومتهم، إلّاأنّ أعداءَهم سيكونون عليهم كالنار فيذيبون أجسادهم كما يذاب الشحم فى النار، يذوب أولًا ثم يحترق ولا تبقى له باقية. وقد اختلف شرّاح نهج البلاغة بشأن من يسلط على بنى أمية ويطيح بحكومتهم الظالمة وينتصر للمظلوم منهم؛ قيل المراد بهم بنو عباس، وقيل الشيعة الذين قاموا ضد بنى أمية، والظاهر أنّ كلاهما يعود إلى معنى واحد، لأننا نعلم أنّ قيام بنى العباس انطلق باسم العلويين وإن انحرف عن مساره وجعلوه لبنى العباس خاصة فساروا على نهج بنى أمية حتى قضى عليهم.

تأمّل: ثورات دامية ضد بنى أمية

دوّت أصداء شهادة الإمام الحسين عليه السلام وصحبه فى كربلاء فى أرجاء العالم الإسلامى وألبت العديد من المسلمين على بنى أمية. وقد نال أغلبهم الشهادة بسبب

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۹۲

سطوة بنى أمية، بينما انتصر البعض الآخر لمدّة قصيرة. وقد ذكرنا هذه الثورات التى بلغ عددها خمسة عشر فى الجزء الثالث من هذا

الكتاب،[۵۶۱] وكان آخرها قيام أبو مسلم الخراسانى والذى أدّى إلى سقوط دولة بنى أمية. وخلافاً لما يتصوره البعض فإنّ أبا مسلم وصحبه لم يثوروا لأجل بنى عباس، بل اجتمع بادىء الأمر عدد من زعماء الشيعة عند أبى‌مسلم- وكان رجلًا شجاعاً- فى خراسان وعزموا على مواجهة آخر خلفاء بنى‌أمية (مروان الحمار) وإقامة حكومة آل محمد وكان شعارهم

«الرضا لآل محمد»

ولم تمض مدّة حتى سيطر أبو مسلم على خراسان وأغلب مناطق إيران. ورغم محاولة إبراهيم الإمام وهو من بنى العباس للتقرب منه وكذلك عبد اللَّه بن محمد المعروف بالسفاح وأبو جعفر المنصور- وكلاهما أخ لإبراهيم الإمام- إلّاأنّه لم يرض بذلك. ومن هنا قام عامله على الكوفة أبو سلمة حين وصله الأخوة الثلاثة باخفائهم فى موضع ليتزعم المسلمين أحد أبناء على عليه السلام فبعث بثلاثة كتب إلى المدينة؛ إلى الإمام الصادق عليه السلام وعبد اللَّه بن الحسن وعمر بن على بن الحسين وأوصى رسوله أن يبتدىء بالصادق عليه السلام فإن وافق لا يسلم الرسالتين. وحيث كان الإمام عليه السلام يعلم بالمؤامرات الخفية حتى على أبى مسلم فلم يجب الدعوة، وهكذا عبد اللَّه وعمر تبعاً للإمام الصادق عليه السلام. لكن قبل أن يعود رسول أبى سلمة إلى الكوفة علم جماعة من أهل خراسان بموضع السفاح وأخويه فبايعوه، فما كان من أبى مسلم إلّاأن إلتحق بهم، حتى وصلت الحكومة لبنى العباس بعد قتال شديد بينهم وبين أتباع عبد اللَّه بن على عم المنصور، فوُلّىَ المنصور الخلافة بعد أبى العباس السفاح، فأحضر أبا مسلم إلى بغداد وقتله وفق خطة معدة سلفاً، لعله كان يعلم بأنّ أبا مسلم من أتباع آل على عليه السلام لا بنى العباس، فكان يراه خطراً يهدد حكومتهم ۵۶۲]. ذكر العلّامة المجلسى رواية بهذا الخصوص عن الإمام على عليه السلام أنّ جيش الشام هجم يوماً فى صفين على جند العراق ففرقهم عن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۹۳

ميمنتهم وكان مالك الأشتر (رضوان اللَّه تعالى عليه) يدعوهم إلى الرجوع. فكان الإمام عليه السلام يصيح فى وجه جيش الشام: خذهم يا أبا مسلم ويكرر ذلك ثلاثاً. فقال الأشتر: أوَليس أبو مسلم فى جيش الشام؟ قال الإمام عليه السلام: لا أقصد أبا مسلم الخولانى، بل أبا مسلم رجل يظهر من مشرق الأرض يهلك اللَّه الأمويين على يده ويطيح بدولتهم ۵۶۳]. طبعاً شخصية أبى مسلم وإن كانت تعيش نوعاً من التعقيد على ضوء النظرة التاريخية، إلّاأنّ هنالك من يراه من أتباع أهل البيت عليهم السلام ويكنون له الاحترام، وعلى العكس، هنالك من يراه من أعدائهم ويقول بجواز لعنه. والمسلّم به أنّ قيامه كان فى بادىء الأمر لنصرة آل محمد وكان أنصاره من الشيعة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۹۵

القسم الثالث

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِىَ عَلَيْكُمْ. لكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِى إِسْرائِيلَ. وَلَعَمْرِى، لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِى أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنى وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِىَ لَكُمْ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الاعْتِسَافِ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ.

الشرح والتفسير: عامل التخلف

خاض الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة- الذى هو آخرها- بعد بيانه لمصير بنى أمية الأسود فى بيان مصير فئة من أتباع الحق التى ضعفت عن نصرته فتسلط عليها عدوها فكانت عاقبتها كعاقبة بنى إسرائيل، فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِىَ عَلَيْكُمْ»

. هذا الكلام إشارة إلى حكومة معاوية وتسلطه وصحبه على أصحاب الإمام عليه السلام على عهده (بصورة محدودة) ومن بعده (دون

حدود). وما ذكره الإمام عليه السلام فى هذه العبارة لا يختص بزمان ومكان معين، بل هو أصل كلّى للأعصار والأمصار كافة فى أن تنامى الباطل معلول لضعف أتباع الحق.

ثم واصل عليه السلام كلامه بتشبيه تلك الفئة ببنى إسرائيل أثر إبتعادهم عن الحق وتيههم

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۹۶

(فى صحراء سيناء) فقال:

«لكِنَّكُمْ تِهْتُمْ ۵۶۴] مَتَاهَ بَنِى إِسْرائِيلَ. وَلَعَمْرِى، لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ

التِّيهُ مِنْ بَعْدِى أَضْعَافاً[۵۶۵] بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنى وَوَصَلْتُمُ

الْأَبْعَدَ»

. ثم أوضح فى الختام سبيل النجاة وذكرهم بأنّ باب العودة إلى الحق مفتوح على الدوام فقال:

«وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِىَ لَكُمْ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الاعْتِسَافِ ۵۶۶]، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ ۵۶۷] عَنِ الْأَعْنَاقِ».

تأمّل: بنو اسرائيل

...

شبه الإمام عليه السلام بالعبارة المذكورة طائفة من المسلمين الذين حادوا عن الحق واحتاروا كبنى إسرائيل الذين تاهوا فى الصحراء أثر عنادهم وعدم استجابتهم لنبيهم موسى عليه السلام، بجهاد غاصبى بيت المقدس. وقد نقل بعض شرّاح نهج البلاغة رواية عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«لتركبنّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حذو النعل النعل، والقذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا حُجر ضبّ ضبّ لدخلتموه، فقيل: يا رسول اللَّه اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن»[۵۶۸]

. وبغض النظر عن الإشكال الذى يرد على اسناد الرواية، فإنّ تطبيقها على الواقع لا يخلو من إشكال أيضاً، وعلى فرض صحة الرواية فإنّه يمكن حملها على الغالب. إشارة إلى أنّ أغلب الحوادث المريرة التى شهدتها الأقوام السابقة سيشهدها المسلمون، ويعيد التاريخ نفسه، ذلك لأنّ الأسباب المتشابهة تتطلب مسببات متشابهة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۹۷

الخطبة ۱۵۶

اشارة

فِى أوائِلِ خِلَافَتِهِ ۵۶۹]

نظرة إلى الخطبة

تتضمن هذه الخطبة عدّة مواضع وإرشادات بحيث ربّما يُتصور عدم وجود الترابط بين أقسام الخطبة، ولعل المرحوم السيد الرضى اقتطف هذه الخطبة من خطبة أطول خَطبها الإمام أوائل خلافته.

على كل حال فإنّ الخطبة تتكون من خمسة أقسام رئيسية:

القسم الأول: يتحدث عن عظمة القرآن الكريم وهدايته والتأكيد على اتّباعه.

القسم الثاني: التأكيد على إتيان الفرائض والعمل بالواجبات وترك المحرمات.

القسم الثالث: أهميّة حقوق المسلمين وحفظ كرامتهم وترك أذاهم.

القسم الرابع: يوصى فيه الإمام عليه السلام بالاستعداد للموت والقيامة والتزود للآخرة.

القسم الخامس: التأكيد على التقوى وطاعة اللّه.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۲۹۹

القسم الأول

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا. الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ! أَدُّوهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، «فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ.

الشرح والتفسير: معرفة سبيل الحق

أكد الإمام على ضرورة الالتزام بالقرآن والعمل بتعاليمه بصفته المصدر الرئيسي للتعاليم الإسلامية وتبيان كل خير وإحسان، فقال:

«إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ ۵۷۰] الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا[۵۷۱] عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا»

. فهذا الكلام يدل على أنّ جميع أصول الخير والشر والواجبات والمحرمات والفضائل والرذائل والعقائد الصحيحة والمنحرفة إنّما بُيّنت في القرآن الكريم، وهو في الواقع تعبير آخر عن

«تبيان كل شيء»

الذي ورد في القرآن وإن فوض شرحه إلى سنة المعصومين عليهم السلام.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۰۰

ثم أكد الإمام عليه السلام من بين كل الفضائل على الفرائض والواجبات، فقال:

«الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ! أَدُّوهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ»

. إشارة إلى إن الخيرات التي دعى إليها القرآن على نوعين، واجبة وغير واجبة (مستحبات وفضائل) وعليكم قبل كل شيء بأداء الواجبات فإن شعرتم بقوّة فأتوا بالمستحبات؛ ذلك لأنّ ما يأخذ بيد الإنسان قبل كل شيء إلى الجنّة، أداء الفرائض والواجبات. طبعاً الفرائض تشمل العبادات والواجبات الأخرى التي أوجبها اللّه على الإنسان فيما يتعلق بنفسه أو الآخرين.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة كأنّها دليل على العبارة السابقة، فقال:

«إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ ۵۷۲]»

. إنّها عبارة لطيفة تشير إلى مصالح ومفاسد الأحكام الشرعية التي اعتبرها الحكيم في الواجبات والمحرمات، بعبارة أخرى رغم وجوب طاعة أوامر اللّه في الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، إلّاأنّ هذه الطاعة ليست عمياء، ذلك لأنّ جميع الواجبات تشتمل على مصالح، بينما تنطوي المحرمات على مفاسد تعود على نفس العباد: «يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ»[۵۷۳] ولما كانت رعاية

حقوق المسلمين وحفظ حرمتهم لا تقل أهميّة عن الفرائض والواجبات، فقد قال عليه السلام:

«وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ ۵۷۴] كُلِّهَا،

وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا[۵۷۵]».

إنّ أدنى نظرة إجماليـة على الكتب الفقهيـة كافـة- من العبادات إلى الحدود والديات- لتشـهد على صدق هذا المعنى فى أنّ الإسـلام أولى أهميّة عظيمة لحرمة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۰۱

المسلمين وحقوقهم، حتى وقف الإمام الكاظم عليه السلام أمام الكعبة، وقال:

«مَا أَعْظَمَ حَقَّكِ يا كَعْبَةُ وَاللَّهِ إِنَّ حَقَّ الْمُؤْمِنِ لَاعْظَمُ مِنْ حَقِّكَ»[۵۷۶]

وعبارة الإمام عليه السـلام تشـدّ بالإخلاص والتوحيـد حقوق المسـلمين يمكن أن تكون إشارة إلى أنّ الإنسان الموحـد والمخلص من يراعى حقوق المسـلمين، وهـذا ما قال به أغلب شـرّاح نهـج البلاغـة، كما يحتمل أن يكون المراد ضـرورة حرمة حقوق كل مسـلم، لا إخلاصه وتوحيـده (الإخلاص والتوحيد فى التفسـير الأول صـفة للمحافظين وصـفة للمحفوظين فى التفسـير الثانى). التفسـير الثالث أن يكون احترام حقوق المسلمين فى مصاف الإخلاص والتوحيد.

ثم أضاف عليه السلام كنتيجة

« «فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ»

. فاسـتنتاج الإمام عليه السـلام هـذا يفيـد أنّ التفسـير الأول هو الأنسب للعبارة السابقة من التفاسـير الأخرى لأننا إن اعتبرنا حفظ حقوق المسلمين علامة إخلاص وتوحيد الحافظين لهذه الحقوق فإنّ نتيجة ذلك ستكون:

المسلم من سلم الناس من لسانه ويده. جدير بالذكر أنّ العبارة

«إِلَّا بِالْحَقِّ»

والأخرى

«إِلَّا بِمَا يَجِبُ»

أن تكون الأولى: إشارة إلى عدم جواز أذى المسلمين ما لم يكن هنالك من مجوز من قبيل العقوبات والحدود الإسلامية والتعزيرات، والثانيـة: إشـارة إلى الإكتفاء بالمقـدار الـذى أجازه اللّه من حيث الكميـة والكيفيـة على فرض الجواز. ورد فى بعض الروايات أنّ قنبراً ورغم مكانته عند الإمام عليه السلام غلط فى حدّ رجل فأضاف ثلاثاً، فأخذ الإمام عليه السلام بالقصاص منه:

«إِنَّ امِيرَالْمُؤْمِنِينَ امَرَ قَنْبراً أَنْ يَضْرِبَ رَجُلًا حَدّاً فَغَلِطَ قَنْبَرٌ فَزَادَهُ ثَلَاثَةَ أَسْواطٍ فَأقادَهُ عَلِيٌّ عليه السلام مِنْ قَنْبَرٍ بِثَلَاثَةِ أَسْواطٍ»[۵۷۷].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۰۳

القسم الثانى

بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ.

أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

الشرح والتفسير: المسؤولية الشاملة

واصل الإمام عليه السلام مواعضه السابقة بتذكير القوم بالموت والتأكيد على الورع والتقوى أفضل زاد إلى الآخرة فقال:

«بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ ۵۷۸] مِنْ خَلْفِكُمْ»

. المراد من الأمر العام والخاص الموت، لأننا إذا نظرنا إلى عامة المجتمع البشرى نرى الموت مصير الجميع، وعليه فللموت بعد عام، وإن نظرنا لأنفسنا فقط فإننا نرى الموت حاضراً آخر أعمارنا، فله على هذا الأساس بعد خاص. واستناداً إلى تفسير الإمام عليه السلام بقوله:

«وَهُوَ الْمَوْتُ»[۵۷۹]

فلا يبقى مجال للشك فى تفسيرنا، والعجيب ما ذهب إليه بعض شرّاح نهج البلاغة من تفسيرهم للعبارة

«بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ»

بإصلاح شؤون

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۰۴

المجتمع. العبارات القادمة أيضاً تشير إلى أنّ ما ورد فى هذه العبارة يتعلق بالموت ونهاية الحياة، لا إصلاح المجتمع البشرى والذى يعتبره مقولة أخرى نعم؛ هنالك دليلان على حقانيةالموت- على أنّه قانون عام- أحدهما: إننا نرى بأُم أعيننا الأفراد الذين كانوا سابقاً بيننا وقد التحقوا بهذه القافلة ونحمل أجسادهم الخالية من الروح على أكتافنا ونواريهم الثرى ونعود، فهل من فارق بيننا وبينهم أنّهم يمضون ونبقى؟!

والآخر: إنّ علامات الحركة باتجاه نهاية حياتنا الواحد بعد الآخر واضحة من قبيل الشيخوخة والعجز والمشيب وكسل الاعضاء. فهل يسع عاقل بعد هذين الدليلين أن يشعر باستثناء من هذا القانون؟

ثم خاض الإمام عليه السلام فى هذه النتيجة بناءً على ما ورد فى السابق وطالما كان الأمر كذلك قال:

«تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ»

. أجل، إنّ سفر الآخرة سفر شاق ومتعب ولا يجتاز مطباته سوى المخفين، أولئك الذين قنعوا بالكفاف فى الحياة الدنيا وغضوا الطرف عن جمع الثروة والعيش الرغيد الملئ بالكماليات، على غرار المسافر الذى يحمل معه ما يكفيه من الطعام للسفر فيمر بسهولة، بينما لا يسع المثقل إلّاالتخلف عن الركب والقافلة. روى المرحوم السيد الرضى، العبارة الأخيرة باختلاف طفيف فى الخطبة ۲۱ وقال: إنّ العبارة

«تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا»

ما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر منه محصولًا، وما أبعد غورها من كلمة. وقد قدمنا من جانبنا شرحاً وافياً بهذا الشأن ۵۸۰].

وحيث يتطلب سفر الآخرة زاداً ومتاعاً وخيره التقوى على لسان القرآن: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى»[۵۸۱].

فقد واصل الإمام عليه السلام كلامه داعياً الجميع إلى التقوى فقال:

«اتَّقُوا اللَّهَ فِى عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ ۵۸۲] وَالْبَهائِمِ ۵۸۳]».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۰۵

ومفهوم التقوى فى العباد واضح يتمثل فى ترك آذاهم وحفظ حقوقهم ورعاية حرماتهم، أمّا تقوى البلاد فالسعى لإعمارها واجتناب تخريبها وعدم تلويث محيطها. وأمّا المسؤولية إزاء البهائم وعدم إيذائها عبثاً وتحميلها فوق طاقتها وتوفير متطلباتها من الغذاء والماء والدواء، وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة فى تفسيرهم للمسؤولية فى البقاع فى عدم السكن فى بلدان الكفر التى يتعذر فيها القيام بالوظائف الدينية وعدم تشييد القصور الضخمة للتطاول على الآخرين وحب الظهور. إلّاأنّ الصحيح ما أوردناه من تفسير، والشاهد على ذلك، الروايات التى سنذكرها فى المبحث القادم. ولما كان مفهوم التقوى ربّما يبدو معقداً للبعض فقد كشف الإمام عليه السلام

عن حقيقته بوضوح، فقال:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ»

. والجدير بالذكر أنّ بداية ونهاية الخطبة تتحد فى خصوص الخير والشر، حيث أشار فى مستهل الخطبة إلى مصدر الخير الذى يكمن فى الرجوع إلى القرآن.

تأمّل: سلامة البيئة وحماية الحيوانات فى الإسلام

إنّ التطور الصناعى ورغم فوائده الجمّة للبشرية، إلّاأنّه أخذ يهدد بالصميم سلامة البيئة وتلوثها، وهذا ما يهدد بدوره العديد من الكائنات ويعرضها إلى خطر الزوال، وإن استفيد من الأسلحة الفتاكة ولا سيما أسلحة الدمار الشامل فإنّ حجم الكارثة يبدو مفجعاً، ومن هنا هبّ عالمنا المعاصر لأخذ التدابير اللازمة بغية الحفاظ على سلامة البيئة والحيلولة دون انقطاع نسل الحيوانات، على الرغم من العراقيل التى يضعها أصحاب رؤوس الأموال الذين لا يفكرون سوى فى التنمية لثرواتهم فحدّوا من نشاطات الفرق القائمة على أساس تطهير البيئة ولا يعلم بعمق الفاجعة التى ستشهدها الأجيال القادمة. أمّا زعماء الإسلام وحماة الدين فقد أكدوا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۰۶

على هذا الموضوع قبل ألف سنة، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام فى الخطبة المذكورة شاهد على ذلك، كما وردت عدّة روايات عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام بهذا الخصوص حيث أكدوا على هذه المسألة المهمّة، ومن تلك الروايات أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله رأى ناقة نائمة وجهازها على ظهرها بينما قيدت رجلها (والحال يجب أن تستريح الدابة فلا يبقى شىء على ظهرها) فقال:

«أَيْنَ صاحِبُهَا؟ مُرُوهُ فَلْيَسْتَعِدَّ غَداً لِلْخُصُومَةِ»[۵۸۴].

وروى عنه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«لَا تَتَوَرَّكُوا عَلَى الدَّوَابِّ وَلَا تَتَّخِذُوا ظُهُورَهَا مَجالِسَ»[۵۸۵]

إشارة إلى أنّكم إن رأيتم أصحابكم وأنتم على ظهر الدابة فأنزلوا لتتحدثوا معهم فإنّ تمّ حديثكم فاركبوا[۵۸۶].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«لِلدَّابَّةِ عَلَى صاحِبِها سِتَّةُ حُقوقٍ لَايُحَمِّلُها فَوْقَ طاقَتِها وَلَا يَتَّخِذُ ظَهْرَها مَجالِسَ يَتَحَدَّثُ عَلَيْها وَيَبْدَأُ بِعَلْفِها اذا نَزَلَ وَلَا يَسِمُها وَلَا يَضْرِبُها فِى وَجْهِها فَإِنَّها تُسَبِّحُ وَيَعْرِضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ إِذَا مَرَّ بِهِ»[۵۸۷]

. فهذه الروايات وغيرها تفيد مدى دقة الإسلام فى مجال حماية الحيوانات ورعاية حقوقها، ولا نرى دينا كالإسلام أوصى بهذه التعاليم. أمّا بشأن عدم تلويث البيئة فقد ورد النهى عن تلويث مياه الأنهار وكذلك تحت الأشجار المثمرة ومقابل أبواب الدور وموضع نزول القوافل وأطراف المساجد[۵۸۸]. كما ورد فى الوصايا الحربية عدم قطع الأشجار أو حرقها أو ردم عيون الماء والنهى عن تلويث مياه الأعداء[۵۸۹].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۰۷

الخطبة ۱۶۸

اشارة

بَعْدَما بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ

وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ: لَوْ عَاقَبْتَ قَوْماً مِمَّنْ أَجْلَبَ على عُثْمانَ؟ فقال عليه السلام:[۵۹۰]

نظرة إلى الخطبة

كما ورد آنفاً فإنّ قوماً من الصحابة طلبوا من الإمام عليه السلام بعد أن بويع بالخلافة أن يعاقب أولئك الذين ثاروا على عثمان وقتلوه، فأقنعهم الإمام عليه السلام بأنّ ذلك ليس فى أوانه، لأنّهم متّحدون وخلفهم اناس كثيرون، يقفون بوجه كل من يقف ضدهم ولا يتحرجون من عمل.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۰۹

القسم الأول

يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّى لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلكِنْ كَيْفَ لِى بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ! وَهَاهُمْ هؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَىْءٍ تُرِيدُونَهُ! إِنَّ هذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ، وَإِنَّ لِهؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً. إِنَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الْأَمْرِ- إِذَا حُرِّكَ- عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى ما لَاتَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لَاتَرَى هذَا وَلَا ذَاكَ، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً؛ فَاهْدَؤُوا عَنِّى، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِى، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً. وَسَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ. وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَىُّ.

الشرح والتفسير: أسباب تأخير عقوبة قتلة عثمان

هذه الخطبة، كما ذكر، ردّ على بعض أصحاب الإمام عليه السلام الذين طالبوه بالقصاص من قتلة عثمان، حيث تطرق إلى هذا الموضوع على ضوء تحليل دقيق، فقال:

«يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّى لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلكِنْ كَيْفَ لِى بِقُوَّةٍ»

. عادة ما يتصور البعض أنّه توصل إلى قضية لو إهتم بها الحاكم لكانت لصالح المجتمع الإسلامى، والواقع أنّهم يرون شيئاً دون ملاحظة ملابساته، فهنالك حالة من الغموض فى القضية يجهلونه. ومن هنا أردف الإمام عليه السلام عبارته السابقة بشرح للظروف الاجتماعية

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۱۰

القائمة آنذاك ليتضح لهم عدم عملية اقتراحهم، فقال:

«وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ ۵۹۱] عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ!»

. كيف يمكن الوقوف بوجه فئة متحدة وغاضبة أوائل الخلافة؟ وهل هناك سوى سفك المزيد من الدماء دون جدوى؟! والشاهد على ذلك ما رواه بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ الإمام عليه السلام جمع الناس ووعظهم.

ثم قال:

«لتقم قلتة عثمان»

فقام الجميع سوى قلة قليلة[۵۹۲]. ثم أشار عليه السلام إلى نقطة أخرى فقال:

«وَهَاهُمْ هؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ ۵۹۳] مَا شَاؤُوا»

. يستفاد من هذه العبارات أنّ الثورة ضد عثمان كانت متجذرة وقد أسهم المحرومون فيها بصورة واضحة.

ثم قال عليه السلام

«وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ!»

. إشارة إلى أنّكم لا تستطيعون القيام بعمل فى ظل هذه الظروف ولا أنا. ومارس عليه السلام تحليلًا آخر للتأكيد على هذا الأمر، فقال:

«إِنَّ هذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ، وَإِنَّ لِهؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً»

. إشارة إلى أنّه إن وجب مؤاخذة عثمان لسوء تصرفه فى بيت مال المسلمين وتسليطه فساق القوم على رقاب المسلمين وإغداق المناصب عليهم، فلابدّ أن تتمّ من خلال الطرق الشرعية وقضاة العدل، ونتيجة العمل غير المدروس إنّما هو ضرب من ضروب الأنشطة الجاهلية، وقوله: إنّ لهؤلاء القوم مادة، تأكيد لتلك الحقيقة التى ذكرها فى العبارة السابقة من أنّ تلك الفئة ليست وحيدة فى الساحة، بل يقف خلفها الأعراب وطائفة من الساسة المحترفين المتعطشين للمناصب، وعليه فليس من المصلحة الإصطدام بها.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۱۱

كما واصل كلامه بأنّ الاشتباك مع قتلة عثمان يؤدّى إلى تفرقة صفوف المجتمع، فقال:

«إِنَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الْأَمْرِ- إِذَا حُرِّكَ- عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى ما لَاتَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لَاتَرَى هذَا وَلَا ذَاكَ، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ[۵۹۴] النَّاسُ، وَتَقَعَ

الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً[۵۹۵]».

ثم أورد تأكيداً آخر:

«فَاهْدَؤُوا عَنِّى، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِى، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ ۵۹۶] قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً[۵۹۷]، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً»

. إشارة إلى أنّ عدم التأنى فى القضايا الاجتماعية ربّما يعطى نتائج معكوسة، فلا ينبغى القيام بفعل دون توفر شروطه، ذلك لأنّ الاخفاق فيه يؤدّىالذلة والهوان. كما ورد شبيه ذلك فى الخطبة الخامسة:

«وَمُجْتَنِى الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِيناعِها كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ ارْضِهِ»[۵۹۸].

وأخيراً اختتم الخطبة بهاتين العبارتين:

«وَسَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ. وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّواءِ الْكَىُ ۵۹۹]»

. ربّما تكون هذه العبارة بفعل ضغوط طلبة الثأر لدم عثمان، حيث قال عليه السلام: سأصمد ولن ألجأ إلى السيف، لكن إن شعرت بغلق أبواب السلام فسأضطر إلى القوّة وأنهى التمرد. الاحتمال الآخر أنّ هذه العبارة إشارة إلى أولئك الذين تذرّعوا بدم عثمان ليقفوا بوجه الإمام عليه السلام كطلحة والزبير. فصرّح الإمام عليه السلام بإنّه سيعاملهم بالطرق السلمية وإلّا لجأ إلى القوة. طبعاً لا يبدو هذا الاحتمال منسجماً مع الخطبة، حيث لم ترد أدنى إشارة فى الكلام إلى طلحة والزبير وأمثالهما، إلّاأن يكون السيد الرضى قد حذف بعض الكلمات، وهذا أيضاً يبدو مستبعداً. أمّا العبارة

«فَآخِرُ الدَّواءِ الْكَىُ»

فهو مثل معروف ورد فى الأصل بشأن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۱۲

الجروح الخطيرة حيث كانوا يسلكون عدّة طرق لعلاجها فإن لم تنفع أحرقوا الجرح بحديد ساخن، ثم أصبحت هذه الجملة كناية عن القضايا المشابهة، وعليه تستعمل هذه العبارة حين تغلق الطرق السلمية كافة[۶۰۰].

تأمّلان

۱. معوقات العدالة

ما أورده الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة مطلب جدى، لا كما تصور البعض أنّه يهدف إلى إسكات المقابل. حقّاً كان الثائرون على عثمان آنذاك أشداء، حتى لم يجرأ على مجابهتهم حين قتلهم لعثمان بعض الصحابة الموالين له. والأهم من ذلك أنّ معاوية حين تسلّم الخلافة وعبء كل طاقاته للمطالبة بدم عثمان، لم يستطع مواجهة قتلة عثمان فضلًا عن التعرف عليهم، بل لما ورد معاوية المدينة وسيطر على الأوضاع اتّجه إلى دار عثمان، فصاحت بنته عائشة: أينك يا أبى؟ ومرادها الثأر من قتلة عثمان. فرد عليها معاوية بأنّ الناس قد استسلموا لنا وأعطيناهم الأمان وقد حملناهم على الحلم وسيوفنا لم تغمد، فإن نقضنا عهدنا نقضوا عهدهم ولا ندرى ينفعنا ذلك أم يضرنا (فالأولى أن نسكت ولا تضعف خلافتنا) وأنت بنت عمّ الخليفة خير لك أن تكونى من عوّام النساء، أى إن زالت خلافتى فسوف لن تكونى أكثر من امرأة عادية[۶۰۱].

۲. إشكال الثوار

لا شك فى أنّ الثورة التى قامت ضد عثمان كانت متجذرة، ذلك لأنّ أنصار عثمان وبطانته لم يكونوا قلائل فى المدينة. لم يتمكنوا من الوقوف بوجههم واكتفى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۱۳

المهاجرون والأنصار بالنظر إلى الأحداث. وسبب ذلك واضح، فقل من كان راضياً بحكومة عثمان واقتصر هذا على قرابته وبطانته التى عبثت ببيت المال وتسلطت على رقاب الناس. وأنّ كل محقق منصف لا يرى من مبرر لما وقع من أعمال على عهد خلافة عثمان. فقد كان من الأجدر بكبار الصحابة من المهاجرين والأنصار أن يقتادوه إلى القضاء، تجنباً لغضب الأُمّة ومباشرتها لوضع حد لأعمال عثمان. وعليه فالإشكال الرئيسى الذى يرد على الثوار أنّهم تصرفوا بعيداً عن قوانين الإسلام القضائية، وقد لمسنا دور الإمام عليه السلام إبان محاصرة عثمان وامتصاصه لنقمة غضب الناس وأمره الحسن والحسين بالدفاع عن عثمان. ونخلص ممّا سبق إلى أنّ جواب الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة كان دقيقاً ينسجم وروح الأحكام الشرعية والقضائية فى الإسلام.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۱۵

الخطبة ۱۶۹

اشارة

عِنْدَ مَسِيرِ أَصْحَابِ الجَمَلِ إلى البَصْرَةِ

الأُمورُ الْجَامِعَةُ لِلْمُسْلِمِينَ ۶۰۲]

نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة من قسمين:

القسم الأول: دعوة الناس إلى طاعة الحكومة الإسلامية عقب اتباع القرآن الكريم ونبذ البدع المضلة، ويحذرهم من أنّ اللّه يسلبهم النعمة إن لم يطيعوه، وبالتالى يعدهم لمواجهة الناكثين.

القسم الثانى: أشار فيه إلى اتحاد أعداء الحق رغم اختلافهم وإجماعهم على الوقوف بوجه الإمام عليه السلام وأنّه سيصبر فإن أصرّوا

على غرضهم فى القضاء على النظام الإسلامى فسأقف بوجههم بكل حزم.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۱۷

القسم الأول

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لَايَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ.

وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا. وَإِنَّ فِى سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا.

وَاللَّهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَايَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ.

الشرح والتفسير: القيام أو زوال الحكومة الإسلامية

أورد الإمام عليه السلام هذه الخطبة حين علم باتحاد الناكثين واقامتهم حكومة فى البصرة مناوئة لحكومته العادلة عليه السلام وقد انطلقوا إلى البصرة. وهدف الإمام عليه السلام من هذه الخطبة تعبئة الناس لمواجهتهم. دعاهم بادىء الأمر إلى التمسك بالقرآن، فقال:

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لَايَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ ۶۰۳]»

. ثم حذرهم قائلًا:

«وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ ۶۰۴] الْمُشَبَّهَاتِ ۶۰۵] هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا».

إشارة إلى أنّ رؤوس الفتنة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يسعون إلى تحقيق أهدافهم الخبيثة

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۱۸

تحت غطاء الإسلام، كأن يغفلوا نكثهم البيعة بالمطالبة بدم عثمان. وعليه، ينبغى التحلى باليقظة وعدم الانخداع بالظواهر والتوكل على اللَّه.

ثم دعاهم إلى الطاعة فقال:

«وَإِنَّ فِى سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ[۶۰۶] وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا. وَاللَّهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَايَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّى يَأْرِزَ[۶۰۷] الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ».

نعم، إنّ هذه النعمة عقوبتها الزوال إن لم تُشكر، وهكذا شأن سائر النعم: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ»[۶۰۸] وما يستفاد من العبادة المذكورة (بناءً على أن «حتى» للغاية) أنّكم إن لم تطيعوا إمام الحق، فإنّ اللَّه يسلبكم نعمة الحكومة الإسلامية ولا تعود إليكم، إلّاأنّ يسلط عليكم العدو وتزول حكومته ثم تعود إليكم. وقد حيرت هذه العبارة الشرّاح، ذلك لأنّ الحكومة غير الصالحة بعد الإمام كانت بيد بنى أمية ولم تعد الحكومة بعد بنى أمية لأهل البيت عليهم السلام. قال البعض عادت إلى بنى العباس وهم من بنى هاشم وعليه فقد عادت إلى أهل البيت، إلّا أنّ هذا التفسير غير مستقيم لأنّ ظلم بنى العباس لم يكن أقلّ من ظلم بنى أمية.

واحتمل البعض الآخر أنّ عودة الحكومة إلى أهل البيت عند ظهور ولى العصر أرواحنا فداه. نعم، ليست هنالك من مشكلة إن كانت (حتى) عاطفة بمعنى الواو، لأنّ معنى العبارة سيكون: إن لم تطيعوا إمام الحق سيسلبكم اللَّه الحكومة الإسلامية ولا تعود إليكم وسيكون الأمر لغيركم (طبعاً المراد فى المستقبل القريب، وإلّا ليس من شك فى المستقبل البعيد لحكومة صاحب العصر والزمان عليه السلام والتى تمثل عودة الحكومة العالمية لأهل البيت عليهم السلام).

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۱۹

القسم الثانى

إِنَّ هؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَؤُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِى، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا. وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ.

الشرح والتفسير: الصبر على الفتنة

بالنظر إلى ورود الخطبة فى أوائل خلافة الإمام عليه السلام وإبان السير إلى البصرة لمواجهة أصحاب الجمل فقد حثّ الإمام عليه السلام أصحابه فى القسم الأول، على الطاعة، وحذر هنا، العدو من مغبة مواصلة الفتنة وإلّا سيقف بوجههم بكل ما أوتى من قوّة فقال:

«إِنَّ هؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَؤُوا[۶۰۹] عَلَى سَخْطَةِ[۶۱۰] إِمَارَتِى»

. إشارة إلى اختلافهم ففيهم المنافق والحسود والضيق الافق (كطلحة والزبير) ولا يجمعهم سوى عدائهم لى.

ثم قال:

«وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ»

. فالعبارة تشير إلى تحمل الإمام عليه السلام لذلك العدو، ويرى عدم ضرورة المبادرة إلى السيف ما لم يكن هناك خطر يهدد الجماعة، وبالطبع، هذا لا يعنى أنّ الإمام عليه السلام كان يسكت تجاه كل أعمالهم.

ومن هنا قال عليه السلام

«فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ[۶۱۱] هذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ»

. ثم

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۲۰

قال:

«وَإِنَّمَا طَلَبُوا هذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا»

. فقد أخرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الحكومة من صورتها الدنيوية والمادية ومنحها صبغة ربانية بجهود الأولياء والأصفياء، إلّاأنّ أصحاب الجمل يظنون أنّ الحكومة لقمة سائغة وطعمة هنيئة فيصرون على اقتناصها وتحقيق أغراضهم الدنيوية.

والعبارة

«حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا»

بالنظر إلى أنّ أفاء من مادة فى بمعنى العودة فإنّها تشير إلى أنّ الحكومة على عهد النبى صلى الله عليه و آله كانت فى بنى هاشم وقد عادت إليهم الآن. وإن سعى الحساد لاستعادتها واحياء سنن الجاهلية.

واختتم الإمام عليه السلام الخطبة بالإشارة إلى حقوق الناس على الحكومة، فقال:

«وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ ۶۱۲] لِسُنَّتِهِ»

. أى إن كان لى عليكم حق (وهو حق الطاعة والانقياد التام) فلكم على حق أيضاً هو إحياء كتاب اللَّه وسنّة رسوله صلى الله عليه و آله، ذلك لأنّ للحق طرفين، وليس هنالك من حق ذى طرف واحد. جدير ذكره أنّ الخطبة بدأت وانتهت بالتأكيد على أهميّة القرآن.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۲۱

الخطبة ۱۷۰

اشارة

فِي وُجُوبِ اتِّباعِ الحَقِّ عِنْدَ قِيامِ الحُجَّةِ[۶۱۳]

كَلَّمَ بِهِ بَعْضَ العَرَبِ وَ قَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ لَمّا قَرُبَ عليه السلام مِنْها لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حالِهِ مَع أَصْحابِ الجَمَلِ لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِن نُفوسِهِم، فَبَيَّنَ لَهُ عليه السلام مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِه أَنَّهُ على الحَقِّ، ثُمّ قالَ لَه: بَايِعْ، فَقالَ: إِنِّى رَسُولُ قَوْمٍ، وَلا أُحْدِثُ حَدَثاً حَتّى أَرْجِعَ إِلَيْهِم فقالَ:

نظرة إلى الخطبة

الخطبة، كما ورد، سابقاً، جواب واضح لرسول بعض قبائل أطراف الكوفة والبصرة حين طالبه الإمام عليه السلام بالبيعة وحاول التهرب منها.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۲۳

القسم الأول

فقال: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِى لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَإِ وَالْمَاءِ، فَخَالَفُوا إِلى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعاً؟ قَالَ: كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ.

فَقَالَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ-: فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: فَوَاللَّهِ مَااسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالرّجلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ الجَرْمِيّ.

الشرح والتفسير: لماذا لاتبايع

روى الواقدى فى كتاب الجمل عن (كليب الجرمى) أنّه لما قتل عثمان ولم تمضى مدّة حتى قدم طلحة والزبير إلى البصرة (ليمهدوا السبيل أمام حكومتهما) وحين علم على عليه السلام قدم إلى منطقة ذى قار (لمنعهما). سألنى شخصان من أهل البصرة لأحملهما إلى على، لنعلم ما هدفه؟ فلما بلغنا ذى قار وجدنا علياً عليه السلام أعقل العرب، سألنى من زعيم قبيلة بنى راسب؟ قلت فلان. قال من زعيم قبيلة بنى قدامة؟ قلت فلان. قال: هل لك أن تحمل كتابى لهما؟ قلت: بلى. قال: ألا تبايعنى؟

وهنا بايع الرجلان، بينما لم أبايع، فالتفت إلىَّ عدد من الرجال الذين كان عليهم سيماء الصالحين فقالوا: بايع، بايع. قال على عليه السلام: دعوه. فقلت: أنا رائد القوم فأعود إليهم وأخبرهم فإن بايعوك أُبايعك وإن لم يبايعوا، تبعتهم، فأجابنى الإمام عليه السلام جواباً لم أجد بداً من البيعة. نعود الآن إلى النصّ لنرى ماذا قال له عليه السلام لقد قال:

«أَرَأَيْتَ لَوْ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۲۴

أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً[۶۱۴] تَبْتَغِى لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ

عَنِ الْكَلَإِ[۶۱۵] وَالْمَاءِ، فَخَالَفُوا إِلى الْمَعَاطِشِ ۶۱۶] وَالْمَجَادِبِ ۶۱۷]، مَا كُنْتَ صَانِعاً؟ قَالَ: كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ».

فما كان هنا من الإمام عليه السلام إلّاأنّ ابتدره:

«فَقَالَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ-: فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: فَوَاللَّهِ مَااسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»

قال السيد الرضى:

«وَالرّجلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ الجَرْمِيّ».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى جوابه المذكور إلى حقيقة مهمّة يحل الالتفات إليها الكثير من المشاكل. فكثيرون هم الأفراد الذين يفخرون بانصهارهم بالجماعة وتلونهم بلونها، فهم يفتقرون إلى الاستقلال الفكرى بحيث لا يطيقون الانفصال عن الجماعة- وإن كانت ضالة- وهذا ما يؤدّى إلى انتقال الخرافات والمساوىء من جيل إلى آخر. فالإمام عليه السلام يفند هذا اللون من التفكير بمثال واضح حيث قال: لو كنت ضمن جماعة وبلغت موضعاً فى الصحراء حيث الماء والغذاء، بينما انحرفت الجماعة إلى موضع مجدب خالٍ من الماء والغذاء، فهل تبقى معهم أم ترجع إلى عقلك؟ فتنفصل عنهم وتسلك سبيل العافية والسلامة، هل من عاقل يبقى فى هذه الحالة مصرّاً على الجماعة؟! قطعاً لو كان الإنسان مستقلًا فكرياً فإنّه يسلك الطريق المستقيم أن تعرف عليه وإن سلكه لوحده.

وهذا من قبيل ما أورده الإمام عليه السلام فى الخطبة ۲۰۱ حين قال

«أَيُّها النَّاسُ لاتَستَوحِشُوا فِى طَرِيقِ الهُدى لِقِلَّةِ أَهلِهِ»

. نعم، مبايعة إمام كعلى بن أبى طالب عليه السلام مجادب، جمع مجدب، المكان الذى لم ينزل إليه المطر فهو جاف لا نبات فيه. وقبول ولايته تمثل ماء الحياة فى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۲۵

ذلك المجتمع الذى شهد فساد عصر عثمان، ولم يكد هذا الرجل يسمع كلام على عليه السلام حتى بايعه.

تأمّل: عمق تأثير كلام الإمام عليه السلام

يفيد الكلام المذكور مدى عمق تأثير كلام الإمام عليه السلام فى المستمع، والجدير بالذكر أنّ هذا الأمر حدث بالنسبة لرسول عائشة ورسول طلحة والزبير. ولما همّت عائشة ببعث رسولٍ إلى على عليه السلام، سألت القوم أن يأتوها بأشد أعداء على عليه السلام فأعطته عائشة كتابها وحذرته من تناول طعامه وشرابه ففيه سحر. فأتى بكتاب عائشة إلى على عليه السلام، فلما أعطاه الكتاب قرأه ودعاه إلى بيته ليتناول الطعام حتى يكتب له الجواب، فأقسم الرجل على عدم الذهاب. فقال له الإمام على عليه السلام: هلا تجيبنى إن سألتك؟ قال: بلى. قال عليه السلام: ناشدتك اللَّه حين أرادت عائشة أن تبعث برسولها ألم تسأل القوم عن رجل شديد العداوة لعلى، فأتوا بك إليها وسألتك عن عدائى فأجبت كذا وكذا؟ قال: بلى. قال عليه السلام: ألم تحذرك من تناول الطعام فإنّ فيه سحر؟ قال: بلى. قال عليه السلام: أتكون رسولى؟ قال: بلى واللَّه. لقد قدمت إليك وأنت أبغض الخلق إلىَّ والآن أنت أحبّ الخلق إلىَّ. قال عليه السلام: إذهب بكتابى هذا إلى عائشة وقل لها: لقد عصيت اللَّه وعصيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حيث خرجت من بيتك. وقل لطلحة والزبير: حفظتم نساؤكم وأبرزتم زوج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. فقدم الرجل وسلم عائشة الكتاب، وقال لها ما أوصاه الإمام عليه السلام، وقد قتل هذا الرجل فى صفين مع على عليه السلام.

قالت عائشة: ما أرسلنا من رجل إلى على إلّاعصانا وتمرد علينا[۶۱۸]. وقد حصل مثل هذا الأمر لرجل يدعى خداش رسول طلحة والزبير، وقد ورد شرح ذلك فى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۲۶

كتاب الكافى للمرحوم الكلينى،[۶۱۹] وخلاصته، أنّ هذا الرجل أتى بكتاب طلحة والزبير إلى أمير المؤمنين على عليه السلام وقد حذراه سابقاً من بيان على عليه السلام الذى يسحر العقول فلا ينبغى أن يجالسه ويتناول معه الطعام ولا يطيل النظر إلى وجهه وأن يقرأ عند رؤيته، آية السحرة: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ* ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ* وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ»[۶۲۰].

ليأمن من سحره. فلما قدم إلى الإمام عليه السلام نظر إليه وضحك ثم قال: أجلس. قال:

لا. قال عليه السلام: نأتيك الطعام ثم قل ما عندك. قال: لا حاجة بى إلى ذلك. قال عليه السلام: تعال نتحدث فى مجلس. قال ليس لدىَّ ما أُخفيه. قال عليه السلام: قل الصدق، ألم يأمرك الزبير بذلك؟ قال: بلى. قال عليه السلام: أخبرك أن تقرأ آية السحرة إن رأيتنى؟ قال: بلى. فأخذ يقرأها والإمام عليه السلام يقرأ معه، ثم قال عليه السلام: كرّرها، حتى كرّرها سبعين مرّة. قال عليه السلام: قل ما عندك؟ فقال له ما أوصاه طلحة والزبير، فرد عليه السلام على تناقضاتهما وجعل (خداش) يصدقه حتى قال لنفسه: لقد جئت بكتاب يبطل بعضه بعضاً؟ إلهى أبرء إليك منهما؟ قال عليه السلام: قل لهما ما قلت لك، قال: خداش واللّه لا أبرح حتى تسأل اللّه أن يرجعنى إليك. ففعل الإمام عليه السلام فرجع إلى طلحة والزبير وأوصل كتاب الإمام عليه السلام إليهما ثم عاد مسرعاً إلى الإمام عليه السلام حتى قتل بين يديه فى الجمل.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۲۷

الخطبة ۱۷۱

اشارة

لَمَّا عَزَمَ على لِقاءِ الْقَوْمِ بِصِفِّينِ [۶۲۱]

نظرة إلى الخطبة

هذه الكلمات ليست خطبة وليست كلاماً عادياً، بل هى دعاء عظيم المعنى لهج به الإمام عليه السلام حين عزم على مواجهة القاسطين فى صفين معاوية ورهطه فى شهر صفر سنة ۳۷ ه واختتمه بدعوة صحبه إلى الجهاد. ويتضمن كلامه قسمين:

الأول: دعاء يثنى فيه على اللّه بما يرسخ الإيمان لدى الآخرين ويسأله تعالى التسديد إلى الحق والثبات إن انتصر على عدوه، وأن ينعم عليه بالشهادة والإبتعاد عن الفتنة إن كانت الغلبة للعدو.

أمّا القسم الثانى: فقد دعى فيه صحبه لجهاد معاوية ورهطه من خلال عبارات قصيرة، لكنها تثير الحماس والقوة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۲۹

القسم الأول

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الَّذِى جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرىً لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ؛ وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ، لَايَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ؛ وَرَبِّ هذِهِ الْأَرْضِ الَّتِى جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ، وَمَا

لَايُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمَا لَا يُرَى وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ، وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ! العَارُ وَرَاءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ!

الشرح والتفسير: الجنّة أمامكم

كما ذكرنا سالفاً فإنّ الإمام عليه السلام استهل الخطبة بدعاء روحى عميق المعانى ليعد نفسه وصحبه للقاء العدو، وحيث يحمد اللَّه فى الدعاء بصفات تعد القلوب فإنّ الإمام عليه السلام حمد اللَّه فى هذا الدعاء باسم ربّ السموات والأرض وربّ الجبال فقال عليه السلام:

«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ[۶۲۲] الْمَكْفُوفِ ۶۲۳]، الَّذِى جَعَلْتَهُ مَغِيضاً[۶۲۴]

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۳۰

لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرىً لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ؛ وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً[۶۲۵] مِنْ مَلَائِكَتِكَ، لَايَسْأَمُونَ ۶۲۶] مِنْ عِبَادَتِكَ» . العبارة

«السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ»

إشارة إلى موضع النجوم التى تشاهد فى السماء بصورة سقف- وقد سحبت من الشرق والغرب والشمال إلى الجنوب- أو إشارة إلى جو الأرض، أى طبقة الهواء التى تحيط بالأرض بقطر طوله مئتى كيلومتر ويحفظها كسقف من الأشعة الكونية القاتلة والصخور السماوية التائهة[۶۲۷]. إلّاأنّ التفسير الأول أنسب، وعليه فالسقف المرفوع محل نجوم العالم العلوى والتى تبدو لأهل الأرض كالسقف، ومفهوم مجرى الشمس والقمر ... بهذا المعنى.

«وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ»

طبقة الهواء المحيطة بالأرض موضع ظهور الليل والنهار (فالليل ظل الأرض ويظهر فى هذا الجو المكفوف وكذلك النهار موضع شروق الشمس).

وربّما تشير العبارة مختلفا

«وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ»

إلى جميع نجوم السماء السابحة فى هذا الفضاء الواسع، حيث تطلع كل ليلة من أُفق المشرق تغيب فى أُفق المغرب، أمّا إن كانت (النجوم السيارة) إشارة إلى السيارات الخمس المعروفة للمنظومة الشمسية فإنّ المفردة (مختلفاً) تشير إلى حركتها الخاصة فى السماء، وكأنّها تتقدم قليلًا ثم تعود ثم تنطلق (وإن لم تكن كذلك فى الواقع). ضمناً، فإنّ الكلمات المذكورة على غرار التعبيرات القرآنية التى تنسجم وعلم الفلك المعاصر وتنفى نظرية بطليموس، وذلك لأنّ معنى مجرى الشمس والقمر، هاتين الكرتين مستقلتان فى حركتهما فى السماء، وكذلك النجوم، لا أنّها مشدودة إلى أفلاك بلورية وتتحرك معها.

ثم أشار عليه السلام إلى الأرض وكائناتها الحية فقال:

«وَرَبِّ هذِهِ الْأَرْضِ الَّتِى جَعَلْتَهَا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۳۱

قَرَاراً لِلْأَنَام، وَمَدْرَجاً[۶۲۸] لِلْهَوَام ۶۲۹] وَالْأَنْعَام، وَمَا لَايُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمَا لَايُرَى .

إنّ هذه العبارات تفيد احاطة الإمام عليه السلام العلمية بجميع الكائنات على الأرض والتى تشمل الإنسان والحيوانات الأهلية وغير الأهلية حتى الديدان التى لا ترى بالعين المجرّدة كأنواع الميكروبات والفيروسات. وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد من

(ما لا يرى) الأحياء المتناثرة فى الصحراء والتى لا يراها أحد، وقالوا: لو أوقدت نار فى الصحراء فى ليلة مظلمة لاجتمعت حولها ديدان لم يرها الإنسان، ولكن بالنظر إلى الاكتشافات الحديثة بشأن الأحياء المجهرية التى لا ترى بالعين المجرّدة لا تبدو هناك حاجة لمثل هذا التفسير، فهناك طائفة من الأحياء التى لا ترى بأى شكل من الأشكال، وهذا الكلام من كرامات الإمام عليه السلام التى أماطت اللثام عن حقيقة كانت خفية على الجميع آنذاك. وعبّر عن الإنسان بالقرار (موضع الإستقرار والإقامة) وعن الحيوانات بالمدرج (موضع السير البطئ والتدريجى) ولعل الفارق فى التعبيرين، يعزى إلى الحركة فى الحيوانات التى تفوق نظيرتها عند الإنسان.

ثم قال عليه السلام فى الصفة الثالثة للذات المقدّسة فى دعائه العظيم:

«وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِى ۶۳۰] الَّتِى جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً»

. فالعبارة كون الجبال للأرض أوتاداً اقتباس من القرآن الكريم بشأن الجبال: «وَالْجِبَالَ اوْتَاداً[۶۳۱]»[۶۳۲]. أحياناً يتصور أنّ حجم أضخم الجبال صغير بالنسبة للكرة الأرضية، بحيث لا يصح اطلاق الوتد عليه، لكن بالنظر إلى أنّ لهذه الجبال العظيمة جذور فى أعماق الأرض، وهذه الجذور متصلة مع بعضها كدرع أحاط بالأرض يحول دون الضغوط الداخلية

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۳۲

والخارجية- والذى يفرزه جاذبية القمر وجزره ومده- فإنّ الجبال تعتبر بمثابة الأوتاد التى تحول دون تصدع الأرض. أمّا قوله: إنّ اللّه جعلها للخلق اعتماداً، ذلك لأنّ الجبال تحطم الرياح الشديدة العاتية وتمنع العواصف الرملية والسيول الخطيرة، أضف إلى ذلك فإنّ أغلب الأنهار والعيون تنحدر من الجبال وهى مركز أكثر المعادن المفيدة، إلى جانب بناء البيوت والقلاع المحكمة فيها، سيما المناطق التى تكون عرضة للسيول إنّما تلجأ لبناء الدور هناك خلاصاً من هذا الخطر. والسؤال ما الذى أراد أن يطلبه الإمام عليه السلام من اللّه فى هذا الدعاء. قال عليه السلام

«إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، فَجَنِّبْنَا الْبَغْىَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ».

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذا الدعاء إلى هذه الحقيقة وهى أنّ الكثير ربّما يفارق العدالة حين النصر والغلبة فى المعركة ويمارس الظلم بحق العدو، ومن هنا يسأل اللّه فى حالة النصر ابعاده عن هذا العمل أولًا، وثانياً، كثيرون هم الأفراد الذين ينشدون النصر ارضاء لغرورهم والسيطرة على الآخرين. الإمام عليه السلام يدعو اللّه أن يسدده للحق وإقامة العدل إن كتب له النصر، وثالثاً، على فرض كون الغلبة للأعداء فإنّه يسأل اللّه الشهادة والاعتصام من الفتنة. الفتنة هنا يمكن أن تكون إشارة إلى الامتحان، ذلك لأنّ ساحة القتال من ميادين الامتحانات الصعبة وعلى الإنسان أن يسأل اللّه تثبيته فى القتال. فالفرد الذى يعتقد أنّه على الحق ربّما ينقم حظه إن أصابه شىء، وينطلق لسانه بالشكوى وهذا فشل فى ميدان الامتحان.

ثم دعى الإمام عليه السلام أصحابه لمواجهة العدو من خلال عباراته المؤثرة فى الدعاء فقال:

«أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ[۶۳۳]، وَالْغَائِرُ[۶۳۴] عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ ۶۳۵] مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ![۶۳۶] العَارُ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۳۳

وَرَاءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ!»

. وأخيراً يختتم كلامه بتشجيع المدافعين وتهديد الهاربين فيقول:

«العَارُ وَرَاءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ!»

فإن فررتم كان ذلكم عاراً عليكم وإن ثبتم فلكم الجنّة.

تأمّل

لقد شهد تاريخ البشرية نشوب العديد من الحروب العالمية والأقليمية، ولكن غالباً ما يكون الهدف منها، الطمع وحب الاستعلاء

والسيطرة والثأر، ومن هنا فإنّ النصر فى المعركة إنّما يؤدّى إلى ارتكاب أفضع الجنايات، وذلك لغياب الهدف المقدّس. نعم، يستثنى من ذلك حروب الأنبياء والأولياء، حيث الهدف منها إطفاء نار الفتنة، «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَاتَكُونَ فِتْنَةٌ»[۶۳۷] والدفاع والوقوف بوجه المهاجم: «فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»[۶۳۸] ولذلك فإنّ الأصول الإنسانية لا تغيب قط فى المعركة. ومن ذلك ما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام جند الإسلام عند النصر بأنّ لا يتعقّبوا فاراً ولا يجهزوا على جريح ولا يتهيجوا النساء بأذى وإن شتمن الأعراض وسبين الأمراء[۶۳۹].

وتراه عليه السلام فى هذه الخطبة والدعاء الذى تقرب به إلى اللّه يسأله الثبات والتسديد إلى الحق عند ظهوره على العدو، وهذا هو الفارق بين من يخوض الحرب من أهل الدنيا وأولئك الذين يعملون للآخرة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۳۵

الخطبة ۱۷۲

نظرة إلى الخطبة[۶۴۰]

استهل الإمام عليه السلام الخطبة بحمد اللّه والثناء عليه ثم أشار إلى بعض الأعمال والأقوال الطائشة لبعض الصحابة المعروفين. تتكون الخطبة من ثلاثة أقسام. أشار فى القسم الأول: إلى موقف عبدالرحمن بن عوف أو سعد بن أبى وقاص يوم الشورى (الشورى المؤلفة من ستة أفراد والتى شكلها عمر لاختيار الخليفة من بعده)، حيث نسب إلى الإمام عليه السلام الحرص على الخلافة فأجابه الإمام عليه السلام بجواب رائع. وشكى إلى اللّه.

فى القسم الثانى، قريشاً ومن اصطف معها ضده. وتطرق.

فى القسم الثالث، إلى قضية طلحة والزبير وموقعة الجمل وعملها القبيح الذى ارتكباه حين أخرجا عائشة (زوج النبى) إلى المعركة ولم يحفظا حرمة رسول اللّه صلى الله عليه و آله وما تبع ذلك من سفك للدماء.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۳۷

القسم الأول

الْحَمْدُللَّهِ الَّذِى لَاتُوَارِى عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً.

منها: وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هذَا الْأَمْرِ يَابْنَ أَبِى‌طَالِبٍ لَحَرِيصٌ؛ فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِى وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِى دُونَهُ. فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِى الْمَلَاءِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لَايَدْرِى مَا يُجِيبُنِى بِهِ! اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِى، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِى، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِى أَمْراً هُوَ لِى. ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِى الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِى الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

الشرح والتفسير: قريش والخلافة

إستهل الإمام عليه السلام الخطبة بحمد اللّه والثناء عليه وركز على علم اللّه وسعته- بما يتناسب وأبحاث الخطبة- فقال:

«الْحَمْدُللَّهِ الَّذِى لَاتُوَارِى عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً».

يبدو أنّ بعض شرّاح نهج البلاغة تكلفوا فى تفسير العبارة

«وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً»

على أساس عدم وجود أكثر من أرض، فذهبوا إلى أنّها تشير إلى الأقاليم السبعة على الأرض التى نراها محيطة بالأرض بسبب كرويتها حتى وإن نظرنا إليها من خارج الكرة الأرضية، ولا يمكن رؤية جميع المناطق فى الأرض فى لحظة معينة وإن نظرنا إليها من مسافة بعيدة، إلّاأنّ الأمر ليس كذلك بالنسبة للّه‌الذى لا يغيب

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۳۸

عن علمه شىء. وقيل: تشير العبارة إلى طبقات الأرض، فالأرض تتألف من طبقات ولا نرى سوى طبقة واحدة منها، أمّا اللّه فلا يغرب عنه شىء. وقيل: المراد، المخلوقات التى تعيش فى الأرضين، حيث ورد مثل هذا الكلام فى تفسير الآية الشريفة ۱۲ من سورة الطلاق: «اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» وقد قال كل من الفخر الرازى والمرحوم العلّامة الطبرسى بأحد هذين التفسيرين المذكورين. الاحتمال الآخر فى تفسير الآية وكلام الإمام عليه السلام أنّ المراد، العوالم الواقعة فى الجانب الآخر من الكرة الأرضية. توضيح ذلك، أننا نصطلح على ما فوقنا بالسماء وما تحتنا بالأرض، ونعلم أنّ الكرة الأرضية وسط مجموعة من الكواكب الثابتة والسيارة، وكما أنّ هناك عدداً هائلًا من تلك المجموعة فوقنا، كذلك لو تأملنا الجانب الآخر للكرة الأرضية فإنّ فيها مجموعة من هذه العوالم التى تعد سماءاً بالنسبة لسكنتها بينما تعتبر أرضاً بالنسبة لنا، فالسماء لا تقتصر على هذا النصف الكروى الذى فوقنا، بل هنالك النصف الآخر تحتنا والملىء بالكواكب والكرات السماوية (عليك بالتأمل).

ثم أشار الإمام عليه السلام فى الجانب الآخر من الخطبة إلى وقائع يوم الشورى المكونة من ستة أعضاء لاختيار الخليفة الثالث فرد على مقولة عبدالرحمن بن عوف أو سعد بن أبى وقاص فى حرص الإمام عليه السلام على الخلافة فقال:

«وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هذَا الْأَمْرِ يَابْنَ أَبِى‌طَالِبٍ لَحَرِيصٌ؛ فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ»

. فالواقع أنّ عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص ومن شاكلهما ينظرون من خلال أُفقهم الضيق على أنّ الخلافة طعمة لذيذة لهم أو من يرونه مؤهلًا لها، فهم لا يعلمون أو لا يريدون أن يعلموا أنّ الخلافة ليست بذات قيمة لدى ابن أبى طالب سوى إحقاق الحق والانتصاف للمظلوم وزهق ودحر الظالم. والإمام عليه السلام لا يريد الخلافة لنفسه بقدر ما يريدها لبسط العدل والقسط وسلامة المجتمع الإسلامى.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۳۹

ثم قال عليه السلام

«وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِى وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِى دُونَهُ»

. إلّاأنّ حرصهم حال دون إذعانهم لهذه الحقيقة. لذلك واصل كلامه قائلًا:

«فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ ۶۴۱] بِالْحُجَّةِ فِى الْمَلَاِ الْحَاضِرِينَ هَبَ ۶۴۲] كَأَنَّهُ بُهِتَ لَايَدْرِى مَا يُجِيبُنِى بِهِ!»

قضية الشورى التى شكلها عمر حين وفاته كانت ضجة ضخمة أفصحت عن الأحقاد والضغائن التى يكنّها بعض الصحابة لأمير المؤمنين على عليه السلام وتشير إلى حجم المؤامرة المبيتة بغية زحزحته عن مقامه وحقّه الاجتماعى حتى طالبوه بالتخلى عن حقّه وإلّا إتّهم بالحرص على الخلافة. جدير بالذكر أنّ ابن أبى الحديد قال: يعتقد الشيعة أنّ الإمام عليه السلام قال هذا الكلام فى أبى عبيدة الجراح فى سقيفة بنى ساعدة التى شكلت لاختيار الخليفة بعد النبى صلى الله عليه و آله ۶۴۳]. والحال لم نر أحداً من علماء الشيعة قال بذلك، والمسلم لدينا أنّ الإمام عليه السلام لم يكن حاضراً فى السقيفة. وقد فرغنا من شرح هذه الأحداث فى الجزء الأول من هذا الكتاب ذيل الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية.

ثم تضرع الإمام عليه السلام إلى اللّه يشكو ما ألم به من ظلم فيستلهمه العون قائلًا:

«اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْتَعْدِيكَ ۶۴۴] عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِى، وَصَغَّرُوا

عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي. ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ»

. فهذه العبارة تكشف بوضوح أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يرى الخلافة حقّه الطبيعي، وذلك لأنّه كان أجدر بها من غيره إلى جانب نص النبي الأكرم صلى الله عليه و آله على ولايته في الغدير والذي أكده مراراً وتكراراً، إلّاأنّ عشاق المناصب اسقطوا نص رسول اللّه صلى الله عليه و آله وحكم العقل، ومارسوا الأعمال التي من شأنها

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۴۰

قطع صلة الرحم، والأمر الغريب أنّهم يعترفون بهذا الحق، لكنهم يزعمون أنّها من الحقوق التي ينبغي الإغماض عنها، فالظروف ليست مناسبة لاستحصاله.

والتعبير بقطع صلة الرحم إمّا لاستدلالهم بأوليتهم في أمر الخلافة لقربهم من رسول اللّه صلى الله عليه و آله وقد رد عليهم الإمام عليه السلام بأنّه أخصّ منهم وأقرب (كما مرّ علينا في عبارة الخطبة) أو (أنا) إشارة إلى أنّهم لم يأخذوا الخلافة وهي حقّي فحسب، بل لا يكفون عن ارتكاب الجنايات التي تعدّ مصداقاً بارزاً لقطع الرحم.

تأمّلان

۱. العيون المعصوبة ازاء الحقائق

إنّ البعض وإن سعى المرور مرّ الكرام على القضايا المتعلقة بالخلافة، إلّاأنّ الأمر لا يبدو بهذه السهولة والبساطة. لا شك في أنّ علياً عليه السلام شكى مراراً من سلبه حقّه المسلّم في الخلافة (طبعاً ليس المراد من الحق، المقام الذي يختزن الفائدة والربح والمنفعة) بل يمثل المسؤولية الشرعية وهدفها- على ضوء ما ذكره الإمام عليه السلام- إقامة العدل وإحقاق الحق وإجراء الحدود. ولعل الكلام المذكور هو أحد النماذج البارزة على شكواه حتى قال: إنّهم اجمعوا على منازعتي ليصادروا حقّي، وسنورد المزيد بهذا الشأن في شرحنا للخطبة رقم ۲۱۷.

الجدير بالذكر أنّ ابن أبي الحديد نقل هذا الكلام وحاول تبريره وتوجيهه بما لا يمكن قبوله بأي شكل من الأشكال. فقد صرّح قائلًا:

أعلم أنّه وردت أخبار متواتر عنه عليه السلام ومنها هذه الخطبة أنّه قال:

«مَا زِلْتُ مَظْلُوماً مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ حَتَّى يَوْمَ النَّاسِ هَذا»

، وقال أيضاً:

«اللَّهُمَّ اخْزِ قُرَيْشاً فَانَّهَا مَنَعْتَنِي حَقِّي وَغَصَبْتَنِي امْرى

وسمع شخصاً يقول:

«أَنَا مَظْلُومٌ»

فقال عليه السلام:

«هَلُمَّ فَلْنَصْرَخْ مَعاً فَإِنِّي ما زِلْتُ مَظْلُوماً»

وقال في الخطبة الشقشقية:

«وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلّي مِنْها مَحَلَّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحى

وأضاف في الخطبة المذكورة:

«أرى تُراثي نَهبا»

ولما فرغ ابن أبي

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۴۱

الحديد من ذلك هب للدفاع عن الخلافة ليقول: أنّ أصحابنا يوجهون ذلك بأنّ مراد الإمام عليه السلام أنّه كان أفضلهم وأولاهم- وهذه حقيقة- لا- أنّ مراده أنّ النبى صلى الله عليه و آله نص عليه، لأنّ ذلك يدعونا إلى تكفير وتفسيق كبار المهاجرين والأنصار (ننسبهم للكفر أو الفسق) وأضاف أنّ الزيدية والإمامية يحملون هذا الكلام على ظاهره (ويرون الخلفاء غاصبين للخلافة). ثم قال: والذى نفسى بيده أنّ مفهوم هذه العبارات وإن كان أغلب الظن ما يقوله هؤلاء، إلّاأنّ هذا الظن باطل وليس أمامنا سوى اعتبار هذا الكلام من قبيل الآيات القرآنية المتشابهة التى تطرح بعض الأمور التى لا نقرّها للّه ۶۴۵]. والعجيب كيف يتأول ابن أبى الحديد وأمثاله هذه الكلمات الواضحة بهذا الشكل، والأسوأ من ذلك أنّه قاس هذا الكلام بآيات القرآن المتشابهة، فالآية القرآنية: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»[۶۴۶] يفهم كل فرد عاقل أنّ المراد منها قدرة اللّه، وإلّا فاللّه ليس بجسم لتكون له يد كيدنا. نعم، قال الإمام صراحة فى العبارة السابقة أنّ هؤلاء غصبونى حقّى، وليس لهذه العبارة أكثر من تفسير وتأبى التوجيه، ليت شعرى ما الضير فى قولنا إنّ طائفة من المهاجرين والأنصار أخطأت بشأن الخلافة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله؟ أفكانوا معصومين؟ الحق أنّ الأحكام المسبقة والتعصّب للمذهب يؤدّى بالإنسان أحياناً إلى أنّ يعصب عينيه عن رؤية القضايا الواضحة والتشبث بالتوجيه غير المنطقى.

۲. هل ينبغى التنازل عن بعض الحق

تمسك غاصبوا الخلافة- كما ورد فى الخطبة- بضرورة استيفاء بعض الحقوق والتنازل عن بعضها الآخر على ضوء بعض المصالح. ويرون خلافة أمير المؤمنين عليه السلام من النوع الثانى. نعم، العبارة المذكورة تنطوى على مفهوم صحيح

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۴۲

وآخر باطل. فالإنسان ينبغى له التنازل عن جانب من حقّه الشخصى أو جميعه بغية الحيلولة دون نشوب النزاعات ومواصلة الخصومة ومراعاة للمحبة والمودة، أمّا بالنسبة للحقوق المتعلقة بالمجتمع ومصيره، فلا يحق لأحد التنازل عنه أو المساومة على حسابه. وأصحاب هذه الحقوق هم وكلاء الأُمّة. وليس للوكيل مثل هذا التنازل، والخلافة من هذا النوع من الحقوق، إلّاأنّ غاصبى الخلافة حاولوا خلط الأوراق. بمنطقهم الأجوف بغية تحقيق أهدافهم ومآربهم. والعبارة المذكورة تشير ضمنياً إلى أنّ أعداء الإمام عليه السلام كانوا يعترفون بحقّه، أو بعبارة أخرى فإنّ حقّه كان على درجة من الوضوح بحيث لم يسعهم إنكاره، فعمدوا إلى الذرائع والحجج الواهية.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۴۳

القسم الثانى

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِى بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِى جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِى الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِى بِالْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِى بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً، وَطَائِفَةً غَدْراً. فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِداً لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِى قَتْلُ ذلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ. دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِى دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ!

الشرح والتفسير

فضيحة أصحاب الجمل

شرح الإمام عليه السلام هنا الخطأ الفادح الذى ارتكبه أصحاب الجمل ليعلم الجميع بأنّ الإمام عليه السلام إن قاتلهم وقتل طائفة منهم فهى مستحقة لذلك، فلا ينبغى التذرع بالأعذار ومواجهة هذا المنطق المتين، حيث أشار عليه السلام إلى ثلاث من جرائمهم الكبرى، فقال فى الأُولى

«فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ»

. ثم قال:

«فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ ۶۴۷] رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۴۴

كلّنا نعلم أنّ القرآن الكريم أوصى أزواج النبى صلى الله عليه و آله بأن يقرن فى بيوتهن وأن لا يتبرجن تبرج الجاهلية فيتصفحن هذا وذاك: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى [۶۴۸] وكأنّ بعض الأحداث كموقعة الجمل كانت منظورة من قبل، إلّا أنّ هؤلاء المتحللين أبقوا على نسائهم فى بيوتهن وأخرجوا زوج النبى صلى الله عليه و آله خلاف نص القرآن ليجعلوها وسيلة لتحقيق مآربهم.

ثم قال عليه السلام فى جنايتهم الثانية:

«فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ»

. ولا يقتصر الالتزام بالبيعة على الإسلام، بل كان يلتزم بها حتى قبل الإسلام، بينما نقض أصحاب الجمل هذه السنّة ونكثوا عهدهم علانية واستعدوا لمواجهة الإمام عليه السلام. وأشار إلى جريرتهم الأخرى فقال عند ما دخلوا البصرة:

«فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً[۶۴۹]، وَطَائِفَةً غَدْراً»

. ذكر ابن أبى الحديد فى شرح لجنايات أهل الجمل أنّ طلحة والزبير وأعوانهما تدرعوا وقدموا المسجد عند صلاة الصبح وكان فيه عامل على عليه السلام عثمان بن حنيف. فتقدم للصلاة فدفعه أصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير. فتقدم

(السبابجة)

(حماة بيت المال)[۶۵۰] ودفعوا الزبير خارج المسجد، فهجم عليهم أنصار الزبير وقدموه واستمر النزاع حتى طلوع الشمس.

فصاح الناس: اتقوا اللّه يا أصحاب محمد صلى الله عليه و آله فالشمس تكاد تطلع، فغلبهم الزبير وصلى بالناس. ثم أمر بالقبض على ابن حنيف فضربوه حتى كاد يموت، كما قبضوا على السبابجة وهم سبعون، حملوا عثمان بن حنيف إلى عائشة، فأمرت بقتله. فقال عثمان: إن قتلتمونى سيقتص منكم أخى (والى المدينة) فخافوا وتركوه. وأمرت

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۴۵

الزبير بقتل السبابجة فذبحهم ابنه عبداللّه كما تذبح الشاة. قال بعض المؤرخين كأبى مخنف كان السبابجة أربعمائة وقد نقض طلحة والزبير عهدهم مع عثمان بن حنيف- بعدم التعرض لأحد- فكان السبابجة أول طائفة قتلت صبراً فى الإسلام ۶۵۱]. وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً، وَطَائِفَةً غَدْراً».

وأخيراً خلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة فقال:

«فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ. دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ!».

أثار هنا بعض شرّاح نهج البلاغة أسئلة وأجابوا عنها، نوردها بما يناسب البحث:

سؤال: كيف تفسر فقهياً عبارة الإمام عليه السلام فى حلية قتل الجيش كله وإن أصابوا واحداً فضلًا عن قتلهم لذلك العدد الكثير؟

الجواب: أجاب البعض بأنّهم أباحوا قتل المسلمين وهذا نوع من انكار ضروريات الدين وعليه فهم مرتدون. وقيل: إنّ قتلهم من باب النهى عن المنكر، ولو توقف النهى عن المنكر بذلك لكان جائزاً. الجواب الثالث: والأنسب، أنّهم كانوا مصداقاً للمفسدين فى الأرض، فقد جهزوا الجيوش ونكثوا البيعة وعاثوا فساداً فى بعض مناطق البلد الإسلامى، فهم مشمولون بالآية الشريفة «إِنَّمَا جَزَاءُواْ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا ...»[۶۵۲] وعبارة الإمام عليه السلام أنّهم حضروا ولم ينكروا ولم يدفعوا بلسان ولا بيدهم فى الواقع مقدمة لاثبات كونهم من

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۴۶

المحاربين والمفسدين.

الجواب الرابع: الذى يتبناه مذهب أتباع أهل البيت عليهم السلام فى أنّ الخارج عن الإمام المعصوم كافر، كما ذكر ذلك الخواجة الطوسى فى تجريد العقائد[۶۵۳] فقال:

«ومُحارِبُو عَلِيٍّ كَفَرَةٌ»

ذلك لأنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لعلى عليه السلام:

«حَرْبُكَ حَرْبِى»

. وقد فصلنا فجائع طلحة والزبير وعائشة فى موقعة الجمل فى الجزء الأول من هذا الكتاب ذيل الخطبة الثالثة عشرة، والجزء الثانى فى تفسير الخطبة ۲۲ و ۳۱، والجزء الخامس فى شرح الخطبة ۱۳۷.

سؤال آخر:

لو استحق أولئك، القتل لمجرّد قتلهم جماعة من المسلمين وقبل المعركة، لماذا لم يقتص الإمام عليه السلام من أتباع طلحة والزبير بعد أن انتصر عليهم فى المعركة؟ بل حتى عائشة كانت تستحق القتل لخروجها على أمام المسلمين والفساد فى الأرض، لكن الإمام عليه السلام أعادها بكل احترام إلى المدينة؟ والجواب على هذا السؤال واضح، فالأوضاع كانت مضطربة والظروف معقدة بحيث لو قام الإمام عليه السلام بمثل هذا العمل لتمكن أعداء الإمام عليه السلام من تأليب عامة المسلمين عليه وتعبئتهم ضده. ومن هنا قال عمرو بن العاص لعائشة: ليتك قتلت فى الجمل. قالت: لم لا أم لك؟ فقال عمرو:

لدخلت الجنّة وحرضنا الناس على على بقتلك ۶۵۴]. على كل حال، فإنّه لمن دواعى الفخر لعلى عليه السلام أنّه غضّ النظر عنهم وأراح المجتمع الإسلامى من شرّهم.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۴۷

الخطبة ۱۷۳

اشارة

فِى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله وَمَنْ هُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَكُونَ لِلْخِلَافَةِ، وَفِى هَوانِ الدُّنْيا[۶۵۵]

نظرة إلى الخطبة

تبدأ هذه الخطبة ببيان صفات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بصورة مختصرة، كما يتعرّض الإمام عليه السلام فى القسم الثانى إلى خصائص الجدير بخلافة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فيؤدى حق الموضوع بعبارات قصيرة. ويتحدث فى القسم الثالث عن تقوى اللَّه ويوصى صحبه بعدم العجلة فى الأعمال والتروى عند الإقدام. وأخيراً يذم الدنيا والتعلق بها والخداع بزخارفها.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۴۹

القسم الأول

أَمِينُ وَحْيِهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِامْرِ اللَّهِ فِيهِ.

فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ. وَلَعَمْرِى، لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فَمَا إِلَى ذلِكَ سَبِيلٌ، وَلكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ. أَلَا وَإِنِّى أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِى عَلَيْهِ.

الشرح والتفسير: أجدر الأفراد بزعامة الأُمّة

كما ورد سابقاً فإنّ الإمام عليه السلام قد إستهل الخطبة ببيان جانب من خصائص رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حيث أشار إلى أربع منها، فقال:

«أَمِينُ وَحْيِهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ»

والواقع، إنّ أنشطة النبى صلى الله عليه و آله كافة يمكن إيجازها فى هذه الصفات الأربع؛ ذلك لأن الفعالية الأولى للنبى، تلقّى الوحى وإيصاله وإبلاغه إلى الناس بكل أمانة والتخطيط لنشر مبادىء الدين إلى نهاية الدنيا ومن ثم التمهيد لطاعة اللَّه عن طريق البشارة بالرحمة والإنذار بالعذاب والجزاء. وقد أكّدت هذه الصفات الأربع من خلال الآيات القرآنية حيث أشارت إلى بعضها من قبيل البشارة والإنذار.

ثم تطرق عليه السلام إلى شرائط خليفة الأُمّة وإمامها ليوجزها فى أمرين:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِامْرِ اللَّهِ فِيهِ».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع إلى ركنين أساسيين، لأحدهما بُعد عملى، والآخر

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۵۰

علمى، فعلى المستوى العلمى ينبغى أن يكون أعلم الجميع، وفى الجانب العملى أقواهم فى أمور الإدارة، فكثيرون هم الأفراد العلماء، لكنهم يفتقرون إلى حسن الإدارة، أو أنّهم يتمتعون بحسن الإدارة إلّاأنّهم يفتقرون إلى العلم، ولا يمكن النهوض بزعامة الأُمّة دون توفر هذين الشرطين معاً. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموضوع فى قصة بنى إسرائيل أثر اختيار (طالوت) كزعيم وقائد فاعترض البعض على أنّهم أولى بالزعامة منه على أساس الثروة، فرد القرآن عليهم بأنّ طالوت أولى بها لعلمه وقدرته: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ»[۶۵۶] ومن الواضح أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يكشف عن أولويته من الجميع بالتصدى لأمر الخلافة، ذلك لأنّ الجميع يعلم بأنّه الأعلم فى أصول الدين وفروعه وهو الأقوى والأقدر على الإدارة ومواجهة العدو.

سؤال:

نفحات الولاية ؛ ج۶ ؛ ص ۳۵۰

اذا لم يستدل الإمام عليه السلام بنص النبى الأكرم صلى الله عليه و آله على خلافته؟ أليس هذا دليلًا على أنّ الخلافة لم تكن على أساس النص، بل على ضوء انتخاب الناس لأكفأ الأفراد؟

الجواب:

قطعاً، لو استدل الإمام عليه السلام بالنص، لهب أغلبهم لإنكاره، وعليه فمن الأفضل الاستناد إلى مسلماتهم وإلزامهم بمنطقهم (الأمر الذى يصطلح عليه فى المنطق بالجدل) والذى قال بشأنه القرآن: «وَجادِلهُم بِالَّتِى هِى أَحْسَنُ»[۶۵۷]. جدير بالذكر أنّ ابن أبى الحديد حين يبلغ هذا الموضع من شرحه لنهج البلاغة، وخلافاً لأولئك الذين لا يصغون لصوت الضمير يُقرّ بأنّ علياً عليه السلام أعلم القوم، لكنه يرى أنّ هذا ليس بدليل على نفى خلافة الآخرين، ذلك لأنّه يمكن أحياناً تقديم المفضول على الأفضل ۶۵۸]. طبعاً، هذا منطق الأفراد الذين لا يفقهون قوانين العقل ولا يرون قبح

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۵۱

ترجيح المرجوح على الراجح، والحال، قبح هذا الأمر واضح للجميع، إلّاأنّ التعصب الأعمى يحول عادةً دون رؤية الواقع.

ثم قال عليه السلام: فإن تصدى مثل هذا الفرد، للأمر:

«فَإِنْ شَغَبَ ۶۵۹] شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ ۶۶۰]، فَإِنْ

أَبَى قُوتِلَ»

. وقال القرآن بهذا الخصوص «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ...»[۶۶۱].

ثم خاض الإمام عليه السلام فى الردّ على بعض المتخرصين، حيث انبرى البعض كمعاوية وعمرو بن العاص وطلحة والزبير وأمثالهم وصرّحوا بأنّ الخلافة والإمامة لمن تنتخبه عامة الأُمّة. وعليه، لا تكفى بيعة المدينة وأطرافها لعلى عليه السلام.

فقال عليه السلام:

«وَلَعَمْرِى، لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَاتَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فَمَا إِلَى ذلِكَ سَبِيلٌ، وَلكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا»

. ثم واصل كلامه قائلًا:

«ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ»

. وأخيراً حذّرهم جميعاً بالقول:

«أَلَا وَإِنِّى أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِى عَلَيْهِ»

. يبدو أنّ العبارة الأُولى تشير إلى معاوية الذى تخلف عن البيعة بذريعة المطالبة بدم عثمان، والحال، أن تتمّ المطالبة بدم عثمان من قبل أولياء الدم أو إمام المسلمين، ومن بايعه الناس أى، على بن أبى طالب عليه السلام. والثانية إشارة إلى طلحة والزبير وأمثالهما الذين بايعوا ثم نكثوا البيعة بما فيهم معاوية والآخرون. وأمّا ما قيل: إنّ المراد، ادّعاء الخلافة من قبل معاوية والذى ليس له حقّ، فلا ينسجم مع التواريخ، لأنّ معاوية لم يدع الخلافة على عهد أميرالمؤمنين على عليه السلام، بل ركّز على المطالبة بدم عثمان.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۵۲

سؤال:

لم يستدل الإمام عليه السلام فى حديثه المذكور فى إثبات خلافته وإمامته على نص النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بهذا الخصوص،

ولم يتطرق إلى حديث الغدير وما شابهه، بل أكّد على بيعة الأمّة، وهذا فى الواقع إمضاء لخلافة من سبقه. لذلك قال ابن أبى الحديد، هنا، صراحةً: إنّ هذا الكلام من الإمام عليه السلام دليل على صحة مذهبنا، ولا يؤيد مذهب الإمامية، فكيف تُحلّ هذه الشبهة؟

الجواب:

لابدّ من الإلتفات إلى أمور:

الأول: أنّ الإمام عليه السلام استدل بمسلمات الخصم لإثبات حقّه، لأنّهم يرون كفاية قبول أهل الحل والعقد (علماء الأُمّة) لثبوت الخلافة والإمامة. وعليه فقد أجابهم بمنطقهم (منطق الجدال بالتى هى أحسن)، ولو استدل بالنص لأنكروه.

الثانى: أنّ خلافة من سبقه لم تستند إلى قبول الناس، أمّا أبو بكر فقد انتخب من قبل أهل السقيفة حيث كانوا عدّة قليلة من الناس، وأمّا عمر فقد انتخب بنص من أبى بكر، بينما لم تتمّ خلافة عثمان إلّامن قبل ثلاثة أو أربعة أفراد من الشورى.

الثالث: أضف إلى ذلك، فإنّ الوقوف على رأى الإمام عليه السلام بشأن الخلافة لا يمكن من خلال خطبة أو خطبتين، بل لابدّ من دراسة شاملة لجميع كلماته بهذا الخصوص، لنرى كثرة تركيزه فى نهج البلاغة على النص فى الخلافة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۵۳

القسم الثانى

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَاللَّهِ. وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَا يَحْمِلُ هذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ؛ وَلَا تَعْجَلُوا فِى أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً.

الشرح والتفسير

تعليمات عسكرية

أعدّ الإمام عليه السلام صحبه هنا لمواجهة الظلمة والطواغيت حيث أوصاهم بادىء الأمر بالتقوى فقال:

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَاللَّهِ»

. القرآن الكريم من جانبه أكّد هذا المعنى حيث إنّ الأفراد الذين لا يصيبهم الخسران هم فقط الذين يتواصون بالحق والصبر: «وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ». وقال: «وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى»[۶۶۲] وقال أيضاً: «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»[۶۶۳].

ثم واصل عليه السلام كلامه قائلًا:

«وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَا يَحْمِلُ هذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ»

. ثم قال:

«فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ؛ وَلَا تَعْجَلُوا فِى أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۵۴

مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً[۶۶۴]».

تشير العبارة

«وَلَا يَحْمِلُ هذَا الْعَلَمَ»

إلى أننا نضطر لأول مرّة فى الإسلام لأن نقاتل أفراداً يدّعون الإسلام، وأنّهم من أهل القبلة لبغيهم وطغيانهم، ويبدو هذا الأمر مستصعباً بالنسبة للأفراد السطحيين وضيقى الافق، وعليه، فلا يستحق حمل هذا العلم سوى من تحلّى بالبصر والعلم والصبر.

والعبارة

«فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ ...»

إشارة إلى أنّ هذا الطريق مسؤولية كبيرة، فينبغى المضى فيه بدقّة ورعاية النظم والانضباط. أمّا العبارة الأخيرة

«فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً»

فتشير إلى أنّ الأوامر التى تصدر أحياناً من القيادة- الإمام عليه السلام- فى القضايا الحربية وجزئيات الأعمال، بما لا ينسجم ورغبات أكثرية الناس، مثلًا، يرد الأمر بالهجوم على العدو فى البصرة من شمالها، إلّاأنّ الأكثرية ترى صعوبة ذلك وتود لو أنّها هجمت من جنوبها. فالإمام عليه السلام يوصى هنا بالتريث وعدم الاستعجال طالما لا تتضارب هذه الأوامر مع الشرع والمصلحة، فربّما نمارس بعض التغييرات ونحقق رغباتكم، كذلك إن شكى بعض الناس من بعض الولاة فليس لدىّ من إصرار، كعثمان، على بقائهم وما دام رأى الناس موافقاً للشريعة والمصلحة فهو مقبول لدىّ. ولعل إحدى خصائص الآمر والمدير الناجح تتمثل فى احترامه لأفكار الآخرين والإنفتاح عليها ما لم تتعارض مع الأصول. أمّا ما ذكره بعض شرّاح نهج البلاغة من تفسير لهذه العبارة فلا يبدو مناسباً؛ ففسّروا

(غيرا)

مثلًا، بالمصالح، ولكن هذه المفردة؛ والاحتمالات الأخرى التى وردت فى كلمات بعض الشرّاح ليست منسجمة مع ظاهر كلمات الإمام عليه السلام ومن هنا لا نرى ضرورة الخوض فيها.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۵۵

تأمّل: حوار مع عمار بن ياسر فى صفين

لا شك فى أنّ أهل القبلة والمسلمين إن مارسوا بعض الأعمال التى تهدد كيان الإسلام أو قاموا ضد الحكومة الإسلامية، فلابدّ من إرشادهم وإعادتهم إلى جادة الصواب من خلال الطرق السلمية؛ لكن إن واصلوا غيهم وتمادوا فى أعمالهم، فليس هنالك من سبيل سوى اللجوءالقوّة، ولا يبدوهذا العمل مستساغاً من قبل الأفراد السطحيين وضيقى الأُفق، لذلك قال الإمام عليه السلام:

«وَلَا يَحْمِلُ هذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ»

. ورد فى أحداث موقعة صفين: روى عن نصر بن مزاحم، قال: «حدثنى يحيى بن يعلى، قال: حدثنى صباح المزنى، عن الحارث حصن، عن رجاء بن ياسر، عن أسماء بن حكيم الفزارى، قال: كنّا بصفّين مع علىّ، تحت راية عمار بن ياسر، ارتفاع الضحى، وقد استظللنا برداء أحمر، إذ أقبل رجل يستقرى الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيّكم عمار بن ياسر، فقال عمار:

أنا عمار، قال: أبواليقظان؟ قال: نعم، قال: إنّ لى إليك حاجة أفأنطق بها سرّاً أو علانية؟ قال: اختر لنفسك، أيّهما شئت، قال: لا بل علانية، قال: فانطق، قال: إنّى خرجت من أهلى مستبصراً فى الحقّ الذى نحن عليه، لا أشك فى ضلالة هؤلاء القوم، وأنّهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصراً، حتى ليلتى هذه، فإنّى رأيت فى منامى منادياً تقدّم، فأذّن وشهد أن لا إله إلّااللّه وأنّ محمداً رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، ونادى بالصلاة ونادى مناديهم مثل ذلك، ثم أقِيمت الصلاة، فصلّينا صلاة واحدة، وتلونا كتاباً واحداً، ودعونا دعوةً واحدة، فأدركنى الشك فى ليلتى هذه، فبتّ بليلة لا يعلمها إلّااللّه تعالى، حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين، فذكرت ذلك له فقال: هل لقِيت عمار بن ياسر! قلت: لا، قال عليه السلام فالقه، فانظر ماذا يقول لك عمار، فاتبعه، فجئتك لذلك، فقال عمار: تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لى! فإنّها راية عمرو بن العاص، قاتلتُها مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۵۶

ثلاث مرات، وهذه الرابعة فما هى بخيرهنّ، ولا أبرّهن، بل هى شرّهن وأفجرهُنّ.

أشهد بدراً وأحداً يوم حُنين، أو شهدها أب لك فيخبرك عنها؟ قال: لا، قال: فإنّ مراكِزنا اليوم على مراكز رايات رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يوم بدر، ويوم أحد ويوم حنين، وإنّ مراكز رايات هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، فهل ترى هذا العسكر ومَن فيه! واللَّه لوددت أن جميع مَن فيه ممن أقبل مع معاوية ويريد قتالنا، مفارقاً للذى نحن عليه، كانوا خَلقاً واحداً، فقطّعته وذبحته، واللَّه لدماؤهم جميعاً أحلُّ من دم عصفور، أفترى دم عصفور حراماً؟ قال: لا بل حلال، قال: فإنّهم حلال كذلك، أترانى بينت لك، قال: قد بينت لى، قال عليهما السلام فاختر أىّ ذلك أحببت»[۶۶۵]. فهذه الواقعة وأمثالها تفيد أنّ ارتداء ثوب الإسلام من قبل تلك الفرق المنحرفة إنّما كان يخدع البعض من السذج، وهذا ما دفع الإمام عليه السلام لتحذيرهم من الفتنة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۵۷

القسم الثالث

أَلَا وَإِنَّ هذِهِ الدُّنْيَا الَّتِى أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَلَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِى خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِى دُعِيتُمْ إِلَيْهِ. أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقُونَ عَلَيْهَا؛ وَهِىَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا؛ وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِى دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا؛ وَلَا يَخِنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِىَ عَنْهُ مِنْهَا، وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَىْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَىْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ. أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ!

الشرح والتفسير: الدنيا ليست داركم

أشار الإمام عليه السلام فى هذا الموضوع من الخطبة إلى تقلّب الدنيا وعدم ثباتها وحذّر الجميع من زخرفها وزبرجها، ذلك لأنّ الإنحراف الذى طال أصحاب الجمل إنّما يُعزى إلى تهافتهم على الدنيا وحطامها، فلا ينبغى لهم السير على خطاهم، وعليهم أن يسلكوا سبيل الحق وإن انتهى بهم إلى الشهادة، فقال:

«أَلَا وَإِنَّ هذِهِ الدُّنْيَا الَّتِى أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَلَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِى خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِى دُعِيتُمْ إِلَيْهِ».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۵۸

فالعبارة، إشارة لما تأكد مراراً فى نهج البلاغة والقرآن أنّ الدنيا ليست خالدة وأنّها ليست بدار إقامتنا، بل هى ممرّ مؤقت نجتازه فى سفرنا إلى الآخرة حيث مقرّنا ومقامنا بعد التزود من هذه الدنيا لتلك الحياة الحقيقية التى قال عنها القرآن:

«لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»[۶۶۶].

ثم أكّد الإمام عليه السلام أكثر فقال:

«أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقُونَ عَلَيْهَا».

كما ردّ على أولئك الذين يصفون الدنيا دائماً بالخداع والغرور، فقال:

«وَهِىَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا»

. صحيح أنّ أغلب مظاهر الدنيا تثير الغرور والغفلة، لكنها ترينا إلى جانب ذلك بعض المشاهد التى توقظ كل غافل من نوم غفلته. فاللحظة التى ينال فيها أحدهم السلطة ويستولى على العرش، هى ذاتها التى يسقط فيها أخيراً، وفى الوقت الذى يرث فيه شخص الآلاف المؤلفة من الثروة، هو نفس الوقت الذى يحمل فيه جثمان صاحب تلك الثروة ليوسّد التراب، وحين يولد طفل وتطالعنا مظاهر الفرح والسرور على سيماء وجوه أُسرته، ترتفع إلى جانبه أصوات أُسرة بالعويل لفقدهم أحد أعزتهم، فلم نركز على الصورة الأُولى ونتناسى الصورةالثانية؟! حاول الإمام عليه السلام بهذه العبارات العميقة المعنى أن يلفت الانتباه إلى هذه الحقيقة وقد أكّدها فى سائر خطب نهج البلاغة وقصار الكلمات.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِى دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا»

، كما قال:

«وَلَا يَحِنَّنَّ أَحَدُكُمْ حَنِينَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِىَ ۶۶۷]

عَنْهُ مِنْهَا، وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طاعَةِ اللَّهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۵۹

فقد شبه الإمام عليه السلام الأفراد الضعاف الذين لا يكادون يفقدون نعمة من نعم الدنيا حتى يعيشوا حالة من العزاء وكأنّهم فقدوا عزيزاً من أعزتهم بتلك الأُمّة التى يرتفع صوتها بالبكاء لأدنى مُلمّة، وربّما دوى صوت البكاء أثر شدّة الجزع. نعم، هذا فعل العبيد الضعاف؛ ضعاف الدنيا وأسرى مظاهرها، والحال، لو فكروا بصورة صحيحة لأدركوا أنّ ما فقدوه مهما كان مهمّاً فلا قيمة له، لأنّهم يفقدونه عاجلًا أم آجلًا، وإن لم يفقدوه اليوم فسيفقدونه ويفقد كل شىء عندما يموت غداً.

أضف إلى ذلك فإنّ أغلب النعم التى تزول إنّما تعود فيما بعد بفضل اللّه ولطفه، وعليه فلا داعى للتأوه والشعور بالألم والحسرة. ويستفاد من العبارة الأخيرة أنّ أحد عوامل بقاء نِعم اللّه وديمومتها طاعة اللّه واتباع أوامره والإلتزام بالقرآن والعمل بأحكامه.

وأشار الإمام عليه السلام فى ختام الخطبة إلى نقطة مهمّة أخرى تتمثل فى ضرورة حفظ الدين حين يكون هنالك مفترق طرق وتضاد بين حفظ الدنيا بزينتها وزخرفها وحفظ الدين، فليس هنالك من ضرر يطيل الإنسان إن ذهبت دنياه، بينما لا ينفعه شىء إن ذهب دينه:

«أَلَا وَإِنَّهُ لَايَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَىْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلَا وَإِنَّهُ لَايَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَىْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ»

. إشارة إلى أنّ الغنى الحقيقى، فى حفظ الدين والإيمان الذى يشكل مفتاح حياة الإنسان الأبدية، لا النعم المادية العابرة، فهى عناصر ثانوية تغادر سريعاً كالفقاعات التى تطفو على سطح الماء. نقل المرحوم الكلينى أنّ أحد أصحاب الإمام عليه السلام كان يقدم كل عام إلى الحج ويرى الإمام عليه السلام، لكنه غاب مدّة. فسأل الإمام عليه السلام أحد أصحابه المعروفين عن ذلك الشخص، فلم يشأ أن يخبر الإمام عليه السلام بوضعه المالى الصعب. فقال عليه السلام وكيف دينه وإيمانه؟ قال: هو واللّه كما تحبّ. فقال عليه السلام: هو واللّه الغنى ۶۶۸].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۶۰

وأخيراً اختتم عليه السلام الخطبة بهذا الدعاء:

«أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ!»

لقد قلنا مراراً إنّ الإمكانات المادية إن استعملت كوسيلة لتحقيق الأهداف المعنوية فهى ليست مذمومة، بل هى من أفضل الوسائل لتطور الإنسان، ولما كان عصر الإمام عليه السلام والأئمّة من بعده قد شهد إقبال المسلمين على الدنيا أثر الفتوحات وما جلبت إلى البلاد من أموال طائلة وثروات، فقد جهد الإمام عليه السلام على ذم الدنيا وتحذير الآخرين من الخداع بها، والخطبة المذكورة نموذج

لذلك.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۶۱

الخطبة ۱۷۴

اشارة

فِي مَعْنى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيدِاللَّهِ وَقَدْ قَالَهُ حِينَ بَلَغَهُ خُروجُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ إلى البَصْرَةِ لِقِتَالِهِ ۶۶۹]

نظرة إلى الخطبة

خطب الإمام عليه السلام هذه الخطبة حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة للإستيلاء عليها وقتال الإمام عليه السلام. فأراد الإمام عليه السلام بهذه الخطبة رفع معنويات صحبه وكشف حقيقة طلحة والزبير، وتتألف الخطبة من قسمين:

الأول: الذى قال فيه الإمام عليه السلام إنّه لم يهدد من قبل شخص بالحرب لحدّ الآن، فقد لمس الجميع شجاعتى فى ميدان القتال، وعليه فتهديد طلحة والزبير هراء.

والآخر: يستدل فيه الإمام بالبرهان والمنطق أنّ المطالبة بدم عثمان- التى يتذرع بها طلحة والزبير من أجل إشعال فتيل الحرب- كذبة فارغة، ذلك لأنّ يد طلحة ملطخة قبل أى أحد بدم عثمان.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۶۳

القسم الأول

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ؛ وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِى رَبِّى مِنَ النَّصْرِ. وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ، لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِى الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ الْأَمْرُ وَيَقَعَ الشَّكُّ. وَوَاللَّهِ مَا صَنَعَ فِى أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً- كَمَا كَانَ يَزْعُمُ- لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ، وَأَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ. وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنَهِينَ عَنْهُ، وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ وَلَئِنْ كَانَ فِى شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً، وَيَدَعَ النَّاسَ، مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

الشرح والتفسير: تناقض طلحة دليل فضيحة

أشار الإمام عليه السلام فى بداية الخطبة إلى تهديد طلحة والزبير فقال:

«قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ».

إشارة إلى أنّ الجميع يعلم بشدّة وقع سيفى فى المعارك الإسلامية قد جندلت صناديد العرب حتى اقترن اسمى بالشجاعة لدى الدانى والقاصى. وأنّه لمن دواعى العجب أن يجرأ طلحة والزبير على تهديدى بالحرب وقد شهدوا صولاتى فى الحروب.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۶۴

ثم قال عليه السلام:

«وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ»

. يمكن أن تكون هذه العبارة إشارة إلى الوعد الإلهى للمؤمنين بالنصر والذى نصت عليه الآية الشريفة «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ»[۶۷۰] كما يمكن أن تكون إشارة إلى وعد خاص وعده به رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى ظهوره على الناكثين، وقد أطلعه على موقعة الجمل وأخبر عائشة بها صراحة ونهاها عن الخروج، وقد ورد هذا الأمر فى التواريخ ۶۷۱].

ثم تطرق عليه السلام إلى نيّة طلحة والزبير من هذه الفعلة القبيحة فقال:

«وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً[۶۷۲] لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ، لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ ۶۷۳] فِيهِ لِيَلْتَبِسَ الْأَمْرُ وَيَقَعَ الشَّكُّ. وَوَاللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً- كَمَا كَانَ يَزْعُمُ- لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ[۶۷۴] قَاتِلِيهِ، وَأَنْ يُنَابِذَ[۶۷۵] نَاصِرِيهِ. وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنَهِينَ ۶۷۶] عَنْهُ، وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ[۶۷۷] جَانِباً، وَيَدَعَ النَّاسَ، مَعَهُ».

ثم قال عليه السلام:

«فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ ۶۷۸]».

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۶۵

وهكذا يكشف الإمام عليه السلام النقاب عن كذب طلحة ومؤامرته بهذا الأسلوب المنطقى ويشير إلى أنّه سياسى محتال ومحترف، ذلك لأنّ وضعه إزاء عثمان- طبق الحصر العقلى- لا يتجاوز إحدى ثلاث حالات: إمّا، كان يعتبره ظالماً أو مظلوماً أو شاكاً فيه؛ وكل حالة تتطلب تعامل مناسب، لكنه وقف يوماً خلف الكواليس يؤلب الآخرين على قتل عثمان، وما أن قتل عثمان حتى هبّ للدفاع عنه والمطالبة بدمه.

هذه هى طريقة الساسة المحترفين الذين يغيرون مسيرتهم بين ليلة وضحاها أحياناً.

ولا تبدو سياسة معاوية- وإن حاول الإبتعاد عن هذه الأحداث- مختلفة عن سياسة طلحة. فقد تخلى عن عثمان حتى قتل، ثم طالب بدمه. كان هؤلاء راضيين فى الواقع بقتل عثمان، أملًا فى نيل الخلافة. وقد صرح الإمام على عليه السلام بأنّ طلحة لم يتعاون مع قتلة عثمان، والحال، يفيد التاريخ أنّه ساعدهم. طبعاً، مراد الإمام عليه السلام أنّه لم يرد الميدان علناً، لكنه كان ينسّق بعيداً عن الأنظار- ما يجدر ذكره أنّ ابن قتيبة ذكر فى كتابه (الامامة والسياسة) أنّ عائشة خطبت الناس فى البصرة ودعتهم للطلب بدم عثمان، فأبرز رجل من أشراف البصرة كتابا كتبه إليه طلحة يحثّه فيه على قتل عثمان. فقال لطلحة: أتعرف هذا الكتاب؟ قال طلحة: بلى. قال: فما الذى حدث؟ بالأمس تريد قتل عثمان، واليوم تدعوا إلى المطالبة بدمه؟ وقد قلت: إنّ علياً عليه السلام دعاك ليوليك الناس الخلافة لكبر سنك، فأبيت وبايعته حيث قلت: هو أقرب للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسوابقه فى الإسلام مقدمة، فلمَ نقضت بيعتك؟ أجاب طلحة: لقد قال ذلك بعد أن بايعه الناس وولّىَ الخلافة، وكنت أعلم أنّه لا يفعل، وإن فعل لم يرض بخلافة المهاجرين والأنصار، فخفت إن لم أبايع أُقتل فبايعت مكرها؟

فقال له الرجل: وكيف تغيّر موقفك من عثمان؟ قال طلحة: إنّ قومنا عابوا علينا عدم نصرته، واليوم نطالب بدمه ۶۷۹] ويتضح من هذا، أنّ الناس آنذاك كانوا يدركون عدم

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۶۶

صدق طلحة فى مزاعمه. ومن عجائب التاريخ الإسلامى ما رواه المدائنى فى كتاب مقتل عثمان أنّ طلحة منع دفن عثمان ثلاثة أيّام،

حتى استعان بعض الصحابة بعلى عليه السلام لدفنه. وقد أمر طلحة بعض الأفراد بإطلاق الحجر على الجنازة، حتى دفنوه فى المدينة فى موضع يدفن فيه اليهود، يدعى (حش كوكب)، ثم رماه البعض بالحجر. فبعث على عليه السلام مَن منعهم عن هذا العمل ۶۸۰].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۶۷

الخطبة ۱۷۵

اشارة

فِي المَوْعِظَةِ وَبَيانِ قُرْبَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله ۶۸۱]

نظرة إلى الخطبة

تتكون هذه الخطبة من ثلاثة أقسام: ذكر الإمام عليه السلام فى القسم الأول: مواعظ قيمة لجميع مخاطبيه- الذين يمثلون فى الواقع، الناس على مر العصور- بعبارات مؤثرة توقظ الغافل من غفلته.

وأشار فى القسم الثانى إلى علمه بالأحداث القادمة وأنّ ذلك ممّا علّمه إيّاه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حيث صرح بأنّه يستطيع أن يخبر كل أحد منهم بتفاصيل حياته، لكنه يتحفظ ذلك خشية الغلو والكفر.

أمّا القسم الثالث- الذى يمثل آخر الخطبة- فقد أشار فيه إلى سبقه الجميع فى الأوامر والنواهى، فلايأمر بشىء حتى يأتمر هو به ولا ينهى عنه حتى ينتهى هو عنه.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۶۹

القسم الأول

أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ. مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعىً وَبِيٍّ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى لَاتَعْرِفُ مَاذا يُرَادُ بِهَا! إِذَا أُحْسِنُ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا. وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

الشرح والتفسير: الغفلة التامة

إستهل الإمام عليه السلام خطبته بخطاب جميع الناس قائلًا:

«أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ».

ثم أضاف عليه السلام:

«مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ ۶۸۲] بِهَا سَائِمٌ ۶۸۳] إِلَى مَرْعىً وَبِيٍّ ۶۸۴]، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ ۶۸۵]».

رغم أنّ جميع المسلمين يتحدثون عن اللَّه، إلّاأنّ عمل البعض يشير إلى أنّه

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۷۰

تولى عن اللَّه والتصق بالدنيا وهوى النفس، فقد شبّه الإمام عليه السلام مثل هؤلاء بالحيوانات التى حملها الراعى الجاهل أو المغرض

إلى مرعى ليس فيه ماء ولا كلاء سوى المرض والموت. هـذا الراعى، هو الشيطان وهذه الحيوانات، هم الناس الذين لا يصغون لنداء العقل وقد استغرقوا فى هوى أنفسهم، وهذا المرعى المميت هو وادى اللذات والشهوات الذى يفرز الذنوب والمعاصى وبالتالى يقتل روح الإنسان ومعنويته.

ثم قال عليه السلام:

«وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى ۶۸۶] لَاتَعْرِفُ مَاذا يُرَادُ بِهَا! إِذَا أُحْسِنُ إِلَيْهَا

تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا».

فقد شبّه الإمام عليه السلام بهذين التشبيهين أصحاب الدنيا، بالحيوانات التى لا همّ لها سوى شبعها وأنّ من يقدّم لها العلف يحسن إليها، ولا تعلم أنّ علفها وسقيها مقدمة لذبحها، وهذا حالهم حين ينغمسون فى لذات الدنيا وشهواتها.

وأخيراً أشار إلى جانب من علمه بأسرار الغيب وحوادث المستقبل ليقفوا على جديته ومعرفته بما يصلحهم:

«وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ ۶۸۷] وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

ورد فى الحديث أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان جالساً فدخل عليه على عليه السلام فقال:

«إِنَّ فِيكَ شَبَهاً مِنْ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ وَلَوْ لَاأَنْ تَقُولَ فِيكَ طَوَائِفُ مِنْ أُمَّتِى ما قَالَتِ النَّصارى فِى عَيسَى بْنَ مَرْيَمَ لَقُلْتُ فِيكَ قَوْلًا لَاتَمُرُّ بِمَلَأٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا اخَذُوا التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ يَلْتَمِسُونَ بِذلِكَ الْبَرَكَةَ»[۶۸۸].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۷۱

القسم الثانى

أَلَا وَإِنِّى مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذلِكَ مِنْهُ. وَالَّذِى بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هذَا الْأَمْرِ. وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِى إِلَّا أَفْرَغَهُ فِى أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّى، وَاللَّهِ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

الشرح والتفسير: علّمنى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كل شىء

بالنظر إلى أنّ الإمام عليه السلام أشار فى السابق إلى علمه بأسرار الغيب وإخبار كل شخص عن تفاصيل حياته، إلّاأنّه يخشى منهم الغلو والكفر، ليشير هنا إلى أمرين؛ الأول: إنى أطلع على هذه الأسرار بعض الخواص من المؤمنين ممن يتحمّلون الأسرار ويحفظونها، والآخر، ما أقوله إنّما سمعته من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال:

«أَلَا وَإِنِّى مُفْضِيهِ ۶۸۹] إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذلِكَ مِنْهُ»

. هـذه الخاصة، مثل، كميل بن زياد، ورشيد الهجرى، والأصبغ بن نباتة، وميثم التمار، وحبيب بن مظاهر، الذى يسع كل واحد منهم حفظ بعض الأسرار. وقد حفلت حياتهم بالتعرّض لبعض الأسرار فى المواقع الحساسة؛ فإذا كان التلامذة يحملون مثل هذه الأسرار ولهم مثل هذه

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۷۲

المقامات، فما ظنك بالأسرار المودعة لدى الأستاذ، والمقام الذى هو عليه؟!!

ثم خاض فى الأمر الثانى فقال:

«وَالَّذِى بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ

هذَا الْأَمْرِ. وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ ۶۹۰] فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ».

ترى هل كان تعليم النبى صلى الله عليه و آله لهذه الأسرار بصورة بيان جزئى وشرح لكل واقعة، أم أنّه علّم عليّاً عليه السلام أصول وكليات، وأن كل باب يفتح ألف باب، أم كانت الموارد مختلفة فتارة من خلال الأصول الكلية وأخرى من خلال التفاصيل؟ يبدو الإحتمال الثالث، هو الأقرب. نعم، هذه الأمور ليست واضحة لدينا، واللّه ورسوله أعلم، إلّاأننا نعلم أنّه أخبر عن حوادث جمة ووقعت كما أخبر، وقد بينت فى خطب متعددة من نهج البلاغة، ولو جمعت لكانت كتاباً رائعاً. وبالطبع فإنّ أى من ذلك ليس من علم الغيب الذاتى- الذى يختص باللّه تعالى- بل كما قال عليه السلام فى الخطبة ۱۲۸

«إِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ»[۶۹۱]

ولما كان الإمام عليه السلام قد أفرد جانباً مهمّاً من الخطبة فى دعوة الناس إلى ترك الانغماس فى الدنيا عاد فى ختام الخطبة ليشير إلى هذه النقطة المهمّة فى سبقه للعمل بما يأمر فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي، وَاللَّهِ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا»

. فالشرائط اللازمة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإن لم تتضمن ضرورة عمل الأمر والناهى.

كما روى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوهُ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِنْ لَمْ تَجْتَنِبُوهُ كُلَّهُ»[۶۹۲]

. ولكنّ الآمر والناهى إذا كان عاملًا قبل الآخرين بما

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۷۳

يأمر به وينهى عنه فسيكون لكلامه أبلغ الأثر فى نفوسهم، لأنّ تأثير الكلام إنّما ينبع من القلب، فإن خرج من القلب استقر لا محالة فى القلب. ومن هنا كان هذا هو الأسلوب الذى اعتمده رسول اللّه صلى الله عليه و آله والائمة المعصومين عليهم السلام وأتباعهم وأنصارهم، فإن نشبت الحرب، كانوا فى خطوطها الأمامية وإن حل وقت العبادة تغيّرت ألوانهم، حتى حذر القرآن الكريم رسول اللّه صلى الله عليه و آله من إجهاد نفسه فى العبادة: «طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى [۶۹۳]. وقال أميرالمؤمنين على عليه السلام بشأن سبق رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى القتال:

«كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبُ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ»[۶۹۴].

ونعلم جميعاً أنّ علياً عليه السلام إن حثّ الناس فى هذه الخطبة وسائر الخطب على الزهد فى الدنيا وعدم التعلق بزخارفها، فقد كان أزهد العباد، وحياته خير شاهد على زهده الفريد، والحق لو انطلق زعماء البلدان الإسلامية من هذه المفاهيم فى أن يلتزموا هم وبطانتهم بالعمل بالقوانين قبل غيرهم، لكان لكلماتهم أعظم التأثير فى نفوس الآخرين.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۷۵

الخطبة ۱۷۶

اشارة

وَفِيهَا يَعِظُ وَيُبَيِّنُ فَضْلَ الْقُرْآنِ وَيَنْهى عَنِ الْبِدْعَةِ[۶۹۵]

نظرة إلى الخطبة

هـذه خطبـة طويلة تتحدث عن مسائل مهمّة وتتضـمن وصايا حية وبناءة لحياتنا المعاصـرة وتتألف من ثمانية أقسام: القسم الأول، الذى يتضـمن مواعظ قيّمة يؤكد فيها الإمام عليه السـلام أنّ جهنم حُفّت بالشـهوات، والجنّة بمقاومة هذه الشهوات. وشرح فى القسم الثانى، أهميّة القرآن مع ذكر بعض التفاصـيل الظريفة التى تضاعف من شوق القلوب إلى آيات القرآن. وتطرّق عليه السلام فى القسم الثالث، إلى العمل بالأحكام والاستقامة.

ثم عاود النصح والوعظ فى القسم الرابع، مؤكّداً على مراقبة اللسان الذى يمثل

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۷۶

أولى مراحل إصـلاح الـذات والمجتمع. وأكّـد فى القسم الخامس، على حفظ أصالـة التعاليم الإسـلامية، ونبـذ البـدع، كما تعرض فى القسم السـادس، إلى أهميّـة القرآن وخصـائصه. وأوضـح فى القسم السابع، أقسام ظلم النفس والآخرين. أمّا القسم الثامن (والأخير فى الخطبة) فهو بيان مختصر عميق المعنى بشأن إصلاح الذات.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۷۷

القسم الأول

انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا هـذِهِ، وَتَجْتَنِبُوا هـذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ».

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَـيْءٌ إِلَّا يَأْتِى فِى كُرْهٍ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَـيْءٌ إِلَّا يَأْتِى فِى شَـهْوَةٍ. فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً نَزَعَ عَنْ شَـهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً وَإِنَّهَا لَاتَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِى هَوىً.

الشرح والتفسير: حفت الجنّة بالمكاره والنار بالشهوات

إستهل الإمام عليه السلام خطبته قائلًا:

«انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ»

يمكن اعتبار هـذه العبارات الثلاث تبياناً لحقيقـة واحـدة بجمل مختلفـة، ويحتمل أن تكون كل عبارة مُبيِّنـة لمطلب معيّن. فقد أوصـى عليه السـلام بـادىء الأمر بالإنتفاع ببيان اللَّه والمراد به الأوامر والنواهى، ومن ثم الإتعاظ بمواعظ اللَّه، أى الترغيب والترهيب والبشارة والإنـذار الـتى تشـكل دوافع الطاعـة وترك المعصـية، والمرحلـة الأخيرة مرحلـة الخير التى تتضـمن بركـات الطاعـة وهجر المعصـية، فالمراحل الثلاث هى السبيل إلى القرب الإلهى. جـدير ذكره أنّ لفظ الجلالـة تكرر فى العبارات الثلاث، وذلك لبيان أهميّـة المواعظ والنصائح والشعور بمراقبة اللَّه.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۷۸

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه من خلال الدليل والبرهان، فقال:

«فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ ۶۹۶] مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا هذِهِ، وَتَجْتَنِبُوا هذِهِ».

فالإمـام عليه السـلام لا يرى من مبّرر للتوانى فى قبول المواعـظ والإتيان بالواجبات وترك المحرمات، ذلك لأنّ اللَّه أتمّ الحجـة على الجميع ووضع بما لا يقبل الشك، سبيل قبح العقاب بلا بيان. وخاض عليه السلام فى الرد على إشكالات مقدرة فقال:

«فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ ۶۹۷] بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ

بِالشَّهَوَاتِ».

وواصل عليه السلام كلامه فى بيان حديث الرسول صلى الله عليه و آله، فقال:

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي «فِي شَهْوَةٍ. فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً نَزَعَ ۶۹۸] عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ ۶۹۹] هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً وَإِنَّهَا لَا

تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوىً».

فهذه حقيقة، وهى أنّ الإنسان لابدّ له من اجتياز الطرق الصعبة الوعرة فى مسيرته العبادية وكسب الفضائل ودفع الرذائل، وعليه مراقبة الأخطار التى تكمن فى طريقه وتعيقه عن الوصول إلى هدفه، أمّا فى مسيرة المعصية فكأن هذه النفس الجامحة تسلك سبيلًا سهلًا لا ينطوى على أيّة صعوبات، وهذا هو سر ثواب الطاعة وعقوبة المعصية.

نقرأ فى حديث لطيفة عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«أنّ اللَّه حين خلق الجنّة أمر جبريل

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۷۹

بالنظر إليها، فأقسم بعزّة اللَّه وجلاله أنّ كل من سمع عنها يود دخولها، ثم حفّها اللَّه بالمكاره وأمره بالنظر إليها، فنظر إليها وقال أخشى أن لا يرغب فيها أحد، وحين خلق النار أمر جبريل بالنظر إليها، فلما نظر إليها أقسم بعزّة اللَّه وجلاله أنّ كل من سمع عنها سوف لن يدخلها، ثمّ حفّها بالشهوات، وأمره بالنظر إليها، فأقسم بعزّة اللَّه وجلاله أنّه يخشى أن يدخلها الجميع»[۷۰۰].

تأمّل: عشق الطاعة

ما ورد فى هذه الخطبة حكم غالب، لا دائم، بعبارة أخرى أنّ أكثر الطاعات مصحوبة بالمشاكل وأغلب المعاصى محفوفة باللذة. والجدير بالذكر أنّ هذا الحكم الغالب يختص بعامّة الناس، وإلّا فإنّ أولياء اللَّه ودعاة الحق إنّما يبلغون درجة تجعلهم يتلذّذون بكل طاعة ويذوبون فيها ويتنفّرون من كل معصية، حيث ورد فى الرواية عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ الْعِبادَةَ فَعَانَقَها»[۷۰۱]

وقد اعتمد الإمام عليه السلام تلك العبادة لأنّ مخاطبيه عامة الناس لا الخواص والأولياء. وصدر الخطبة يشهد على هذا الأمر. القرآن الكريم من جانبه يقول بشأن الصوم والصلاة:

«وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ»[۷۰۲] سؤال: قيل فى تفسير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أنّ المعروف ما عُرِف؛ لأنّ روح الإنسان متعرّفة على المحاسن، والمنكر ما لم يُعرَف، وروح الإنسان لا تعرف المساوىء، أليس العبارة المذكورة فى الخطبة، تتعارض مع هذا التفسير المشهور؟

يتضح من التأمل أن ليس هنالك من تعارض، لأنّ معرفة المعروف ومجهولية

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۸۰

المنكر لا تتنافى من حيث الإدراك الكلّى مع جاذبة المعصية ودافعة الطاعة، مثلًا نلتذّ جميعاً بالعلم ونتنفّر من الجهل، إلّاأنّ تحصيل العلم ينطوى على عدّة مصاعب، بحيث يزهد فيه بعض الأفراد، وينزعون إلى الجهل، حيث الكسل والخمول.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۸۱

القسم الثانى

وَاعْلَمُوا- عِبَادَاللَّهِ- أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَايُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا. فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ،

وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ. قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ.

الشرح والتفسير: نقد الذات

أعطى الإمام عليه السلام هنا دعاة الحق والسالكين إلى اللّه درساً معنوياً مهمّاً فقال:

«وَاعْلَمُوا- عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَايُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ ۷۰۳] عِنْدَهُ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً[۷۰۴] عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا».

فإننا نعلم أن أحد حجب تكامل الإنسان، هو حبّ الذات الذى يبدى له عيوبه محاسن وضعفه قوة، وعليه فإن أراد الإنسان سلوك طريق السمو والتكامل، لابدّ أن يتّهم نفسه ويعرضها للنقد ليطرح عنها حجب حب الذات ويريها الواقع كما هو. وقد بين الإمام عليه السلام هذا الأمر بثلاث عبارات قصيرة، قال فى الأولى بوجوب إساءة الظن بالنفس ومن ثم انتقادها وأخيراً إيصالها إلى الكمال المطلوب. وقد أشار فى خطبة المتقين التى تضمنت مائة وعشرة دروس أخلاقية إلى هذه القضية المهمّة:

«فَهُمْ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۸۲

لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ».

ثم رغّب مخاطبيه- الإنسانية جمعاء- فى ترك التعلق بالدنيا وقد عرض لهم نماذج السلف الصالح فقال:

«فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ، وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ.

قَوَّضُوا[۷۰۵] مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَطَوَوْهَا[۷۰۶] طَيَّ الْمَنَازِلِ».

وصايا ضرورية

۱. ورد الحثّ فى الإسلام والتأكيد على حسن الظن، فما معنى تأكيد الإمام عليه السلام هنا على إساءة الظن؟ سبب ذلك واضح فى أنّ حسن الظن يتعلق بالآخرين، أمّا بالنسبة للذات التى تعيش طبيعياً حسن الظن المفرط إلى درجة رؤية الضعف قوّة، والرذيلة فضيلة، ورد الحثّ على إساءة الظن لإيجاد حالة من التوازن. فلابدّ للإنسان من نقد ذاته وتقييم أعماله وسلوكه دون تهاون لينفتح على الكمال. فهو كذاك الذى يجتاز طريقاً خطراً، فإن اطمأن للطريق، هوى وإن احتاط وحذر، نجى.

جدير بالذكر أنّ نقد الذات لا يتنافى والثقة بالنفس، فالثقة بالنفس من قبيل وجود قوّة عظيمة لدى الإنسان وهو عالم بها، وهذا لا يمنع من الحذر فى مواضع الخطر وعدم نسيان الإحتياط حين الإستعانة بتلك القوّة.

۲. أورد الإمام عليه السلام لمخاطبيه نموذجين (كالسابقين من قبلكم) و (الماضين أمامكم) لانطواء حياة كل فئة منهما على الدروس والعبر.

۳. اختتم الإمام عليه السلام الخطبة بأمرهم بالنظر إلى الدنيا كمَن قوض عماد الخيمة وجمعها وسلك سبيله يطوى المنازل دون الإقامة فى الدنيا والإستقرار فيها، ويبدو أنّ جميع مشاكل أهل الدنيا تنبعث من هنا، فى أنّهم نسوا الموت تماماً وظنوا بخلودهم فى الدنيا، وكأنّهم لا يرون الزلازل والسيول التى تضرب بعض المناطق

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۸۳

فتحيلها خلال ثوانٍ، خراباً كأنّها لم تسكن من قبل، وتأتى على مزارع وحقول لتحطم كل محاصيلها التى استغرقت مئات السنين ۷۰۷].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۸۵

القسم الثالث

وَاعْلَمُوا أَنَّ هـذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِی لَایَغُشُّ، وَالْهَادِی الَّذِی لَایُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِی لَایَکْذِبُ. وَمَا جَالَسَ هذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِیَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِیَادَةٍ فِی هُـدیً، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمیً. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَیْسَ عَلَی أَحَـدٍ بَعْـدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَـةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنیً؛ فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِکُمْ، وَاسْـتَعِینُوا بِهِ عَلَی لَأْوَائِکُمْ، فَإِنَّ فِیهِ شِـفَاءً مِنْ أَکْبَرِ الدَّاءِ: وَهُوَ الْکُفْرُ وَالنِّفَاقُ، وَالْغَیُّ وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَیْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَی اللَّهِ تَعَالَی بِمِثْلِهِ.

الشرح والتفسیر: القرآن دواء لکل داء

بیّن الإمام علیه السلام هنا أهمیّة القرآن الکریم بصفته الکتاب السماوی الشافی فی خمسة أوصاف فقال:

«وَاعْلَمُوا أَنَّ هذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِی لَایَغُشُّ، وَالْهَادِی الَّذِی لَایُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِی لَایَکْذِبُ. وَمَا جَالَسَ هذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِیَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِیَادَةٍ فِی هُـدیً، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمیً. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَیْسَ عَلَی أَحَـدٍ بَعْـدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَـةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنیً»

. فقـد أشار بالعبارة الأُولی والثانیـة والثالثة إلی هذه الحقیقة و هی أنّ الناصح الأمین والهادی من لا یکذب أو یغش أو یغدر أو یضـل حتی لاـ یکون سبباً لاـنحراف الآـخرین، فلعـل هنـاک من یعرف السبیل إلّاأنّه لا یصـدق الآخرین أو یخـدعهم، کما یمکن أن یکون صادقاً لکنه لا یعرف الطریق، والحال، لیس القرآن کذلک، فالوحی إنّما یستند إلی علم اللّه المطلق

نفحات الولایة، ج۶، ص: ۳۸۶

الذی لا یتسلل إلیه الکذب والغش والخیانة، فهو کتاب اللّه الغنی عن الجمیع والمشفق بهم.

ومن هنـا خلص الإمـام علیه السـلام إلی نتیجتین مهمتین لهدایـة القرآن؛ الأُـولی أنّ من یجـالس القرآن فهو دائماً فی إزدیاد ونقصان؛ زیـادة فی الهـدی، ونقصـان، من العمی والضـلال، والأـخری أنّ القرآن مصـدر عظیم، والفرد أو المجتمع الـذی یلتزم بأحکامه ویعمل بتعالیمه، لا یصـیبه فقر معنوی، ولا مادی، وعلی العکس من فارقه شـهد الفقرین. طبعاً قـد لا یکون الفرد فی زمرة أتباع القرآن الکریم إلّاأنّ أعماله تنسـجم مع تعالیمه، کأن لا یکـذب ولا یغش ولا یهضم الآخرین حقوقهم فـذلک له نصـیبه من النجاح والتوفیق، وهذا ما أکده الإمام علیه السلام فی وصیته

«اللَّهَ اللَّهَ فِی الْقُرآنِ لَایَسْبِقُکُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَیْرُکُمْ»[۷۰۸]

وقـد اختلف شـرّاح نهـج البلاغة فی کلمة (بعد) فی العبارة (بعد القرآن) هل معناها، بعد نزول القرآن، أم بعد العمل به؟ ویبدو المعنی الثانی هو الصواب، لأنّ العمل بالقرآن یزیل الفقر المعنوی والمادّی، لا النزول دون العمل.

ویسـتفاد ضـمنیا من هـذه العبـارة أنّ ما یشـهده العالم الإسـلامی من ضـعف وفقر فی الجانب المعنوی والمادی إنّما یُعزی لابتعاده عن القرآن، علی غرار من جلس عند عین ماء صافیة ویشکو العطش.

ثم خلص إلی نتیجة أخری فقال علیه السلام

: «فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِکُمْ، وَاسْتَعِینُوا بِهِ عَلَی لَأْوَائِکُمْ ۷۰۹]، فَإِنَّ فِیهِ شِفَاءً مِنْ أَکْبَرِ الدَّاءِ: وَهُوَ الْکُفْرُ وَالنِّفَاقُ، وَالْغَیُ ۷۱۰] وَالضَّلَالُ»

. فالإمـام علیه السـلام یعتبر القرآن وسـیلة لحـلّ المشاکل والشـفاء من جمیع الأمراض الأخلاقیـة والإجتماعیـة والمعنویـة، ویوجز هـذه الأمراض فی أربعة: الکفر والنفاق والجهل والضلال؛ ذلک لأنّ القرآن یقذف نور الإیمان والإخلاص فی القلب

نفحات الولایة، ج۶، ص: ۳۸۷

ويهتك حجاب الجهل ويهدى الإنسان من الضلالة. قطعاً، ليس هنالك من مرض يهدد المجتمع القرآنى المعروف بالإيمان والإخلاص.

ثم خلص الإمام عليه السلام إلى نتيجة أخرى:

«فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ»

. ويستفاد من هذا التعبير أنّ القرآن أهمّ وسيلة للنجاة ونيل العناية الإلهية، والعبارة

«وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ»

إشارة إلى عدم جعل القرآن وسيلة لإلفات انتباه الآخرين بهدف تحقيق بعض الأطماع الدنيوية. روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ فُلانٌ قارِئٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيَطْلُبَ بِهِ الدُّنْيَا وَلَا خَيْرَ فِى ذلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيَنْتَفِعَ بِهِ فِى صَلَاتِهِ وَلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ»[۷۱۱].

تأمّل

القرآن والشفاء

صحيح أنّ عدّة روايات تحدّثت عن تأثير القرآن فى شفاء أمراض البدن أيضاً، ولا يستبعد من كلام اللّه حتى إحياء الموتى به فضلًا عن شفاء الأمراض، إلّاأنّ ما ركز عليه الإمام عليه السلام فى الخطبة، شفاء القرآن للأمراض المعنوية والخلقية التى أوجزها فى أربعة؛ الكفر والنفاق والجهل والضلال، كما أكّد عليه السلام على ضرورة الإستغاثة بالقرآن وتعزيز العلاقة به وحبّه. ويتضح أنّ المراد من التوسل والحب، ما ليس ببعيد عن العمل. وبالطبع فإنّ الاستشفاء بالقرآن من الأمراض الخلقية والإجتماعية والعقائدية يتم من خلال الوقوف على مضامين الآيات والإلتزام بها على صعيد العمل، على غرار مافعله النبى صلى الله عليه و آله حين نهض بذلك المجتمع المريض ليجعله من أقوى وأفضل المجتمعات.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۸۹

القسم الرابع

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِى مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلىً فِى حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ». فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ.

الشرح والتفسير: القرآن شفيع القيامة

واصل الإمام عليه السلام حديثه هنا عن بركات القرآن وآثاره، مع هذا الفارق فى أنّ الكلام فى السابق عن البركات المعنوية والمادّية للقرآن فى هذه الدنيا، وهنا عن بركاته فى الآخرة، وقد أكّد على شفاعته، فقال:

«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ ۷۱۲] بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ»

. لا شك فى أنّ شفاعة القرآن بلسان الحال أو القال لمن عمل به، وشكواه ممن هجره ولم يحط به علماً.

ثم وضح عليه السلام أكثر فقال:

«فَإِنَّهُ يُنَادِى مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ ۷۱۳] مُبْتَلىً

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۹۰

فِى حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ». فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ»

. وتشير هذه العبارة إلى الحديث المعروف

«الدُّنيا مَزْرَعَةُ الآخرَةِ»

فالإمام عليه السلام يوصى بزرع بذور الآيات القرآنية فى هذه المزرعة، فلا بذور مثمرة سوى هذه، وكل ما سواها ضرر وخسران. فمن طابقت أعماله تعاليم القرآن كانت بذوره آياته، ومن خالف سلوكه القرآن، فلا يحصد سوى الخيبة والخسران.

ثم اختتم عليه السلام بالإشارة إلى هذه الحقيقة وهى كون القرآن بمعيار والميزان لكل الأشياء، فقال:

«وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِشُّوا[۷۱۴] فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ»

. حيث أشار عليه السلام بهذه العبارات القصيرة إلى ثلاثة أمور مهمّة، الأول: ضرورة أخذ العقائد الصحيحة من القرآن، والثانى: كسب الفضائل الخلقية عن طريق القرآن، والثالث: جعل القرآن، الفرقان بين الحق والباطل، فما وافق القرآن صحيح وحق وما خالفه خاطئ وباطل. وهذه العبارة، تأكيد آخر على بطلان التفسير بالرأى وتحميل الأفكار على المفاهيم القرآنية.

جاء فى الرواية

«مَنْ فَسَرَّ بِرَأْيِهِ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ»[۷۱۵].

وورد فى رواية أخرى أنّ اللَّه تعالى قال:

«ما آمَنَ بِى مَنْ فَسَرَّ بِرَأْيِهِ كَلَامِى»[۷۱۶]

. جدير بالذكر أنّ الاستدلال بالقرآن لمعرفة اللَّه يتمّ تاره عن طريق أدلة التوحيد- الواضحة فى القرآن بأسره- وتارة أخرى عن طريق ذات القرآن، حيث هذا الكتاب العظيم هو دليل النبوة من جانب، وذاته المقدّسة من جانب آخر. ويصدق هذا الكلام على جميع المعجزات بخصوص القرآن.

أمّا الفارق بين الآراء والأهواء التى وردت فى العبارة. أنّ الآراء إشارة إلى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۹۱

العقائد المخالفة للقرآن، والأهواء، الرغبات النفسانية المضادة له.

القسم الخامس

الْعَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ، وَالْاسْتِقَامَةَ الاسْتِقَامَةَ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ! «إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتُهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ»، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتُهُوا إِلى غَايَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ. أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ، وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

الشرح والتفسير: الدفاع المشروط

أشار الإمام عليه السلام بعد الفراغ من بيان أهميّة القرآن، إلى هذه الحقيقة وهى أنّ الهدف النهائى من نزول القرآن، العمل به، لا الاقتصار على تلاوته:

«الْعَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ، وَالْاسْتِقَامَةَ[۷۱۷] الاسْتِقَامَةَ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ!»

. حقّاً أنّ هذه المراحل الخمس التى ذكرها الإمام عليه السلام هى فى الحقيقة عصارة السمو والتكامل والسير إلى اللّه. فالإنسان ينبغى أن يتجه بادىء الأمر إلى العمل ومن ثم لا يتهاون فى إتمامه، ويراقب نفسه خلال ذلك حذراً من الانحراف عن جادة الصواب ويتحلى بالصبر إزاء أهواء النفس ووساوس الشيطان، حتى يصل المرحلة الأسمى، الورع عند الشبهة حتى يصل الهدف.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۹۲

ذكر بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ العبارة الثانية والرابعة عطفت بالحرف ثم والثالثة والخامسة، بالواو، لأنّ بلوغ الهدف يكون بعد العمل، ولما كانت الإستقامة هى كيفية العمل فقد عطفت بالواو، وحيث الصبر إزاء المعصية وما ورد قبله، فى الطاعة فقد عطفت بالحرف ثم، وعطف الصبر والورع بالواو لأنّهما متلازمان ۷۱۸]. طبعاً هنالك تفاسير أخرى واردة بشأن العبارة.

ثم أشار عليه السلام إلى هدف المراحل المذكورة وعلامة بلوغ الهدف، فقال:

«إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلى غَايَتِهِ».

فقد أشار الإمام عليه السلام إلى قضية مهمّة هى هدفية حياة الإنسان إلى جانب هدفية التعاليم الدينية، فاللّه لم يخلقنا عبثاً، والشريعة تنشد هدفاً هاماً هو سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة. وقد أوصى الإمام عليه السلام بالسعى لنيل هذا الهدف وحذّر من الغفلة والتوقف فى الطريق، فعلاماته واضحة. وربّما كان المراد من العلم وجوده عليه السلام والأنبياء والأولياء فى كل عصر ومصر، الذين أضاءوا الطريق للجميع، أو المراد، القرآن المجيد، بعبارة أخرى الكتاب والسُنّة، أو جميع ذلك.

وخلص فى الختام إلى هذه النتيجة

«وَاخْرُجُوا[۷۱۹] إِلَى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ

حَقِّهِ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ. أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ، وَحَجِيجٌ ۷۲۰] يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ».

المقصود بالشاهد أنّه عليه السلام يشهد فى القيامة على الأعمال الصالحة للناد وأداء الحقوق واستقامتهم فى سبيل الوصول إلى الهدف وصبرهم وورعهم وتقواهم، والمراد من الحجيج، أنّى سأدافع عنكم وأجيب الملائكة فى محكمة العدل الإلهى.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۹۳

فهذه العبارات اقتباس من القرآن الكريم وقوله: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ»[۷۲۱] وقال بشأن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ»[۷۲۲].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۹۵

القسم السادس

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِىَ قَدْ تَوَرَّدَ؛ وَإِنِّى مُتَكَلِّمٌ بِعَوْنِ اللَّهِ وَحُجَّتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَاتَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»، وَقَدْ قُلْتُمْ: «رَبُّنَا اللَّهُ»، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ثُمَّ لَاتَمْرُقُوا مِنْهَا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا. فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَاللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام هنا إلى الأحداث السابقة، فقال:

«أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِىَ قَدْ تَوَرَّدَ[۷۲۳]»

. وردت عدّة احتمالات من قبل بعض شرّاح نهج البلاغة بشأن المراد من القضاء والقدر فى العبادة، ولكن بالنظر إلى العبارات القادمة

فلا- يستبعد أن تكون إشارة إلى الأمور المرتبطة بزعامته عليه السلام- التى أخبر عنها رسول اللّه صلى الله عليه و آله ومواجهته للناكثين- والمفروغ منه أنّ القضاء والقدر- كما شرحناه فى محله- لا- يعنى إجبار العباد وسلب اختيارهم، بل إنّ آثار الأفعال الإختيارية للإنسان نوع من القضاء والقدر؛ مثلًا، إنّ اللّه قدّر نجاح من يسعى ويجد ويجتهد، وفشل من يتوانى ويكسل، فهذه الأمور وإن جرت باختيار الإنسان إلّاأنّ اللّه مسبّب الأسباب جعل لذلك آثاراً تعتبر من القضاء والقدر، طبعاً، هناك القضاء والقدر

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۹۶

الإلزامى الخارج عن حدود الأفعال الإنسانية[۷۲۴].

ثمّ بيّن عليه السلام وظيفة الناس بالنسبة للمستقبل، فقال:

«وَإِنِّى مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللَّهِ وَحُجَّتِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

«إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»».

ثم خلص إلى نتيجة واضحة، فقال:

«وَقَدْ قُلْتُمْ:

«رَبُّنَا اللَّهُ»

، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ».

إشارة إلى أنّ القول بلا عمل لا يؤدّى إلى الهدف ولا يوجب دخول الجنّة والفوز بالسعادة الأبدية، فما دمتم أظهرتم الإيمان فعليكم بالعمل لتشملون بوعد اللّه.

ثم بيّن عليه السلام الأخطار التى تكمن فى طريق المؤمنين، فقال:

«ثُمَّ لَاتَمْرُقُوا مِنْهَا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا. فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ ۷۲۵] مُنْقَطَعٌ ۷۲۶] بِهِمْ عِنْدَاللَّهِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ»

. فقد أشار عليه السلام فى هذه العبارة إلى ثلاث فرق من المنحرفين وحذّر من السير على نهجهم، الفئة الأُولى التى تمرق من الدين وترى نفسها على الدين بينما هى بعيدة عنه كل البعد، كخوارج النهروان الذين نعتتهم الروايات والتواريخ بالمارقين، فقد بلغوا درجة من التعبد والتمسك بقشور الدين بحيث يحسبهم الجاهل من المتدينين الحقيقيين، والحال، ليس لهم حظ من الدين سوى ظاهره ولا يعلمون عن حقيقة الدين شيئاً.

الفئة الثانية: أهل البدع الذين يُحمّلون الدين ما ليس منه، والواقع أنّهم يقدمون أهواءَهم وأفكارهم على أحكام الدين ولم يكونوا قلائل على عهد الخلفاء. الفئة الثالثة: التى تخالف الأحكام الشرعية عامدة وتترك ما لا ينسجم مع مصالحها

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۹۷

ومنافعها، وأفضل نموذج على ذلك، معاوية حين ظهر ودخل الكوفة خطب الناس، فقال: «واللّه لم أقاتلكم لتصوموا وتصلوا وتحجوا وتزكوا فأنتم تفعلون ذلك، ولكن قاتلتكم لأتأمر عليكم» (وقيل على رواية، لأتسلّط على رقابكم)[۷۲۷]. نعم، من جانَبَ هذه الطرق المنحرفة ولم يصغ لوساوس الشيطان وهوى النفس فهو الذى قال:

«قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»[۷۲۸].

تأمّل: الإستقامة فى مسار الولاية

ورد فى بعض الروايات فى تفسير العبارة

«ثُمَّ اسْتَقَامُوا»

(المقتبسة من الآية ۳۰ من سورة فصلت) أنّها إشارة إلى الولاية. فقد أجاب الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام مَن سأله عن الإستقامة فى الآية المذكورة، فقال:

«هِيَ وَاللَّهِ ما أَنْتُم عَلِيهِ»[۷۲۹]

. طبعاً الإستقامة والثبات على الصراط لهما مفهوم واسع، واحد مصاديقه البارزة، ولاية أهل البيت عليهم السلام.

سؤال: متى هذه البشارة التى تزفها الملائكة للمؤمنين، عند الموت أم فى الحياة الدنيا أم القيامة؟ هل يلمس المؤمنون هذه البشارة، أم لا؟

الجواب: ممّا لا شك فيه أنّ نجدة الملائكة- طبق صريح الآيات القرآنية- للمؤمنين فى الظروف الحساسة مبذولة فى هذه الحياة الدنيا، ونموذج ذلك ما حصل

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۹۸

فى موقعة بدر والأحزاب ۷۳۰]؛ طبعاً لم يرهم المؤمنون إلّاأنّهم شاهدوا إمداداتهم الغيبية على صعيد نصرتهم فى ميدان القتال. وما يستفاد من الروايات أنّ بشارة الملائكة المذكورة فى الآية السابقة، والتى أشارت إليها الآية ۳۱ من سورة فصلت، تتعلق بلحظة الموت أو الحشر وقد فسّرت العبارة

«نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...»

بصيغة «ونحن كنّا أولياءَكم فى الحياةالدنيا»، أى، كنّا أولياءَكم فى الحياة الدنيا وسنتولاكم لحظة الإحتضار والقيامة. روى صاحب مجمع البيان عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«أَلَّا تَخافُوا ما تَقْدِمُونَ عَلَيْهِ وَلَا تَحْزَنُوا مَا خَلَّفْتُمْ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ فِي الدُّنْيَا»[۷۳۱].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۳۹۹

القسم السابع

ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً، وَلْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ. وَاللَّهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَهُ. وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ: لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ. وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَايَدْرِي مَاذَا لَهُ، وَمَاذَا عَلَيْهِ. وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ-: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ. وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ». فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ.

الشرح والتفسير: فرق المؤمن عن المنافق فى إصلاح اللسان

بيّن الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة بعض المسائل المهمّة المرتبطة بتهذيب الأخلاق وتطهير الروح من الرذائل الخلقية، وأشار إلى الأمور المهمّة التى تشكل مفتاح الإصلاح الأخلاقى، فقال:

«ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا[۷۳۲]»

. بالنظر إلى أنّ تهزيع، من مادة هزع، على وزن نظم، بمعنى التكبير، وكأنّ الإمام عليه السلام يرى أنّ الفضائل الأخلاقية كالبناء الشامخ والجوهر الثمين الذى يمثل أى انحراف فيه كسره وتغيير شكله، ولا يقتصر هذا البناء على الفرد، بل حتى المجتمعات البشرية إن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۰۰

فقدت الفضائل الاخلاقية تنحدر نحو الفساد والانحراف والزوال:

إنَّما الأمَمُ الأَخلاقُ ما بَقِيتْفَإنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخلاقُهُم ذَهَبُوا

ثم ركّز الإمام عليه السلام على واحدة من أهم المسائل الأخلاقية التى لا يتسنى تهذيب النفس إلّامن خلالها والتى تتمثل بإصلاح اللسان، قائلًا:

«وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً»

حيث تقابل هذه العبارة تلك العبارة

«ذواللسانين»

بحق المنافق، الذى يقول شيئاً فى حضور الإنسان وآخر فى غيابه، «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُون»[۷۳۳] ومن الطبيعى أن تغيب كل معانى المحبّة والمواساة التى تشكل الركن الأساس للحياة الإجتماعية فى المجتمع الذى يمتاز أفراده بالنفاق والإبتعاد عن الصدق، وليس هنالك سوى سوء الظن الذى يسود المجتمع.

ثم قال فى الوصية الثانية:

«وَلْيَحْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ ۷۳۴]

بِصَاحِبِهِ»

. فتشبيه اللسان بالفرس الجموح تشبيه رائع ولطيف، ذلك لأنّ اللسان أسهل عضو لدى الإنسان يحركه دون عناء، إلّاأنّ أهواء النفس ووساوس الشيطان قد تغلب الإنسان بحيث لا يستطيع السيطرة عليها، فيصبح كالفرس الجموح الذى يغلب فارسه فيوشك أن يطرحه فى المهلكة. ولعل أفضل وسيلة لحفظه من الخطر أن يقلّل الإنسان من كلامه، وهذا هو المراد من حفظ اللسان، وليس بعدم الكلام قط، ذلك لأنّ اللسان أهم وسيلة فى التربية والتعليم ونقل العلوم والمعارف والتجارب وذكر اللّه تعالى.

ثم أكّد عليه السلام ذلك، فقال:

«وَاللَّهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِى تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَحْزُنَ لِسَانَهُ»

. فهذا التأكيد المقرون بالقسم إشارة إلى المرحلة الأُولى التى قال بها أرباب السير والسلوك إلى اللّه والتى تتمثل بإصلاح اللسان، وما لم يجتز الإنسان هذه العقبة فلن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۰۱

يقف على حقيقة التقوى والقرب من اللّه.

ثم تطرّق الإمام عليه السلام إلى أهميّة حفظ اللسان فى أنّ إحدى فوارق المؤمن عن المنافق إنّما تكمن فى هذا الموضوع فقال:

«وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ: لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِى نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ. وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَايَدْرِى مَاذَا لَهُ، وَمَاذَا عَلَيْهِ».

طبعاً، لسان كل شخص فى فيه، والقلب- سواء العضو الواقع فى وسط الصدر أو المراد به العقل- مفصول عن اللسان، ولا فرق فى هذا بين المؤمن والمنافق، لكن هناك كناية لطيفة فى العبارة، أنّ المؤمن يفكّر ثم يتكلّم، أمّا المنافق فيتكلّم ثم يفكّر، الأمر الذى فسره الإمام عليه السلام فى العبارات القادمة.

جدير ذكره أنّ هذا المعنى ورد بصورة أخرى فى قصار كلمات الإمام عليه السلام ومنها:

«لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسانِهِ»[۷۳۵]

. وقال:

«قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِى فِيهِ

وَلِسَانُ الْعَاقِلِ فِی قَلْبِهِ»

وكل هذه العبارات تشير إلى حقيقة واحدة هى أنّ المؤمن والعاقل يفكّر وينطق والمنافق والأحمق ينطقان ولا يفكّران.

سؤال: يمتاز المنافقون عادة بالذكاء والخطط الجهنمية فى مشاريعهم الهدّامة فكيف يوصفون بأنّهم لا يدرون ماذا لهم وماذا عليهم؟!

الجواب: تمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال الآيات القرآنية الواردة بشأن المنافقين وهو أنّ المنافق وإن كانت له بادىء الأمر بعض الخطط الشيطانية والذكية حتى يرى نفسه عاقلًا والمؤمن سفيهاً، إلّاأنّ المنافق فى خاتمة المطاف هو السفيه الحقيقى، قال القرآن الكريم: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَّايَعْلَمُونَ»[۷۳۶]. وعليه تتضح فطنة المؤمن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۰۲

وبلادة المنافق من خلال التأمل الدقيق، والمنافق شاء أم أبى فهو مفضوح فى الدنيا والآخرة.

ثم استدل عليه السلام بحديث عميق المعنى عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ-: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ. وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ».

فالعلاقة القائمة بين إصلاح اللسان والقلب والإيمان فى هذا الحديث هى علاقة جدلية واضحة. وقد دلّت التجربة على أنّ سوء اللسان وتلوثه بالذنوب والكلمات العبثية الفارغة، يسود القلب ويخلى الروح من المعنوية، ومن الطبيعى أنّ القلب إذا اسودَّ لن يجد بصيص نور الإيمان. قال القرآن الكريم فى تعبير دقيق وبعيد: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ»[۷۳۷] وعليه فالعلاقة بين إصلاح اللسان وإصلاح القلب وإصلاح الإيمان علاقة لازم وملزوم، وإن تكلّف بعض الشرّاح فى تفسير العبارة. طبعاً، لا يمكن إنكار صدق عكس هذا المعنى، أى أنّ قوة الإيمان تؤدى إلى نورانية القلب والذى يؤدّى إلى إصلاح اللسان، وبعبارة أخرى تؤثر هذه الأمور الثلاثة فى بعضها البعض الآخر تأثيراً متبادلًا، إلّاأنّ الأبرز، ما ورد فى حديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى ثلاثة مواضيع مهمّة أخرى فقال:

«فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ»

قطعاً، أنّ مثل هذا الفردعلى درجة رفيعة من الورع والتقوى التى تجعله مشمولًا بعناية اللَّه ورحمته. وأىّ تقوى أعظم من كفّ الأذى عن الناس واحترام أموالهم وأعراضهم وأنفسهم. ويبدو هذا الموضوع على قدر من الأهميّة بحيث كانت رعايته دليلًا على كون الفرد مسلماً وهجره دليلًا على بعده عن

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۰۳

الإسلام. ورد فى الحديث الشريف أن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال:

«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[۷۳۸]

وأبعد من ذلك ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام الذى أوسعه ليشمل الناس، فقال:

«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنِ ائْتَمَنَهُ النَّاسَ عَلَى امْوَالِهِمْ وَانْفُسِهِمْ»[۷۳۹].

تأمّلان

۱. اللسان اعجب اعضاء البدن

لهذه القطعة البسيطة من اللحم والتى نسمّيها (اللسان) مسؤوليات خطيرة على مستوى الظاهر والباطن. ولو تأملنا نطق الآخرين لرأينا أنّ اللسان يتحرك بسرعة مذهلة فى الفم فيرتب الحروف سريعاً لينطلق ببعض الكلمات، ولا يكل أبداً. ولو أخطأ قليلًا فى الحركة

لصدرت منه الكلمات المهملة والمضحكة أحياناً، كما يقوم بدور فريد حين تناول الطعام حيث يدفع الغذاء بسرعة فائقة إلى الاسنان وينسحب قليلًا بغية طحنه. ووظيفته الأخرى تتمثل فى جمع الطعام الممضوغ ودفعه إلى البلعوم، ولولا اللسان لتعذر علينا ابتلاع الماء والغذاء؛ هذا من حيث الظاهر. وأمّا من حيث القضايا المعنوية والأخلاقية، فدور اللسان واضح وجلىّ؛ فهو أبسط وسيلة عبادية وأهم وسيلة للمعصية؛ فأفضل العبادات (الصلاة، تلاوة القرآن، التربية والتعليم، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر و ...) إنّما تتمّ باللسان، كما قيل بأنّ ثلاثين كبيرة (من قبيل الغيبة، التهمة، أذى المؤمن، الحكم بالباطل، إيجاد الفساد، والإختلاف و ...) ترتكب بواسطة اللسان، فاللسان أفضل وسائل الطاعة كما أنّه أخطر وسائل الذنب، ذلك لأنّه مستعد فى كافة الأزمنة والأمكنة والظروف ودون أدنى تكاليف لارتكاب الذنب،، والأدهى من ذلك أنّ ذنوب اللسان أثر كثرتها وسعتها لم تعد قبيحة لدى عوامّ الناس، ومن هنا كانت الخطوة الأُولى لإصلاح

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۰۴

الذات تكمن فى إصلاح اللسان. هنالك طريقان مهمّان للنجاة من معاصى اللسان أشار إليهما الإمام عليه السلام؛ الأول: قلّة الكلام واجتناب الفضول للخلاص من آفات اللسان. الثانى: أن يفكر كلما أراد الكلام، كما قال الإمام عليه السلام أن يكون لسانه وراء قلبه، لا أن يكون قلبه وراء لسانه كالمنافق والأحمق. ويبدو الكلام بهذا الشأن كثير، نختصره ونختتمه بالحديث النبوى الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«يُعَذِّبُ اللَّهُ اللِّسَانَ بِعَذَابٍ لَايُعَذِّبُ بِهِ شَيْئاً مِنَ الْجَوَارِحِ فَيَقُولُ: ايْ رَبِّ عَذَّبْتَنِى بِعَذَابٍ، لَمْ تُعَذِّبْ بِهِ شَيْئاً فَيُقَالُ لَهُ: خَرَجَتْ مِنْكَ كَلِمَةٌ فَبَلَغَتْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَسُفِكَ بِهَا الدَّمُ الْحَرامُ وَانْتُهِبَ بِهَا الْمالُ الْحَرامُ وَانْتُهِكَ بِهَا الْفَرْجُ الْحَرامُ، وَعِزَّتِى (وَجَلَالِى) لَأُعَذِّبَنَّكَ بِعَذَابٍ لَااعَذِّبُ بِهِ شَيْئاً مِنْ جَوَارِحَكَ»[۷۴۰].

۲. رصيد الإنسان

إنّ رصيد الإنسان ثلاثة أشياء: النفس والمال والعرض، ولعل العرض يتقدم على الجميع حيث يستعد الإنسان للتضحية بنفسه من أجله، ثم النفس والأموال. وقد أولى الإسلام هذه الأمور الثلاثة أهميّة فائقة، وكما ورد فى الخطبة فإنّ النجاة يوم القيامة لمن سلمت يده من دماء الناس وأموالهم ولم يتعرض لأعراضهم. ويرى الإسلام حرمة الأموال كحرمة الأنفس، وأنّ حرمة إنسان كحرمة البشرية جمعاء، وأنّ انتهاك حرمة مؤمن بغيبته كمن يأكل لحم أخيه ميتاً. ورد فى الحديث النبوى فى حجة الوداع فى منى، (التى يقصدها الناس من مختلف مناطق العالم) أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله خطب الناس بعد أداء مناسك الحج فقال: أىّ يوم أفضل أيّام السنة؟ قالوا:

هذا الشهر. قال: وأىّ أرض؟ قالوا هذه الأرض. فقال صلى الله عليه و آله:

«إِنَّ دِماءَكُمْ وَامْوَالَكُمْ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۰۵

عَلَيْكُمْ حَرامٌ لَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا فِى شَهْرِكُمْ هذا فِى بَلَدِكُمْ هذا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ فَيَسْئَلُكُمْ عَنْ اعْمَالِكُمْ»

، ثم قال: هل بلّغت؟ قالوا: بلى. قال صلى الله عليه و آله:

«اللّهم فاشْهَد»[۷۴۱].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۰۷

القسم الثامن

وَاعْلَمُوا عِبَادَاللَّهِ أَنَّ الْمُؤمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ؛ وَأَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَايُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا

حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَلكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ. فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتِ الْأَمْثَالُ لَكُمْ، وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ؛ فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلَا يَعْمَى عَنْ ذلِكَ إِلَّا أَعْمَى وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ، حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ. وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ، وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ.

الشرح والتفسير: أخطار البدع

أشار الإمام عليه السلام هنا إلى آفة دينية واجتماعية أخرى ليكمل ما ذكره من آفات، وتلك الآفة هى البدعة وتغيير أحكام اللّه على ضوء الرغبات والأهواء النفسية، فقال:

«وَاعْلَمُوا عِبَادَاللَّهِ أَنَّ الْمُؤمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ».

لا ـ يُخضع الأحكام الشرعية لهوى نفسه ويُغيرها بأفكاره الناقصة، فلو فتح باب البدع فى الأحكام لغيّر الظلمة والطواغيت كل ما لا ينسجم مع مصالحهم ومنافعهم، فلا تمضى مدّة حتى تندرس أصول الدين وفروعه ويمحق محتواه. والعبارة تشير

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۰۸

إلى البدع التى وردت إلى الدين عقب وفاة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، ولم يكتف القوم بالقياس عند عدم وقوفهم على نصوص الكتاب والسُنّة، بل هبّوا لمخالفة صريح القرآن وسُنّة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. فالخليفة الثالث خالف طريقة رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى توزيع أموال بيت مال المسلمين وتسويته بينهم فى العطاء، فقدم الأعيان والأشراف ولا سيما خاصته وبطانته من قرابته. ثم انبرى الخليفة الثانى ليقول صراحة: متعتان كانتا حلالًا على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأنا أُحرمهما واعاقب عليهما، متعة النساء (الزواج المؤقت) ومتعة الحج (الحج بصورة حج التمتع) ناهيك عن سائر البدع التى ظهرت على عهد الخلفاء والتى أحصتها بعض الكتب ۷۴۲]. والإمام عليه السلام بدرايته الواسعة شعر أنّه إن لم يقف بوجه هذه البدع لمحق الدين وغيبت أحكامه، ولذلك عدَّ الإبتعاد عن البدعة من الإيمان.

ثم قال عليه السلام

: «وَأَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَايُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَلكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»

. ومن ثم أشار إلى نقطة بمثابة الدليل على ما ذكر، فقال:

«فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا[۷۴۳]، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،

وَضُرِبَتِ الْأَمْثَالُ لَكُمْ، وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ»

. بمعنى أنّكم شاهدتم حجم المصائب والإرباكات التى جرّتها البدع السابقة على الإسلام والمسلمين. فالبدع فى زمان عثمان أدّت إلى تلك الثورة الهوجاء التى سفكت دمه وأحدثت التمييز بين العرب والموالى، إلى تلك الفرقة بين المسلمين أيضاً وكان عاقبتها سفك دمه أيضاً[۷۴۴]. وناهيك عمّا سبق، فإنّ اللّه ذمّ اليهود فى القرآن الكريم على بدعهم وتحريفاتهم وكشف عن مصيرهم، وأنتم قد جرّبتم البدع وقد وعظتم بمن كان

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۰۹

قبلكم، فقد دعوتم إلى مطلب واضح قامت عليه الأدلة الحية والتجريبية والنقلية.

ثم خلص إلى هذه النتيجة:

«فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلَا يَعْمَى عَنْ ذلِكَ إِلَّا أَعْمَى وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ ۷۴۵]، حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ».

فالتجارب الحسية والبلاء الإلهى أهم وسيلة لإيقاظ الإنسان، فمن لم يتيقظ بهذا الاسلوب يستبعد أن ينتفع بالمواعظ والنصائح، وليس له من عاقبة سوى رؤيته للحسن سيّئاً والسيء حسناً، كما أورد ذلك القرآن الكريم: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً»[۷۴۶].

فقد حسب معاوية وطلحة والزبير أنفسهم من المدافعين عن دم المظلوم (دم عثمان) هذا فى صدر الإسلام، واليوم يرى أصحاب البدع الوهابيون أنّهم مصلحو هذه الأُمّة، وعادة ما يزعم المبتدعون طيلة التاريخ أنّهم مصلحون.

ويختتم الإمام عليه السلام الخطبة بعبارة، لتمييز صفوف المبتدعين من صفوف المتبعين للدين، فيقول:

«وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُتَّبِعُ شِرْعَةً وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ، وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ»

وعليه فلابدّ لكل شخص من معرفة صنفه. فإن كان متشرّعاً فهو تابع للكتاب والسُنّة والدليل العقلى اليقينى، وإن كان فى صف المبتدعين فليس لديه دليل من كتاب ولا سُنّة ولا نور ولا ضياء من عقل ولا يتبع سوى أهوائه ويغيّر أحكام اللّه بما ينسجم وتلك الأهواء. وبناءً على ما سبق فإنّ برهان السُنّة إشارة إلى الأدلّة النقلية، وضياء الحجة الأدلة العقلية، وهكذا يُعرِّف الإمام عليه السلام أهل البدع بأنّهم الأفراد الذين يتبعون أهواءَهم وخيالاتهم الباطلة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۱۰

تأمّل

البدعة

ركّز الإمام عليه السلام فى المقطع المذكور من الخطبة على وقوفه بوجه البدع. والبدعة فى اللغة تعنى إيجاد الشيء دون تجربة أو مثال وهى ممدوحة حيناً ومذمومة حيناً آخر. فالقرآن يصف اللّه بالقول: «بَدِيعُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ»[۷۴۷]، كما يصف النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ»[۷۴۸] والمراد هو المفهوم المذكور. إلّاأنّ لهذه المفردة مفهوماً خاصاً فى لسان الروايات وكلمات الفقهاء وهو تغيير الأحكام الشرعية وتبديلها بأحكام طبق الرغبات النفسية والمنافع الشخصية. ومن هنا ورد الذم الشديد للبدعة فى الروايات، حيث قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«اهْلُ الْبِدَعِ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيفَةِ»[۷۴۹].

وقال أميرالمؤمنين على عليه السلام:

«امَّا أَهْلُ الْبِدْعَةِ فَالْمُخَالِفُونَ لِأَمْرِاللَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ الْعامِلُونَ بِرَأْيِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ وَإِنْ كَثُرُوا»[۷۵۰]

والروايات كثيرة بهذا الشأن والتى ذمّت بشدّة، البدعة والمبتدع. والسبب واضح، فكما ذكرنا سابقاً أنّ باب البدع لو فتح لما بقى من أحكام الدين وأصوله وفروعه شيءٌ ولمحق الدين. وعلى هذا الأساس قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله

: «مَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ أَعانَ عَلَى هَدْمِ دِينِهِ»[۷۵۱]

. ويتضح من هنا خطأ أولئك الذين خلطوا المعنى الواسع للبدعة بمعناها الخاص ليزعموا أنّ كل القضايا متجددة، فمن يسعه الوقوف بوجه التجدد؟ وأمّا أولئك فإنهم يرون تغيير الآراء الإجتهادية وكشف المسائل المستحدثة من الكتاب والسُنّة ضرباً من البدعة، فإمّا أنّهم يخدعون أنفسهم أو أنّهم يريدون خداع الآخرين. فكشف

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۱۱

المسائل المستحدثة من الكتاب والسُنّة تبعية للشرعة لا بدعة بالمعنى الخاص للكلمة؛ أى، تحريم حلال اللّه وتحليل حرمته استناداً لأهواء النفس والمنافع الشخصية. جدير بالذكر أنّ المبتدعين وخشية اعتراض المؤمنين يلجأون إلى التغيير بالرأى، فيحرفون آيات

القرآن الكريم أو روايات المعصومين عليهم السلام ليوردوا البدع.

وبالطبع فإنّ هؤلاء أعظم خطراً من الذين يمارسون البدعة علانيةً. على كل حال، فقد قال الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة: إنّ المؤمن مَن يلتزم بحلال اللّه وحرامه ولا يغيرهما، ويعمل بالأحكام الشرعية فى كل الأوقات ولا يحيد عن الكتاب والسُنّة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۱۳

القسم التاسع

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ «حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ»، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كَانَ يَقُولُ: «يَابْنَ آدَمَ، اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ».

الشرح والتفسير: القرآن ربيع القلوب وينابيع العلوم

تطرق الإمام عليه السلام هنا ثانية إلى القرآن وعظمته ليتم ما ذكره سابقاً فأشار إلى بعض الأمور الجديدة فقال:

«وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ»

. ذلك لأنّ الكتب السماوية التى أنزلها اللّه لهداية الخلق تشتمل على أعظم المواعظ.

ويمتاز القرآن من بين هذه الكتب بكونه الشمس المشرقة ومواعظه فريدة وإرشاداته قيّمة. فتارة يتحدث مباشرة للعباد، وأخرى كسؤال يجيب عنه الوجدان، وأحياناً يطرق التاريخ الماضى الملىء بالدروس والعبر، وأحياناً أخرى يتحدث من خلال المثال البليغ ويلبس الحقائق العقلية ثوب الحسّ، ويورد كل ذلك بعبارات تفيض رقة وعذوبة وبلاغة، ومن هنا فليس هنالك من مواعظ كمواعظ القرآن.

ثم ذكر عليه السلام أدلة ذلك، فقال:

«فَإِنَّهُ «حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ ۷۵۲]»، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۱۴

الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ ۷۵۳] الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ»

. فقد أوجز الإمام عليه السلام بهذه العبارات الخمس ما يمكن قوله فى القرآن؛ الأول: أنّه حبل اللّه المتين وكأنّه سحب من السماء إلى الأرض ليتمسك به العباد، فيحلّقون به إلى عنان السماء ويبلغون مقام القرب. وهذه هى العروة الوثقى التى أشار اللّه إليها فى كتابه: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَاانفِصَامَ لَهَا». يعنى لا شك فيه أنّ الطريق إلى الإيمان باللّه والكفر بالطاغوت هو القرآن.

الثانى: أنّه السبب الأمين، أى، الواسطة بين الخلق والخالق والذى لا يعرف الزلل والخيانة وكل ما فيه حق خالص. والثالث: أنّ القرآن ربيع القلوب، فكما تدبّ الحياة فى الربيع فى الأشجار الميتة وتتفتح غصونها وأوراقها، كذلك من ينفتح على القرآن يشعر بحيوية روحه وحياته بالإيمان والفضائل والأخلاق. الرابع: أنّ القرآن ينابيع العلوم، ليس فقط العلوم التى تتعلق بمعرفة اللّه وتربى فى الإنسان روح الفضيلة والورع والتقوى فحسب، بل القرآن دافع للخوض فى العلوم التى تعنى بخلق الإنسان والسماء والأرض وسائر الأحياء والكائنات، وله إشاراته العميقة المعنى فى كل هذه العلوم. وأشار فى الخامس إلى هذه الحقيقة وهى، أنّ جلاء القلوب مما يعلق بها من أدران الذنب والغفلة لا يتيسر إلّابنور القرآن الذى يزيل عنها الصدأ من خلال تلاوته وتدبّر آياته. أمّا قصّر الجلاء على القرآن فذلك لأنّ سائر الوسائل إنّما تستند فى الواقع إلى القرآن، فالقرآن مصدر كل شىء. ومن الطبيعى أن يكون الكتاب الذى يشتمل على هذه الخصائص أفضل واعظ.

نفحات الولاية ؛ ج۶ ؛ ص۴۱۴

عرب الإمام عليه السلام عن أسفه لوضع المسلمين تجاه القرآن، فقال:

« «مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ»

هذه العبارة إجابة عن سؤال مقدّر فى أنّ الآثار العظيمة التى أُشير إليها بشأن القرآن إن انحسرت فى المجتمع الإسلامى فسبب ذلك لا يُعزى إلى القرآن، بل لغفلة الجهال والمنافقين أو تغافلهم

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۱۵

عن هذا الفيض الإلهى. ولعل هذه العبارة تشبه تلك التى ذكرها الإمام عليه السلام فى الخطبة ۱۸۲ حين أعرب عن أسفه على شهادة صحبه الأوفياء، فبكى، وقال:

«أَوِّهْ عَلَى إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ».

فقد صنّف الإمام عليه السلام الناس إلى ثلاث فئات، فئة يقظة تنتفع دائماً بآيات اللّه، وأخرى غارقة فى ماديات الدنيا نَسِيَت القرآن، وثالثة، عمدت إلى تناسى تعاليم القرآن، فهى تمرّ عليه بكل بساطة رغم معرفتها بأهدافه. طبعاً إن رأينا المجتمع الإسلامى يشكو المرض من عدّة جوانب، فذلك ليس لتقصير الطبيب ولا عدم فائدة الوصفة الطبية، بل السبب الحقيقى يكمن فى عدم الإلتزام بهذه الوصفة الإلهية الشافية.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه وكأنّه ردّ على إشكال مَن يقول: إن كانت هناك فئة نَسِيَت طريق الحق أو تناست، فذلك لأنّ طريق الحق ليس معروفاً وقد امتزج بطرق الباطل، بحيث لا يبدو تشخيصه سهلًا، فقال:

«فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كَانَ يَقُولُ: «يَابْنَ آدَمَ، اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ[۷۵۴] قَاصِدٌ[۷۵۵]».

يتّضح من العبارة أنّ للخير والشرّ معانىَ واسعة، كما تشير العبارة إلى الحسن والقبح العقليين فى أنّ الإنسان يدرك بعقله وفكره الخير والشر، وإن عمل به فقد طوى مسافة واسعة من الطريق القويم والجادة المستقيمة. وللوقوف على عظمة القرآن وأهميّة مضمونه، فقد أوردنا مباحث كثيرة فى الأجزاء السابقة (الجزء الأول، ذيل الخطبة ۱۸، والجزء الرابع، ذيل الخطبة ۱۱۰) وسنتطرق بإذناللّه إلى مبحث مفصل بهذا الشأن فى شرح الخطبة ۱۹۸.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۱۷

القسم العاشر

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَايُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَايُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَايُطْلَبُ.

فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى لَايُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «إِنَّ اللَّهَ لَايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ». وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ.

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى لَايُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً. الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ. لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى وَلَاضَرْباً بِالسِّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذلِكَ مَعَهُ. فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِى دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ. وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ «طُوبى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ»، وَطُوبى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، «وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ» فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِى شُغُلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِى رَاحَةٍ!

الشرح والتفسير: إصلاح النفس

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة الذى يمثل ختامها إلى ثلاثة مواضيع مهمّة؛ أحدها، أقسام الظلم الثلاثة، والآخر، موضوع وحدة المسلمين وأهميّتها، والثالث، التهذيب وإصلاح النفس بدلًا من تقصّى عيوب الآخرين، والأبحاث التى ذُكرت فى هذه الخطبة بشأن المسائل الأخلاقية والنصائح الواردة بهذا الخصوص تكتمل بهذه المواضيع الثلاثة. فقد قال عليه السلام فى الموضوع الأول:

«أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۱۸

ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَايُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَايُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَايُطْلَبُ».

ثم خاض عليه السلام فى شرح كل قسم، فقال:

«فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى لَايُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

«إِنَّ اللَّهَ لَايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ»». طبعاً، بالتوجه إلى صدر الآية وذيلها:

«وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»[۷۵۶] يتبيّن لنا أنّ الذنب الوحيد الذى لا يغفره اللَّه، إن مات الإنسان ولم يتب منه، هو الشرك، أمّا سائر الذنوب، كبيرةً كانت أم صغيرةً إن مات الإنسان ولم يتب منها، فربّما يُشمل بالعفو الإلهى، وإن لم يكن ذلك قطعياً وشموله بالعفو خاضع لبعض الشرائط، لأنّ العبارة

(من يشاء)

لا- تعنى العفو عن المذنبين دون حساب وكتاب، ذلك لأنّ اللَّه حكيم وإرادته ومشيئته حكيمة، ولا يشمل بالعفو سوى من امتلك مقوماته، بالضبط على غرار العفو عن السجناء والذى ينظر إلى حالة السجين، فإن رأى فيه الإستعداد شمل بالعفو، والمراد من الشرك هنا هو الشرك الجلىّ من قبيل عبادة الأوثان وما شابه ذلك، وأمّا الشرك الخفىّ

(كالرياء)

فهو من قبيل الكبائر الداخلة فى ذيل الآية المذكورة.

ثم خاض عليه السلام فى بيان القسم الثانى والثالث، فقال:

«وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ ۷۵۷]. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى لَايُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً.

الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ. لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى ۷۵۸] وَلَاضَرْباً بِالسِّيَاطِ، وَلكِنَّهُ مَا

يُسْتَصْغَرُ ذلِكَ مَعَهُ»

. فقد أشار الإمام عليه السلام فى العبارة الأُولى إلى الصغائر التى ذكر القرآن شرط عفوها بترك الكبائر: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ»[۷۵۹]. أو إشارة إلى الكبائر التى لها بعد حق اللَّه ويستطيع الإنسان غسلها بماء التوبة والندم وتداركها بالأعمال الصالحة، أمّا العبارة الثانية التى تبيّن النوع الثالث

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۱۹

للظلم، فهى إشارة إلى حق الناس الذى توعد الإسلام عليه أشد العقوبات، واللَّه لا يغفره ما لم يتنازل صاحب الحق، وعليه، فالتعبير بالقصاص فى العبارة إشارة إلى العقاب، لا- القصاص الإصطلاحى المعروف، ولذلك قال: ليس ذلك القصاص جرحاً بالسكين والخنجر ولا ضرباً السياط، بل عقاب يهون كل ذلك معه: «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ* الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ»[۷۶۰].

ورد فى الرواية، عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ اللّهَ أَوحى إلى نَبيٍّ مِنْ أَنبيـائِهِ فِى مملَكَةِ جَبّارٍ مِنَ الجَبَّابرينَ أن ائتِ هـذا الجَبَّارَ فَقُـلْ لَهُ: إنّنى لَمْ أَستَعمِلَك عَلى الـدِّماءِ اتّخـاذِ أموالِ، بَل استَعمَلتُك لِتَكُفَّ عَنِّى أَصواتَ المَظلُومِينَ، فإنّى لَمْ أدعْ ظَلامَتَهُم وَإنْ كَانُوا كُفّاراً»[۷۶۱].

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ما مِن أَحِدٍ يَظلِمُ بِمَظلَمَةٍ إلّاأَخَذَهُ اللّهُ بها فِى نَفْسِهِ وَمالِهِ وَمَّا الظُّلمَ الَّذى بَينَهُ وَبَينَ اللّه فإذا تابَ غَفَرَ اللّهُ لَهُ»[۷۶۲].

ثم تطّرق الإمام عليه السلام إلى موضوع وحدة صفوف المسلمين، فقال:

«فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِى دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ جَمَاعَـةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ. وَإِنَّ اللَّهَ سُـبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَـداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ».

العبارة

«فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِى دِينِ اللَّهِ ...»

إشارة إلى أنّ كل طائفـة كانت تتخـذ لها صـيغة تميز برنامجها من الآخرين، سواء فى المسائل العقائديـة أو العملية، وهذا التلوّن يؤدّى إلى فرقة الصـفوف وضـياع الطاقات وأحياناً نشوب الحروب الأهلية التى تهدد مصير المجتمع ومنافعه. وكلما كان أفراد المجتمع- كما ورد فى عبارات الإمام عليه السـلام المـذكورة- يتحولون بالمرونة فى القضايا البسـيطة، والصبر فى الأمور التى لا تنسـجم مع رغباتهم، فإنّ الوحدة ستسود هذا المجتمع جانب الهدوء والأمن

والإستقرار. وبالطبع، فإنّ اختلاف الصفوف والفرق طيلة التاريخ- كما ذكر الإمام عليه السلام- لم يجلب من خير قط.

وأخيراً اختتم الإمام عليه السلام الخطبة بدعوة الجميع إلى إصلاح الذات وترك البحث عن عيوب الآخرين، فقال:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ «طُوبى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ»، وَطُوبى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، «وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ»

. ثم خلص عليه السلام إلى هذه النتيجة:

«فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِى شُغُلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِى رَاحَةٍ!»

إشـارة إلى أنّ كـل انسـان- سوى أوليـاء اللّه والمعصومين عليهم السـلام- ينطوى على عيب، فـإن إنهمـك بعيوب الآـخرين غفل عن إصـلاح نفسه ولا يسـعه بلوغ القرب الإلهى والتهذيب الخلقى والسير إلى اللّه، أمّا إن اختلى بنفسه وانشـغل بعيبه وشعر بالندم لما فرط منه وغسل أدران المعصـية بمياه طاعة اللّه ولاسيّما بقطرة دمع صادقة، أنذاك سـيتمكن من إصلاح تلك نفسه والعروج بها إلى ساحة القدس.

تأمّل: العيش بصورة جماعية أم الإنزواء

حثّ الإمـام عليه السـلام فى ختـام الخطبـة على الإنزواء والإعتزال، الإعتزال الـذى يعـدّ مقدمـة لتهـذيب النفس والإبتعاد عن المفاسـد الإجتماعيـة، وذهب أغلب علماء الأخلاق إلى أنّ الإعتزال يعدّ أحد الشـرائط اللازمة لتهذيب الأخلاق. ولو تأملنا آيات القرآن الكريم لرأينا مرحلـة العزلة التى شـهدها الأنبياء العظام والصالحون فى حياتهم. فقد قال إبراهيم الخليل عليه السـلام حين واجه المجتمع الضال والمتعصب- الـذى كـان يصـر على عبـادة الأوثـان- «وَأَعْـتَزِلُكُمْ وَمَـا تَـدْعُونَ مِـنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُـواْ رَبِّى عَسَـى أَلَّا أَكُـونَ بِـدُعَاءِ رَبِّى شَقِيّاً»[۷۶۳].

وقد اعتزل موسى عليه السلام قومه أربعين يوماً لأخذ الألواح واتّجه إلى الطور، حيث

وردت تفاصيل هذا الموضوع فى الآية ۱۴۲ من سورة الأعراف.

وكما ورد اعتزال مريم عليها السلام حيث أشارت إليه الآية ۱۶ من سورة مريم، وكذلك ما ورد فى شأن أصحاب الكهف عندما عجزوا من مقارعة الوثنيين فاعتزلوهم إلى الكهف وأشار القرآن الكريم إلى ذلك حيث قال: «وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً»[۷۶۴].

وإننا لنعلم جميعاً باعتزال النبى صلى الله عليه و آله القوم حين كان يختلى فى الغار لأيّام بل أشهر قبل البعثة ويجدّ ويجتهد فى العبادة.

نعم، وردت عدّة روايات بهذا الشأن ومنها، أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال:

«الْعُزْلَةُ عِبَادَةٌ»[۷۶۵].

وقال أميرالمؤمنين على عليه السلام:

«الْعُزْلَةُ أَفْضَلُ شِيَمِ الْأَكْيَاسِ»[۷۶۶].

وقال عليه السلام أيضاً:

«فِى اعْتِزَالِ ابْنَاءِ الدُّنْيَا جِمَاعُ الصَّلَاحِ»[۷۶۷]

. والحال هنالك بعض الروايات أكدت على الجماعة، فقد روى عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةِ»[۷۶۸].

وورد مثل هذا المضمون عن أميرالمؤمنين على عليه السلام قال:

«وَالْزَمُوا السَّوادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةِ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ»[۷۶۹].

فالأحاديث فى الموضوعين كثيرة، ويتصور أحياناً تعارضها مع بعضها، والحال، صرحت ذات الروايات بكيفية الجمع بينها. فالذى يفهم من النصوص القرآنية

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۲۲

والروائية أنّ العزلة تتمّ على ضوء بعض الشرائط الإجتماعية الخاصة، والواقع أنّها استثناء إزاء حكم كلّى بالاجتماع، وقد ورد الحثّ على العزلة فى الأمور التالية:

۱. الإبتعاد عن طلاب الدنيا والتى صرّحت به الأحاديث المذكورة.

۲. الإبتعاد عن المجتمع الفاسد والمنحرف، كما ورد ذلك فى قصّة إبراهيم وأصحاب الكهف، وقد سئل الصادق عليه السلام عن سبب اعتزاله، فقال:

«فَسَدَ الزَّمَانُ وَتَغَيَّرَ الْإِخْوَانُ فَرَأَيْتَ الْإِنْفِرادَ أَسْكَنُ لِلْفُؤادِ»[۷۷۰].

۳. حين تكون العزلة بهدف التفكير والتهذيب وإصلاح النفس، كالذى كان عليه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قبل البعثة وتفرغه للعبادة فى غار حراء. ولا شك أنّ الإنسان إذا أفرد بعض الوقت من يومه وليلته للتفكير فى نفسه ومجتمعه كان لذلك آثاره الطيبة والنافعة.

۴. الإبتعاد عن الأشرار- الذين يشكلون جزءاً من المجتمع- فقد. ورد الحثّ على الإعتزال عن هؤلاء، وقد روى عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنّه قال:

«مَنِ اعْتَزَلَ النَّاسَ سَلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ»[۷۷۱]

. وإلّا ليس هنالك من يسعه التنكر للجماعة التى حظيت باهتمام واسع من أحكام الشريعة السمحاء. والإبتعاد التام عن المجتمع يعنى الإبتعاد عن التجارب والعلوم والمعارف وطاقات أفراد المجتمع، أضف إلى ذلك فإنّ العزلة على ضوء ما أثبتته التجربة قد تدفع بالإنسان إلى العجب والفخر وإساءة الظن بالآخرين، إلى جانب بعض الإدّعاءات الباطلة والفاسدة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۲۳

الخطبة ۱۷۷

اشارة

فِی مَعْنی الحَکَمَیْنِ ۷۷۲]

نظرة إلى الخطبة

کما ورد فی سند الخطبة فقد خاطب الإمام علیه السلام الخوارج الذین ضغطوا بادیء الأمر علی الإمام علیه السلام فی قبول التحکیم فاضطر إلی الموافقة رغم ممانعته للحیلولة دون الإنقسام فی صفوف أتباعه ووقوع الحرب الأهلیة، ولکن ما إن ظهرت نتیجة التحکیم السلبیة أثر خیانة ممثله فی تحکیم أبی موسی الأشعری وخداعه من قبل عمرو بن العاص ممثل معاویة حتی اعترضوا علی الإمام علیه السلام فی قبوله التحکیم. فرد علیهم الإمام علیه السلام بذلک الردّ الحاسم فی أنّکم أنتم الذین أثرتم هذه الفتنة وقد حذّرتکم فلم ترعووا، والآن حیث ترون سوء اختیارکم تعترضون! أضف إلی ذلک أنّ التحکیم کان مشروطاً لا مطلقاً، وشرطه عدم الإنحراف عن القرآن ولکنّهم انحرفوا، وعلیه فینبغی الاعتراض علیهم لا علیَّ.

نفحات الولایة، ج۶، ص: ۴۲۵

القسم الأول

فَأَجْمَعَ رَأْیُ مَلَئِکُمْ عَلَی أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَیْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَیْهِمَا أَنْ یُجَعْجِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ، وَلَا یُجَاوِزَاهُ، وَتَکُونَ أَلْسِنَتُهُما مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَکَا الْحَقَّ وَهُمَا یُبْصِرَانِهِ، وَکَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالْإِعْوِجَاجُ رَأْیَهُمَا. وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَیْهِمَا فِی الْحُکْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْیِهِمَا وَجَوْرَ حُکْمِهِمَا. وَالثِّقَةُ فِی أَیْدِینَا لِأَنْفُسِنَا، حِینَ خَالَفَا سَبِیلَ الْحَقِّ، وَأَتَیَا بِمَا لَا یُعْرَفُ مِنْ مَعْکُوسِ الْحُکْمِ.

الشرح والتفسیر: بطلان الحکم بانحراف الحکمین

فصّلنا الکلام بشأن الحکمین فی الخطب السابقة ولا سیما الخطبة ۱۲۵ و ۱۲۷ وخلاصته، أنّه لما أوشک جیش الشام علی الهزیمة، لجأ عمروبن العاص إلی خدعة، فأمر برفع المصاحف علی أسنّة الرماح وقولوا: بینا وبینکم القرآن، فما حکم به القرآن رضینا به. أمیر المؤمنین علیه السلام حذّرهم من أنّها خدعة وأنّ هؤلاء القوم لا یتبعون القرآن فامضوا فی القتال، إلّاأنّ بعض الجهال والمغرضین رفضوا وضغطوا علی الإمام علیه السلام فی قبول الإحتکام إلی القرآن. لم یستجب لهم الإمام علیه السلام، فأصروا علیه بعد أن اختلفوا، فلم یر الإمام علیه السلام بدّاً من القبول. ثم أصّر هؤلاء القوم علی اختیار أبی موسی الأشعری. الإمام علیه السلام الذی کان یعلم بحماقة هذا الرجل وضعف إیمانه، أشار إلیهم بابن عباس الرجل العاقل العالم المعروف والذی لا یخدع بألاعیب عمرو بن العاص، لکنّهم رفضوا وأصروا علی اختیار ابی موسی، وهنا

نفحات الولایة، ج۶، ص: ۴۲۶

اضطر الإمام علیه السلام ودفعاً للفرقة والانقسام، إلی القبول بعدّة شروط، منها، عدم خروج الحکمین عن الحق والعدل. استغرقت المحادثات بین عمرو بن العاص وأبی موسی الأشعری، شهوراً عدیدة حتی قال ابن العاص: لیخلع کلٌّ منّا صاحبه حتی یختار الناس خلیفة. فأعلن أبو موسی هذا الجاهل والأحمق- عن خلعه للإمام علی علیه السلام من الخلافة، ثم انبری ابن العاص لیعلن نصبه لمعاویة. فشبّ النزاع بین القوم، وقدم أولئک الذین أصرّوا علی وقف القتال وقبول التحکیم واختیار الأشعری علی الإمام علیه السلام

واعترضوا عليه، لم قبلت التحكيم؟ قال الإمام على عليه السلام:

«فَأَجْمَعَ رَأْىُ مَلَئِكُمْ ۷۷۳] عَلَى أَن اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا[۷۷۴] عِنْدَ الْقُرْآنِ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُما مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ»

. فالإمام عليه السلام يشير إلى أنّ قبول التحكيم وإن حصل بفعل الضغط إلّاأنّه كان مشروطاً لا مطلقاً دون قيود وشروط بحيث يفعلون ما يشاؤون حسبما تمليه عليهم أهواؤهم ورغباتهم وينبغى أن يقبله الآخرون. فالشرط كان تبعيۀ القرآن وعدم الإنحراف عن تعاليمه، إلّاأنّ الشيء الوحيد الذى غُيِّب فى العمليۀ، إنّما كان القرآن، فانطلق الأشعرى الأحمق ليتصرف خلاف منطق الحق والعدل القرآنى.

ومن هنا قال الإمام عليه السلام مواصلًا كلامه:

«فَتَاهَا[۷۷۵] عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ،

وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالْإِعْوِجَاجُ رَأْيَهُمَا»

. ثمّ أكد الإمام عليه السلام على شروط التحكيم، فقال:

«وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِى الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا».

فهل فى القرآن الكريم آيۀ تصرّح بضرورۀ خلع شخص كعلى عليه السلام الذى بنى صرح الإسلام بجهاده وتربى فى حجر رسول اللّه صلى الله عليه و آله والقرآن، وكان مظهر الحق

نفحات الولايۀ، ج۶، ص: ۴۲۷

والعدل من الخلافۀ، أم هل هناك من آيۀ تصرّح باستخلاف سليل الجاهليۀ والكفر والظلم والجور الذى لا يخفى مكره وخداعه على أحد، وقد استقطب حوله كل المنافقين والشياطين؟

ثم خلص عليه السلام إلى هذه النتيجۀ:

«وَالثِّقَةُ فِى أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لَايُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ»

. وهكذا يردّ بحسم على المعترضين:

أولًا، إنّ قبول التحكيم كان من قبلكم، ثانياً، إنّ هؤلاء لم يطلق لهم العنان فى التحكيم، بل كانوا مأمورين باتّباع القرآن والإنصياع لأحكامه لا الإنصياع لأهوائهم. ومادامو لم يلتزموا بالشروط فلا اعتبار لحكمهم، الغريب فى الأمر أنّ الحكمين نفسيهما لم يتفقا فى الحكم وسعى كل منهما لخداع الآخر وليضعه أمام حقيقۀ لا نقاش فيها، بينما يشترط فى التحكيم اتفاق الحكمين على الشروط المطروحۀ فى التحكيم؟

تأمّل: تولّى الحكمين عن القرآن

صرّح الإمام فى هذه الخطبۀ بتجاهل الحكمين للقرآن ومخالفۀ الحق وهما يبصرانه وقدّموا أهواءَهما على الحقيقۀ وكان ذلك واضحاً، ولو أنّهما فكّرا قليلًا فى مختلف الآيات القرآنيۀ الواردۀ بحق على عليه السلام أو تلك التى تبيّن أصلًا كلياً، والذى يمثل الإمام على عليه السلام نموذجه البارز طبق روايات رسول اللّه صلى الله عليه و آله لما ترددّا لحظۀ فى ترجيحه على شخص كمعاويۀ بن أبى سفيان أعدى أعداء رسول اللّه صلى الله عليه و آله. فقد صرّح القرآن قائلًا: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»[۷۷۶] وهل كان غير الإمام على عليه السلام من تصدق بخاتمه حين ركوعه ونزلت هذه الآيۀ بحقّه؟ وقد روى هذا، عشرۀ من كبار الصحابۀ مثل ابن عباس

نفحات الولايۀ، ج۶، ص: ۴۲۸

وعمّار بن ياسر وجابر بن عبد اللّه الأنصارى وأبوذر الغفارى وأنس بن مالك وعبد اللّه بن سلام ومسلمۀ بن كهيل وعبداللّه بن غالب

وعقبة بن حكيم وعبداللّه بن أبى، وذكر شرحه فى التفاسير العامة.

وهل يساوى شخص بمن نام فى فراش النبى صلى الله عليه و آله ليلة المبيت ۷۷۷] وفداه بنفسه فنزلت بحقه الآية الشريفة: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ»[۷۷۸] وهل يتقدم عليه شخص وهو الذى عدّه القرآن الكريم خير البرية [بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»[۷۷۹]. لما نزلت هذه الآية قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«أَنْتَ وَشِيعَتُكَ يا علىّ خَيرُ

البَرِيَّةِ»[۷۸۰].

وهل ينبغى الإستغراق لشهورٌ، لكى تعلم الأُمّة الإسلامية أيّها أفضل علىٌّ أم معاوية؟ حقّاً إنّها مقارنة عجيبة وجفاء كبير لأميرالمؤمنين الإمام على عليه السلام فى أن يُقرَن بمعاوية ويعلم فضله، أين هذا من ذاك وأين الثرى من الثرّيا؟!

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۲۹

الخطبة ۱۷۸

اشارة

فِى الشَّهَادَةِ وَالتَّقْوى

وَقِيلَ إِنَّهُ خَطَبَها بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ فِى أَوَّلِ خِلافَتِهِ ۷۸۱]

نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام على عليه السلام بادىء الخطبة إلى صفات اللّه، ومنها، علمه المطلق سبحانه بجميع الأشياء حتى أصغرها حجماً- كعدد قطرات المطر وذرّات التراب- ليعلم الناس أنّ أعمالهم محفوظة عند اللّه ولا يخفى عليه شىء من أسرارهم.

ثم شهد فى القسم الثانى، للّه‌تعالى بالوحدانية ولرسوله الأكرم صلى الله عليه و آله بالنبوّة، وقرن كل بصفاته ليكشف عن عمق تلك الشهادة.

أمّا القسم الثالث، فقد تحدّث فيه عن خداع الدنيا ووعودها الكاذبة التى تمنى بها من تعلق بزخرفها.

وأخيراً حذّر الجميع من أنّ الذنوب سبب زوال النعم، وأنّ أيّاً من الأُمم لم تعش

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۳۰

البؤس والشقاء إلّالارتكابها الذنوب والمعاصى، ومن هنا فقد دعى الجميع لإعادة النظر فى أعمالهم وتصرفاتهم فيهبّوا لإصلاحها بغية السعادة والفلاح.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۳۱

القسم الأول

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلَا سَوَافِى الرِّيحِ فِى الْهَوَاءِ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ فِى اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلهَ إِلَّا اللَّهُ

غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى

الشرح والتفسير: عظمة اللّه وكرامة نبيّه صلى الله عليه و آله

كما أشرنا سابقاً استهل الإمام عليه السلام خطبته خمس صفات من صفات اللّه الجمالية والجلالية بعبارات قصيرة وعميقة المعنى فقال: «لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ ۷۸۲] مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ»

. هذه الصفات تنبع من ذاته القدسية المطلقة. فالفرد المحدود العلم والقدرة إن خاض فى شىء واستعان بعلمه وقدرته، فمن الطبيعى إلّا يسعه التعامل مع عمل آخر، أمّا الذات المقدّسة فهى تدبر عالم الوجود برمته فى لحظة واحدة، يسمع سبحانه استغاثة العباد ويعلم بحاجاتهم، وحيث كانت ذاته غنية

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۳۲

عن الحدود وجامعة للكمالات كافة فليس من سبيل لتغيير تلك الذات، كما أنّ المكان من لوازم محدود الوجود، فتلك الذات المطلقة عن الحدود حاضرة فى كل مكان، وفى نفس الوقت هى ليست بحاجة إلى مكان. أضف إلى ذلك فإنّ صفات اللّه خارجة عن نطاق وصفنا، فنحن محدودون، والذات وصفاتها ليست محدودة، وليست لنا من قدرة للحديث عن كمالات اللّه وإن طال بنا الحديث فإننا نعود من حيث ابتدأنا، شئنا أم أبينا. نعم، له وحده وصف ذاته وكمالاته كما ورد فى الحديث:

«لَا أُبْلُغُ مَدْحَكَ وَالثَّنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا اثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[۷۸۳].

ثم خاض فى الصفة الخامسة وهى علمه المطلق حيث ركّز على سبعة مواضيع خفية تماماً عن الآخرين، فقال:

«وَلَا يَعْزُبُ ۷۸۴] عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ،

وَلَا سَوَافِي ۷۸۵] الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا دَبِيبُ ۷۸۶] النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا[۷۸۷]، وَلَا مَقِيلُ ۷۸۸] الذَّرِّ[۷۸۹] فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ ۷۹۰] الْأَحْدَاقِ».

فالعبارة

«عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ»

تشير إلى قطرات المطر وقطرات ماء البحار والأنهار والآبار والينابيع التى لا يعلمها إلّااللّه، كما يعلم عدد نجوم السماء التى يقول العلماء اليوم أنّ مجرتنا فقط تحتوى على ۲۰۰ مليار نجمة، لكن ما عدد النجوم فى سائر المجرات التى لا تعد ولا تحصى؟ لا يعلم ذلك إلّااللّه. والأدهى من ذلك، ذرات الغبار التى ترتفع فى كل آن فى أمواج الرياح فى كرتنا الأرضية وتنتقل من موضع إلى آخر ولا يعلم بها إلّااللّه. ذهب البعض إلى أنّ المراد من دبيب النمل، الأصوات

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۳۳

التى تصدر عن وقع أقدام النمل على الحجر، والذى يصعب إدراكها بأيّة وسيلة متطورة، إلّاأنّ اللّه عالم بكل ذلك، كما يعلم بمخادعها، والمراد، جميع النمل فى نقاط العالم كافة.

وتشير العبارة

«يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ»

إلى موضع سقوطها فى أنحاء الكرة الأرضية كافة حيث يسقط فى كل لحظة ما لا يعدّ ولا يحصى من الأوراق فى البساتين والحدائق وأعالى الجبال وأعماق الوديان ولا يعلم ذلك إلّااللّه، كما يعلم عدد أطباق أجفان عيون الناس والحيوانات وكل ذى عينين. أجل، لا

يخفى عليه شـيء من الكليـات ولاـ الجزئيـات فى عـالم الوجود بأسـره، وكفى الإنسان تربيـة وأدباً، إيمانه بهـذا الإله، كفاه أن يعلم أنّ العالم حاضـر بأسـره لدى اللّه وهو عليم بظاهرنا وباطننا، ومن هنا ورد فى القرآن «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»[۷۹۱]. ثم شهد للّه بالوحدانية، فليس سوى اللّه تعالى أهلٌ للعبودية:

«وَأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ ۷۹۲] بِهِ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ»

. وهكذا ينفى الإمام عليه السلام كلّ أنواع الشرك والشك والكفر بالآيات التكوينية والتشريعية، بعبارة أخرى ينفى كل شبيه وشريك للّهثم يخوض فى الشك فى ذاته المقدّسة وأفعاله التشـريعية والتكوينية ويقول: ليس من سبيل للشك فى دينه ولا فى خالقيته وربوبيته فى عالم التكوين، ثم قال:

«شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ ۷۹۳] دِخْلَتُهُ ۷۹۴] وَخَلَصَ يَقِينُهُ،

وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ».

إشارة إلى أنّ هـذه الشـهادة لذات الحق وصـفاته شـهادة من اتصف بهذه الصـفات الأربع: صدق نيّته وطهارة قلبه من الشـرك والرياء وبعد يقينه عن الريبة والشك

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۳۴

وتكشف أعمـاله عن عمق إيمانه باللّه، وهى ليست كشـهادة المنافق أو الطامع بالمال والجاه، ولا ذلك الـذى خلط إيمانه بالشك، ولا ذلك الذى يتحدث عن الإيمان ولا يبادر العمل الصالح.

ثم أردف شهادته للّهبالوحدانية بالشهادة لمحمد صلى الله عليه و آله بالرسالة ونعته بست صفات، فقال:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبى مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ ۷۹۵]

لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ ۷۹۶] كَرَامَاتِهِ وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ،

وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ ۷۹۷] الْعَمَى .

الصفة الأُولى التى ورد الحديث فيها عن صفته التى سببت اختياره للرسالة.

والصـفة الثانيـة، وظيفته فى شـرح حقائق الـدين والعقائـد الصـحيحة. وتطرق فى الصـفة الثالثـة، إلى مكارم خلقه، والصـفة الرابعـة، فى وظيفته المهمّـة فى بيـان الأحكـام، والصـفة الخامسـة، هـدايته صـلى الله عليه و آله عن طريق قوله وفعله وإمضائه العملى. وتحـدث فى الصـفة السادسـة، عن جهوده فى محاربـة الجهل والـذى عبّر عنه بالعمى. وتشـير هذه الصـفات إلى أنى لم أشـهد اعتباطاً بنبوته وأنقاد لإمامته.

تأملان

۱. مشكلة الصفات

كما ورد فى كلمات الإمام عليه السـلام العميقـة المعنى فإنّ الـذات القدسـية تتجاوز الحـدود والزمان والمكان ولها إحاطـة علمية تامة بكل شـيء فى عالم الوجود. نعم، فالعالم بأسـره حاضـر عند اللّه وله حضور فى كل مكان دون أن يضـمه مكان. وإنّ صـفاته الجمالية والجلالية وإن منحتنا معرفة عميقة، إلّاأنّه لابدّ من الإعتراف بأنّه خارج

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۳۵

عن وصـفنا. أحياناً تبـدو تعبيراتنا بشأن الذات لغز ونوع من التناقض، إلّاأنّ حلّ هذا اللغز يمكن فى الإلتفات إلى نقطة وهى أنّ وجوده مطلق ولا متناهٍ من جميع الجهات، فليس له من بدايـة ولا نهايـة ولا حـد محدود. وإن تصور هذا الموجود للانسان المحدود من جميع

الجهات يبدو مستصعباً، ولكن على كل حال لا تحل قضية الصفات الإلهية دون الإلتفات إلى ذلك الأمر. فإن قلنا إنّه عالم بكل شيء حتى بذرات الغبار التى تتعلق بالهواء، فذلك لأنّه حاضر فى كل مكان، وقولنا إنّه حاضر فى كل مكان بمعنى أنّ وجوده غنى عن الحدود ومحيط بكل شيء. وإن قلنا ليس له مكن زمان أو مكان، ذلك لأنّ الزمان يأتى من الحركة والمكان بواسطة محدودية الإنسان، وليس للوجود المطلق من حركة نحو النقص أو الكمال، وحيث هو غنى عن كل شيء فلا حاجة به إلى مكان. وخلاصة الكلام إذا أردنا معرفة اللّه فإنّ علينا أن ننفى جميع صفات المخلوقات التى تنبع من الحاجة والمحدودية عن تلك الذات المقدّسة.

۲. أهداف بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله

تضمنت آيات القرآن الكريم والروايات وخاصة نهج البلاغة، الكثير من الكلمات بشأن هدف بعث الأنبياء ولا سيما نبى الإسلام صلى الله عليه و آله، ومن ذلك، العبارات العميقة التى أوردها الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة. فقد بين الإمام عليه السلام أنّ أحد أهداف رسالة النبى صلى الله عليه و آله شرح الحقائق والتى يمكن أن يراد منها كل حقيقة أو حقائق مرتبطة بالمبدأ والمعاد وأصول العقائد، إلى جانب بيان القيم الخلقية كما روى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»[۷۹۸].

والهدف الآخر، بيان الرسالات السماوية فى الأحكام الدينية وكشف علامات الهداية وأخيراً طرح حجب الجهل والعمى عن قلوب الناس وأبصارها. فهو معلم عظيم ومربٍّ ربّانى ومرشد خبير.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۳۷

القسم الثانى

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَايْمُ اللَّهِ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِى غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، لِأَنَّ «اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ. وَإِنِّى لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِى فَتْرَةٍ. وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً، كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِى غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ. وَمَا عَلَىَّ إِلَّا الْجُهْدُ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ اقُولَ لَقُلْتُ: عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ!

الشرح والتفسير: صدق النيّة مع اللّه

خاطب الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة الناس كافة وذكرهم بأربع نقاط مهمّة، لها بالغ الأثر فى حياة الناس، فقال فى النقطة الأُولى

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ[۷۹۹] إِلَيْهَا، وَلَا تَنْفَسُ ۸۰۰] بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا»

. لما كان حبّ الدنيا كما ورد فى الحديث رأس كل خطيئة فقد شرع الإمام عليه السلام بحبّ الدنيا. الجدير بالذكر أنّه لم يرد ذم لمن حصل على الدنيا بل على

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۳۸

أولئك الذين يتهافتون على الدنيا ويتعلقون بزخارفها. وقد تغر زخارف الدنيا أولئك المتكالبين عليها حتى يظنون بأنّ كل شيء خالد فيها، إلّاأنّهم يرون فجاة زوال كل شيء بفعل حادثة أليمة، على سبيل المثال، فإنّ زلزلة لا تستغرق بضع ثوان تضرب المدينة فتقضى

على ما فيها ومن فيها، نعم ربّما يفيق لمدّة وسرعان ما يعود إلى سبات الغفلة.

ثم أشار إلى النقطة الثانية فقال كقاعدة كلية:

«وَايْمُ اللَّهِ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِ ۸۰۱] نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا[۸۰۲]، لِأَنَ «اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّام لِلْعَبِيدِ»». والواقع أنّ هذه العبارة اقتباس من الآية الشريفة: «إِنَّ اللَّهَ لَايُغَيِّرُ مَا بِقَوْم حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ»[۸۰۳] والآية: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»[۸۰۴]. طبعاً، نعم اللّه تقسّم على العباد حسب استعدادهم وأهليتهم، ومن هنا يستحقها الصالحون الطاهرون لا الآثمون الملوثون.

سؤال: ورد فى بعض الروايات أنّ اللّه يبتلى أولياءه بأنواع البلاء كما جاء فى الخبر «البلاء للولاء»[۸۰۵] لرفع مقام أوليائه، كما يستفاد من بعض الروايات أنّ البلاء قد يكون امتحاناً للمؤمن وأخرى تحذيراً وايقاظاً للعباد، أفلا يتنافى هذا وما ورد فى عبارة الإمام؟

الجواب: ما ورد فى كلام الإمام عليه السلام قانون كلّى ونعلم أنّ لكل قاعدة شواذ، فموارد الامتحان والإيقاظ وأمثال ذلك استثناءات من تلك القاعدة الكلية والقانون

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۳۹

العام، وبعبارة أخرى عبارة الإمام عليه السلام تحمل على الغالب وهذا شبيه ما ورد فى القرآن: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ»[۸۰۶] قطعاً، ليس هناك من منافاة بين هذه الآية، والآية: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ ...»[۸۰۷] التى تتحدث عن مختلف الإمتحانات الإلهية بواسطة البلاء، وكذلك الآية: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»[۸۰۸] ولعل الإنسان إذا تأمل قليلًا لأمكنه التعرف على الموارد التى يكون البلاء فيها جانب العقاب والجزاء أو الامتحان والتحميص والتحذير. فإن بدرت منه معصية أو قارف المجتمع أنواع الفساد وأصابته بعض الحوادث المريرة فإنّ ذلك عقاباً؛ أمّا الحوادث المريرة التى تطيل الصالحين فهى تمحيص يهدف إلى رفع مقامهم.

ثم خلص الإمام عليه السلام إلى نتيجة فقال:

«وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَهٍ ۸۰۹] مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَ شَارِدٍ[۸۱۰]، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ»

. عادة ما يعمد هذا الطبيب الربانى الماهر إلى وصف العلاج بعد ذكر المرض، ويعلم الناس سبيل دفع المكروه والبلاء، ويرى أنّ الدعاء إن كان صادقاً وخارجاً من أعماق القلب بمعنى تحدث حالة من التغيير لدى الإنسان فإنّه يدفع البلاء كما ورد ذلك فى العديد من الروايات، ومنها ما روى عن الإمام السجاد عليه السلام أنّه قال:

«الدُّعاءُ يَدْفَعُ الْبَلاءَ النَّازِلَ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ»[۸۱۱].

ثم أشار إلى النقطة الرابعة التى بينها سابقاً على نحو العموم فقال:

«وَإِنِّى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۴۰

لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ[۸۱۲]. وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً، كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ. وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ اقُولَ لَقُلْتُ: عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ!»

. أمّا مراد الإمام عليه السلام من هذه الإشارة المطلقة إلى بعض انحرافاتهم، فقد قيل إنّه أشار قضية عثمان وحكومته التى فوّضت إليه من جانب شورى عمر الظالمة بعد أن سلبتها من أولى الناس بها (علىّ)- والذى أثبتت الحوادث اللاحقة هذه الحقيقة- وقد سلمتم لتلك الحكومة، وورود الخطبة بعد مقتل عثمان فى أوائل خلافة الإمام عليه السلام شاهد على هذا المعنى. لكن الاحتمال الأكبر أنّه إشارة إلى جميع الخلفاء والأحداث المريرة التى رافقت الخلافة. ومراده من العبارة «

وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ اقُولَ لَقُلْتُ»

، أى لو أردت أن أكشف النقاب عن هذه الأحداث الأليمة لاستطعت، لكننى أغض النظر عنها وأسال اللّه أن لا يؤاخذكم ويعفو عن تقصيركم ۸۱۳].

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۴۱

الخطبة ۱۷۹

اشارة

وَقَدْ سَأَلَهُ ذِعْلِبُ اليَمَانِيُّ فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يا أمِيرَالمُؤمِنِينَ؟ فَقَال عليه السلام: أفَأَعْبُدُ مَا لَاأرى

فَقَالَ: وَكَيفَ تَراهُ؟ فَقَال:[۸۱۴]

نظرة إلى الخطبة

يدور محور الكلام حول صفات اللّه ويؤكد هذا المعنى: إن تعذرت رؤية اللّه بالعين فإنّه يمكن مشاهدته من خلال قبسات صفاته بالبصيرة.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۴۳

القسم الأول

فقال: لَاتُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ. قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَابِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ. مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ لَابِهِمَّةٍ، صَانِعٌ لَابِجَارِحَةٍ. لَطِيفٌ لَايُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لَايُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لَايُوصَفُ بِالرِّقَّةِ. تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

الشرح والتفسير: هل رأيت اللّه؟

يستفاد من مختلف الروايات فى سيرة أمير المؤمنين على عليه السلام أنّه قال مراراً:

«سَلُونِى قَبْلَ أنْ تَفْقِدُونِى»

، فقد أعرب عن استعداده للإجابة عن كل سؤال يتعلق بدين الناس ودنياهم، وقد كّرر هذه العبارة حتى حين التقى الناس وهو على فراش الموت بعد ضربة ابن ملجم. وحين وُلّى عليه السلام الخلافة خطب فقال:

«سَلُونِى قَبْلَ أنْ تَفْقِدُونِى»

وأكّد بهذا المعنى بأنّه أعلم بآيات القرآن فيم نزلت وأين نزلت وناسخها ومنسوخها ومتشابهها ومحكمها. فقام ذعلب اليمانى وكان رجلًا شجاعاً وبليغاً فسأله السؤال المذكور وأجابه الأمير عليه السلام ۸۱۵] فقال:

«أَفَأَعْبُدُ ما لاآرى »

بمعنى أنّ العبادة فرع من المعرفة وللمعرفة درجات أرفعها درجة الشهود، وقد التفت الإمام فى كلامه عليه السلام إلى مرحلته العبادية الرفيعة التى ترافق مشاهدة الذات المقدّسة، ذعلب غرق فى التفكير فى أنّ مراد الإمام عليه السلام هنا أيّة رؤية؟ هل الرؤية الحسية التى

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۴۴

يقول بها أم المجسمة؟ أم الرؤية الروحية والمعنوية التى تفوق الرؤية العقلية؟ لذلك أردف سؤاله بسؤال آخر فقال:

«وَكَيفَ تَراهُ؟»

هل هذا سؤال واستفهام لكشف الحقيقة أم نوع من الإنكار والجدال؟ الجواب عن هذا السؤال يتوقف على تقييمنا لذعلب، فإن كان من أصحاب الإمام عليه السلام فلا شك فى أنّ سؤاله كان لمعرفة الحقيقة، وإن كان أنساناً طائشاً، كما يستفاد من بعض روايات المارة- فإنّ سؤاله يستند إلى الانكار والجدال. على كل حال أجابه الإمام عليه السلام بما يميط اللثام عن بعض الحقائق وقد أثر جوابه بالجميع بما فيهم ذعلب، حيث نفهم على قدر مطالعتنا أنّه أُصيب بالذهول عندما فرغ الإمام من الكلام.

فقد قال عليه السلام:

«لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ»

. المراد من حقائق الإيمان، الأصول العقائدية والمعارف الحقة. ولتوضيح هذا الكلام ينبغى الالتفات إلى هذه النقطة وهى أنّ المشاهدة على ثلاثة أنواع:

۱. المشاهدة الحسية التى تتم بالعين، وأحياناً تزود هذه العين ببعض الأجهزة كالمجهر والتلسكوب.

۲. المشاهدة العقلية التى يبلغها عن طريق الإستدلال به فيرى الحقائق ببصيرة كالشمس من قبيل- ما ذكره المرحوم مغنية فى شرح نهج البلاغة- مشاهدة نيوتن لقانون الجاذبية الذى يستحيل رؤيته بالعين أثر مشاهدته لسقوط التفاحة من الشجرة على سطح الأرض.

۳. الشهود الباطنى وهو نوع من الإدراك الباطنى لكن ليس الاستدلالى.

فالإنسان يرى ببصيرته الواقع الموجود ويؤمن به دون الحاجة إلى الاستدلال ويبدو فهم هذا الإدراك والرؤية صعباً ما لم يبلغه الإنسان، ولهذا الموضوع نماذج كثيرة فى الآيات القرآنية والروايات الإسلامية، فقد ورد فى آية بشأن إبراهيم: «وَكَذلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ»[۸۱۶]. وبشأن يعقوب حين انطلق إخوة يوسف

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۴۵

بقميصه، فقال: «إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ»[۸۱۷] والنبى الأكرم صلى الله عليه و آله حين حفر الخندق قبيل شروع معركة الأحزاب لما ضرب الحجر ثلاث مرات وزف البشارة لصحبه بفتح قصور كسرى وقيصر وقصور صنعاء فى اليمن ۸۱۸]. وقد أخبر على مراراً فى نهج البلاغة عن المستقبل، وكان يقول فى بعض المواقع، كأنّى أرى جماعة ستفعل كذا وكذا، بل نال بعض المؤمنين المخلصين هذا الكشف والشهود.

ومعروفة هى قصّة ذلك الفتى الذى قال للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«كَإِنِّى أَنظُرُ إِلى أَهْلَ الجَنَّةِ، يَتَنَعَّمُونَ فِيى الجَنَّةِ ... كَإِنِّى أَنظُرُ إِلى أَهْلَ النّارِ وَهُم فِيها مُعَذَّبُونَ»

. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لأصحابه:

«هذا عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالإِيمانِ»[۸۱۹]

. وسائر الموارد التى تستحق كتاباً مستقلًا فى الكشف والشهود، والتى تدل جميعاً على وجود شهود آخر يفوق الشهود الحسى والعقلى ۸۲۰].

ثم بيّن الإمام عليه السلام احدى عشرة صفة من صفات اللَّه وأسمائه الحسنى، وقد قرن تسعة منها بعبارات تنفى عنه صفات المخلوقات لتوضيح هذا المطلب فى كيفية إدراك القلوب للَّهبحقائق الإيمان فقال فى الصفة الأُولى والثانية:

«قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَابِسٍ ۸۲۱]، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ»

. ذكرنا مراراً أنّ مشكلتنا فى فهم صفات اللَّه هى الإنطلاق من صفات المخلوقات والممكنات التى تعيقنا عن إدراك صفات اللَّه ما لم

نبتعد عنها، مثلًا فى هذين الوصفين حين نقول: اللَّه قريب، يتراءى لنا سىء مثل

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۴۶

قرب جسمين من بعضهما يقعان فى مكانين حسيين، وعندما نقول: اللَّه بعيد يتداعى لنا جسمان بعيدان عن بعضهما وانفصالهما، والحال، بعدهما وقربهما ليس كذلك، فهو قريب من كل شىء، بمعنى إحاطته التامة بجميع الموجودات، وبعيد بمعنى تنزه كبريائه عن أدناس المكان وصفات المخلوقات الناقصة.

وقال فى الصفة الثالثة والرابعة:

«مُتَكَلِّمٌ لَابِرَوِيَّةٍ[۸۲۲]، مُرِيدٌ لَابِهِمَّةٍ[۸۲۳]»

. وإن طرح موضوع الكلام والإرادة يتبادر إلى أذهاننا إنّ الشخص يجيد لغة معينة ويفكر فى مطلب ثم يصوغه فى إطار كلمات وعبارات، ثم يستعين بلسانه وشفتيه ليوصل صوته المنطلق من حنجرته إلى الآخرين، وهكذا الأمر بالنسبة للإرادة فى أن يفكر المريد مسبقاً ويتأمل صلاح الشىء من فساده ثم يعزم على القيام بالعمل وأمر الجوارح والأعضاء بالتنفيذ. قطعاً إنّ أيّاً من هذه الأمور لا تصدق على اللَّه، فهو ليس بجسم وليس له أعضاء وجوارح وليس بحاجة إلى التفكير. فكلامه ليس سوى خلق الموجات الصوتية فى الفضاء كتلك الأمواج التى سمعها النبى موسى عليه السلام من الشجرة، وإرادته ليست سوى علمه بالمصالح والمفاسد. وهذه الحقيقة صادقة تماماً على الصفات السبع الأخرى ومن هنا اعتبر الإمام عليه السلام أنّ أفضل طريق لمعرفة اللَّه، نفى صفات المخلوقات عنه، فقال:

«وَكَمالُ الْإِخْلاصِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ»[۸۲۴].

وقال فى الصفة الخامسة:

«صَانِعٌ لَابِجَارِحَةٍ»

نعم، إنّ أمره إذا أراد شيئاً إنّما يقول له كن فيكون، وله أن يخلق عالماً واسعاً ومترامياً كعالمنا فيقول له كن فيكون ولا يحتاج إلى وسائل وأدوات وأجزاء كالإنسان.

وقال فى الصفة السادسة والسابعة:

«لَطِيفٌ لَايُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَايُوصَفُ بِالْجَفَاءِ»

، لشرّاح نهج البلاغة وعلماء الكلام أحاديث مسهبة فى باب صفات اللَّه ومنها صفة اللطيف، فذكروا لها عدّة معانٍ، فتارة فسّروه بالخفى، وأخرى بخالق الأشياء الظريفة وأخيراً ذو اللطف والحبّ، وللَّه كل هذه الصفات، إلّاأنّ المعنى الأول أنسب، أى أنّ الذات المقدّسة ظريفة الخفاء، لكن لا بمعنى الخفاء عن العباد،

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۴۷

ذلك لأنّ آثاره ملأت أركان العالم وتجلّت فيه جميع الموجودات، والعبارة

«لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ»

إشارة إلى عظمته، لكن ليست كعظمة الطواغيت والجبابرة الممزوجة بالظلم والجور والجفاء، كما قال القرآن الكريم فى أواخر سورة الحشر:

«الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ».

وقال فى الصفة الثامنة والتاسعة:

«بَصِيرٌ لَايُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لَايُوصَفُ بِالرِّقَّةِ»

. فإن قلنا: فلان بصير، تبادر إلى الذهن بسرعة العين التى يبصر بها، وحين يقال: فلان رحيم تتداعى شفقة قلبه ورقته، والحال، هذه

الصفات الممكنات والموجودات الجسمانية واللّه أسمى من ذلك. فبصره سبحانه بمضى علمه بالموجودات كافة التى ترى بالعين ورحيميته بمضى لطفه وعطائه لعباده، وإن مثل هذه الصفات مركبة من النقص والكمال، وللّه كمالها ونزاهته من نقصها.

وقال فى الصفتين الأخيرتين:

«تَعْنُو[۸۲۵] الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ ۸۲۶] الْقُلُوبُ مِنْ

مَخَافَتِهِ»

. إشارة إلى أنّه رغم لطفه ورحمته، إلّاأنّ ذلك لا يعنى جرأة العباد على الذات من خلال التشبث بتلك الصفات، بل لابدّ من خشية عقابه إلى جانب الأمل بلطفه ورحمته. ومن هنا قال القرآن بشأن المؤمنين: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ»[۸۲۷]. ونعلم جميعاً بأنّ تعادل الخوف والرجاء من شأنه الأخذ بيد الإنسان إلى السمو والكمال.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۴۹

الخطبة ۱۸۰

اشارة

فِى ذَمِّ الْعَاصِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ ۸۲۸]

نظرة إلى الخطبة وسبب الورود

يستفاد من كتاب (الغارات) للثقفى، أنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة حين أتاه رسولا محمد بن أبى بكر لنجدته قبل قتاله مع عمرو بن العاص فى مصر، فدعى الإمام عليه السلام الناس إلى المسجد وأخبرهم بالأمر، إلّاأنّه لم يستعد للجهاد سوى نفر قليل. ثم بعث، ليلًا، إلى أشراف الكوفة ودعاهم إلى دار الإمارة، وكان حزيناً، لأنّه كان يعلم بعمق الخسارة فى ظهور ابن العاص وأعوان معاوية على مصر. فعرض بالذم فى هذه الخطبة لصحبه العاصين وناشدهم دفع فتنة عمرو بن العاص عن مصر.

ويتضح ممّا قيل أنّ مضمون الخطبة ذم لترك الجهاد وحثّ على جهاد العدو إلى جانب العواقب الوخيمة للوهن والضعف.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۵۱

القسم الأول

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ابْتِلَائِى بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِى إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ. إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ وَإِن اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ. لَاأَبَا لِغَيْرِكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ؟ الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ؟ فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِى- وَلَيَأْتِيَنِّى- لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ.

الشرح والتفسير: الجهاد أو الموت والعار

إستهل الإمام عليه السلام الخطبة كسائر أغلب الخطب بحمد اللّه والثناء عليه، وقال:

«أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ابْتِلَائِى بِكُمْ»

. لشرّاح نهج البلاغة عدّة تفاسير فى المراد بالقضاء والقدر فى هذه العبارات هل له معنى واحد ويشير بأجمعه إلى المقدرات الإلهية،

أم له معنيان؟ قال البعض: كلاهما بمعنى واحد، وقال الآخر: القضاء يتعلق بخلق عالم الأمر والعقول يعنى عالم ماوراء الطبيعة، والقدر إشارة إلى عالم الخلق أى عالم الطبيعة. وأحد التفاسير الواضحة للقضاء والقدر- والذى تؤيده الآيات والروايات- أنّ القضاء سواء فى عالم التكوين أو عالم التشريع يشير إلى أمر اللّه بأصل وجود الشىء، ويشير القدر بحجمه وأجزائه وشرائطه، مثلًا، شخص يأمر ببناء مسجد أو مستشفى فهذا مصداق للقضاء، ثم يبيّن متطلباته، وهذا هو القدر. فأمر اللّه بالصلاة والصوم فى عالم

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۵۲

التشريع، القضاء، وأمره بالنسبة لأجزائه وشروطه، قدر.

النقطة الأخرى فى كلام الإمام عليه السلام حمده اللّه على ابتلائه بأصحابه العاصين. ذلك لأنّ أولياء اللّه المسلمون لأمره ويرون كل ما ينالهم منه حسناً جميلًا.

ثم خاطب عليه السلام الحاضرين فى المجلس من زعماء قبائل الكوفة فقال:

«أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِى إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ. إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ ۸۲۹]، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ ۸۳۰] وَإِن اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ ۸۳۱] إِلَى مُشَاقَّةٍ[۸۳۲] نَكَصْتُمْ ۸۳۳]»

. فقد أشار إلى أربع نقاط لضعف الناس تجاهه: المعصية وعدم الإهتمام بالدعوة وتضييع الفرصة والضعف فى ميدان القتال، ولا شك أنّ كل واحدة تكفى لأن تكون سبباً للهزيمة فضلًا عن اجتماعها. ثم وبخهم بنوع من الحب، فقال:

«لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ؟ الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ؟»[۸۳۴].

إشارة إلى أنّ الوضع الذى أنتم عليه- إزاء العدو الماكر كمعاوية وجيشه والذى يتسم بالضعف وعدم الإكتراث- ليس له من نتيجة سوى الموت أو الذل، وإن بقيتم أحياء فالذلّة لهؤلاء، العزّ فى الجهاد ونتيجته النصر أو الشهادة، كما قال الإمام عليه السلام:

«الْمَوْتُ فِى حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِى مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ»[۸۳۵].

ثم قال:

«فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِى- وَلَيَأْتِيَنِّى- لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۵۳

قَالٍ ۸۳۶]، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ»

. فقد لفّت الإمام عليه السلام انتباههم إلى قضية مهمّة وهى أنّ وجودى سند عظيم لكم فعُوا ذلك. واعلموا إن مِتُّ فسوف لن أخسر شيئاً سوى جيش لا إرادة له، بينما ستخسرون أنتم كل شىء وستفقدون قائداً شجاعاً وآمراً لا يقهر.

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۵۵

القسم الثانى

لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ! وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ! أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ- وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ- إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ، فَتَفَرَّقُونَ عَنِّى وَتَخْتَلِفُونَ عَلَىَّ؟ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِى رِضىً فَتَرْضَوْنَهُ، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ؛ وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَىَّ الْمَوْتُ! قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ! وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ! وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ!

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام عرضه بالذم لأولئك الضعاف من أصحابه فى الامتثال لأوامره:

«لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ! وَلَا حَمِيَّةٌ[۸۳۷] تَشْحَذُكُمْ ۸۳۸]!».

إشارة إلى أنّ الوقوف بوجه العدو والدفاع عن الأهداف المقدّسة يتطلب أحد العنصرين: أحدهما الإيمان باللّه ويوم الجزاء ووعده للمجاهدين والشهداء أو الدفاع القومى الوطنى، وللأسف ليس فيكم أىّ من هذين العنصرين، فدينكم وإيمانكم ضعيفان وليس فيكم من دافع أو هاجس لحب الوطن، ولذلك توانيتم حتى شنّت

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۵۶

عليكم الغارات وداهمكم العدو.

ثم قارن الإمام عليه السلام بينهم وبين أصحاب معاوية فقال:

«أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ[۸۳۹] الطَّغَامَ ۸۴۰] فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ- وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ[۸۴۱] الْإِسْلَامِ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ- إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ، فَتَفَرَّقُونَ عَنِّى وَتَخْتَلِفُونَ عَلَىَّ؟»

. فهنا سؤالان جديران بالاهتمام، الأول أنّ معاوية معروف فى البذل والعطاء السياسى الهادف، فكيف يقول الإمام عليه السلام إنّ معاوية لا يقدم للأفراد معونة ولا عطاء؟ أجاب بعض شرّاح نهج البلاغة عن هذا السؤال بأنّه كانت لمعاوية مساومات سياسية مع زعماء القبائل وقادة الجيش فكان يغدق عليهم الأموال الطائلة دون الالتفات إلى الناس، أمّا الإمام على عليه السلام فكان يقسّم أموال بيت المال بالتسوية على الناس بمنتهى العدل والقسط ويقدم التكاليف الحربية لجميع المقاتلين.

والثانى: لم عبّأ معاوية الناس بتلك الطريقة من توزيع الأموال، بينما لم يتعبّأ الناس لأمير المؤمنين عليه السلام رغم تعميمه العطاء والمعونة على أساس العدل؟ ولا تبدو الإجابة عن هذا السؤال صعبة، فإضافة إلى ضعف أهل الكوفة وغدرهم كان هناك وفاء أهل الشام وانصياع الأفراد لزعماء قبائلهم الذين كان يرشيهم معاوية بالأموال، ولكن زعماء القبائل كانوا يشعرون بعدم الرضا من تسوية الإمام عليه السلام بينهم بالعطاء، فلم يكونوا يعبئون أفراد قبيلتهم.

ثم ذم الإمام عليه السلام فرقتهم واختلافهم فقال:

«إِنَّهُ لَايَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِى رِضىً فَتَرْضَوْنَهُ، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ».

ويبدو تفسير هذه العبارة واضحاً رغم اختلاف الشراح فى تفسيرها فالامام عليه السلام

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۵۷

يريد أن يقول إنّكم دائماً تحثون الخطى باتّجاه التشتت والفرقة وليس هناك ما يوحّد كلمتكم، لا العناصر التى ترضينى ولا النواهى عن الأمور التى تغضبنى، والفرقة هى أهم عوامل فشلكم، فأنتم لا تمتثلون لأوامرى ولا تنتهون بنهيى، كما يحتمل أن يكون مراد الإمام عليه السلام أنّكم تجتمعوا على ما يخالف رغبتكم أو يطابقها، كمن يقول للمريض انك لا تتناول الدواء المر ولا الحلو، أى إن لم تقبل الأول فاقبل الثانى، كحد أدنى. ثم تشتعل النار فى قلب الإمام عليه السلام بعد ذلك الذم والتوبيخ فيقول:

«وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَىَّ الْمَوْتُ!»

. حقّاً إنّها لفاجعة أن تبلغ الحالة درجة يتمنى معها هذا الجبل الشامخ الذى يفيض صبراً وتحمّلًا الموت. نعم أحياناً يصيب الإنسان من صحبه الغدرة الفجرة ما لا يصيبه من أعدائه وهنا يتمنى الإنسان الموت، الموت الذى يفرق بينه وبين مثل هؤلاء الأفراد الناكرين للجميل المنحرفين عن الحق.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى أياديه الثقافية والتربوية لأُمّة الإسلامية سيما بالنسبة لصحبه فأشار إلى أربعة مواضيع مهمّة فقال:

«قَدْ دَارَسْتُكُمُ ۸۴۲] الْكِتَابَ»

. طبعاً القرآن كان بأيدى المسلمين يتلونه أثناء الليل والنهار ولم تكن هنالك من حاجة لتدريس الإمام عليه السلام، فالمراد فهم مضمون القرآن الكريم وسبر أغواره والوصول إلى مفاهيمه حيث يعتبر الإمام عليه السلام المفسّر الأول بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فكان يفسّر للناس آيات القرآن ويستشهد بها فى أغلب خطبه، ثم تطرق إلى خدمته الثانية للأمة فقال:

«وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ ۸۴۳]»

. أى علمتكم الأدلة العقلية كحجة شرعية بعد الأدلة النقلية.

وقال فى الخدمة الثالثة:

«وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ»

فقد كشفت لكم الغطاء عن مكنون كثير من الحقائق الخافية عليكم وكنتم تجهلونها، كما يمكن أن يكون لهذه العبارة مفهومٌ آخر هو انكاركم لبعض المسائل واتخاذكم مواقف أخرى منها بفعل

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۵۸

جهلكم، فعرفتكم حقيقتها لتقلعوا عن انكاركم، وأخيراً

«وَسَوَّغْتُكُمْ ۸۴۴] مَا مَجَجْتُمْ ۸۴۵]»

. فهنالك الكثير من المفاهيم التى لم تبلغوا عمقها وحقيقتها، ومن هنا كنتم تمجون هذه المفاهيم وتبتعدون عنها، إلّاأنّى كشفت لكم عن أسرارها لتصبح لديكم كالماء الزلال.

ثم أعرب عن أسفه عن سذاجة مخاطبيه فقال:

«لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ!»

. فأنا لم أُقصر فى تربيتكم وتعليمكم، وقد بنيت لكم كل ما ينفعكم، ولكن ليس لديكم من استعداد وكان بذور علمى وتربيتى وحكمتى قد صادفت أرضاً قاحلة.

ثم اختتم عليه السلام خطبته بإبراز تعجبه قائلًا:

«وَأَقْرِبْ ۸۴۶] بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ

مُعَاوِيَةُ! وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ[۸۴۷]!»

. جاء فى الرواية أنّ الإمام عليه السلام قال هذه العباراة مع إضافات حين مرّ بجماعة من أهل الشام كان فيهم الوليد بن عقبة، المعروف بشرب الخمر وقد أُقيم عليه الحد، حين سمعه البعض قد شتم الإمام عليه السلام فهمّوا به ونهاهم الإمام عليه السلام ۸۴۸].

تأمّلان

۱. الفرق بين المعونة والعطاء

قال الإمام عليه السلام فى الخطبة المذكورة إنّ معاوية لم يقدم لأتباعه معونةً ولا عطاءً

نفحات الولاية، ج۶، ص: ۴۵۹

(طبعاً، المراد الأفراد العاديون، وإلّا فإنّ شراءَه لزعماء القبائل بواسطة الأموال الطائلة ما تناقلته كتب التاريخ). والفارق بين المعونة والعطاء، إلّاأنّ العطاء شىء من قبيل المرتبات الرسمية والمعونة ما يقدم من منح ومساعدات لإعداد السلاح أو الدابّة للقتال.

۲. الخدمات الثقافية الأربع للإمام عليه السلام

أشار الإمام عليه السلام فى الخطبة المذكورة إلى أربع من خدماته لصحبه، وأوجزها فى:

تعليم كتاب اللّه، القرآن الكريم، والثانية، تعريفهم بالأدلة العقلية والبراهين الجلية، والثالثة، تعليمهم ما كانوا يجهلونه وكشف أسرار أغلب الحقائق المتعلقة بالدين والدنيا، والرابعة، والأخيرة إعادتهم إلى المفاهيم الحقة وجعلها مستساغة لهم بعد أن كانت ممجوجة، والواقع هو أنّ هذه الأصول الأربعة تشكل دورة تعليمية ودينية وفكرية متكاملة، ينبغى لجميع القائمين على شؤون التعليم، الإلتفات لها، وبالطبع فإنّ النتيجة المطلوبة لهذه اللحظة إنّما تتأتى حين يتمتع الفرد الخاضع للتربية والتعليم بالإستعداد التام لتقبّلها.

اللّهم ارزقنا عيناً باصرةً وأُذناً سامعةً ويقظةً ووعياً لنصغى إلى كلمات أوليائك التى تطهّر روح الإنسان وتهذّبها وننظر إلى آيات عظمتك بعين البصيرة.

اللّهم لا تفرّق بيننا وبينهم ولا طرفة عين فى الدنيا وفى الآخرة وثبتنا على مسيرتهم. ياربّ العالمين.

ختام الجزء السادس

كانون الثانى ۲۰۰۳ م

محرم الحرام ۱۴۲۵ هجرى

---

[۱] (۱). سند الخطبة:

لم ترد هذه الخطبة فى مصادر أُخرى والشيء الوحيد الذى يعتمده مؤلف« مصادر نهج البلاغة» ما ذكره السيد اليمانى فى كتاب« الطراز» وقد استشهد فيه بعدة عبارات من هذه الخطبة، رغم أنّه عاش بعد السيد الرضى، إلّاأنّ اختلاف بعض العبارات مع ماورد فى نهج البلاغة يفيد أنّه رواها من مصدر آخر غير نهج البلاغة. راجع مصادر نهجالبلاغة، ج ۲، ص ۳۴۱

[۲] (۱).« مداحر» جمع مدحر، بمعنى الأمر الذى يسبب طرد الشيء وإبعاده من مادة(دحور) بمعنى الطردوالإبتعاد

[۳] (۲).« مزاجر» جمع مزجر، بمعنى المانع من الشيء من مادة(زجر) بمعنى المنع

[۴] (۳).« مخاتل» جمع مختل، المكيدة وهى الوسيلة التى يتمّ بها الخداع من مادة(ختل)

[۵] (۱).« الجفوة» بمعنى القسوة

[۶] (۱).« بوائق» جمع بائقة، بمعنى الحادثة المهمّة والداهية المميتة من مادة(بوق) على وزن فوق، بمعنى الفساد

[۷] (۱).« قتام» بمعنى الغبار

[۸] (۲).« العشوة» ركوب الأمر على غير بيان

[۹] (۳).« شباب» بكسر الشين أى بداياتها فى عنفوان وشدة كشباب الغلام وفتوته، وقد وردت هذه المفردة بكسر الشين فى بعض نسخ نهج البلاغة وبالفتح فى البعض الآخر

[۱۰] (۴).« السلام» بكسر السين جمع سلمة، على وزن كلمة بمعنى الحجارة الصم

[۱۱] (۱).« مريح» بمعنى النتن والعفن من مادة(ريح) بمعنى النتن

[۱۲] (۲). سورة البقرة، الآية ۱۶۶

[۱۳] (۱). سورة الأنعام، الآيتان ۲۳ و ۲۴

[۱۴] (۱).« رجوف» من مادة(رجف) على وزن حذف بمعنى شدة الاضطراب، وتطلق الأراجيف على الاشاعات التى تجعل المجتمع شديد الاضطراب

[۱۵] (۱).« قاصمة» من مادة(قصم) على وزن خصم بمعنى الكسر مع الشدّة

[۱۶] (۲).« زحوف» من مادة(زحف) على وزن حرف بمعنى الثقل فى المشى وتطلق على حركة الجيش الكثير، وزحوف فى العبارة إشارة إلى الافتتان الذى يستشرى فى المجتمع

[۱۷] (۳).« نجوم» وردت هنا بالمعنى المصدرى وهو الظهور

[۱۸] (۱).« يتكادمون» من مادة(كدم) على وزن شرم بمعنى العض والتكادم أن يلتحم حيوانان فيعض كل منهماالآخر

[۱۹] (۲).« حمر» جمع حمار، بمعنى الحمار الوحشى هنا بقرينة العانة وهى الجماعة من حمر الوحش

[۲۰] (۳).« مسحل» من مادة(سحول) بمعنى الفأس والمبرد وما شابه ذلك ممّا يبرد به الشىء

[۲۱] (۴).« ترض» من مادة(رض) التهشيم

[۲۲] (۵).« كلكل» بمعنى الصدر

[۲۳] (۱).« عبيط» من مادة(عبط) على وزن خبط بمعنى قطع رأس الحيوان ويقال الدم العبيط للدم الطرى الذى يجرى من بدن الإنسان أو الحيوان

[۲۴] (۲).« مرعاد» من مادة(رعد) الشىء العظيم الصوت والمبراق من مادة(برق) الشىء البراق الذى يخطف الأبصار

[۲۵] (۱).« مطلول» من هدر دمه من مادة(طل) على وزن حل بمعنى هدر الدم

[۲۶] (۲).« يختلون» بمعنى(يخدعون) من مادة(ختل) على وزن قتل بمعنى الخداع

[۲۷] (۱).« لعق» جمع لعقة، الشىء القليل، وما تأخذه من طعام بالملعقة

[۲۸] (۱). سند الخطبة:

أورد الإمام عليه السلام هذه الخطبة بعد تسلّمه الخلافة. هذا ما ذكره ابن أبى الحديد والذى يدل على أنّه وجدها فى مصدر آخر غير نهج البلاغة؛ وذلك لأنّ نهج البلاغة لم يشر إلى هذا الموضوع، كما روى المرحوم الكلينى بعضها فى الجزء الأول من أصول الكافى، وأشار الآمدى فى غرر الحكم إلى بعض جوانب الخطبة.(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۳۴۴)

[۲۹] (۱).« تستلمه» من مادة(الاستلام) بمعنى الاتصال بالشىء

[۳۰] (۱).« النصب» بمعنى التعب والمشقة

[۳۱] (۲). سورة يس، الآية ۸۲.

[۳۲] (۱). سورة ق، الآية ۱۶

[۳۳] (۲).« حيزه» من مادة(حيز) بمعنى المكان

[۳۴] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۹، ص ۱۵۳

[۳۵] (۲).« عرفاء» جمع عريف، بمعنى رئيس القوم الذى يدير أمورهم ويعرفه جميعهم

[۳۶] (۱). اصول الكافى، ج ۱، ص ۳۷۱-/ ۳۷۸؛ بحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۲۳ ومستدرك‌الوسائل، ج ۱۸، ص ۱۸۷

[۳۷] (۲). خصال الصدوق، باب الثلاثة، ح ۱۸۳

[۳۸] (۱). سورة البقرة، الآية ۸۲

[۳۹] (۲).« مرابيع» جمع مرباع، على وزن مثقال بمعنى المكان ينبت نبته فى أول الربيع. وقال بعض: المطر الذىينزل أول الربيع

[۴۰] (۱). بحار الأنوار، ج ۸۹، ص ۱۵، ح ۸، وقد قدمنا شرحا وافياً بهذا الشأن ذيل الخطبة ۱۸

[۴۱] (۲).« حمى» المنطقة المحرمة العائدة لشخص أوجماعة ولا يحق للآخرين دخولها دون إذن، ووردت فىالخطبة بمعنى حرمات اللَّه

[۴۲] (۳).« ارعى» من مادة(رعى) مراقبة الشىء ومن هنا يطلق الرعى على الأغنام وحيث يترك الحيوان بحريته فىالمرعى فإنّ الارعاء ورد بهذا المعنى فى الخطبة، أى أنّ اللَّه حكم فى قرآنه بحرية ما ينبغى بقاؤه حراً

[۴۳] (۴). نهج البلاغه، الخطبة ۱۷۶

[۴۴] (۱). قال المرحوم العلّامة التسترى فى شرحه لنهج البلاغة: كأنّ مفردة القرآن أو كتاب أنزله سقطت من نسخة نهج البلاغة الموجودة(نهج الصباغة، ج ۳۳، ص ۱۳)

[۴۵] (۱). سند الخطبة:

ورد فى مصادر نهج البلاغة: ذكرت هذه الخطبة فى بعض نسخ نهج البلاغة كجزء من الخطبة السابقة. قال ابن أبى الحديد إنّ الإمام عليه السلام أورد هذه الخطبة حين اتجه إلى البصرة(لقتال أصحاب الجمل والقضاء على الفتنة). وممّا لا شك فيه أنّه عثر على هذه الخطبة فى مصدر آخر ليقول ذلك الكلام. وردت هذه الخطبة بالتفصيل من قبل السيد الرضى فى كتاب تحف العقول، كما روى الكلينى بعضها فى الجزء الخامس من كتابه الكافى، كما وردت عبارة من خطبة فى قصار الكلمات وهى الكلمة ۲۹۸(ضع فخرك، واحفظ كبرك واذكر قبرك)،(مصادر نهج البلاغة، ج ۲، ص ۳۴۷)

[۴۶] (۱).« يهوى» من مادة(هوى) على وزن نهى تعنى فى الأصل، السقوط من شاهق، وهوى على وزن نوى بمعنىالرغبة فى الشىء وعادة ما تستعمل فى الميول النفسية والأمور الباطلة، والمعنى الأول هو المراد فى العبارة، أى أنّ الشخص الذى يعبد الدنيا يسقط مع الغافلين فى وادى الشقاء

[۴۷] (۱).« جلابيب» جمع جلباب، الستار والثوب

[۴۸] (۲).« وطر» بمعنى الحاجة وقضاء الوطر الاستفادة التامة من الشىء

[۴۹] (۱).« جدد» و« جادة» بمعنى واحد يطلق على الطريق السهل الذى لا تغوص فيه القدم.

[۵۰] (۲).« مهاوى» جمع مهواة، على وزن مقلاة الخفرة التى يسقط فيها الإنسان.

[۵۱] (۳).« مغاوى» جمع مغواة، على وزن مقلاة، الشبهة المضلة.

[۵۲] (۴).« غواة» جمع غاوى، الشخص الضال

[۵۳] (۵).« تعسف» من مادة(عسف) على وزن خسف، المشى على غير هدى، ومن هنا يقال للظالم متعسف لأنّه يسير بغير هدى.

[۵۴] (۱). شرح نهج البلاغة للشوشترى، ج ۲، ص ۷۴

[۵۵] (۱).« افق» من مادة(افاقة) بمعنى الصحو

[۵۶] (۲).« أُمى» ينسب إلى الام بمعنى عديم القراءة، وكأنّه بقى على تلك الحالة التى ولد فيها من بطن امّه ولم يتتلمذ، وبالطبع فإنّ معنى أمية النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّ جميع علومه ومعارفه إلهية ولم يتعلم من الإنسان. راجع سائر الآراء بهذا الشان فى الجزء السادس من تفسير الأمثل، ذيل الآية ۵۷، سورة الأعراف

[۵۷] (۱).« احطط» من مادة(حط) على وزن خط لازم ومتعدى بمعنى الخفض والاخفاض واريد به المعنى الثانى فىالخطبة

[۵۸] (۲).« فامهد» من مادة(مهد) على وزن عهد تعنى فى الأصل مهد الطفل أو الموضع الذى يعد للأطفال، ثماستعملت بمعنى الإعداد كما وردت فى هذه الخطبة

[۵۹] (۱). سورة الحشر، الآیة ۱۸

[۶۰] (۲). سورة البقرة، الآیة ۱۶۰

[۶۱] (۳). الابیات للشاعر أبو الفرج الساوی(شرح نهج البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۳، ص ۳۳۵)

[۶۲] (۱).« یعر» من مادة(عر) علی وزن شَر، أوعُر علی وزن حُر، یعنی فی الأصل الجرب الذی یصیب الجلد، ثم أطلق‌علی کل ضرر یلحق بالإنسان، وأُرید به العیب والتهمة فی العبارة

[۶۳] (۲). سورة النساء، الآیة ۴۸

[۶۴] (۳). سورة النساء، الآیة ۹۳

[۶۵] (۱). کنز العمال، ح ۱۱۲۶، ۱۰۵۹.

[۶۶] (۲). سورة البقرة، الآیة ۱۴.

[۶۷] (۳). اقتباس من شرح نهج البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۹، ص ۱۶۲

[۶۸] (۱).« مستکینون» من مادة(سکون) بمعنی الوضوح، ثم اطلقت علی الخضوع والخشوع

[۶۹] (۱). سند الخطبة:

أورد الآمدی الذی صنف کتابه(تحرر الحکم علی أساس الحروف الأبجدیة) جوانب مختلفة من هذه الخطبة بتفاوت فی حروف« ق» و« ن» و« ه» و« ا» ورغم أنّ الآمدی عاش بعد المرحوم السید الرضی، إلّاأنّ اختلاف عباراته مع نهج البلاغة یفید أنّه اقتبسها من مصدر آخر، کما أوردها السید باختلاف طفیف فی کتابه، الطراز، وهذا یشیر إلی أنّه رواها من مصدر آخر غیر نهج البلاغة

[۷۰] (۱).« ناظر» بمعنی سواد العین التی یقع فیها البؤبؤ

[۷۱] (۲).« لبیب» من مادة(لب) علی وزن حب بمعنی الدماغ ویقال: اللبیب للشخص العاقل الحکیم

[۷۲] (۳).« نجد» ما ارتفع من الأرض

[۷۳] (۱).« ارز» من مادة(ارز) علی وزن فرض، تعنی فی الأصل الایقاض والثبات، ثم استعملت بمعنی الاعتزال والانعزال عن المجتمع، وهذا هو المعنی المراد بها فی العبارة

[۷۴] (۱). ورد هذا الحدیث المشهور فی مصادر العامة المعروفة مثل مستدرک الحاکم و المعجم الکبیر للطیرانی و غیرها(وللوقوف علی‌المزید من‌مصادر هذا الحدیث فی کتب العامة راجع کتاب احقاق الحق، ج ۵، ص ۴۶۹ و ما بعدها)

[۷۵] (۱). سورة الضحی، الآیة ۱۱

[۷۶] (۲). مجمع البیان، ذیل الآیة المذکورة

[۷۷] (۱). نقل ابن أبی الحدید فی شرحه لنهج البلاغة هذا الحدیث عن أبی نعیم الاصفهانی فی حلیة الأولیاء ومسند أحمد بن حنبل(شرح نهج‌البلاغة، ج ۹، ص ۱۶۶)

[۷۸] (۲). المصدر السابق

[۷۹] (۳). شرح نهج‌البلاغة لإبن أبی‌الحدید، ج ۹، ص ۱۶۶

[۸۰] (۱).« کرائم» جمع کریمة، الآیات المبارکة التی نزلت بشأن أهل البیت علیهم السلام

[۸۱] (۱). هذه هی الآیة ۱۱۹ من سورة التوبة التی تأمر المؤمنین فی کل عصر ومصر باتباع الصادقین وملازمتهم، وقدفسّرت الروایات الواردة فی مصادر الفریقین، الصادقین، بالأئمّة المعصومین علیهم السلام. راجع للوقوف علی مصادر هذا الحدیث کتاب، نفحات القرآن، ج ۹، ص ۱۶۷

[۸۲] (۲).« رائد» من مادة« ورد» علی وزن قوم بمعنی السعی للقیام بشی، کما ورد فی الشرح، فانها تطلق عادة علی‌الشخص الذی

ينطلق امام القافلة ويبحث عن المرعى والمرتع

[۸۳] (۳). نهج البلاغة، الخطبة ۱۵۷

[۸۴] (۱). اصول الكافى، ج ۱، ص ۴۴ باب العمل بغير علم، ح ۳.

[۸۵] (۲). المصدر السابق، ص ۴۳، ح ۱

[۸۶] (۱). سورة آل عمران، الآية ۱۱۸

[۸۷] (۲). سورة الحمد، الآية ۳۰

[۸۸] (۳). سورة الأعراف، الآية ۵۸

[۸۹] (۴). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۲۶

[۹۰] (۱). منهاج البراعة، ج ۹، ص ۲۴۸ بتلخيص

[۹۱] (۱). سند الخطبة:

لم يرد فى مصادر نهج البلاغة سند يمكن الاعتماد عليه كما فى سائر المصادر، ويبدو أنّ السند الرئيسى لهذه الخطبة ما ذكره المرحوم السيد الرضى، إلّاأنّ مضمون الخطبة على درجة من الرفعة بحيث يقوى سندها حيث يفيد عدم ترشح تلك الكلمات سوى من فكر عظيم كفكر الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام

[۹۲] (۱).« انحسرت» من مادة(حسر) على وزن قصر، تعنى فى الأصل العرى، ثم استعملت بمعنى الضعف والعجزحيث يتعرى الإنسان فى هذه الحالة من قواه

[۹۳] (۲).« مساغ» من مادة(سوغ) بمعنى سهولة الاكل والشرب ثم أُطلقت على كل مسير سهل، وهذا هو المعنى المراد فى العبارة

[۹۴] (۳).« ملكوت» من مادة(ملك) على وزن قفل، بمعنى الحكومة والملكية، وإضافة الواو والياء تفيد التأكيد والمبالغة وإن استعملت بشأن اللّه تبارك وتعالى فإنّها تفيد حكومته المطلقة على العالم قاطبةً

[۹۵] (۱).« اذعى» من مادة(اذعان) بمعنى الاقرار والامتثال

[۹۶] (۱).« عشيت» من مادة(عشو) بمعنى الظلمة، إشارة إلى أنّ عيونها عاجزة عن رؤية ضياء الشمس

[۹۷] (۲).« سبحات» جمع سُبحة، على وزن لقمة، بمعنى النور، كما تعنى الظُلمة

[۹۸] (۳).« اكنها» من مادة(كن) على وزن جن، تعنى فى الأصل، الظرف الذى يحفظ فيه الشىء، ثم اطلقت على جميع الوسائل التى تؤدى إلى الخفاء

[۹۹] (۴).« مكامن» جمع مكمن، من مادة(كمون)، بمعنى الاخفاء والمكمن هو الموضع الذى يختفى فيه الإنسان أو الشىء

[۱۰۰] (۵).« بلج» جمع بلجة، أول ضياء الصباح

[۱۰۱] (۶).« ائتلاق» من مادة(الق) على وزن برق، بمعنى البريق، وبلج ائتلاقها بمعنى أول الضياء ولمعان الشمس

[۱۰۲] (۷).« مسدلة» من مادة(سدل) على وزن عدل، تعنى فى الأصل، هبوط الشىء من الأعلى إلى الأسفل بحيث‌يتغطى وهى هنا إشارة إلى سقوط أجفان الخفاش إلى الأسفل

[۱۰۳] (۸).« جفون» جمع جفن، على وزن قفل، ما يغطى العين

[۱۰۴] (۱).« حداق» جمع حدقة، سواد العين

[۱۰۵] (۲).« اسداف» جمع سدفة، على وزن وزنة، تعنى، أحياناً الظلمة، وأخرى النور، ووردت هنا بالمعنى الأول

[۱۰۶] (۳).« غسق» بمعنى شدة الظلمة، كما تستعمل بمعنى منتصف الليل لاشتداد الظلمة منتصف الليل

[۱۰۷] (۴).« دجنة» من مادة(دجون) بمعنى، السحاب والمطر، ولما كان السحاب والمطر يؤدّى إلى الظلمة، فإن مفردة الدجنة تعنى

الظلمة، وغسق دجنته، تعنى، شدّة الظلام

[۱۰۸] (۵).« اوضاح» جمع وضح، على وزن شفق، بياض الصبح

[۱۰۹] (۶).« ضباب» جمع ضب، على وزن سد، الحيوان المعروف

[۱۱۰] (۷).« وجار» بمعنى، جحر

[۱۱۱] (۸).« مآقى» جمع مؤق، على وزن قفل، بمعنى طرف العين ممّا يلى الأنف، كما فسّرها البعض بمجرى الدمع الواقع فى زاوية العين، ووردت فى العبارة كإشارة إلى أنّ جفون الخفاش تغطى جميع عينه حتى زواياها. ولعل هذه العبارة إشارة إلى نقطة لطيفة وهى أنّ آخر نقطة تغلق عند غلق العين ما يلى طرف أنفه

[۱۱۲] (۹).« تبلغت» من مادة(تبلغ) بمعنى اكتفت بالشىء

[۱۱۳] (۱). سورة النبأ، الآيتان ۱۰ و ۱۱

[۱۱۴] (۱).« شظايا» جمع شظية، على وزن قضية، القطع المتفرقة

[۱۱۵] (۲).« ريش» الشىء المعروف عند الطيور

[۱۱۶] (۱). الرسالة الثقافية، ج ۷، ص ۶۵۸. ألّف هذا الكتاب العالم الغربى موريس باركر وقد ترجم إلى الفارسية من قبل« رضا أقصى» ونخبة من الكتاب المعروفين، كذلك كتاب المعجم الزولوجى الحديث للمؤلف محمد كاظم المالكى، المتحصص فى علم الأحياء، ج ۲، ص ۶۳۶ وكتاب البحث عن اللّه، لآية اللّه العظمى مكارم الشيرازى.

[۱۱۷] (۲). راجع بحارالأنوار، ج ۳، ص ۱۰۷

[۱۱۸] (۱). سند الخطبة:

لم يرد فى مصادر نهج البلاغة سند يمكن الاعتماد عليه كما فى سائر المصادر، ويبدو أنّ السند الرئيسى لهذه الخطبة ما ذكره المرحوم السيد الرضى، إلّاأنّ مضمون الخطبة على درجة من الرفعة بحيث يقوى سندها حيث يفيد عدم ترشح تلك الكلمات سوى من فكر عظيم كفكر الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام

[۱۱۹] (۱).« مريرة» من مادة(مر) على وزن حُر الطعم المعروف بمرارته

[۱۲۰] (۱).« المرجل» هو القدر

[۱۲۱] (۲).« القين» الحداد

[۱۲۲] (۱). بحارالأنوار، ج ۷۶، ص ۴۳

[۱۲۳] (۲). شرح نهج البلاغة لابن أبىالحديد، ج ۱، ص ۱۹۲ بتصرف وتلخيص

[۱۲۴] (۳). المصدر السابق، ص ۱۹۸ و ۱۹۹

[۱۲۵] (۱). العقد الفريد، ج ۵، ص ۷۹

[۱۲۶] (۱).« ابلج» من مادة(ولوج) بمعنى الوضوح، سيما ضياء أول الصبح

[۱۲۷] (۲). المعروف من شرّاح نهج البلاغة أنّ(سبيل) مبتدأ لخبر محذوف هو الإيمان، بقرينة ما ورد فى الجملةالقادمة، كما احتمل البعض أنّ المبتدأ المحذوف« سبيل الجنّة» التى وردت فى المقطع السابق، والواقع، عبارة(واما فلانة ...) ذكرت كجملة اعتراضية

[۱۲۸] (۱). بحارالأنوار، ج ۲، ص ۳۳

[۱۲۹] (۱).« مقصر» من مادة(قصر) على وزن فصل، أحد معانيه، المنع، كما يطلق المقصر على الموقف، كونه يمنعالإنسان من الحركة

[۱۳۰] (۲).« مرقل» من مادة(ارقال) بمعنى المسرع

[۱۳۱] (۱).« شخصوا» من مادة(شخوص) على وزن خلوص، بمعنى الخروج من الدار، كما وردت بمعنى، تركيز النظرعلى نقطة معينة، وكأنّ العين تريد الخروج من حدقتها، وأريد بها هنا، الخروج

[۱۳۲] (۲).« اجداث» جمع(جدث)، القبر

[۱۳۳] (۱). سورة المعارج، الآية ۴۳

[۱۳۴] (۱).« رى» بمعنى السقى

[۱۳۵] (۲).« ناقع» من مادة(نقع) على وزن نفع، تعنى فى الأصل انغمار الماء، وتعنى هنا الرى الكامل، بحيث يزول العطش

[۱۳۶] (۳).« يستعتب» من مادة(عتب) على وزن ثبت تعنى فى الأصل الانفعال الباطنى وان استعملت فى بابالاستفعال بمعنى كسب ود الطرف المقابل وكانه يطلب منه العتبى حتى يرضى ويعودالى سبيل الحق

[۱۳۷] (۴). سورة النساء، الآية ۸۲

[۱۳۸] (۱). سورة الكهف، الآية ۱

[۱۳۹] (۲). اصول الكافى، ج ۲، ص ۵۶۹

[۱۴۰] (۳). بحارالأنوار، ج ۱۵، ص ۹۲

[۱۴۱] (۱). سورة العنكبوت، الآيتان ۱ و ۲

[۱۴۲] (۱).« حيزت» من مادة(تعنى) الوصول إلى شىء إن تعدت بإلى، وعدمه إن تعدت بعن، كما فى الخطبة المذكورة

[۱۴۳] (۲).« وراء» تعنى الخلف كما تعنى أحياناً الأمام

[۱۴۴] (۱). المراد من النبيذ كما ورد فى روايات أهل البيت أنّ النبى صلى الله عليه و آله أراد الحد من برودة ماء المدينة فأمر بطرح كميّة من التمر فى ظرف كبير من الماء(لا- أن يكون الماء مضافاً) إلّاأنّ بعض المنافقين تذرع لاحقاً بهذا الموضوع وقذف بمقدار كبير من التمر حتى تخمر وخرج منه هذا الشراب الشفاف الذى يعرف بالنبيذ

[۱۴۵] (۲). بحار الأنوار، ج ۳۲، ص ۲۴۳

[۱۴۶] (۳). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۹، ص ۲۰۶

[۱۴۷] (۴). المصدر السابق

[۱۴۸] (۱).« السحت» يعنى فى الأصل، فصل القشر عن الشىء، ثم اطلق على كل مال غير شرعى ولا سيما الرشوة، لأنّ هذه الأموال تسلب الإنسان البركة على غرار الشجرة التى تذبل حين سقوط قشرها

[۱۴۹] (۱). سورة الحجرات، الآية ۱۷۰

[۱۵۰] (۲). راجع الكافى، ج ۶، ص ۴۱۶، ح ۳۰

[۱۵۱] (۱).« ردّة» على وزن مكة الرجوع عن شىء، و(ردّة) على وزن فتنة، الرجوع عن الدين، وهذا هو المعنى المراد فىالعبارة المذكورة فى الخطبة

[۱۵۲] (۲). مستدرك الوسائل، ج ۱۳، ص ۲۳۳

[۱۵۳] (۱). راجع كتاب الربا والبنوك المصرفية لسماحة المؤلّف

[۱۵۴] (۱). سند الخطبة:

رغم سمو مضامين الخطبة وألفاظها الفصيحة والبليغة التى يستبعد صدورها- على غرار سائر خطب نهجالبلاغة- عن غير الإمام المعصوم عليه السلام، مع ذلك نشير إلى بعض المصادر التى وردت بشأنها فى كتاب مصادر نهج البلاغة، فقد أشار إلى بعضها العالم اللغوى ابن الأثير فى النهاية فى مادة شول ومادة ربك، كما وردت بعض عباراتها باختلاف فى غرر الحكم والذى يفيد أنّها أخذت

من مصدر آخر غير نهج البلاغة

[۱۵۵] (۱).« الحمد» فى اللغة، بمعنى المدح على عمل أو صفة اختيارية، ولما كانت افاضته النعم على المحتاجين احدى الأعمال الحسنة فإنّ هذه المفردة ترد بمعنى الشكر أيضاً

[۱۵۶] (۱). أكدنا على هذا الاحتمال فى بحث سورة الحمد فى التفسير الأمثل واعتبرنا تسميتها من قبل الروايات بفاتحة الكتاب دليلًا على ما ذهبنا إليه

[۱۵۷] (۲). فقه السنة، ج ۲، ص ۲۳۰(كما وردت بعض الروايات بهذا الخصوص فى كتاب المغنى لابن قدامة ونيل الأوطار للشوكانى)

[۱۵۸] (۳). تفيد هذه العبارة أنّ الاحتمال الثالث أنسب الاحتمالات

[۱۵۹] (۴).« الدهر» حسب الراغب فى المفردات أنّها فى الأصل اسم لعمر العالم، ثم أطلقت على معنى أوسع يشمل الزمان وتاريخ الحياة البشرية، كما تستعمل بمعنى ناس عصر معين وخالق الزمان أيضاً

[۱۶۰] (۱).« تحدو» من مادة(حدو) و(حدى)، سوق الابل، ومطلق السوق

[۱۶۱] (۲).« ارتبك» من مادة(ربك) على وزن ربط، الاضطراب، بحيث يصعب على الإنسان النجاة

[۱۶۲] (۳). سورة الانعام، الآية ۱۲۲

[۱۶۳] (۱). سورة الحديد، الآية ۲۱

[۱۶۴] (۲). سورة الانعام، الآية ۳۱

[۱۶۵] (۱).« حمة» بالضم، على وزن قوة، بمعنى لسع الحشرات والعقارب وما شابه ذلك، كما تطلق على سمها أيضاً

[۱۶۶] (۲). سورة النساء، الآية ۱۰

[۱۶۷] (۱).« الفطن» بمعنى(الرحيل) من مكان إلى آخر

[۱۶۸] (۲).« حثثتم» من مادة(حث) على وزن وصف، الاندفاع والسرعة

[۱۶۹] (۳). سورة البقرة، الآية ۱۹۷

[۱۷۰] (۴). سورة آل عمران، الآية ۱۳۳

[۱۷۱] (۵).« ركب» جمع(راكب) تعنى فى الأصل، ركوب الدابة، إلّاأنّ معناها المتعارف، القافلة

[۱۷۲] (۶). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۶۴

[۱۷۳] (۱).« تبعة» من مادة(تبع) على وزن خبر، بمعنى المتابعة، ويطلق تبعة العمل على الجزاء الذى يطال الإنسان بعد مقارفته المعصية

[۱۷۴] (۲).« تشيب» من مادة(شيب) على وزن عيب، بمعنى بياض الشعر، وتطلق عادة على الكهول، وشيب: على وزن سيب، جمع أشيب بمعنى الكهول فى مقابل الشباب، والشبيبة بمعنى الشباب

[۱۷۵] (۳). سورة لقمان، الآية ۱۶

[۱۷۶] (۱). سورة المزمل، الآية ۱۷

[۱۷۷] (۱).« داج» من مادة(دجو) على وزن هجو، بمعنى الظلم، وليل داج، الليلة الظلماء التى لا يرى فيها القمر والنجوم

[۱۷۸] (۱).« يكنّكم» من مادة(كنّ) على وزن جن، يقال عادة للظرف الذى يحفظ فيه الشىء، ثم توسع هذا المعنى وأصبح يطلق على كل ما يحفظ الأشياء أو الأشخاص

[۱۷۹] (۲).« رتاج» و« رتج» على وزن كرج، الباب العظيم المحكم الاغلاق

[۱۸۰] (۳). سورة النور، الآية ۲۴

[۱۸۱] (۴). سورة فصلت، الآية ۲۱-/ ۲۲

[۱۸۲] (۵). سورة الانفطار، الآيات ۱۰-/ ۱۲

[۱۸۳] (۱).« مخط» من مادة(خط) بمعنى الخط والعلامة، فهو اسم مكان، والمراد به فى العبارة، المكان الذى يُخط لحفر القبر

[۱۸۴] (۱). بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۶۷؛ اصول الكافى، ج ۳، ص ۲۴۲

[۱۸۵] (۱). سورة ق، الآية ۴۲

[۱۸۶] (۲). سورة المرسلات، الآية ۳۶

[۱۸۷] (۳). سورة المؤمن، الآية ۱۶

[۱۸۸] (۴). سورة الطارق، الآية ۹

[۱۸۹] (۱). سورة الزلزال، الآية ۴-/ ۵

[۱۹۰] (۲). بحار الانوار، ج ۷۴، ص ۳۷۹

[۱۹۱] (۳). سورة النساء، الآية ۴۱

[۱۹۲] (۱). سورة النور، الآية ۴۴

[۱۹۳] (۱). سند الخطبة:

بداية هذه الخطبة كبداية الخطبة ۸۹ التى مرّت علينا فى الجزء الثالث، ومن هنا ذهب البعض إلى أنّها خطبة واحدة وقد جمعها الشريف الرضى، والحال، ليس الأمر كذلك، فهاتان الخطبتان لا تتشابهان إلّافى جملتين. على كل حال المصدر فالوحيد غير نهج البلاغة الذى ذكر أن ابن الأثير خاض فى تفسير بعض مفردات هذه الخطبة فى كتابه(النهاية) وما ذكره من عبارات تختلف عمّا جاء فى هذه الخطبة، وهذا يفيد أن ابن الأثير أخذها من مصدر آخر غير نهج البلاغة(مصادر نهج البلاغة، ج ۲، ص ۳۶۴، كما أورد الكلينى فى كتاب الكافى جانباً من هذه الخطبة بالاختلاف، راجع اصول الكافى، ج ۱، ص ۱۶۰ كذلك تفسير القمى، ج ۱، ص ۲)

[۱۹۴] (۱).« هجعة» من مادة(هجوع) النوم ليلًا، ولما كان هذا النوم أعمق فقد شبه به أوضاع أقوام الجاهلية

[۱۹۵] (۲).« مبرم» من مادة(ابرام) المحكم، من ابرام الحبل إذا أحكم فتله ثم اطلق على مطلق الأعمال المحكمة

[۱۹۶] (۱). سورة المائدة، الآية ۱۵

[۱۹۷] (۲). سورة الاعراف، الآية ۱۵۷

[۱۹۸] (۱). سورة الاسراء، الآية ۸۲

[۱۹۹] (۱).« مدر» ورد فى اللغة بمعنى الزهور المتداخلة، أحياناً والحجر والطابوق، أحياناً أخرى وبيت المدر عادةمايطلق على بيوت الحضر

[۲۰۰] (۲).« وبر» وبيت(الوبر) عادة ما يطلق على بيوت البادية

[۲۰۱] (۳).« ترحة» الغم والحزن

[۲۰۲] (۱).« علقم» شجرة ثمرتها شديدة المرارة، والتى يطلق عليها أيضاً الحنظل

[۲۰۳] (۲).« صبر» بكسر الباء، على وزن فقر، عصارة شجر مر، والتى صار يضرب بها المثل، كما يطلق على نفس الشجرة

[۲۰۴] (۳).« المقر» نبات سام، كما يطلق على كل سم

[۲۰۵] (۴).« مطايا» جمع(مطية) المركب الهنىء السريع

[۲۰۶] (۵).« زوامل» جمع(زاملة) دابة الحمل

[۲۰۷] (۱). سورة العنكبوت، الآية ۱۳

[۲۰۸] (۲).« تنخمنّها» من مادة(نخامة) وبمعنى الاخلاط التى تجتمع على الرأس والصدر ويرمى بها خارجاً

[۲۰۹] (۱). سورة الروم، الآية ۴۱

[۲۱۰] (۲). تكرر رفع هـذا الشعار فى التاريخ كثيراً، حيث ورد بشأن أبى مسلم الخراسانى(وقد قام يدعو إلى الرضا من آل محمد). كتاب شرح الأخبار للنعمان بن محمد، ج ۳، ص ۴۱۸

[۲۱۱] (۱). شرح نهج البلاغة للعلّامة التسترى، ج ۶، ص ۱۱۶

[۲۱۲] (۱). سند الخطبة:

لم يرد فى مصادر نهـج البلاغة سـند خاص غير ماورد فى نهج البلاغة، إلّاأنّ سائر الكتب التى أُلفت بعد النهج أخذتها منه، ومن ذلك ما ذكره العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار، ج ۲۱، ص ۳۴

[۲۱۳] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۲، ص ۱۲۹. قول سعيد بن العاص والى عثمان على الكوفة

[۲۱۴] (۲).« ربق» جمع ربقة، على وزن فتنة، الحبل الذى يربط به الشخص، كما فسّره البعض بالحبل الذى يشتمل‌على عدّة عقد

[۲۱۵] (۳).« حلق» جمع حلقة، معروف

[۲۱۶] (۴).« الضيم» الظلم والحيف

[۲۱۷] (۵).« أطراق» بمعنى السكوت والاغماض عن مطلب معين

[۲۱۸] (۱). سند الخطبة:

قيل فى سـند هـذه الخطبة: ذكر الزمخشرى المتوفى عام ۵۳۸ ه والـذى عاش بعـد قرن من وفاة الشـريف الرضـى رحمه الله بعض هذه الخطبة باختلاف فى كتابه(ربيع الابرار) وهذا يفيد أنّه أخذها من مصدر آخر غير نهج البلاغة(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۳۷۳)

[۲۱۹] (۱). سورة يس، الآية ۸۲

[۲۲۰] (۲). سورة النحل، الآية ۹۰

[۲۲۱] (۱). اصول الكافى، ج ۱، ص ۱۰۲

[۲۲۲] (۲).« ذرأت» من مادة(ذرء) على وزن زرع، الخلق والايجاد

[۲۲۳] (۱).« مور» على وزن قول، لها معان مختلفة فى اللغة، منها التيار السريع أو أمواج الماء

[۲۲۴] (۲).« طرف» على وزن حرف، أهداب العين

[۲۲۵] (۳).« حسير» من مادة(حسر) على وزن قصر، التعب والضعف

[۲۲۶] (۴).« مبهور» من مادة(بهر) على وزن قهر، الغلبة والحيرة

[۲۲۷] (۵). أشرنا إلى هذا المطلب فى شرح آية الكرسى فى التفسير الأمثل

[۲۲۸] (۱). التعبير بـالعظيم بـدل واللّه العظيم، لأنّه حـذف الموصوف والتركيز على الصـفة يكشف عن مـدى التاكيـد، يعنى‌أنّ هـذه الصفة للعظمة لذاته تعالى إلى درجة من الثبات وكأنّها اسم من أسمائه

[۲۲۹] (۱). اصول الكافى، ج ۲، ص ۶۸

[۲۳۰] (۲).« مدخول» من مادة(دخل) على وزن أجل، بمعنى الفساد، وعليه فالمدخول، هو المغشوش غير الخالص

[۲۳۱] (۳).« محقق» معلوم وقطعى وثابت، وورد فى العبارة المذكورة صفة لخوف- ولابدّ أن يكون مجروراً إشارة إلى أنّ خوفهم من اللّه ثـابت لا غبار عليه، ذلك لأنّه هو الـذى يؤاخـذ العباد وعليه إن خفنا اللّه ولم نعص أوامره فسوف لن نخاف أى أحـد. إلّاأنّ بعض الشـرّاح ذهبوا إلى أنّ محقق خبر كل خوف فتكلفوا مرجع الضـمير فى« فأنّه» وكذلك الاسـتثناء ومفهوم العبارة، بينما لو اعتبروا محقق صفـة لخوف لوضـح معنى العبـارة تماماً، ولعل العبارة السابقـة بشأن الرجاء قرينـة جيـدة على هـذا المعنى، بعبارة أخرى أنّ الإمام عليه

السلام قال ببطلان كل رجاء سوى رجاء اللَّه وكل خوف سوى خوف اللَّه

[۲۳۲] (۴). سورة البقرة، الآية ۱۰۲

[۲۳۳] (۱).« ضمار» الوعد البعيد، وتعنى الوعود والديون التى لا رجاء فيها

[۲۳۴] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۸۰

[۲۳۵] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۸۰

[۲۳۶] (۲). اصول الكافى، ج ۲، ص ۷۱

[۲۳۷] (۱). اصول الكافى، ج ۲، ص ۶۷

[۲۳۸] (۱).« مخازى» من جمع، مخزاة من مادة(خزى)، الفضيحة

[۲۳۹] (۱).« فطم» من مادة(فطام) منع الطفل من اللبن

[۲۴۰] (۲).« زوى» من مادة(زى) على وزن حى، الجمع والابعاد

[۲۴۱] (۳).« زخارف» جمع زخرف، على وزن هرمز، تعنى فى الأصل كل زينة مكتوبة، واطلاق الزخرف على الكلام الفارغ لما ينطوى على تزويق وتجميل

[۲۴۲] (۴). مستدرك الوسائل، ج ۱، ص ۱۷۳

[۲۴۳] (۵). اصول الكافى، ج ۲، ص ۱۲۹

[۲۴۴] (۱).« شفيف» من مادة(شفوف) رقة الشىء، بحيث يستشف ما وراءه

[۲۴۵] (۲).« صفاق» الجلد الباطن الذى فوقه جلد البطن الظاهر

[۲۴۶] (۳).« هزال» ضعف

[۲۴۷] (۴).« تشذب» بمعنى تفرق، واريد بها هنا، تفرق لحم البدن

[۲۴۸] (۵).« سفائف» جمع سفيفة، ما ينسج من سعف النخيل

[۲۴۹] (۶).« خوص» سعف النخيل

[۲۵۰] (۷). سورة ص، الآية ۲۰

[۲۵۱] (۱).« يتوسد» من مادة(وسد) جعل الشىء كالوسادة تحت الرأس

[۲۵۲] (۱). وأحياناً جمع مزمار، المعروف

[۲۵۳] (۱). اقتباس من قاموس الكتاب المقدس امستر هاكس

[۲۵۴] (۱).« مقتص» من مادة(قص) على وزن نص، قطع الشىء وقصه، كما وردت بمعنى متابعة الشىء، قصة أيضاً بمعنى متابعة حادثة، ومنه القصاص أيضاً

[۲۵۵] (۲).« اقضم» تعنى فى الأصل لوك الأشياء الجافة مقابل الخصم للأشياء الرطبة وابتلاعها، وأريد بها هنا قلّةالاستفادة من الدنيا

[۲۵۶] (۳).« اهضم» من مادة(هضم) على وزن قدم، بمعنى الضعف للبدن، ومنه هضم الطعام حيث تضمر البطن بعدالهضم، ومنه ضمور الخاصرة والبطن

[۲۵۷] (۴).« كشح» الخاصرة

[۲۵۸] (۵).« اخمص» من مادة(خمص) على وزن شمس، خلو البطن اثر الجوع

[۲۵۹] (۶). الفارق بين التصغير والتحقير، أنّ الحقير يطلق عادة بشأن الكيفية؛ مثلًا يعتبر الإنسان المحروم من العلموالمعرفة والصفات الحميدة حقيراً، أمّا الصغير فيطلق على الشىء القليل من حيث الكمية كالإنسان الصغير العمر وما شابه ذلك، إشارة إلى عدم قيمة

الدنيا وقلتها

[۲۶۰] (۱). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۲۲۶

[۲۶۱] (۲). نهج البلاغة، الرسالة ۵۳

[۲۶۲] (۱). يستفاد من المطالعات التاريخية أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان عادة ما يركب أحداً خلفه، أحياناً اسامة وأخرى الفضل‌بن العباس وسائر الأفراد من الصحابة حتى بلغ عددهم حسب ما أورده المؤرّخون ۳۳ شخصاً(انظر شرح العلّامة التسترى لنهج البلاغة، ج ۲، ص ۴۳۷) كما ورد فى الحديث أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان يستقبله الأطفال حين يعود من المدينة فكان يأمر بإركابهم خلفه وأمامه، وكان يوصى أصحابه بإركابهم، فكانوا يفخرون بركوبهم على مركب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله(المحجة البيضاء، ج ۳، ص ۳۶۶)

[۲۶۳] (۱).« يخصف» من مادة(خصف) على وزن وصف، رقع الشىء وخياطة القطع. وتعنى هذه المفردة فى الأصل ضم‌الشىء إلى آخر ومن هنا تطلق على خياطة الحذاء والثوب

[۲۶۴] (۲).« يرقع» من مادة(رقع) على وزن رفع، بمعنى وصل الشىء

[۲۶۵] (۳).« يردف» من مادة(ردف) على وزن حرف الكون خلف شىء، ومن هنا يقال لمن يركب خلف غيره رديف

[۲۶۶] (۴). اصول الكافى، ج ۲، ص ۲۷۱ بتلخيص

[۲۶۷] (۵). تاريخ بغداد للخطيب البغدادى، ج ۲، ص ۲۹۳ ولكن ورد فى هذا الحديث كلمة النمرقة بدل الستر

[۲۶۸] (۱).« رياش» جمع ريش، تعنى فى الأصل، ريش الطيور، ولما كان ذلك الريش ثوبه الطبيعى الجميل فإنّها تطلق‌أحياناً على كل ثوب جميل كما تطلق على كل زينة، والمعنيان محتملان فى العبارة المذكورة

[۲۶۹] (۲). اصول الكافى، ج ۲، ص ۱۳۴(لابدّ من الالتفات هنا إلى أنّ العبارة(قال تحتها) من القيلولة، بمعنى الاستراحة والنوم عند منتصف النهار)

[۲۷۰] (۳).« أشخصها» من مادة(شخوص) على وزن خلوص، تعنى فى الأصل التركيز فى النظر على نقطة، ويفيد عادةالخوف ثم اطلقت على اخراج شخص من مكانه فجأة

[۲۷۱] (۱).« خاصة» بمعنى(قرابة الإنسان)، شرّاح نهج البلاغة فسّروا(خاصة) اسم الفاعل بالمعنى المصدرى والمفهوم‌أنّه جاع رغم خصوصيته عند اللَّه تعالى، لكنه لا يبدو مستقيماً

[۲۷۲] (۲).« زويت» من مادة(زى) على وزن حى، قبض الشىء وأبعاده

[۲۷۳] (۳).« زلفة» بمعنى المقام والمنزلة

[۲۷۴] (۴). سورة الزخرف، الآية ۳۱

[۲۷۵] (۵). سورة الزخرف، الآيات ۳۳-/ ۳۵

[۲۷۶] (۶).« فتأسى» وردت فى أغلب نسخ نهج البلاغة(تأسّ) كفعل ماض، لكن يستفاد منها معنى الأمر بقرينة العبارة(وإلّا فلا يأمن الهلكة)، لكنّها وردت بصيغة فعل الأمر فى بعض النسخ« فتأسى»

[۲۷۷] (۱).« رقعت» من مادة(ترقيع) معروفة، وتستعمل اليوم بخصوص تطعيم الأعضاء

[۲۷۸] (۲).« مدرعة» ثوب الصوف

[۲۷۹] (۳).« اغرب» من مادة(غروب) اذهب وابعد

[۲۸۰] (۱). كتب أغلب شرّاح نهج البلاغة كلمة« يَحمد» على شكل فعل معلوم، لأنّهم اعتبروا لكلمة(سرى) معنىً مصدرياً، يعنى(السير فى الليل) وفى هذه الصورة يكون مفهوم الجملة: يحمد السير فى الليل والسائرون يحمدون اللَّه تعالى عندما يصلون إلى

مقاصدهم، ولكن فى بعض النسخ« يَحمد» جاءت بشكل فعل مجهول، عندئذٍ تكون كلمة(سرى) بمعنى الوصف، يعنى(السائرين فى الليل)، وفى هذه الصورة يكون مفهوم الجملة: عند الصباح يحمد السائرين فى الليل، البتة النتيجة فى المفهومين واحدة

[۲۸۱] (۲). روى المرحوم الكلينى فى أصول الكافى، ج ۲، ص ۳۱۷ حديثاً فى باب حبّ الدنيا عن الإمام السجاد عليه السلام شرح فيه المصادر السبعة للذنب حتى ورد فى آخره:« فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة»

[۲۸۲] (۱). الغدير، ج ۸، ص ۲۸۲

[۲۸۳] (۲). أصول الكافى، ج ۲، ص ۱۲۸

[۲۸۴] (۱). سند الخطبة:

يبدو أنّ لهذه الخطبة سنداً غير نهج البلاغة، كما لم يعثر صاحب مصادر نهج البلاغة على سند آخر، مع ذلك رواها بعض الأعلام مِمّن عاش بعد المرحوم السيد الرضى كالعلّامة المجلسى وآخرين(نحن أيضاً بحثنا فى الحاسوب ولم نعثر على مصادر أخرى لهذه الخطبة)

[۲۸۵] (۱).« البادى» على وزن(النادى)، بمعنى الواضح والجلى بصورة تامة، ووصف شريعة النبى بالبادية إشارة إلى أنّ أوامره وتعاليمه تحظى بقبول العقلاء

[۲۸۶] (۱).« طيبة» بمعنى الطاهرة، ويستفاد من لسان العرب أنّ النبى صلى الله عليه و آله دعاها بهذا الاسم(بمناخها المعتدل وكثرةاشجارها وإيثار أهلها) ونهى عن بقاء اسم يثرب لأنّه يعنى فى الأصل الفساد

[۲۸۷] (۱).« متلافى» من مادة(تلافى) بمعنى تدارك، وتأتى بمعنى معالجة الفساد، وهذا هو المعنى المراد بها فى هذهالعبارة

[۲۸۸] (۲).« مدخولة» من مادة(دخول) إشارة هنا إلى البدع التى كانت تنسبها الجاهلية إلى اللّه. أو من مادة دخل، علىوزن دغل، بمعنى الفساد، لأنّ هذه البدع مصدر فساد الفرد والمجتمع

[۲۸۹] (۳).« المفصولة» من مادة(فصل) واطلقت على الكلام والقضاء الذى يميز الحق من الباطل ويمكن أن يكون المراد بها المعنيان معاً؛ الأول إنّ أحكام الشريعة بيّنت بصورة منفصلة والآخر، فصل الحق عن الباطل،(تكون الجملة فى الأول اسم المفعول وفى الثانى اسم الفاعل)

[۲۹۰] (۱). وردت هذه الكلمة فى غرر الحكم، ح ۱۰۱۸۹ لعلى عليه السلام أنّه قال:« لا تَنْظُرْ إِلى مَنْ قَالَ وَانْظُرْ إِلىٰ ما قَالَ»

[۲۹۱] (۲). سورة التوبة، الآية ۱۲۸

[۲۹۲] (۱). سورة الأعراف، الآية ۱۵۷

[۲۹۳] (۱).« منجاة» من مادة(نجاة) اسم مكان بمعنى موضع النجاة، ولها معنى مصدرى، ونجاة، بمعنى الخلاص

[۲۹۴] (۱).« رهب» من مادة(ترهيب) بمعنى التخويف.

[۲۹۵] (۲).« أسبغ» من مادة(اسباغ) بمعنى الإتيان بالعمل بصورة تامة، و اطلقت على النعمة التامة و الوضوء التام.

[۲۹۶] (۳). سورة الحديد، الآية ۲۰

[۲۹۷] (۱). سورة آل عمران، الآية ۱۴۰

[۲۹۸] (۲).« غضوا» من مادة(غض) على وزن حظ، بمعنى الحد والتقليل، وغض البصر، بمعنى عدم تركيز الإنسان علىالشىء فى النظر إليه، بل يخفض عينيه إلى الأسفل

[۲۹۹] (۳).« كادح» من مادة(كدح) على وزن مدح، السعى المصحوب بالمشقة

[۳۰۰] (۴). اصول الكافى، ج ۲، ص ۳۱۶

[۳۰۱] (۵). حاشية الكافى، ج ۲، ص ۳۱۶، كدود فى البيت الثانى صيغة مبالغة من مادة(كد) يعنى الجهد

[۳۰۲] (۱).« مصارع» جمع مصرع، موضع الوقوع على الأرض ويطلق أيضاً على المقتل

[۳۰۳] (۲).« أوصال» جمع وصل، على وزن قفل، العظام وانسجة الأعصاب التى تربط الأعضاء

[۳۰۴] (۳). منهاج البراعة، ج ۹، ص ۴۱۲

[۳۰۵] (۴).« جدد» من مادة(جد) على وزن خط، القطع وطى الطريق المستوى، ويقال للطريق المحكم والمستوى، الجادة

[۳۰۶] (۱). منهاج البراعة، ج ۹، ص ۴۱۲

[۳۰۷] (۱). سند الخطبة:

ذكر هذا لعلى عليه السلام قبل السيد الرضى، المرحوم الشيخ الصدوق فى كتابه الامالى فى سبب ترك الناس لعلى عليه السلام والطبرى فى المسترشد والمرحوم الشيخ المفيد فى الإرشاد، كما ذكروا أنّ السائل هو(ابن دودان).(مصادر نهج البلاغة، ج ۲، ص ۳۷۷)

[۳۰۸] (۱).« سدد» بمعنى الاستقامة

[۳۰۹] (۲).« ذمامة» الحق والحرمة

[۳۱۰] (۳).« بنو أسد» قبيلة معروفة بالقتال بالجاهلية والإسلام. عاشت هذه القبيلة قرب نجد واعتنقت الإسلام وقاتلتإلى جانب سعد بن أبى وقاص فى القادسية وقدمت العديد من القتلى. وتاريخ بنى أسد مليء بالأحداث وقد سارعت فئة من بنى أسد لدفن أجساد شهداء كربلاء، كما كانت فئة منهم فى جيش عبيد اللّه بن زياد

[۳۱۱] (۱).« نوط» بمعنى التعلق والالتصاق

[۳۱۲] (۲).« أثرة» بمعنى الاختصاص بالشىء(الاحتكار) دون الغير المستحق على العكس من الإيثار الذى يعنى تقديم الغير على الذات

[۳۱۳] (۳).« شحت» من مادة(شح) بمعنى البخل

[۳۱۴] (۴).« سخت» من مادة(السخاء)

[۳۱۵] (۵).« معود» اسم مكان، موضع العودة

[۳۱۶] (۱).« حجرات» جمع حجرة، على وزن ضربة، بمعنى الناحية

[۳۱۷] (۲). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۶، ص ۲۴۴

[۳۱۸] (۱).« هلم» تركيب من هاء التنبيه ولم، بمعنى اجمع، وتستعمل هذه المفردة كلمة واحدة بمعنى تعال إلينا وإلىجانبنا

[۳۱۹] (۲).« خطب» على وزن ختم، بمعنى الأمر العظيم، ومنه الخطاب والمخاطبة حيث الحوار المهم

[۳۲۰] (۱).« غرو» بمعنى، التعجب

[۳۲۱] (۲).« يستفرغ» من مادة(فراغ) تعنى هنا، الاخراج ومعنى العبارة، يستفرغ العجب أنّه يزيل أى عجب ولا يترك له من مكان

[۳۲۲] (۳).« أود» من مادة(أود) على وزن قول، بمعنى العوج، وأود على وزن سند، بمعنى الاعوجاج

[۳۲۳] (۴). شرح نهج البلاغة لابن أبىالحديد، ج ۹، ص ۲۴۷

[۳۲۴] (۵).« فوار» صيغة مبالغة بمعنى كثير الفوران، كما تعنى عين الماء والثقب الذى يخرج منه الماء بشدّة

[۳۲۵] (۶).« جدحوا» من مادة(جدح) على وزن مدح، بمعنى، الخلط والمزج

[۳۲۶] (۷).« وبيئا» الشىء الذى يكثر فيه الوباء، طبعاً يطلق الوباء أحياناً على مرض خاص، وأخرى على كل مرض، والمعنى الثانى هو المراد فى الخطبة

[۳۲۷] (۱). سورة الصف، الآية ۸.

[۳۲۸] (۱). سورة النحل، الآية ۴۳؛ سورة الأنبياء، الآية ۷

[۳۲۹] (۲). نهج البلاغة، القصار الكلمات، الكلمة ۸۲

[۳۳۰] (۳). الكافى، ج ۱، ص ۴۱

[۳۳۱] (۱). الكافى، ج ۱، ص ۴۰

[۳۳۲] (۲). ميزان الحكمة، ج ۴، ح ۸۰۳۹

[۳۳۳] (۳). المصدر السابق، ح ۸۰۴۱

[۳۳۴] (۴). راجع كتاب توحيد الصدوق، ص ۸۳ باب« معنى الواحد والتوحيد»

[۳۳۵] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۹، ص ۲۴۸

[۳۳۶] (۱). ورد فى شرح ابن أبى الحديد أنّه قال: لا واللّه إلّادفناً دفناً

[۳۳۷] (۲). مروج الذهب، ج ۳، ص ۴۵۴؛ شرح نهج‌البلاغة، ج ۵، ص ۱۲۹

[۳۳۸] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۸، ص ۱۸۵ حوادث عام ۲۸۴ هجرية لرسالة كتبت للمعتضد العباسى فى فضائح معاوية

[۳۳۹] (۲). مروج الذهب، ج ۱، ص ۴۰۳

[۳۴۰] (۳). الاستيعاب، ج ۲، ص ۶۹

[۳۴۱] (۱). سند الخطبة:

ذكر أبو نعيم الإصفهانى فى حلية الأولياء والواسطى فى عيون الحكم والمواعظ والزمخشرى فى ربيع الأبرار جوانب من هذه الخطبة

[۳۴۲] (۱).« ساطح» من مادة(سطح) بمعنى معروف، ويقال ساطح، لمن يجعل الشىء مسطحاً

[۳۴۳] (۲).« مهاد» و« مهد» بمعنى الفراش، وتطلق على الأرض موضع السكن والاستراحة، وهذا هو المعنى المراد

[۳۴۴] (۳).« وهاد» جمع وهدة، بمعنى الأراضى المنخفضة

[۳۴۵] (۴).« مخصب» من مادة(خصب) على وزن غضب، بمعنى كثرة النبات، وعليه فالمخصب تطلق على الشخص الذى يملأ الأرض نباتاً وبركة

[۳۴۶] (۵).« نجاد» جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض، ومصدرها نجود

[۳۴۷] (۶). سورة النبأ، الآية ۶

[۳۴۸] (۱). سورة الحديد، الآية ۳

[۳۴۹] (۲). وردت هذه العبارة ضمن خطبة أخرى وبصيغة أخرى فى أصول الكافى والتى تدعم التفسير الأول وهى« حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَ، وإِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا»(أصول الكافى، ج ۱، ص ۱۳۵)

[۳۵۰] (۱). بحار الأنوار، ج ۶۶، ص ۲۹۲

[۳۵۱] (۲).« شبح» بمعنى الشخص، وتطلق أحياناً على الشخص الذى لا يبدو واضحاً من بعيد

[۳۵۲] (۳).« يتقصى» من مادة(قصو) على وزن قصد، بمعنى الإبتعاد، وتعنى أيضاً، البحث والتحرى عن الشىء

[۳۵۳] (۴).« يحوى» من مادة(حواية)، الاستيلاء على الشىء

[۳۵۴] (۱).« شخوص» بمعنى التركيز فى النظر على الشىء

[۳۵۵] (۲).« ازدلاف» بمعنى الاقتراب والصعود من نقطة مرتفعة، ويقال(المزدلفة) للمشعر الحرام لاقتراب الناس‌هناك من منى أو اقترابهم من اللّه بهذه العبادة

[۳۵۶] (۳).« ربوة» الموضع المرتفع

[۳۵۷] (۴).« داج» من مادة(دجو) على وزن علو، المظلم، وليل داج، الليلة المظلمة الخالية من القمر

[۳۵۸] (۵).« غسق» شدة الظلمة، وتطلق هذه المفردة على منتصف الليل لشدّة ظلمته

[۳۵۹] (۶).« ساج» الساكن، والمراد من الغسق الساج، الظلام الطويل والمستمر

[۳۶۰] (۷).« يتفيأ» من مادة(فيئ) على وزن غيب، العودة، وتفيأ بمعنى، الإنتقال والذهاب والإياب

[۳۶۱] (۸).« كرور» له معنى مصدرى، الرجوع

[۳۶۲] (۱). شرح نهج البلاغة للعلّامة التسترى، ج ۱، ص ۲۷۳

[۳۶۳] (۲). إعتبر أغلب شرّاح نهج البلاغة أنّ هذه العبارة مستقلة تشير إلى عدم حدود الذات المقدّسة، إلّاأنّ هذا التفسير لا يبدو صحيحاً، لأنّه لو كان كذلك لقال(بعد كل غاية ومدّة) أى أنّ ذاته موجودة بعد كل نهاية كما هى موجودة قبل كل بداية. أمّا من فسّرها كما أوردنا فهو العالم المعروف محمد عبدة فى شرحه لنهج البلاغة حيث ربط هذه العبارة بعبارة(لا يخفى) وهذا ما عليه ظاهر عبارة العلّامة الجعفرى

[۳۶۴] (۳).« تاثل» بمعنى عمران المسكن، ومن مادة اثل على وزن أمل، شجرة معروفة

[۳۶۵] (۱). اصول الكافى، ج ۱، ص ۱۰۰ باب النهى عن الصفة

[۳۶۶] (۲). بحارالأنوار، ج ۳، ص ۱۵ للوقوف على المزيد راجع نفحات القرآن، ج ۳، ص ۱۴۹

[۳۶۷] (۱). سورة يونس، الآية ۶۱

[۳۶۸] (۲). سورة فاطر، الآية ۴۴

[۳۶۹] (۳). سورة الحجر، الآية ۲۴

[۳۷۰] (۱).« سوى» من مادة(تسوية) التنظيم والرعاية لتناسب أجزاء الشىء

[۳۷۱] (۲).« مرعى» على وزن منفى، بمعنى الشىء الذى يرعى ويحافظ عليه

[۳۷۲] (۳).« سلالة» من مادة(سل) على وزن حل، عصارة الشىء وخلاصته، ومنه معنى الإختيار أيضاً

[۳۷۳] (۴).« مكين» من مادة(مكانة) بمعنى المنزلة وبمعنى الشخص أو الشىء الذى له منزلة واستقرار وثبات وتحت‌تصرفه جميع وسائل العمل

[۳۷۴] (۵).« تمور» من مادة(مور) على وزن قول، بمعنى الحركة السريعة، كما وردت بمعنى الذهاب والإياب. وورد هذاالتعبير بشأن الجنين بسبب كونه دائم الحركة داخل الرحم

[۳۷۵] (۶).« تحير» من مادة(حوْر) على وزن غوْر، بمعنى الذهاب والإياب، وكذلك وردت هذه المادة بمعنى الحوار فى‌الكلام، فعليه(لا تحير) فى العبارة المذكورة بمعنى أنّ الجنين لا يردّ على أى كلام ولا يقدر على بيان حاجاته

[۳۷۶] (۱).« اجترار» من مادة(جر) بمعنى الجر الشىء وسحبه

[۳۷۷] (۲).« هيهات» اسم فعل يفيد البعد

[۳۷۸] (۱). سورة الزمر، الآية ۶

[۳۷۹] (۲). سورة المؤمنون، الآيات ۱۲- ۱۴

[۳۸۰] (۳). بحار الأنوار، ج ۳، ص ۱۶۲

[۳۸۱] (۱). بحارالأنوار، ج ۳، ص ۱۶۲

[۳۸۲] (۱). سند الخطبة:

كما ورد سابقاً حين إزداد حجم المخالفات فى أجهزة حكومة عثمان وظهرت للقاصى والدانى، اجتمع الناس إلى أمير المؤمنين عليه

السلام وطلبوا منه أن يكون سفيرهم إلى عثمان فيعظه وينصحه. وقد نقل هذا الكلام قبل السيد الرضى، البلاذرى فى(أنساب الأشراف) والطبرى المؤرّخ المعروف(فى حوادث سنة ۳۴ هجرية)، وابن عبد ربّه فى(العقد الفريد) والمرحوم الشيخ المفيد فى(الجمل).(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۳۸۷)

[۳۸۳] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۴۰۰ و ۴۰۱، فى بيان حوادث سنة ۳۵

[۳۸۴] (۲).« استسفرونى» من مادة(سفارة) والسفير، يقال لشخص يقوم بالوساطة بين شخصين أو بلدين

[۳۸۵] (۳). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۹، ص ۲۶۳

[۳۸۶] (۱). الغدير، ج ۶، ص ۲۶۳

[۳۸۷] (۲). الغريب أنّ كلمة« أبى» التى وردت فى نسخة صبحى الصالح لم ترد فى أى من سائر النسخ. فلم ينقلها هناالمرحوم الشارح البحرانى والخوئى والعلّامة الجعفرى ومحمد عبده وابن أبى‌الحديد ومغنية والتسترى وصاحب مصادر نهج البلاغة، ويبدو أنّها من زلات صبحى الصالح، سيما بالنظر إلى أنّ مثل هذه التعبيرات لم ترد فى كلمات على عليه السلام بالنسبة للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله

[۳۸۸] (۱). كان عثمان زوج رقية بعد أم كلثوم بنتى النبى صلى الله عليه و آله

[۳۸۹] (۱). ميزان الحكمة، ج ۶، ح ۱۱۹۷۳

[۳۹۰] (۱). روى الطبرى هذه الخطبة مع الحديث فى(تاريخه)، ج ۳، ص ۳۷۶ حوادث سنة ۳۴

[۳۹۱] (۲).« أنشد» بصورة ثلاثى مجرّد على وزن أقتل من مادة(نشد)، على وزن قتل، بمعنى التذكير والطلب وإنشادضالة، بمعنى كسب الإطلاع من الناس بشأن الضالة

[۳۹۲] (۱). سنن أبى داود، ج ۴، ح ۴۲۵۲

[۳۹۳] (۲).« يموجون» من مادة(موج) بمعنى الحركة، كما تستعمل بمعنى الاضطراب والحيرة والكناية

[۳۹۴] (۳).« يمرجون» من مادة(ورج) على وزن فلج، بمعنى الاختلاط أو البعث والترك، ولما كان الاختلاط وتركالشىء يؤدّى إلى الفساد، فإنّ هذه المفردة تستعمل بمعنى الفساد

[۳۹۵] (۴). يفهم من بعض كلمات شرّاح نهج البلاغة أنّ هذه العبارة جزء من حديث النبى صلى الله عليه و آله لكن بالنظر إلى أنّالحديث المذكور ورد فى بعض المصادر المعروفة(كسنن أبى داود) دون ذيلها، فالذى يستفاد أنّ حديث النبى صلى الله عليه و آله ينتهى بالعبارة(إلى يوم القيامة)

[۳۹۶] (۱). نفحات الولاية، ج ۱، ص ۲۴۴ علل القيام ضد عثمان، ج ۲، ص ۱۵۲ عوامل قتل عثمان وكذلك الجزء الثانى بعنوان الأعمال التى مارسها عثمان ودعت إلى الغضب العارم

[۳۹۷] (۲).« سيقة» على وزن(سيدة) صفة مشبهة من مادة سوق، على وزن فوق، بمعنى ما يستاق من الدواب إلى هذا الجانب أو ذاك، وتعنى أحياناً ما يستاقه العدو من الحيوانات

[۳۹۸] (۳).« جلال» بمعنى الكبر، وجلال السن، بمعنى السن الرفيعة

[۳۹۹] (۴). تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۴۴۱ وهنالك أقوال أخرى فى سن عثمان آنذاك وأغلبها ترى أنّ عمره كان ۸۲ سنة

[۴۰۰] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۴۰۴ حوادث سنة ۳۵ هجرى

[۴۰۱] (۱). تاريخ الطبرى حسب نقل ابن أبى‌الحديد، ج ۸، ص ۲۶۴

[۴۰۲] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۹، ص ۲۶۵

[۴۰۳] (۲). راجع بشأن قتل عثمان وأسباب القيام عليه وأعماله التى جعلت العامة تنقم عليه الجزء الأول والثانى من هذا الكتاب فى

الصفحات التى ذكرتها سابقاً

[۴۰۴] (۱). سند الخطبة:

روى الزمخشرى من أعلام القرن السادس بعض هذه الخطبة فى كتابه« ربيع الأبرار» حيث نقل أغلب كلمات الإمام عليه السلام باختلاف بحيث يفهم أنّه رواها من مصدر آخر غير نهج البلاغة، ورغم أنّه عاش بعد الشريف الرضى لكن من المستبعد أن يستند إلى كتب الشيعة لموقفه المعادى لهم، وفسر ابن اثير بعض مفردات هذه الخطبة فى كتابه(النهاية)، ويفهم من عباراته أنّه اقتبسها من مصدر آخر، ذلك لأنّه ذكر كلمات لم ترد فى الخطبة التى رواها السيد الرضى(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۰۰)

[۴۰۵] (۱).« نعقت» من مادة(نعق) على وزن برق، تعنى فى الأصل صوت الغراب، ثم أُطلقت على الأصوات التى تقال‌لأمر الحيوانات ونهيها عن الحركة

[۴۰۶] (۲).« ذرأ» من مادة(ذرأ) على وزن زرع، الخلق والإيجاد

[۴۰۷] (۳).« أخاديد» جمع(أخدود) الشق الواسع والعميق فى الأرض ويطلق على الوادى

[۴۰۸] (۴).« خروق» جمع(خرق) على وزن زرع، الصحراء الواسعة، كما تعنى الشقوق

[۴۰۹] (۵).« فجاجها» جمع(فج) على وزن حج، الطريق الواسع، وتعنى فى الأصل الوديان الواسعة بين الجبال والتى كانت تجتازها القوافل

[۴۱۰] (۶).« رواسى» جمع(راسية) تعنى الثابت والراسخ، ولذلك تطلق على الجبل

[۴۱۱] (۷).« أعلام» جمع(علم) على وزن قلم، بمعنى العلامة وتطلق على القمم والجبال

[۴۱۲] (۸). احتمل البعض بشأن إعراب ما ذرأ أنّها عطف على(ما انقادت)، كما قالوا إنّها معطوفة على الضمير فى دلائله أو كلمة دلائله، ولا يبدو هذا الأحتمال مستبعداً أنّها مبتدأ لخبر محذوف وتقدير الجملة وما ذرأ ... من آثار صنعه وعظمته

[۴۱۳] (۱).« مصرفة» من مادة(صرف) على وزن حرف، بمعنى التغيير وتأتى معرفة بمعنى الأشكال المختلفة

[۴۱۴] (۲).« مرفرفة» من مادة(رفرفة) بمعنى الجناح، وبسطه، كما وردت بمعنى القماش الجميل والملون، والمعنى الأول هو المراد فى العبارة

[۴۱۵] (۳).« مخارق» جمع(مخرق) على وزن مشرب، الفلاة والصحراء الشاسعة

[۴۱۶] (۴).« منفسح» من مادة(فسح) على وزن مسح، بمعنى الوسيع

[۴۱۷] (۵). سورة النحل، الآية ۷۹

[۴۱۸] (۶).« حقاق» جمع(حق) على وزن، حب، مجتمع المفصلين

[۴۱۹] (۷).« عبالة» بمعنى الثقل والضخامة

[۴۲۰] (۸).« خفوف» السرعة والخفة التى تكون غالباً لازماً وملزوماً

[۴۲۱] (۱).« دفيف» بسط الجناح و لما كانت الطيور تبسط اجنحتها قرب سطح الأرض فإنّ هذه المفردة تطلق على مرور الطائر فوق الأرض.

[۴۲۲] (۲).« نسقها» من مادة(نسق) على وزن غسق، الترتيب سواء فى الصفوف أو العبارات و الكلمات و غيرها.

[۴۲۳] (۳).« أصابيغ» جمع اصباغ، و اصباغ جمع صبغ، على وزن فعل اللون.

[۴۲۴] (۴).« مغموس» من مادة(غمس) على وزن لمس، غمر الشيء فى الماء، و قد شبّه الإمام لون الطيور و كأنّها مرتبة فى قالب من اللون فأخرجت بهذا الشكل.

[۴۲۵] (۵).« قالب» على وزن فالَج، ما يصب فيه الفلز ليظهر بالشكل المطلوب

[۴۲۶] (۱). القاموس الثقافى وكتب أخرى

[۴۲۷] (۱). فى ضلال نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۶۷

[۴۲۸] (۱).« نضد» من مادة(تنضيد) بمعنى نظم الأشياء وترتيبها مع بعضها

[۴۲۹] (۱).« اشرج» من مادة(اشراج) بمعنى خلط الأشياء مع بعضها أو إدخال الحبال والخيوط بكيس أو صندوق مع بعضها وإحكام غلقها

[۴۳۰] (۲).« قصب» بمعنى ساق النبات الأجوف

[۴۳۱] (۳).« مسحب» من مادة(سحب) على وزن(سهو) السحب على الأرض، وله هنا معنى المصدر أو اسم المصدر

[۴۳۲] (۴).« درج» من مادة(درج) على وزن خرج، المشى إلى موضع معين أو صعود السلم، والمعنى الأول هو المراد فى‌عبارة الخطبة، كما يطلق على حركة الطفل البطيئة

[۴۳۳] (۵).« طى» بمعنى اللوى من طيه، وفى الخطبة بمعنى بعد طيه، إشارة إلى أنّ الطاووس يفتح جناحيه المركبين

[۴۳۴] (۶).« مطل» من مادة(طل) على وزن حل، بمعنى المشرف والنظر من الأعلى والمعنى الأول هو المراد فى العبارة

[۴۳۵] (۷).« قلع» شراع السفينة

[۴۳۶] (۸).« دارى» ينسب إلى(دارين) فى البحرين مركز تجارة المسك ومفهوم العبارة أنّ الطاووس ينشر مظلته كأنّه شراع السفينة التى تجلب العطر من دارين

[۴۳۷] (۹).« عنج» من مادة(عنج) على وزن رنج، السحب والغلق

[۴۳۸] (۱۰).« نوتى» ربان السفينة من مادة(نوت) على وزن فوت الحركة هنا وهناك واطلاق هذه المفردة على الربان لأنّه يحرك السفينة كيفما يشاء

[۴۳۹] (۱).« يختال» من مادة(اختيال) بمعنى التكبر والغرور الذى يظهر عادة من الخيال الفارغ

[۴۴۰] (۲).« يميس» من مادة(ميس) على وزن حيث الحركة والغرور

[۴۴۱] (۳).« زيفان» المشى المتبختر تأكيد لعبارة يميس

[۴۴۲] (۴).« يفضى» من مادة(افضاء) كناية عن اللقاح وتعنى فى الأصل التوسعة

[۴۴۳] (۵).« يؤر» من مادة(أر) على وزن شر، الجماع واللقاح

[۴۴۴] (۶).« ملاقح» جمع ملقحة، من مادة(اللقاح)، الآلة التناسلية وتعنى الحمل

[۴۴۵] (۷).« مغتلمة» من مادة(غلمة) على وزن لقمة، شدة الشهوة، وفحول مغتلمة بعض الحيوانات التى تندفع من شبقية الشهوة

[۴۴۶] (۸).« الضراب» لقاح الفحل لأنثاه

[۴۴۷] (۹).« تسفح» من مادة(سفح) على وزن محو، نبع الدموع والسفاح، سفك الدم

[۴۴۸] (۱۰).« مدامع» جمع مدمع، على وزن منبر، مجرى الدمع

[۴۴۹] (۱۱).« ضفة» ساحل النهر أو البحر، حيث شبه الأجفان بجانبى النهر

[۴۵۰] (۱۲).« جفون» جمع جفن، معروفة فى العين

[۴۵۱] (۱۳).« منبجس» من مادة(انبجاس) وأصله بجس على وزن نحس، نبع الماء بصورة رقيقة وشفافة

[۴۵۲] (۱۴).« مطاعمة» من مادة(طعم) بمعنى تناول الطعام مع الآخرين، ومن ثم أطلق على عمل الطيور التى تضع مناقيرها فى مناقير الأخرى وكأنّ كل واحد يطعم الآخر

[۴۵۳] (۱). وعليه فما ذكر جواب القضية الشرطية« ولو كان ...» جملة« لما كان ذلك بأعجب ...»

[۴۵۴] (۲). شرح نهج البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۹، ص ۲۷۰

[۴۵۵] (۱).« قصب» بمعنی عمود الریش

[۴۵۶] (۲).« مداری» جمع مدری، علی وزن املاء، بمعنی المشط

[۴۵۷] (۳).« دارت» جمع دارة، بمعنی الحلقة أو الهالة لطرف القمر

[۴۵۸] (۴).« عقیان» بمعنی الذهب

[۴۵۹] (۵).« فلذ» جمع فلذة، علی وزن بدعة، بمعنی القطعة

[۴۶۰] (۶).« زبرجد» حجر ثمین للزینةله عدّة ألوان و أشهره الأخضر، و من هنا یُشبَّه کل شیء أخضر اللون جمیل بالزبرجد

[۴۶۱] (۱).« جنی» بمعنی الحصاد، وقیل باقة الزهور

[۴۶۲] (۲).« ظاهیته» من مادة(مظاهاة) بمعنی، التشبیه

[۴۶۳] (۳).« موشی» بمعنی المنقوش من مادة(وشی)، بمعنی النقش والنمیمة أیضاً

[۴۶۴] (۴).« مونق» بمعنی الجمیل والعجیب من مادة انق

[۴۶۵] (۵).« فصوص» جمع فص علی وزن نص، فص الخاتم

[۴۶۶] (۶).« لجین» بمعنی الفضة

[۴۶۷] (۷).« مکلل» ذوتاج من مادة(إکلیل)، بمعنی التاج، کما یطلق علی ما یزین بالمجوهرات

[۴۶۸] (۱).« مرح» بمعنی سکر النعمة والقدرة، من مادة(مرح) علی وزن فرح، بمعنی شدّة السرور

[۴۶۹] (۲).« مختال» المتکبر والزاهی بنفسه، من مادة(خیال)

[۴۷۰] (۳). قال الراغب فی المفردات: الثوب ویطلق علی مطلق اللباس

[۴۷۱] (۴).« أصابیغ» جمع أصباغ، و« أصباغ» جمع صبغ، بمعنی اللون

[۴۷۲] (۵).« وشاح» شریط عریض جمیل یلقی علی الکتف ویحمل

[۴۷۳] (۶).« زقا» من مادة(زقو) علی وزن ضعف، بمعنی الصیام

[۴۷۴] (۷).« معول» بمعنی رفع صوته بالبکاء، وأصله عویل

[۴۷۵] (۸).« حمش» جمع أحمش الشخص أو الشیء النحیف الرجل کما وردت بمعنی اللون الغامق

[۴۷۶] (۹).« الخلاسی» الدیک المتولد من دجاجتین هندیة وفارسیة

[۴۷۷] (۱۰).« نجمت» من مادة(نجم) علی وزن حجم، بمعنی نبتت

[۴۷۸] (۱۱).« ظنبوب» الإنحراف والإعوجاج

[۴۷۹] (۱۲).« صیصیة» شوکة فی رجل الدیک وتعنی أیضاً، المشط الذی یصفف به القماش قبل نسجه

[۴۸۰] (۱).« العرف» ما علی الرأس من شعر

[۴۸۱] (۲).« قنزعة» الخصلة من الشعر

[۴۸۲] (۳).« موشاة» بمعنی منقوشة

[۴۸۳] (۱).« ابریق» وقال البعض فیها أنّ أصلها فارسی(أبریز) الذی یستعمل لغسل الید أو الفم قبل تناول الطعام أولرش الورد فی الضیافة وقد صنع أنبوبها بانحناء خاص وشکل جمیل

[۴۸۴] (۲).« مغرز» بمعنی موضع الغرز

[۴۸۵] (۳).« وسمة» لون خاص تخصب به اللحیة والحاجب

[۴۸۶] (۴).« صقال» بمعنى الجلاء

[۴۸۷] (۵).« متلفع» بمعنى الملفوف، من مادة(لفع) على وزن نفع، الاحاطة وستر جميع الأشياء

[۴۸۸] (۶).« معجر» بمعنى المقنعة والربطة

[۴۸۹] (۷).« اسحم» بمعنى الأسود

[۴۹۰] (۸).« مستدق» بمعنى النحيف والرقيق، من مادة(دق)، على وزن حق

[۴۹۱] (۹).« الاقحوان» بمعنى البابونج

[۴۹۲] (۱۰).« يقق» بمعنى شديد البياض، من مادة(يقوقة)

[۴۹۳] (۱۱).« يأتلق» بمعنى يلمع، من مادة(الق)، على وزن دلق

[۴۹۴] (۱۲).« بريق» بمعنى لمعان، من مادة(برق)

[۴۹۵] (۱۳).« بصيص» بمعنى اللمعان

[۴۹۶] (۱۴).« رونق» بمعنى الحسن، من مادة(رنق)، على وزن فتق

[۴۹۷] (۱۵).« قيظ» بمعنى شدة الحرارة

[۴۹۸] (۱).« ينحسر» يعنى يعرى ويتكشف، من مادة(حسر)، على وزن حشر، بمعنى العُرى

[۴۹۹] (۲).« تترى» من مادة(وتر)، بمعنى الواحد، وتأتى بمعنى الواحد تلو الآخر

[۵۰۰] (۳).« ينحت» يعنى يتقشر، من مادة(نحت)، على وزن تخت، التقشر

[۵۰۱] (۱).« عسجدية» من عسجد، الذهب

[۵۰۲] (۲).« عمائق» جمع عميقة، الدقيق والعميق

[۵۰۳] (۳).« قرائح» جمع قريحة، بمعنى الذهنية والذكاء الذى أودعه اللَّه فى الفطرة

[۵۰۴] (۴). على ضوء التفسير المذكور فإنّ جميع الضمائر تعود إلى الطاووس، وهذا ما فهمه أغلب شرّاح نهج البلاغةوإن مروا عليه بنوع من الإجمال والإبهام، كما يحتمل أن يعود الضمير فى العبارة(أعجز الألسن عن تلخيص صفته) وكذلك العبارة(عن تادية نعته إلى اللَّه تعالى). وعليه فمفهوم العبارة: أنّى للعقل بإدراك كنه الذات والصفات وهى عاجزة عن إدراك صفات المخلوق

[۵۰۵] (۱).« بهر» من مادة(بهر)، على وزن نهر، بمعنى الغلبة والقهر

[۵۰۶] (۲).« جلاه» يعنى أظهره، من مادة(جلاء)

[۵۰۷] (۳).« تلخيص» ورد بمعنى الشرح، وكذلك الخلاصة والمعنى الأول الأول هو المراد هنا

[۵۰۸] (۱). جواهر الكلام، ج ۳۶، ص ۳۰۹؛ راجع حياة الحيوان للدميرى، وقاموس دهخدا، والزولوجى الحديث

[۵۰۹] (۱).« ادمج» من مادة« دموج»، بمعنى الاستحكام

[۵۱۰] (۲).« قوائم» جمع قائمة، بمعنى العمود، وهنا إشارة إلى الأيدى والا رجل التى تعتبر أعمدة البدن

[۵۱۱] (۳).« ذرة» صغار النمل، وبمعنى الغبار، كما تطلق على الذرة فى الكيمياء

[۵۱۲] (۴).« همجة» ذباب صغير، وجمعه همج

[۵۱۳] (۵).« حيتان» جمع حوت معروفة

[۵۱۴] (۱). سورة يوسف، الآية ۱۰۵

[۵۱۵] (۲).« وأى» من مادة« وأى»، على وزن سعى، بمعنى الوعد

[۵۱۶] (۳).« شبح» بمعنى الشخص، وكل شىء يترائى للإنسان ويدركه الحس

[۵۱۷] (۱).« الموسوعة» المسماة(موسوعة ومفردات قاموس عميد)

[۵۱۸] (۱).« عزفت» من مادة(عزف)، على وزن حذف، الترك والانصراف عن شيء، كما وردت بمعنى اللعب واللهو

[۵۱۹] (۲).« ذهلت» من مادة(ذهل)، بمعنى غفلة العقل وترك الشيء ونسيانه

[۵۲۰] (۳).« اصطفاق» بمعنى اضطراب شيء بحيث يحدث صوتاً كالتصفيق أو تضارب أوراق الأشجار

[۵۲۱] (۴).« كثبان» جمع كثيب، بمعنى التل، من مادة(كثب)، على وزن حرب، بمعنى الجمع

[۵۲۲] (۵).« كبائس» جمع كباسة، على وزن حماية، بمعنى عنقود الفاكهة وما شابهه

[۵۲۳] (۶).« عساليج» جمع عسلوج، على وزن بهلول، بمعنى غصن الشجرة

[۵۲۴] (۷).« أفنان» جمع فن وفنن، على وزن قلم، بمعنى الغصن الطرى الملئ بالأوراق، ويقال الفنون لمختلف فروع العلم والمعرفة والصناعة وما شاكل ذلك

[۵۲۵] (۸).« غلف» جمع غلاف، من مادة(غلف)، على وزن قصر، بمعنى الغطاء

[۵۲۶] (۹).« اكمام» جمع كم، على وزن جن، بمعنى الوعاء الذى يغطى الفاكهة، وجمع كم على وزن أم بمعنى الردن التى تغطى اليد

[۵۲۷] (۱۰).« تجنى» من مادة(جنى) على وزن نَهْى، بمعنى قطف الثمار

[۵۲۸] (۱۱). سورة الحاقة، الآية ۲۳

[۵۲۹] (۱). سورة الرحمن، الآية ۵۴

[۵۳۰] (۲).« افنية» جمع فناء، على وزن غناء، بمعنى الساحة ومقدمة الدار

[۵۳۱] (۳).« مروقة» بمعنى المصفاة، من مادة(روق)

[۵۳۲] (۴). سورة الدهر، ۵ و ۶ و ۱۷ و ۱۸ و ۲۱

[۵۳۳] (۵). سورة الواقعة، الآية ۱۹

[۵۳۴] (۶).« نقلة» من النقل وتأتى أحياناً بمعنى النميمة

[۵۳۵] (۷). سورة الاسراء، الآية ۷۰

[۵۳۶] (۱).« مونقة» بمعنى المعجبة، من مادة(أنق)، على وزن شفق، الإعجاب بالشيء

[۵۳۷] (۲).« زهقت» من مادة(زهوق) على وزن غروب، بمعنى الهلكة

[۵۳۸] (۳). نهج البلاغة، الخطبة ۱۹۳

[۵۳۹] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۹، ص ۲۸۰

[۵۴۰] (۲). المصدر السابق

[۵۴۱] (۱). سند الخطبة:

نقل هذه الخطبة قبل المرحوم السيد الرضى، مسلم ابن قيس فى كتابه، كما روى صاحب الكافى جوانب منها فى الجزء الثامن. وقال صاحب مصادر نهج البلاغة يستفاد من رواية الكافى والشيخ المفيد فى الإرشاد أنّ هذه الخطبة وما ورد فى الخطبة ۸۶(طبق نسخة صبحى الصالح ۸۸) خطبة واحدة(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۰۳)

[۵۴۲] (۱).« ليتاس» من مادة(اسوة) على وزن عروة، بمعنى اتباع الغير والاقتداء به

[۵۴۳] (۲).« ليرأف» من مادة(رأفة) بمعنى العطف والشفقة

[۵۴۴] (۱).« جفاة» جمع جافٍ، من مادة(جفاء)، بمعنى الغلظة، ويقال للشخص العنيف، الجافى

[۵۴۵] (۲).« قيض» قشرة البيضة، وتأتى بمعنى كسر البيضة أيضاً

[۵۴۶] (۳).« أداح» جمع دَحْى، على وزن نَهْى، بمعنى مبيض الانعام فى الرمال، ومن مادة(دحو) على وزن سَهْو، بمعنى السعة

[۵۴۷] (۴).« حضان» بمعنى البيض تحت بطن الطائر ليفقس عن فرخ، ومن مادة(حضانة) بمعنى ما تحت الجناحوالريش

[۵۴۸] (۱).« قزع» جمع قزعة، على وزن ثمرة، بمعنى قطعة من السحاب، كما تطلق على الأشياء التى لها قطع متناثرة

[۵۴۹] (۲).« الخريف» هو أحد فصول السنة المعروفة

[۵۵۰] (۳).« ركام» من مادة(ركم) على وزن مكر، بمعنى الأشياء المتراكمة

[۵۵۱] (۴).« مستثار» بمعنى موضع الغليان والخروج، من مادة(ثور)، على وزن فور، بمعنى الهيجان

[۵۵۲] (۵). قارة بمعنى الجبل الصغير

[۵۵۳] (۶).« أكمة» بمعنى التل والهضبة

[۵۵۴] (۷).« سنن الطرق» بمعنى المسير المادى والمعنوى

[۵۵۵] (۸).« رص» من مادة(رصاص) بمعنى المحكم

[۵۵۶] (۹).« طود» بمعنى الجبل العظيم

[۵۵۷] (۱۰).« حداب» جمع حدب، على وزن هدف، بمعنى الأرض المرتفعة

[۵۵۸] (۱۱).« يذعذع» من مادة(ذعذعة) بمعنى التفرق

[۵۵۹] (۱۲).« اودية» جمع وادٍ، معروف

[۵۶۰] (۱).« الألية» بمعنى الشحم المعروف

[۵۶۱] (۱). نفحات الولاية، ج ۳، ص ۳۵۸-/ ۳۶۰

[۵۶۲] (۲). راجع كتاب المعارف والمصاريف، ج ۱، ص ۴۸۱ والموسوعة الإسلامية الكبرى، ج ۶، ص ۲۲۷

[۵۶۳] (۱). بحار الأنوار، ج ۴۱، ص ۳۱۰

[۵۶۴] (۱).« تهتم ومتاه» كلاهما من مادة(تيه)، تعنى فى الأصل، الزهو والتكبر، ثم استعملت بمعنى الحيرة والضلالعن الطريق وهذا هو المراد بها فى العبارة، أى احترتم كحيرة بنى إسرائيل(متاه مصدر ميمى)

[۵۶۵] (۲).« أضعاف» جمع ضعف، على وزن فعل، معروف

[۵۶۶] (۳).« اعتساف» من مادة(عسف) على وزن وصف، بمعنى الضلال

[۵۶۷] (۴).« فادح» بمعنى ثقيل وشاق، وهى هنا تأكيد لكلمة ثقل

[۵۶۸] (۵). شرح نهج البلاغة لابن أبىالحديد، ج ۹، ص ۲۸۶؛ منهاجالبراعة، ج ۱۰، ص ۸۳

[۵۶۹] (۱). سند الخطبة:

قال المرحوم عبد الزهراء الحسينى: لم أعثر فى كتاب مصادر نهج البلاغة على سند قبل السيد الرضى للخطبة سوى ما ذكره المؤرخ الطبرى فى حوادث سنة ۳۵ هجرية(ج ۵، ص ۱۵۷). وينبغى الإلتفات إلى أنّ بعض هذه الخطبة مر سابقاً فى الخطبة ۲۱

[۵۷۰] (۱).« النهج» بمعنى الطريق الواضح، من مادة(نهج)، على وزن خرج، الوضوح

[۵۷۱] (۲).« اصدفوا» من مادة(صدف) على وزن صبر، بمعنى الإعراض

[۵۷۲] (۱).« مدخول» بمعنى معيب، من مادة(دخل) على وزن نخل، بمعنى الفساد من الداخل. ولهذه المفردة معانٍأخرى منها الدخول فى المكان

[۵۷۳] (۲). سورة الأعراف، الآية ۱۵۷

[۵۷۴] (۳).« حرم» بفتح الراء جمع حرمة بمعنى الاحترام، وحرم بضم الراء، جمع حرام بمعنى الممنوع، و« احرام» جمعحرم على وزن

قلم، بمعنى الناحية الممنوعة

[۵۷۵] (۴).« معاقد» جمع(معقد) على وزن مجلس، بمعنى موضع اغلاق الشيء، كالحزام الذى يربط الظهر، وفى العبارة إشارة إلى رابطة الإخلاص والتوحيد لحقوق المسلمين

[۵۷۶] (۱). بحارالأنوار، ج ۷۱، ص ۲۲۷

[۵۷۷] (۲). وسائل الشيعة، ج ۱۸، ص ۳۱۲(الحديث الثالث من الباب الثالث من أبواب مقدمات الحدود)

[۵۷۸] (۱).« تحدوا» من مادة(حدو) حدى، على وزن حَذو، بمعنى طرد الشر أو الصوت الخاص للحادى ثم أطلق على كل سوق

[۵۷۹] (۲). لابدّ من الالتفات إلى أنّ الضمير« هو» مذكر يعود إلى أمر وعليه لابدّ أن تكون خاصة مجرورة لا مفتوحة كماورد فى النص

[۵۸۰] (۱). نفحات الولاية، ج ۲، ص ۵

[۵۸۱] (۲). سورة البقرة، الآية ۱۹۷

[۵۸۲] (۳).« بقاع» جمع(بقعة) بمعنى مساحة من الأرض متميزة عنها، ووردت فى العبارة بمعنى مطلق الأرض العامرة

[۵۸۳] (۴).« بهائم» جمع(بهيمة) بمعنى الحيوانات، ويشتمل السباع والطيور

[۵۸۴] (۱). وسائل‌الشيعة، ج ۸، ص ۳۹۴

[۵۸۵] (۲). ورد فى بعض المصادر اللغوية أن التوركك على الدابّة، وضع الرجل على الأخرى فوق سرج الدابّة

[۵۸۶] (۳). اصول الكافى، ج ۶، ص ۵۳۹

[۵۸۷] (۴). المصدر السابق، ص ۵۳۷، ح ۱

[۵۸۸] (۵). وسائل الشيعة، أحكام الخلوة، الباب ۱۵

[۵۸۹] (۶). المصدر السابق، كتاب الجهاد، الباب ۱۶ و ۱۵ باب جهاد العدو

[۵۹۰] (۱). سند الخطبة:

المصدر الوحيد الذى ذكرها غير نهج البلاغة، تاريخ الطبرى فى حوادث سنة ۳۵ ه(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۰۶)

[۵۹۱] (۱).« مجلبون» من مادة(جلب) على وزن كلب، بمعنى السوق والطرد وتطلق على الأفراد الذين يغيرون مواقفهم‌بسهولة، وجلب، على وزن غضب، وإجلاب، بمعنى الجمع، ومجلبون، هنا إشارة إلى الثوار الذين جمعوا الناس ضد عثمان

[۵۹۲] (۲). منهاج البراعة، ج ۱۰، ص ۱۰۲. روى الحديث المرحوم العلّامة المجلسى فى بحارالأنوار، ج ۳۱، ص ۵۰۳

[۵۹۳] (۳).« يسومونكم» من مادة(سوم) على وزن قوم، بمعنى البحث عن الشيء، كما وردت بمعنى تكليف الآخرين‌بعمل

[۵۹۴] (۱).« يهدأ» من مادة(هدوء)، معروفة

[۵۹۵] (۲).« مسمحة» من مادة(سماح وسماحة) السهولة واليسر، وتعنى أحياناً السخاء والكرم أو الموافقة، والمعنى الأول هو المراد بها فى العبارة

[۵۹۶] (۳).« تضعضع» من مادة(ضعضعة) بمعنى الهدم والتخريب

[۵۹۷] (۴).« منّة» بمعنى القوة

[۵۹۸] (۵). نفحات الولاية، ج ۱، ص ۲۸۹

[۵۹۹] (۶).« كى» على وزن حى، احراق بدن الإنسان أو الحيوان بحديدة ساخنة وما شابه ذلك

[۶۰۰] (۱). قال المرحوم العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار إنّها وردت فى أغلب النسخ: آخر الداء الكى، بمعنى أن ختام الألام الصعبة الحرق، لكن هذا المعنى مستبعد(بحارالأنوار، ج ۳۱، ص ۵۰۳)

[۶۰۱] (۲). العقد الفريد، ج ۵، ص ۱۱۳

[۶۰۲] (۱). سند الخطبة:

لم يذكر هذه الخطبة، سوى الطبرى فى حوادث سنة ۳۶ فى تاريخه ج ۳، ص ۴۶۵(ذكر الطبرى، القسم الأول من الخطبة فقط)

[۶۰۳] (۱).« هالك» من مادة(هلاك) تعنى فى الأصل الموت والفناء، لكنّها ترد أحياناً بمعنى الهلكة المعنوية وهى‌الضلال والبؤس والشقاء، والمراد بها فى العبارة الهلكة المعنوية، فمعنى لا يهلك عنه إلّاالهالك أنّه لا يضل ألّا من استعد للضلال والهلكة

[۶۰۴] (۲).« مبتدعات» من مادة(بدع) على وزن بدر، ظهور الشىء دون سابقة، وتطلق فى الردّ على ما خالف الكتاب والسنة، وعليه فالمبتدعات الطرق المخالفة للكتاب والسنّة

[۶۰۵] (۳).« مشبهات» البدع التى تلبس ثوب الدين وتوجب الضلال

[۶۰۶] (۱).« ملومة» من مادة(لوم) على وزن قوم، معروفة

[۶۰۷] (۲).« يأرز» من مادة(أرز) على وزن فرض، بمعنى الجمع

[۶۰۸] (۳). سورة إبراهيم، الآية ۷

[۶۰۹] (۱).« تمالؤوا» من مادة(ملائة) تعاونوا على أمر، وعليه فمفهوم تمالؤوا أنّهم اتحدوا وتعاونوا

[۶۱۰] (۲).« سخطة وسخط» بمعنى واحد الغضب

[۶۱۱] (۳).« فيالة» ضعف الفكر

[۶۱۲] (۱).« نعش» بمعنى الرفع والحمل، ويقال لجسد الميت، النعش، لرفعه على الأيدى وحمله إلى القبر

[۶۱۳] (۱). سند الخطبة:

أوردها العديد قبل السيد الرضى، ومنهم المرحوم الشيخ المفيد فى كتابه الجمل عن جمل الواقدى(كتاب الجمل للشيخ المفيد، ص ۱۵۶) ورواها الطبرى فى تاريخه فى حوادث سنة ۳۶ هجرية، والزمخشرى فى ربيع الأبرار فى باب الجوابات المسكتة

[۶۱۴] (۱).« رائد» من مادة(رود) على وزن ذوب، بمعنى اللقاء، وتطلق عادة على من ينطلق أمام القافلة أو الجيش‌ويستطلع المكان المناسب من حيث الماء والغذاء

[۶۱۵] (۲).« كلاء» النبات الطويل

[۶۱۶] (۳).« معاطش» جمع(معطش) الموضع الذى يعطش فيه الإنسان

[۶۱۷] (۴).« مجادب» جمع(مجدب) المكان الذى لم ينزل إليه المطر فهو جاف لا نبات فيه

[۶۱۸] (۱). شرح نهج البلاغة للخوئى، ج ۱۰، ص ۱۱۵ بتلخيص طفيف

[۶۱۹] (۱). اصول الكافى، ج ۱، ص ۳۴۳

[۶۲۰] (۲). سورة الأعراف، الآيات ۵۴-/ ۵۶

[۶۲۱] (۱). سند الخطبة:

روى هذا الدعاء قبل السيد الرضى، كل من نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، وحسين بن سعيد الأهوازى فى كتاب الدعاء والذكر، حسب نقل السيد ابن طاووس رحمه الله فى منهج الدعوات، والطبرى فى تاريخه فى حوادث سنة ۳۷ ه.(مصادر نهج البلاغة، ج ۲، ص ۴۱۱)

[۶۲۲] (۱).« جو» بمعنى السماء، وردت بمعنى الهواء

[۶۲۳] (۲).« مكفوف» بمعنى المتراكم، كما جاء بمعنى المقيد، ومن مادة(كفّ)، بمعنى الجمع أو المنع

[۶۲۴] (۳).« مغيض» بمعنى موضع نفوذ الماء، كأنّ الجو كالأرض يبتلع فى صدره الليل والنهار، وهذه المفردة من مادة(غيض) على

وزن فيض، بمعنى استقرار الماء فى عمق الأرض

[۶۲۵] (۱).« سبط» بمعنى القبيلة والطائفة، وتعنى فى الأصل، اتساع الشىء بسهولة، ولما كانت الطوائف تتسع فقداطلقت عليها هذه المفردة

[۶۲۶] (۲).« يسأمون» من مادة(سئامة) بمعنى التعب عن مواصلة العمل

[۶۲۷] (۳). راجع التفسير الامثل، ذيل الآية ۳۲ من سورة سبأ

[۶۲۸] (۱).« مدرج» من مادة(دروج) بمعنى طى الطريق، ومدرج، يطلق على موضع طى الطريق

[۶۲۹] (۲).« هوام» جمع(هامة) الحيوانات الصغيرة كالفأرة والحية

[۶۳۰] (۳).« رواسى» جمع(راسية) الثابت والراسخ

[۶۳۱] (۴).« أوتاد» جمع(وتد) على وزن نمد، المسمار، ومن مادة(وتد)، على وزن وقت، بمعنى تثبيت الشىء

[۶۳۲] (۵). سورة النبأ، الآية ۷

[۶۳۳] (۱).« ذمار» ما يجب على الإنسان حفظه كالأهل والعرض والوطن، ومن ذمر، على وزن رمل، بمعنى اللومو التوبيخ، فهى تطلق بهذا المعنى على من يقصر فى حفظ الأهل والشرف والوطن حيث يستحق اللوم

[۶۳۴] (۲).« غائر» بمعنى الغيور

[۶۳۵] (۳).« حقايق» جميع حقيقة، تشير هنا إلى النوازل التى تحل بالإنسان أو المجتمع والوطن

[۶۳۶] (۴).« حفاظ» من مادة(حفظ) تعنى هنا، الوفاء بالعهد ورعاية الذمة

[۶۳۷] (۱). سورة البقرة، الآية ۱۹۳

[۶۳۸] (۲). سورة البقرة، الآية ۱۹۱

[۶۳۹] (۳). نهج البلاغة، الرسالة ۱۴

[۶۴۰] (۱). سند الخطبة:

يبدو أنّ هذه الخطبة جانب من كتاب كتبه الإمام عليه السلام فى أواخر أيّام خلافته ذكر فيه الأحداث التى وقعت بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأمر أن تقرأ على الناس، وقد ردّ الإمام عليه السلام على عبدالرحمن بن عوف حين قال له يوم الشورى: إنّك على هذا الأمر لحريص، بذلك الجواب الذى ورد فى الخطبة. رواها الطبرى فى كتاب المسترشد(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۱۴)

[۶۴۱] (۱).« قرعته» من مادة(قرع) على وزن فرع، بمعنى ضرب الشىء على آخر بحيث يتولد صوت شديد. وتستعمل هذه المفردة فى الأمور المعنوية، أى تستعمل بشأن الأدلة الواضحة والدامغة كالخطبة المذكورة

[۶۴۲] (۲).« هب» من مادة(هبوب) بمعنى حركة الرياح، أحياناً، وأخرى بمعنى الهيجان، وكذلك البهت أو النهوض من النوم، والمعنى الثانى هوالمراد فى العبارة

[۶۴۳] (۳). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۹، ص ۳۰۵

[۶۴۴] (۴).« استعديك» من مادة(استعداء) بمعنى الشكوى وطلب العون

[۶۴۵] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۹، ص ۳۰۶ و ۳۰۷

[۶۴۶] (۲). سورة الفتح، الآية ۱۰

[۶۴۷] (۱).« حبيس» من مادة(حبس) بمعنى المحبوس، وإشارة إلى عائشة زوج النبى صلى الله عليه و آله التى كانت منهية عن الاشتراك فى الحرب والخروج إلى المسرح الاجتماعى، لكن طلحة والزبير دفعاها لذلك العمل

[۶۴۸] (۱). سورة الأحزاب، الآية ۳۳

[۶۴۹] (۲).« صبر» تعنى فى الأصل الحبس، ومن هنا يطلق الصبر على مسك النفس وحبسها عن المكارة. المعنى الآخرللصبر أنّ يحبس الإنسان أو الحيوان فى موضع، ثم يرمى بحجر أو سهم، بالتالى يقال، قتل صبراً لمن يقتل بالزجر والتعذيب

[۶۵۰] (۳).« السبابجة» جمع(سبيجى) قال صاحب لسان العرب، من مادة(سبج) طائفة شجاعة من السند استؤجروااللقتال(الدفاع عن بيت المال). وقيل: كلمة فارسية تعنى الشبان الصغار وألوانهم سوداء

[۶۵۱] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۹، ص ۳۲۰

[۶۵۲] (۲). سورة المائدة، الآية ۳۳

[۶۵۳] (۱). شرح التجريد، ص ۲۴۰

[۶۵۴] (۲). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۶، ص ۳۲۲

[۶۵۵] (۱). سند الخطبة:

ذكر صاحب تحف العقول قبل السيد الرضى، الفصل الأخير من الخطبة(إلّا وأنّ هذه الدنيا ...) باختلاف، كما نقلها أبوجعفر الإسكافى(المتوفى عام ۲۴۰ ه) فى رسالته(نقض العثمانية)(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۱۷)

[۶۵۶] (۱). سورة البقرة، الآية ۲۴۷

[۶۵۷] (۲). سورة النحل، الآية ۱۲۵

[۶۵۸] (۳). شرح نهج‌البلاغة لإبن أبى‌الحديد، ج ۹، ص ۳۲۷

[۶۵۹] (۱).« شغب» من مادة(شغب) على وزن شرق، بمعنى إثارة الفتنة والشر والفساد

[۶۶۰] (۲).« استعتب» من مادة(عتب) وعتاب بمعنى اللوم والتوبيخ بقصد الرجوع إلى الحق، وإن استعملت فى باب الإستفعال أفادت معنى الإسترضاء

[۶۶۱] (۳). سورة الحجرات، الآية ۹

[۶۶۲] (۱). سورة طه، الآية ۱۳۲

[۶۶۳] (۲). سورة الأعراف، الآية ۱۲۸

[۶۶۴] (۱).« غِير» بمعنى الحوادث والتغييرات التى تقع فى حياة الإنسان، وأريد بها فى الخطبة، مطلق التغيير

[۶۶۵] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۶، ص ۲۵۶ بتصرف وتلخيص، وقد نقل هذه الواقعة نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، ص ۳۲۱

[۶۶۶] (۱). سورة العنكبوت، الآية ۶۴

[۶۶۷] (۲).« زوى» من مادة(زى) على وزن حى، بمعنى الجمع والأخذ والحمل والإبعاد، وتعنى فى العبارة الإبعادوالفقدان لأنّها وردت بصيغة الفعل المجهول فى العبارة ومعها الحرف عن

[۶۶۸] (۱). اصول الكافى، ج ۲، ص ۲۱۶، ح ۴

[۶۶۹] (۱). سند الخطبة:

يرى صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة أنّ هذه الخطبة متصلة بالخطبة ۲۲ و ۱۳۵(وحسب أرقامنا، الخطبة ۱۳۷)، وأضاف: رواها(باختلافات) المرحوم الشيخ الطوسى فى كتابه الأمالى، والخوارزمى فى المناقب وشرح ابن أثير فى كتابه اللغوى(النهاية) كلماتها الصعبة(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۱۹)

[۶۷۰] (۱). سورة غافر، الآية ۵۱

[۶۷۱] (۲). أوردنا شرحاً مفصلًا، ذيل الخطبة ۱۳ فى الجزء الأول

[۶۷۲] (۳).« متجرد» من مادة(تجرد) بمعنى الإستعداد للقيام بعمل بجد واجتهاد، ومنه السيف المجرّد

[۶۷۳] (۴).« أجلب» من مادة(اجلاب) بمعنى، الجمع والعون

[۶۷۴] (۵).« يوازر» من مادة(موازرة) ينصر ويعين

[۶۷۵] (۶).« ينابذ» من مادة(منابذة) بمعنى، المدافعة والمقاتلة

[۶۷۶] (۷).« منهنهين» بمعنى، الزجر والمنع من العمل، من مادة(نهنهة)، على وزن قهقهة

[۶۷۷] (۸).« يركد» من مادة(ركود) السكوت والصمت

[۶۷۸] (۹). معذرين من يصطنع العذر لنفسه أو غيره

[۶۷۹] (۱). الإمامة والسياسة، ج ۱، ص ۸۸ ذكرنا مطالب أخرى فى الجزء الخامس من هذا الكتاب، ذيل الخطبة ۱۳۷

[۶۸۰] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۰، ص ۶، كما ذكر هذه القصة دون ذكر اسم طلحة، الطبرى فى الجزء الثالث من تاريخه فى حوادث سنة ۳۵ ص ۴۳۸ ثم كتب: أمر معاوية أن يهدم جدار حش كوكب ويوصل بالبقيع

[۶۸۱] (۱). سند الخطبة:

من المصادر التى نقلت بعض هذه الخطبة، غرر الحكم للآمدى(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۲۲) ويفهم من كتاب تمام نهج البلاغة أنّ هذه الخطبة وردت فى مصادر أخرى وفيها إضافات: ومنها إخبار على عليه السلام عن الحجر الأسود ونقله من مكة إلى بلاد أخرى من قبل الأعداء ثم يعاد إلى موضعه الاصلى(كتاب تمام نهج‌البلاغة، ص ۲۸۷)

[۶۸۲] (۱).« أراح» من مادة(إراحة) بمعنى إعادة الحيوانات عند المساء إلى الإصطبل، وتطلق أحياناً على حركة الحيوانات فى كل زمان، وهذا هو المراد بها فى العبارة

[۶۸۳] (۲).« سائم» تعنى فى الأصل الشخص الذى يتابع الشىء، ثم استعملت بمعنى الراعى الذى يحمل الحيوانات إلى المرعى، والحيوانات التى ترعى، وتعنى فى العبارة، الراعى(وعليه لها معنى المتعدى واللازم)

[۶۸۴] (۳).« وبى» من مادة(وباء) بمعنى، الشخص المصاب بالوباء أو أى مرض معدٍ، ومرعى وبى، فى العبارة المذكورة بمعنى المرعى الذى يجلب الوباء أو الملوث بالمرض

[۶۸۵] (۴).« دوى» من مادة(داء) بمعنى، المرض، ودوى، يقال للماء والغذاء الذى يجلب المرض

[۶۸۶] (۱).« مدى» جمع(مدية) على وزن لقمة، بمعنى السكّين

[۶۸۷] (۲).« مولج» بمعنى الدخول إلى الشىء، من مادة(ولوج)، على وزن، ورود

[۶۸۸] (۳). اصول الكافى، ج ۸، ص ۵۷

[۶۸۹] (۱).« مفضية» فى الأصل، من مادة(فضاء)، بمعنى السعة، وعليه فالإفضاء، بمعنى، التوسعة، وحين يتصل‌شخص بآخر بصورة تامة يكون فى الحقيقة قد وسع الوجود بمعونة الآخر. وتعنى هذه المفردة الاختلاء بالشخص لبيان الأسرار وهذا هو المعنى المراد بها فى العبارة

[۶۹۰] (۱).« أُفرغه» من مادة(إفراغ) تعنى فى الأصل، سكب شىء سيال من الظرف بحيث يخلو ممّا فيه، ثم استعملت بمعنى إلقاء المطالب المختلفة على الآخر

[۶۹۱] (۲). للوقوف على المزيد بشأن علم الغيب وعلم الأنبياء والأئمّة عليهم السلام راجع إلى هذا الكتاب ج ۵، ص ۳۶۶

[۶۹۲] (۳). ميزان الحكمة، ج ۱، ح ۱۲۷۷۶ هناك قضية، وهى أنّ الإنسان إن دعى الآخرين إلى المعروف ونهاهم عن‌المنكر ولم يلتزم هو بذلك فإنّه يشعر بالخجل من نفسه، وهذا الخجل يسوقه بالتالى إلى المعروف والإبتعاد عن المنكر

[۶۹۳] (۱). سورة طه، الآيتان ۱ و ۲

[۶۹۴] (۲). نهج البلاغة، القصار الكلمات، الكلمة ۲۲۶

[۶۹۵] (۱). سند الخطبة:

صرّح ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة، وابن ميثم بأنّ هذه الخطبة أولى خطبة بعد البيعة وقتل عثمان. وهذا يدل على أنّ هذين الشارحين وجداها فى مصدر آخر، غير نهج البلاغة، لأنّ المرحوم السيد الرضى لم يشِر إلى ما قالاه، كما روى الزمخشرى فى كتابه(ربيع الأبرار) بعضها باختلافات متعددة، وقد بين البعض الآخر من هذه الخطبة فى أربعة كتب ألّفت قبل نهج البلاغة(كتاب الكافى، والمحاسن، للبرقى، والأمالى للصدوق، وتفسير العيّاشى)،(مصادر نهج البلاغة، ج ۲، ص ۴۳۰)

[۶۹۶] (۱).« محاب» جمع(محب) من مادة الأمر المحبوب

[۶۹۷] (۲).« حفت» من مادة(حف) على وزن كف، بمعنى الاحاطة بالشىء

[۶۹۸] (۳).« نزع» من مادة(نزع) على وزن نبض، تتعدى هذه المادة بحرف(إلى) أحياناً فيقال: نزع عنه أى أقلع عن هذاالعمل، وقد وردت فى العبارة بالمعنى الثانى، واستعملت بالمعنى الأول فى العبارات اللاحقة(تنزع إلى المعصية). وتتعدى أحياناً دون حرف الجر كقولهم نزع الشىء أى، إبطاله وهدمه

[۶۹۹] (۴).« قمع» من مادة(قمع) على وزن منع، بمعنى، القهر والغلبة

[۷۰۰] (۱). سنن أبى داود، ج ۲، ص ۴۲۲، ح ۴۷۴۴؛ وبحارالأنوار، ج ۶۸، ص ۷۲

[۷۰۱] (۲). اصول الكافى، ج ۲، ص ۸۳

[۷۰۲] (۳). سورة البقرة، الآية ۴۵

[۷۰۳] (۱).« ظنون» صيغة مبالغة من مادة(ظن) ترد فى مثل هذه الحالات بمعنى سوء الظن، وعليه، تعنى هنا، من ينظر إلى نفسه بالنقد ويتّهمها، كما وردت مادة ظن بمعنى الشىء القليل، وعليه فالظنون تطلق على الفرد الضعيف، والمعنى الأول هو المراد

[۷۰۴] (۲).« زارى» بمعنى عائب، من مادة(زرْى)، على وزن جرى

[۷۰۵] (۱).« قوضوا» من مادة(تقويض) بمعنى الهدم، والمراد هنا نزع أعمدة الخيمة وإطنابها لرفعها وجمعها

[۷۰۶] (۲).« طووها» من مادة(طى) بمعنى الاجتياز

[۷۰۷] (۱). تعيش البلاد الإسلامية حالة من العزاء بسبب الزلزال الذى ضرب مدينة(بم) ونواحيها وخلف آلاف الضحايا، حيث أحالت هذه الزلزلة خلال ۱۲ ثانية(نعم، فقط ۱۲ ثانية) هذه المدينة النضرة إلى كثبان من التراب كأنّها مدينة مهجورة منذ آلاف السنين. نعم، نعلم أن لا اعتبار لهذه الدنيا، لكننا لم نر مثل هذا، حدث ذلك فى ۲ ذى العقدة عام ۱۴۲۴ ه

[۷۰۸] (۱). نهج البلاغة، الرسالة ۴۷

[۷۰۹] (۲).« لأوى من مادة(لأى) على وزن سعى، بمعنى الشدة والمحنة

[۷۱۰] (۳).« غى» بمعنى العمل الطائش أو الجهل النابع من الاعتقاد الفاسد، حسب الراغب فى المفردات

[۷۱۱] (۱). اصول الكافى، ج ۲، ص ۶۰۷(باب من حفظ القرآن ... ذيل الحديث)

[۷۱۲] (۱).« محل» من مادة(محل) على وزن نحل، بمعنى الشكوى الممزوجة بالسعاية والعيب، لكنّها وردت هنابمعنى الشكوى

[۷۱۳] (۲).« حارث» تطلق على الفلاح، من مادة(حرث)، على وزن غرس، بمعنى الزراعة

[۷۱۴] (۱).« استغشوا» من مادة(غش) على وزن مسّ، بمعنى، الخداع والأعمال غير الصالحة، وأريد به فى العبارة، الظن بالغش فى العمل

[۷۱۵] (۲). وسائل الشيعة، ج ۱۸، ص ۳۹

[۷۱۶] (۳). بحارالأنوار، ج ۸۹، ص ۱۰۷

[۷۱۷] (۱).« الاستقامة» ملازمة الطريق المستقيم والثبات على المسار الصحيح، وفسّره بعض أرباب اللغة، بالإعتدال، وكلاهما بمعنى واحد، كما وردت بمعنى الثبات والرسوخ، والاحتمالان واردان بشأن العبارة ولا مانع من الجمع بينهما

[۷۱۸] (۱). شرح نهج البلاغة للعلّامة الخوئى، ج ۱، ص ۲۰۴

[۷۱۹] (۲).« اخرجوا» من مادة(خروج) ولما كان أداء الحق يخرج الإنسان من المسؤولية فقد وردت بهذا المعنى، وإذاتعدت هذه المفردة بالحرف(من) عنت أداء الحق

[۷۲۰] (۳).« حجيج» من مادة(حج) وردت بمعنى الغلبة، ويطلق الحجيج على من يغلب الخصم بالدليل والبرهان

[۷۲۱] (۱). سورة الاسراء، الآية ۷۱

[۷۲۲] (۲). سورة النحل، الآية ۸۹

[۷۲۳] (۱).« تورّد» من مادة(ورود) بمعنى، الدخول، وتستعمل حين يكون الدخول تدريجياً

[۷۲۴] (۱). للوقوف على المزيد، راجع شرح آيات القضاء والقدر فى التفسير الأمثل، ذيل الآية ۴۹ من سورة القمر، وكتاب دوافع ظهور الدين

[۷۲۵] (۲).« مروق» تعنى فى الأصل، مرور السهم من الهدف، ويطلق المارقين على الخوارج الذين أفرطوا فى الدين‌حتى خرجوا منه

[۷۲۶] (۳).« منقطع» بهم: بمعنى الفرد الذى انتهى متاعه أو أوقف مركبه وسط الطريق ولم يصل الهدف

[۷۲۷] (۱). نقل ذلك الكلام الكثير من مصادر المحدّثين والمؤرخين ومنها: مصنف ابن أبى‌شيبة، ج ۷، ص ۲۵۱؛ وتاريخ دمشق، ج ۵۲، ص ۳۸۰؛ والبداية والنهاية لأبن كثير، ج ۸، ص ۱۴؛ وشرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۵۱۰ وورد إلى جانب ذلك، قوله: كل شرط أعطيته فهو تحت قدمى(إشارة إلى عدم التزامه بالشروط فى صلحه مع الإمام الحسن عليه السلام)

[۷۲۸] (۲). سورة فصلت، الآية ۳۰

[۷۲۹] (۳). مجمع البيان ذيل الآية ۱۲۴

[۷۳۰] (۱). سورة آل عمران، الآية ۱۲۴؛ سورة الأحزاب، الآية ۹

[۷۳۱] (۲). مجمع البيان، ذيل الآية المذكورة

[۷۳۲] (۱).« تصريف» بمعنى، التغيير

[۷۳۳] (۱). سورة البقرة، الآية ۱۴

[۷۳۴] (۲).« جموح» من مادة(جمح) الفرس، الذى يغلب صاحبه

[۷۳۵] (۱). نهج البلاغة، القصار الكلمات، الكلمة ۴۰

[۷۳۶] (۲). سورة البقرة، الآية ۱۳

[۷۳۷] (۱). سورة الاحزاب، الآيتان ۷۰ و ۷۱

[۷۳۸] (۱). ميزان الحكمة، ح ۸۷۷۸

[۷۳۹] (۲). بحار الأنوار، ج ۷۲، ص ۵۱، ح ۳

[۷۴۰] (۱). وسائل الشيعة، ج ۱۹، ص ۳، ح ۳

[۷۴۱] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۸، ص ۲۵۰

[۷۴۲] (۱). راجع النص والاجتهاد للمحقق المرحوم السيد عبدالحسين شرف الدين

[۷۴۳] (۲).« ضرستموها» من مادة(ضرس) على وزن درس، بمعنى، العض أو البعض أو العض الشديد بالأسنان، ثموردت بمعنى الدراسة الدقيقة للشيء، وهذا هو المراد بها فى العبارة

[۷۴۴] (۳). ذكرنا قصّة أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة الذى شكى مظالم المغيرة إلى عمر فلم يُصغِ له فشعر بالبغض‌والكراهية له حتى قتله. راجع الجزء الأول من هذا الكتاب، ذيل الخطبة الشقشقية

[۷۴۵] (۱).« أمامه» تعنى فى الأصل جهة الأمام والعبارة(أتاه التقصير من أمامه)، أى، أتاه التقصير علانية

[۷۴۶] (۲). سورة الكهف، الآيتان ۱۰۳ و ۱۰۴

[۷۴۷] (۱). سورة البقرة، الآية ۱۱۷

[۷۴۸] (۲). سورة الأحقاف، الآية ۹

[۷۴۹] (۳). ميزان الحكمة، ح ۱۶۲۹

[۷۵۰] (۴). المصدر السابق، ح ۱۶۳۲

[۷۵۱] (۵). المصدر السابق، ح ۱۶۳۵

[۷۵۲] (۱).« متين» من مادة(متن) يعنى فى الأصل العضلتان القويتان على طرفى العمود الفقرى، ثم أطلق على كل‌موضوع محكم

[۷۵۳] (۱).« ينابيع» جمع ينبوع، على وزن مقبول، العين

[۷۵۴] (۱).« جواد» تعنى فى الأصل، الفرس السريع، ومن مادة(جود)، معروف، ثم اطلقت على الإنسان المجدوالمستقيم

[۷۵۵] (۲).« قاصد» من مادة(قصد) بمعنى الإعتدال، وعليه فالقاصد، مَن يسير على الدرب دون إفراط وتفريط

[۷۵۶] (۱). سورة النساء، الآية ۴۸

[۷۵۷] (۲).« هنات» جمع(هن) على وزن من، بمعنى الأمر المهم والحادثة الشديدة، كما ورد فى لسان العرب، مادة(هن)، وتطلق أحياناً على الموضوعات الصغيرة قليلة الأهميّة، وهذا هو المعنى المراد بها فى العبارة

[۷۵۸] (۳).« مدى» جمع(مدية) على وزن، بنية، السكين

[۷۵۹] (۴). سورة النساء، الآية ۳۱

[۷۶۰] (۱). سورة الهمزة، الآيتان ۶ و ۷

[۷۶۱] (۲). اصول الكافى، ج ۲، ص ۳۳۳، ح ۱۴

[۷۶۲] (۳). المصدر السابق، ح ۱۵

[۷۶۳] (۱). سورة مريم، الآية ۴۸

[۷۶۴] (۱). سورة الكهف، الآية ۱۶

[۷۶۵] (۲). ميزان الحكمة، ح ۱۲۸۸۴

[۷۶۶] (۳). غرر الحكم، ح ۱۴۱۴ و ۶۵۰۵

[۷۶۷] (۴). المصدر السابق

[۷۶۸] (۵). كنز العمال، ج ۱، ص ۲۰۶، ح ۱۰۲۸

[۷۶۹] (۶). نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷

[۷۷۰] (۱). بحار الأنوار، ج ۴۷، ص ۶۰، ح ۱۱۶

[۷۷۱] (۲). غرر الحكم، ح ۸۱۵۱

[۷۷۲] (۱). سند الخطبة:

روى هذه الخطبة مع اضافات كثيرة، المؤرخ المعروف، الطبرى، فى تاريخه فى حوادث سنة ۳۷ هجرية عن أبى مخنف، وقد خاطب بها أصحاب النهروان. وقد ذكر الإمام على عليه السلام فى بداية الخطبة أموراً بشأن الحكمين وأخطائهما، ثم بيّن(باختلاف) ما رواه

المرحوم السيد الرضى(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۲۸) ولا يبعد أن تكون هذه الخطبة جزءاً من الخطبة ۱۲۸

[۷۷۳] (۱).« ملأ» تعنى لغوياً، ما يملأ العين ويثير إعجاب الناظر، ومن هنا تطلق على الجماعة الكثيرة المتفقة فى الرأى‌والعقيدة والتى يملأ تجمعها العين، ومادة هذه الكلمة وكلمة مملوء واحدة

[۷۷۴] (۲).« يجعجع» من مادة(جعجعة) تطلق فى الأصل على بروك البعير، ثم استعملت بمعنى الخضوع والإستسلام

[۷۷۵] (۳).« تاه» من مادة(تيه) بمعنى، الحيرة والضلال

[۷۷۶] (۱). سورة المائدة، الآية ۵۵

[۷۷۷] (۱). راجع مَن ذكر سبب نزول الآية فى على عليه السلام ومنهم، الطبرى وابن هشام والحلبى واليعقوبى وأحمد بن‌حنبل وابن الجوزى وابن الصبّاغ المالكى(الغدير، ج ۲، ص ۴۸-/ ۴۹)

[۷۷۸] (۲). سورة البقرة، الآية ۲۰۷

[۷۷۹] (۳). سورة البينة، الآية ۷

[۷۸۰] (۴). راجع شواهد التنزيل والصواعق المحرقة والدر المنثور ونور الأبصار وتفسير الطبرى وكتاب آيات الولاية لسماحة المؤلّف

[۷۸۱] (۱). سند الخطبة:

روى الشيخ صدوق، إلى جانب كتابه الخصال، جانباً من هذه الخطبة، وشرح ابن أثير فى كتابه(النهاية) مفرداتها الصعبة، كما روى بعضها الزمخشرى، فى(ربيع الأبرار)(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۴۳۵)

[۷۸۲] (۱).« يحوى» من مادة(حواية) على وزن شفاعة، بمعنى الإحاطة بالشىء

[۷۸۳] (۱). أصول الكافى، ج ۳، ص ۳۲۴، ح ۱۲. مناجاة النبى عند سجوده منتصف الليل

[۷۸۴] (۲).« يعزب» من مادة(عزوب) على وزن غروب، بمعنى الإبتعاد والإختفاء، ومن هنا يقال، الأعزب

[۷۸۵] (۳).« سوافى» جمع سافية، بمعنى، الريح الشديدة

[۷۸۶] (۴).« دبيب» المشى البطىء

[۷۸۷] (۵).« صفا» جمع صفاة، على وزن وفا، بمعنى، الحجر الأملس الضخم

[۷۸۸] (۶).« مقيل» من مادة(قيلولة) النوم قبل الزوال، ومقيل اسم مكان بمعنى، موقع الراحة والنوم منتصف النهار

[۷۸۹] (۷).« ذر» جمع ذرة، وهى صغار النمل

[۷۹۰] (۸).« طرف» بمعنى جفن العين، وترد بمعنى النظر وتحريك الأجفان

[۷۹۱] (۱). سورة لقمان، الآية ۲۷

[۷۹۲] (۲).« معدول» من مادة(عدل) على وزن علم، بمعنى التشبيه والمثيل

[۷۹۳] (۳).« صفت» من مادة(صفا) بمعنى طهرت

[۷۹۴] (۴).« دخله» بمعنى، باطن الشىء

[۷۹۵] (۱).« معتام» من مادة(عيم) على وزن غيب، تعنى فى الأصل الشغف باللبن، والمعتام هنا، الشخص الشديدالحب لإتيان الوظيفة المكلف بها

[۷۹۶] (۲).« عقائل» جمع عقيلة، بمعنى اقتطاف كل شىء، ومن هنا يقال للجوهرة الثمينة عقيلة البحر

[۷۹۷] (۳).« غِربيب» تعنى الشىء الأسود المعتم، وتعنى هنا، ظلمة الجهل

[۷۹۸] (۱). كنز العمال، ج ۳، ص ۱۶، ح ۵۲۱۷۵

[۷۹۹] (۱).« مخلد» من مادة(خلد وخلود) الشخص الذى يسكن مكاناً بصورة دائمية وتشير فى العبارة إلى من التصق‌بالدنيا

[۸۰۰] (۲).« تنفس» من مادة(نفاسة) بمعنى الثمين، ووردت هنا، بمعنى الأهميّة

[۸۰۱] (۱).« غض» النظر والجديد

[۸۰۲] (۲).« اجترحوا» من مادة(جرح) وما يصيب البدن من ضرر ويبقى أثره، واجتراح، بمعنى، الإتيان بالذنب، وكأنّ الإنسان يجرح نفسه، ثم توسع هذا المعنى ليطلق على كل اكتساب وارتكاب

[۸۰۳] (۳). سورة الرعد، الآية ۱۱

[۸۰۴] (۴). سورة الاعراف، الآية ۹۶

[۸۰۵] (۵). وردت فى كلمات العلماء وهى مقتبسة من الأحاديث الإسلامية، مثل قول الإمام الصادق عليه السلام« إنّ أَشَدَّالنّاسِ بَلاءًالأَنبياءُ ثُمَالَّذينَ يَلُونَهُم ثُمَالأَمثلُ فَالأَمثل».(أصول‌الكافى، ج ۲، ص ۳۵۲ باب شدة ابتلاء المؤمن)

[۸۰۶] (۱). سورة الشورى، الآية ۳۰

[۸۰۷] (۲). سورة البقرة، الآية ۱۵۵

[۸۰۸] (۳). سورة الروم، الآية ۴۱

[۸۰۹] (۴).« وله» بمعنى الحيرة، من شدّة الحزن حتى يفقد الإنسان أحياناً عقله ووعيه، ومن هنا اطلقت على العشق‌الذى يسلب عن الإنسان سكونه وواعيته

[۸۱۰] (۵). شارد الشخص الذى يفر من الطريق أو ينحرف

[۸۱۱] (۶). اصول الكافى، ج ۲، ص ۴۶۹، باب الدعاء يرد البلاء، ح ۵

[۸۱۲] (۱).« فترة» تعنى فى الأصل، التوقف والضعف والعجز، ومن هنا هى تطلق على الفاصلة بين برنامجين لإيقاف‌الأعمال، وحيث تمتزج بالغفلة استعملت لهذا المعنى

[۸۱۳] (۲). ذهب كأغلب شرّاح نهج البلاغة ومترجميه، إلى ترجمة هذه العبارة بمعنى:« إذا أردت أن أقول شيئاً قلت، عفا اللَّه عمّا سلف»، ولكن هذا المعنى بعيد، لأنّه ما ورد فى كلام الشيخ المفيد فى كتاب« الجمل» وفى كتاب« مناقب» حسب ما نقله كتاب« تمام نهج البلاغة» بوجود(لكن) قبل العبارة« عفا اللَّه عمّا سلف»، فعليه أنّ جملة« عفا اللَّه عمّا سلف» دعاء لأولئك، وهذا ما تقتضيه العلاقة بين هذه الجملة والجمل التى سبقتها: واختار عدّة من الشرّاح هذا المعنى، راجع الكتب، معارج نهج البلاغة، تأليف البيهقى، بحار الأنوار، العلّامة المجلسى، ج ۲۹، ص ۵۹۹، وشرح حدائق الحقائق، البيهقى، ج ۲، ص ۹۴، وشرح المرحوم الخوئى، ج ۱۶، ص ۳۵۹

[۸۱۴] (۱). سند الخطبة:

وردت العبارة المذكورة(باختلاف فيها) فى عدّة كتب معتبرة من كتب علماء الشيعة بطرق متعددة قبل تأليف نهج البلاغة، ومنها المرحوم الكلينى فى الجزء الأول من أصول الكافى حيث نقلها فى بابين، والمرحوم الصدوق فى كتاب التوحيد والمرحوم الشيخ المفيد فى الإرشاد. ومن علماء العامة ابن الجوزى الحنفى فى كتابه(التذكرة) عن ابن عباس(مصادر نهج البلاغة، ج ۲، ص ۴۳۷)

[۸۱۵] (۱). توحيد الصدوق، ص ۳۰۵ الباب ۴۳، ح ۱ و ۲

[۸۱۶] (۱). سورة الأنعام، الآية ۷۵

[۸۱۷] (۱). سورة يوسف، الآية ۹۴

[۸۱۸] (۲). الكامل لابن أثير، ج ۲، ص ۱۷۹

[۸۱۹] (۳). اصول الكافى، ج ۲، ص ۵۳(باب حقيقة الإيمان واليقين، ح ۲)

[۸۲۰] (۴). للوقوف على المزيد وفهم معنى الشهود وأسبابه وموانعه(راجع نفحات القرآن، ج ۱، ص ۱۹۳)

[۸۲۱] (۵).« ملابس» اسم فاعل من مادة(ملابسة) بمعنى، الإختلاط والإلتصاق بشىء

[۸۲۲] (۱).« رويهٔ» من مادهٔ(ترويهٔ) تعنى، أحياناً، الشبع من الماء، كما وردت بمعنى التفكير

[۸۲۳] (۲).« همهٔ» من مادهٔ(همّ) بمعنى العزم على الإتيان بشيء، كما تعنى، الهم الذى يشغل فكر الإنسان، والنوع الأول هو المراد

[۸۲۴] (۳). نهج البلاغهٔ، الخطبهٔ ۱

[۸۲۵] (۱).« تعنو» من مادهٔ(عنو) على وزن غلو، بمعنى، تذل وتخضع

[۸۲۶] (۲).« تجب» من مادهٔ(وجوب) تعنى أحياناً، الثبوت، وأخرى السقوط والوقوع ولازمته الثبوت والاستقرار، وإن وردت بشأن القلب عنت الاضطراب

[۸۲۷] (۳). سورهٔ المؤمنون، الآيهٔ ۶۰

[۸۲۸] (۱). سند الخطبهٔ:

روى هذه الخطبهٔ قبل السيد الرضى، إبراهيم بن هلال الثقفى، فى(الغارات) عن حبيب بن عبداللّه.(مصادر نهج‌البلاغهٔ، ج ۲، ص ۴۳۹ و ۴۴۰)

[۸۲۹] (۱).« خضتم» من مادهٔ(خوض) على وزن حوض، قال الراغب فى المفردات، الورود شيئاً فشيئاً فى الماء والمشى‌فيه، ثم وردت بالمعنى الكنائى للشروع بالأعمال السيئهٔ أو الأقوال القبيحهٔ

[۸۳۰] (۲).« خرتم» من مادهٔ(خوار) الصراخ وحيث ينشيء الصراخ من الضعف فهى تعنى الضعف أو العجز

[۸۳۱] (۳).« أُجئتم» من مادهٔ(أجاء) وجذرها مجيء، جلب الشخص أو الشيء، وعليه إن اجئتم بمعنى أن جلبوكم

[۸۳۲] (۴).« مشاقهٔ» بمعنى الصعوبهٔ أو الخصومهٔ والعداهٔ من مادهٔ(شق) على وزن حق

[۸۳۳] (۵).« نكصتم» من مادهٔ(نكص) على وزن عكس، الرجوع إلى الوراء، القهقرى

[۸۳۴] (۶). اعتبر أغلب شرّاح نهج البلاغهٔ العبارهٔ« الموت أو الذل» لكم نوعان من اللعن والدعاء عليهم، أى متّم أوذللتم، وهى ليست كذلك فقد أراد الإمام عليه السلام أن يبيّن وهنهم وضعفهم فى الجهاد، أى أنّ نتيجهٔ عملكم إمّا الموت أو الذلهٔ، لاسيّما أنّ العبارهٔ التى وردت قبلها« لا أبا لغيركم!» والعبارهٔ اللاحقهٔ« للّه أنتم!» تفيد أنّه لم يكن فى مقام الدعاء عليهم، وقد أذعن الشرّاح بأنّه تلطف من الإمام عليه السلام بتوجيه الدعاء لغيرهم

[۸۳۵] (۷). نهج البلاغهٔ، الخطبهٔ ۵۱

[۸۳۶] (۱).« قال» بمعنى العدو، ومن مادهٔ(قلا)، على وزن ندا، بمعنى، شدهٔ البغض والعداء

[۸۳۷] (۱).« حميهٔ» بمعنى الغيرهٔ والشخصيهٔ والتعصب، كما وردت بمعنى التكبر وأصلها من مادهٔ(حمايهٔ)، لأنّ مثل هذه الصفات سبب لحمايهٔ الشخص أو الشيء

[۸۳۸] (۲).« تشحذ» من مادهٔ(شحذ) على وزن قبض، بمعنى حد، وتستعمل فى المسائل المعنويهٔ كالذكاء والفطنهٔ

[۸۳۹] (۱).« الجفاهٔ» جمع جافٍ، الشخص الغليظ والسيء الخلق، من مادهٔ(جفاء)

[۸۴۰] (۲).« الطغام» جمع طغامهٔ، بمعنى، ضعاف الفكر وأراذل الناس

[۸۴۱] (۳).« تريكهٔ» من مادهٔ(ترك) والمراد به، الشخص أو الشيء المتبقى، والمراد هنا المتبقون من شخصيات صدرالإسلام

[۸۴۲] (۱).« دارستكم» من مادهٔ(مدارسهٔ) بمعنى، التدريس والتعليم والتفهيم

[۸۴۳] (۲).« حجاج» جمع حجهٔ، بمعنى الدليل والبرهان، ولها أحياناً معنى مصدرى وتستعمل بصيغهٔ المفرد

[۸۴۴] (۱).« سوغتكم» من مادهٔ(تسويغ) جعلت الشيء سائغاً، ثم استعملت بمعنى، الأذن

[۸۴۵] (۲).« مججتم» من مادهٔ(مج) على وزن حج، بمعنى رمى الماء أو شيء آخر من الغم، ثم استعملت بمعنى كنائى هو إبراز الكراهيهٔ من شيء

[۸۴۶] (۳).« أقرب» بقوم من قبيل صيغة التعجب، حيث يبدى الإمام عليه السلام تعجبه بهذه الصيغة من الأفراد الجهال الذين‌استسلموا لخطط معاوية

[۸۴۷] (۴).« نابغة» تعنى فى الأصل الفرد المشهور والعبقرى، من مادة(نبوغ)، وتطلق أحياناً على الفرد المشهوربالفساد، ليس لها داعٍ هنا

[۸۴۸] (۵). تاريخ الطبرى، ج ۴، ص ۳۱ حوادث سنة ۳۷ هجرية

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹